القول القوي في الدفاع عن الإمام النووي

رحمه الله

رد شبهات وطعونات الطاعنين في الإمام محيي الدين وغيره من العلماء الربانيين

كتبه

أبو الفضل بن محمد المصري

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ، وقال رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ"[(١)]

وقال رَسُولُ الله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ ﷻ ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: مَالُهُ وَدَمُهُ وَعِرْضُهُ"[(٢)] ، و"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"[(٣)]

وقال ﷺ: " من ذب عن عرض أخيه، رد الله النار عن وجهه يوم القيامة "[(٤)]، وكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ ﵄ أَنِ اكتُبْ إِلَيَّ بِالعِلمِ كُلِّهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ العِلمَ كَثِيْرٌ، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلقَى اللهَ خَفِيفَ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ النَّاسِ، خَمِيْصَ البَطنِ مِنْ أَمْوَالِهِم، كَافَّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِم، لَازماً لأَمرِ جَمَاعَتِهِم، فَافعَلْ. «والسلام»[(٥)]

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧) وأحمد (٥٣٨٥) وهو في صحيح الترغيب ١٨٠٩

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٣، ٦٠٦٤، ٦٠٦٦، ٦٧٢٤) ومسلم (٢٥٦٣)

(٣) أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠)

(٤) رواه الترمذي (١٩٣١) وحسنه. وهو في صحيح الترمذي (١٥٧٥)

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٢ ط الرسالة) ، تاريخ دمشق (٣١/ ١٦٩) والزيادة له

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله، من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

﴿ياأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللهّ حَقّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنّ إِلاّ وَأَنْتُمْ مّسْلِمُونَ﴾

﴿ياأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوْا اللهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً﴾

﴿ياأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللهّ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[١]

هذه الرسالة ليست دفاعاً عن الإمام النووي رحمه الله وحسب!

بل هي دفاع عن منهج أهل السنة ، وعن علماء الأمة وحملة الشريعة، وهي ردٌ للغلو ودرءٌ للفتنة عن أهل السنة؛ فقد صدر من بعضهم رسالة بعنوان "عقيدة

---

(١) هذه خطبة الحاجة ، وقد رواها سبعة من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٦ / ١٥٣ و ١٥٦ وسنن أبي داود ١٠٩٧، ورسالة الألباني خطبة الحاجة ط المكتب الإسلامي، ط ٢ ص ١٢- ٢٩

النووي وبيان قول السلف فيها[١]"، زعم فيها بدعة الإمام النووي وضلالته !، وزعم أن النووي ـ وغيره من "الأجلّةِ" ! ـ "**بالنسبة لأهل السنة : لا علماء ولا شيء**"[٢]**!**، وفي بعض مرئياته سوَّغ تكفير الإمام النووي ؛ لأنه أشعري **!**

وبعض من يُنسب له ، أو ينتسب هو له، كفّر الإمام النووي فعلا **!**

وأما هو فحَكَمَ أخيراً على الإمام النووي بأنه **جهمي مبتدع**، ولم يُكَفِّره، وإنما كفّرَ غيرَه من العلماء [٣]**!**

وتلكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُها[٤]، **ولكنها أيضاً فرية وقد طارت !**

---

(١) وسيأتي الرد حتى على عنوان رسالته !

(٢) يوتيوب: مرئية له بعنوان: "هل إياد قُنيبي كافر"؟!

(٣) يوتيوب: مرئية حوار مع محمد بن شمس الدين ينتهي بتكفير السيوطي وتضليل النووي !، وهو حواره مع أحمد محجوب

عجيبة: سبق الطعانَ لسانُهُ في هذا الحوار فقال: الإمام النووي!

(٤) ولتعلم بطلان قولهم ، كانت هذه الرسالة التي فيها إجماع العلماء بعد النووي على إمامته وفضله وعلمه كما سيأتيك

لكنك تعجب حين كفروه لأنه أشعري !

قال شيخ الإسلام في شرح الأصبهانية (ص ٣٨٤ ط دار المنهاج): **وابن كلاب كان مسلماً ظاهراً وباطناً، رجلاً فاضلاً ، جليل القدر**، وقد رد على أهل البدع الكبار من الجهمية والمعتزلة والرافضة رداً كثيراً أحسن فيه وأصاب ، وغلط في بعض ذلك

وكذلك الأشعري بعده كان مسلماً باطناً وظاهراً ، أظهر من الرد على أهل البدع وتناقضهم أكثر مما أظهر ابن كلاب...

نعم قد طارت هذه الفرية كل مطار على تويتر وفيس بوك ويوتيوب[١] !!

وهم في هذا كله ذيلٌ لمن فعل ذلك من سنوات ؛ فولغ في أعراض أهل السنة بأَلسنةٍ حداد!، فقمعه الله تعالى بسيوف أهل السنة الأمجاد[٢] !

وسألني من أحب أن أنظر في تيك الرسالة وأن أعلق عليها !

وجعله ابن تيمية إماماً للسنة باعتبارين فانظرهما إن شئت (ص ٣٨٥) وانظر (ص ٤٦٧)

وفي فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٢٢٠): **الأشاعرة ليسوا كفارا، وإنما أخطأوا في تأويلهم بعض الصفات**.

وفي مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٢٣٥): **لا يُخرج الأشاعرة والماتريدية من صف المسلمين إلا جاهل بحالهم، أو جاهل بأسباب الكفر والخروج عن الإسلام، أما أهل العلم بذلك فلم يخرجوهم من الإسلام**.

وانظر قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص٥٥) ومجموع الفتاوى ٦/٥٣، مجلة البحوث الإسلامية (٣٩/ ١١٠) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ، د/ إبراهيم الرحيلي ، ط مكتبة العلوم والحكم، ١/١٦٣-٢٣٥

(١) أعني مواقع التواصل الإجتماعي، التي أصبحت مرتعاً للمهاترات، إلا من رحم الله ﷻ.

(٢) انظر كتاب "النقولات السلفية في الرد على الطائفة الحدادية" تقديم: الشيخ صالح الفوزان، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ حافظ ثناء الزاهدي، ط الدار الأثرية، ومجازفات الحادا ومخالفاته لمنهج السلف، للشيخ ربيع بن هادي، وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد، للشيخ محمد عبد الحميد حسونه، ط دار الكتاب والسنة، وأوراق منثورة لمشعل الحداري ط غراس ص ٢٧٢-٢٧٩.

فأقول وأبدأ: بسم الله الرحمن الرحيم:

يقول الله ﷻ: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾

ويقول ﷻ: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾

وقال ﷻ: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[١]، قال شيخ الإسلام: فكل من أراد الله به خيراً فلا بد أن يفقهه في الدين ؛ فمن لم يفقهه في الدين لم يرد به خيراً، وليس كل من فقهه في الدين قد أراد به خيراً؛ بل لا بد مع الفقه في الدين من العمل به !، **فالفقه في الدين شرط في حصول الفلاح**[٢]، **والنووي فقيهٌ وَرِعٌ باتفاق العلماء بعده**[٣]

وقال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم ليستغفر لـه من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩) ومسلم (١٧١٩)

(٢) الصفدية (٢/ ٢٦٦) وانظر مجموع الفتاوى (٢٨ / ٨٠)، وانظر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٦٠)

(٣) بل هو "شيخ المذهب، وكبير الفقهاء في زمانه"كما قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٧/ ٥٤٠) ت التركي

الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(١) ، **وللنووي من هذا الحظ ما لا يخفى** على من نظر في علومه؛ فهو من "العلماء المتأخرين من هذه الأمة ممن لا يشك أحد في علمهم وحسن نواياهم"(٢) ، والعلماء " أَضَافَهُمُ اللهُ ﷻ إِلَى نَفْسِهِ فِيمَا شَهِدَ لَهَا بِالْإِلَهِيَّةِ فَقَالَ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ ، ثُمَّ رَفَعَهُمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ فَقَالَ ﷻ : ﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ، وَقَالَ ﷻ : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣]، قِيلَ: بِالْعِلْمِ .

فَهُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَهْلُ نُورِهِ فِي بِلَادِهِ ، اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِعِلْمِهِ ، وَاخْتَارَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَعَرَّفَهُمْ حَقَّهُ ، وَدَلَّهُمْ عَلَى نَفْسِهِ ، فَأَقَامَ بِهِمْ حُجَّتَهُ ، وَجَعَلَهُمْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، ذُبَّابًا عَنْ حَرَمِهِ ، نُصَحَاءَ لَهُ فِي خَلْقِهِ ، فَارِّينَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ ، فَلِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِمَسْأَلَتِهِمْ ، وَالنُّزُولِ عِنْدَ طَاعَتِهِمْ ، فَقَالَ ﷻ : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] .

(١) رواه أبو داود ٣٦٤١ والترمذي ٢٦٨٢ ، وحسنه ابن حجر (الفتح ١/٢١١) وصححه الألباني

(٢) منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم، د/ زكية بنت يوسف مصباح، جامعة ابن سعود، كلية البنات، سنة ١٤٢٢ هـ ، ص ٤

ثُمَّ أَلْصَقَ طَاعَتَهُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قَالَ: الْفُقَهَاءُ، كَذَا قَالَ الْمُفَسِّرُونَ[١].

حَدَّثَنَا ابْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا الْحَسَّانِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، بِذَلِكَ .

فَطَاعَتُهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجِبَةٌ ، وَمَعْصِيَتُهُمْ مُحَرَّمَةٌ ، مَنْ أَطَاعَهُمْ رَشَدَ وَنَجَا ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ هَلَكَ وَغَوَى ، هُمْ سُرُجُ الْعِبَادِ ، وَمَنَارُ الْبِلَادِ ، وَقِوَامُ الْأُمَمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحِكَمِ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَنٍ ، وَصَفَهُمُ اللهُ ﷻ بِالْخَشْيَةِ وَالِاعْتِبَارِ ، وَالزُّهْدِ فِي كُلِّ مَا رَغِبَ فِيهِ الْجَهَلَةُ الْأَغْمَارُ ، فَقَالَ عَزَّ مَنْ قَائِلٌ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ، وَقَالَ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣][٢] "

ولذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن العلماء أنهم : "يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصّرون بنور الله أهل العمى ؛ فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله

---

(١) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عباس: ﴿وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ الْفِقْهِ وَالدِّينِ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿وَأُولِي الأمْرِ مِنْكُمْ﴾ يَعْنِي: الْعُلَمَاءُ. تفسير ابن كثير – ت السلامة ٢/ ٣٤٥

(٢) إبطال الحيل لابن بطة ط عالم الفوائد (ص٥٢– ٥٤)

تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ....[١]"، و"الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس"[٢] .

وقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : " بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا "[٣] .

وأخرج أيضاً عن حذيفة ﵁ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً ؛ لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه "[٤]

وقال ابن مسعود ﵁ :" كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ت صبري (ص٥٥)

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٦٤)

(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٠٣ (٨٠١٧) و٢/٣٧٢ (٨٨٣٥) و٢/ ٥٢٣ (١٠٧٨٢) ومسلم ١/٧٦ والترمذي ٢١٩٥

(٤) أخرجه أحمد ٥/٣٨٦ (٢٣٦٦٩) و٥/ ٤٠٥ (٢٣٨٣٣)، ومسلم (٢٨٦-٢٨٨)

الصغير ويتخذها الناس سنة فإذا غيرت قالوا غيرت السنة ، قالوا : متى ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ ، قال : إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين "(١)

والمخرج الوحيد من الفتن - كلِّها - هو التمسك بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ والرجوع إلى علماء أهل السنة والجماعة؛ فعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ:" تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض"(٢).

ولا سبيل لمعرفتهما إلا من خلال أهل العلم وورثة الرسول ﷺ ، وقد قال الله ﷻ **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**

وفي قول الله ﷻ: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾.

قال السعدي: هذا تأديب من الله لعباده ... أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها؛

---

(١)أخرجه الدارمي (١/٧٥) قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح

(٢) أخرجه مالك بلاغاً ، ووصله الحاكم وصححه (١/١٧٢، رقم ٣١٩) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٩٣٧ ، الصحيحة ١٧٦١

فإن رأوا في إذاعته مصلحةً ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحرزاً من أعدائهم فعلوا ذلك.

وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة ، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته؛ لم يذيعوه، ولهذا قال ﷻ: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا ، فيحجم عنه[١]، بل وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: " العلماء يقومون مقام الأنبياء بتعليم العلم وتبليغه للناس ، ويجب على الناس أن يتعلموا منهم ويقبلوا إرشاداتهم وتعليماتهم "[٢] فـ"العلماء ورثه الأنبياء "

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله :" اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، **وقل بما قالوا ، وكُفّ عما كفّوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه**

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص١٩٠) ط الرسالة

(٢) الخطب المنبرية ١/١٧٦

يسعك ما وسعهم "[١] ، "**ولابد من أن يكون سلوك هذه الطريق خلف أئمة أهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم:** كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ومن سلك سبيلهم ؛ **فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقتهم وقع في مفاوز ومهالك** ، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به وترك ما يجب علمه "[٢]، وذلك لأن الرسول ﷺ زكَّاهم فقال: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله" [٣] ، قال ابن القيم : "وهذا يتضمَّنُ تعديلَه ﷺ لحملة العلم الذي بُعِثَ به، وهو المشارُ إليه في قوله: "هذا العلم"، فكلُّ من حَمَل العلمَ المشارَ إليه لا بدَّ وأن يكون عدلًا، ولهذا **اشتهر عند الأمَّة عدالةُ نَقَلته وحملته اشتهارًا لا يقبلُ شكًّا ولا امتراءً.**

ولا ريب أنَّ من عدَّله رسولُ الله ﷺ لا يُسْمَعُ فيه جرح؛ فالأئمةُ الذين اشتهروا عند الأمَّة بنقل العلم النبويِّ وميراثه كلُّهم عدولٌ بتعديل رسول الله ﷺ"[٤]،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٥٤)

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٢٣١ ت الفحل)

(٣) روي من طرق مرسلا ومتصلاً بأسانيد ضعيفة ، لكنه يتقوى بها فانظر سنن البيهقى (١٠/٢٠٩)، وتاريخ ابن عساكر (٧/٣٨، ٣٩) و(٥٤/٢٢٥)، وقال الخطيب : سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له كأنه كلام موضوع؟ ، قال: لا ، هو صحيح سمعته من غير واحد. (كنز العمال ط الرسالة ٢٨٩١٨)، وحسنه ابن عدي في الكامل ١/١٥٣ ، ٣/٩٠٢ وصححه العلائي في بغية الملتمس ٣٤، ٣٥

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤٦٢).

وهم الذين اخْتَصَّهم اللهُ ﷻ "فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَفَقَّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُمُ التَّأْوِيلَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ، رَفَعَهُمْ بِالْعِلْمِ وَزَيَّنَهُمْ بِالْحِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالضَّارُّ مِنَ النَّافِعِ، وَالْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ. فَضْلُهُمْ عَظِيمٌ، وَخَطَرُهُمْ جَزِيلٌ، وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُرَّةُ عَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ، الْحِيتَانُ فِي الْبِحَارِ لَهُمْ تَسْتَغْفِرُ، وَالْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا لَهُمْ تَخْضَعُ، وَالْعُلَمَاءُ فِي الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُمْ تُفِيدُ الْحِكْمَةَ، وَبِأَعْمَالِهِمْ يَنْزَجِرُ أَهْلُ الْغَفْلَةِ، هُمْ أَفْضَلُ مِنَ الْعُبَّادِ، وَأَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الزُّهَّادِ، حَيَاتُهُمْ غَنِيمَةٌ، وَمَوْتُهُمْ مُصِيبَةٌ، يُذَكِّرُونَ الْغَافِلَ، وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ، لَا يُتَوَقَّعُ لَهُمْ بَائِقَةٌ، وَلَا يُخَافُ مِنْهُمْ غَائِلَةٌ، بِحُسْنِ تَأْدِيبِهِمْ يَتَنَازَعُ[١] الْمُطِيعُونَ، وَبِجَمِيلِ مَوْعِظَتِهِمْ يَرْجِعُ الْمُقَصِّرُونَ، جَمِيعُ الْخَلْقِ إِلَى عِلْمِهِمْ مُحْتَاجٌ، وَالصَّحِيحُ عَلَى مَنْ خَالَفَ بِقَوْلِهِمْ مِحْجَاجٌ.

الطَّاعَةُ لَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَاجِبَةٌ، وَالْمَعْصِيَةُ لَهُمْ مُحَرَّمَةٌ، مَنْ أَطَاعَهُمْ رَشَدَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَنَدَ، مَا وَرَدَ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْرٍ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَقَفَ فِيهِ فَبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ يَعْمَلُ، وَعَنْ رَأْيِهِمْ يَصْدُرُ، وَمَا وَرَدَ عَلَى أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُكْمٍ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ فَبِقَوْلِهِمْ يَعْمَلُونَ، وَعَنْ رَأْيِهِمْ يَصْدُرُونَ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَى قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُكْمٍ، فَبِقَوْلِ الْعُلَمَاءِ يَحْكُمُونَ، وَعَلَيْهِ يُعَوِّلُونَ، فَهُمْ سِرَاجُ

(١) كذا ، ولعلها : "يسارع"

الْعِبَادِ، وَمَنَارُ الْبِلَادِ، وَقِوَامُ الْأُمَّةِ، وَيَنابِيعُ الْحِكْمَةِ، هُمْ غَيْظُ الشَّيْطَانِ، بِهِمْ تَحْيَا قُلُوبُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَتَمُوتُ قُلُوبُ أَهْلِ الزَّيْغِ، مَثَلُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، إِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ تَحَيَّرُوا، وَإِذَا أَسْفَرَ عَنْهَا الظَّلَامُ أَبْصَرُوا، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا دَلَّ عَلَى مَا قُلْتُ؟ قِيلَ لَهُ: الْكِتَابُ، ثُمَّ السَّنَّةُ"[١]، ثم ساق رحمه الله الأدلة على ذلك.

وقال الشيخ الفوزان:" فالواجب على المتعلمين أن يرتبطوا بالعلماء الثقات المعروفين بسلامة المعتقد ، فيتلقوا عنهم العلم والدين حتى تتصل السلسلة والسند بالنبي ﷺ ، فيتلقوا عنه العلم النافع الصافي بواسطة هؤلاء العلماء الثقات ؛ فيكونوا على بصيرة من دينهم وبينة من ربهم وصلة بنبيهم ﷺ "[٢].

(١) أخلاق العلماء للآجري (ص٤٤ – ٤٥) ، ط أضواء السلف، والأدلة بعدها في صفحات.

(٢) الخطب المنبرية (١/١٧٦-١٧٧)

تحذير من تصدر الصغير !

قال نبينا محمد ﷺ: " إنَّ مِن أشراط الساعة أن يُلتَمسَ العلمُ عند الأصاغر " [١]، وفي لفظ: " إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ "

قَالَ نُعَيْمٌ: قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: مَنِ الْأَصَاغِرُ؟ قَالَ: **الَّذِينَ يَقُولُونَ بِرَأْيِهِمْ** [٢]، فَأَمَّا صَغِيرٌ يَرْوِي عَنْ كَبِيرٍ فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ !

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْخَبَرِ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ بِالْأَصَاغِرِ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَلَا يَذْهَبُ إِلَى السِّنِّ [٣]!

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهَذَا وَجْهٌ، وَالَّذِي أَرَى أَنَا فِي الْأَصَاغِرِ أَنْ يُؤْخَذَ الْعِلْمُ عَمَّنْ كَانَ بَعْدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَاكَ أَخْذُ الْعِلْمِ عَنِ الْأَصَاغِرِ [٤]

وقال العلامة صالح الفوزان: المراد بالأصاغر : حدثاء الأسنان ؛ **لأن الحدث**

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٦١)، وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٩٥).

(٢) ولذلك نقل شيخ الإسلام عن الإمام أحمد قوله: **لا تقل قولاً ليس لك فيه إمام.**

انظر جامع تراث العلامة الألباني في الفقه (٢٨/١٧)

فنقول لهذا الطعان مَنْ مِن الأئمة والعلماء سبقك إلى تضليل الإمام النووي وتجهيمه؟ فضلاً عن تسويغ تكفيره !

(٣) والغلو في التكفير والتبديع من أخطر البدع كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٢)

يكون عنده خفة وعدم تثبت[١] .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : " فسادُ الدين إذا جاء العلمُ من قبل الصغير ، استعصى عليه الكبيرُ ، وصلاحُ الناس إذا جاء العلم من قِبَل الكبير ، تابعه عليه الصغير "[٢] .

---

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة ، ط بلنسية ٢/ ٩٤ ، ومما يدلك على أن هذه صفة الطعان، أنه كان ذكر في موقعه قائمة بأسماء علماء ودعاة من أهل السنة يُوثَق بعلمهم ، ثم بعد حينٍ من الزمان أخرج ـ بنفسه ـ طائفةً منهم من أهل السنة ولم يعتبرهم أئمةً !

مثال: علاء الدين ابن العطار ، وسئل بعد فترة عن جمال الدين القاسمي ـ وهو ضمن القائمة ـ، فقال: ليس إماماً !

وكان يدافع عن الإمام النووي قديماً ويلتمس له المعاذير، ثم استخفته العجلة – أو طلب الظهور والشهرة – ؛ فيصير يطعن فيه بأنه أشعري مبتدع، ثم نزل دركة فسوغ تكفيره !، ثم جزم بأنه جهمي!

وفعل هذا فعل طائفة ممن على شاكلته كانوا يقولون النووي إمام بإجماع، ثم صاروا يحذرون منه ويصفونه بالابتداع؛ ويحذرون من قراءة كتبه ، نعم والله يحذرون من قراءة "كتبه كلها" !

أيُنهى عن قراءة رياض الصالحين؟!؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها، واختم بالصالحات أعمالنا.

(٢) أخرجه قاسم بنُ أصبغُ فى "مصنفه" بسندٍ صححه الحافظ (١/ ٣٠١) ، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٠٥٥ و ١٠٥٦ بلفظ : "قَدْ عَلِمْتُ مَتَى

وعن ابن مسعود ﵁ قال: "لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ عَنْ أَصَاغِرِهِمْ، وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا" [١].

وقال : " إنكم لن تزالوا بخيرٍ ما دام العلم فى كباركم ، فإذا كان العلم في صغاركم سفَّه الصغير الكبير"، وفي لفظ : "إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في ذوي أسنانكم فإذا كان العلم في الشباب أنف ذو السن أن يتعلم من الشباب" [٢]، وجاء هذا المعنى عن غير واحد من الصحابة ﵃ ، وقد حدث ما توقَّعه هؤلاء الصحابة الكرام ﵃

فكيف إذا كان في الشباب التعالم ، لا العلم[٣] ؟!

وقد توجع بعض الأذكياء من كثرة أشباه العلماء في ديار المسلمين ، وأطلق عليهم اسم "**المجددينات**" بدل "المجددين" ، فقال له سامعُهُ : وما المجددينات ؟ ما هو بجمع مذكر سالم ، ولا جمع مؤنث سالم ؟ فقال له : هذا جمع "مخنثٍ" سالم !! فأقسم له سامعه أن اللغة العربية في أمسِّ الحاجة إلى هذا الجمع ، خصوصا

صَلَاحُ النَّاسِ وَمَتَى فَسَادُهُمْ إِذَا جَاءَ الْفِقْهُ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْكَبِيرُ وَإِذَا جَاءَ الْفِقْهُ مِنْ قِبَلِ الْكَبِيرِ تَابَعَهُ الصَّغِيرُ فَاهْتَدَيَا"

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٠٥٧ ، وانظر الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٧٧ - ٨٢)

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع العلم وأبو خيثمة في العلم ١٥٥

(٣) راجع "التعالم"، و"حلية طالب العلم" ، للشيخ بكر أبي زيد

في هذه الأيام ! [(١)]

وتصدُّر الجهال بابٌ واسع للضلالِ والإضلال ؛ وهذا ما أخبر به النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه :" إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضوا وأضلوا"[(٢)]

وبابٌ واسع للهلاك والإهلاك ؛ فعن هلال بن خباب قال: سألت سعيد بن جبير قلت: يا أبا عبد الله! ما علامة هلاك الناس؟ قال: " إذا هلك علماؤهم " [(٣)]، أي : **لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ عُلَمَاؤُهُمُ الْمَشَايِخَ وَلَمْ يَكُنْ عُلَمَاؤُهُمُ الْأَحْدَاثَ لِأَنَّ الشَّيْخَ قَدْ زَالَتْ عَنْهُ مُتْعَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ وَعَجَلَتُهُ وَسَفَهُهُ** وَاسْتَصْحَبَ التَّجْرِبَةَ وَالْخِبْرَةَ فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ الشُّبْهَةُ وَلَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْهَوَى وَلَا يَمِيلُ بِهِ الطَّمَعُ وَلَا يَسْتَزِلُّهُ الشَّيْطَانُ اسْتِزْلَالَ الْحَدَثِ وَمَعَ السِّنِّ الْوَقَارُ وَالْجَلَالَةُ وَالْهَيْبَةُ وَالْحَدَثُ قَد تَدْخُلُ عَلَيْهِ هَذَا الْأُمُورُ الَّتِي أُمِنَتْ عَلَى الشَّيْخِ فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَأَفْتَى هَلَكَ وَأَهْلَكَ [(٤)].

(١) مقدمة تنبيه الهاجد للشيخ المحدث أبي إسحاق الحويني. بتصرف

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)،(٧٣٠٧) ومسلم (٦٨٩٣) ،(٦٨٩٤)، (٦٨٩٦)، والتِّرمِذي (٢٦٥٢) وابن ماجة (٥٢)، والنَّسائي في الكبرى (٥٨٧٧، ٥٨٧٨)

(٣) رواه الدرامي (٢٥١)

(٤) قاله خطيب أهل السنة ابن قتيبة، في نصيحة أهل الحديث (ص٢٩)

وصدق من قال[١]:

اللهُ شَرَّفَنا بفَضْلِ نَبِينا الـ ... مبعوث حقاً رحمة لعباد

فأتى بقُرْآنٍ عَظِيمٍ باهِرٍ ... فيه الهدي أكرم به من هاد

وحَدِيْثهُ يَشْفِي الصُّدُورَ ونُوره ... تحيا القلوب به ويروي الصادي

وأقامَ للدِّينِ المُبينِ أئِمَّةً ... تهدي الورى فهم نجوم بلادي

فَوُجودُهُمْ بَيْنَ الخَلائِقِ رَحْمَةٌ ... ومماتهم علمٌ لقرب معاد

فَالْعِلْمُ مَقبوضٌ بِقَبْضِ نُفوسِهِم ... قد جاء ذاك عن النبي الهادي

فائدة: قَالَ الإمام مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ: "لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ، سَفِيهٍ مُعْلِنِ السَّفَهِ وَصَاحِبِ هَوًى يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، وَرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَجُلٍ لَهُ فَضْلٌ وَصَلَاحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ"[٢]

وعن شعيبِ بنِ الحَبْحاب، قال: غدَوتُ إلى أنسِ بنِ مالك، فقال: يا شعيبُ، ما غدا بك؟ فقلت: يا أبا حمزة، غدَوْتُ لأتعلَّمَ منك، وألتَمِسَ ما ينفَعُني. فقال: يا شعيبُ، إنَّ هذا العلمَ دِينٌ، فانظُرْ ممَّن تأخُذُه[٣].

وعن ابن سيرين: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[١].

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص١٢٧)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٢١)

(٣) التمهيد – ابن عبد البر (١/ ٢٣٨ ت بشار)

وقال ابن عون: لا تأخذوا العلم إلا ممن يُشْهد له بالطلب[٢].

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: ما الناس إلا من قال حدثنا وأخبرنا ، وسائر الناس لا خير فيهم، ولقد التفت المعتصم إلى أبي فقال له: كلم ابن دؤاد!، فأعرض عنه أبي بوجهه وقال: **كيف أكلم من لم أره على باب عالمٍ قط ؟!** [٣]، وسبب إعراضه أن " شيوخ طالب العلم هم آباؤه وأجداده، **ومن لم يكن له شيوخ يتلقى عنهم العلم، ثم ادَّعى العلم، وتكلم فيه: فهو دَعيٌّ فيه، مجهولُ الهُوِيَّة والنسب ، ولم يكونوا يلتفتون إلى مَن لم يكن له شيوخ في العلم، ولا يقيمون له وزنًا ولا اعتبارًا، ولا يرون فيه أهلية التكلم معه؛ لأنه محل الخَطَل والغلط.**

قال القاضي عياض في ترجمة أبي جعفر الداودي: " بلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سُكناهم في مملكة بني عُبيد، وبقاءَهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك، فأجابوه: **اسكت لا شيخ لك!**

---

(١) مقدمة مسلم وسنن الدارمي: ٤١٩، ٤٢١ وشرح علل الترمذي ١/٢٥٢ ورواه الخطيب في الكفاية بنحوه عن علي ﷺ، وينظر "المفهم" ١/ ١٢٢، قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٧٨)

(٢) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة – السفر الثالث – ط الفاروق (١/ ٣١٣)، التمهيد (١/ ٢٣٨ ت بشار)

(٣) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس لابن بشكوال (ص٢٥٠)، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع (ص٢٨)

أي: لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور " [١]

ولما ذكر ابن العطار شيوخ الإمام النووي قال : **فمعرفة هذه السلسلة من النفائس والمهم** الذي يتعين على الفقيه والمتفقه علمه، ويقبُح به جهله، **فالشيوخ في العلم آباء له في الدين، ووصلة بين العبد وبين رب العالمين**[٢].

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: "العلماء أرأفُ بأمَّةِ محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم؛ لأنهم يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها، وآباؤهم وأمَّهاتهم يحفظونهم من الدنيا وآفاتها".

يعني: الآباء العلماء، وأما الآباء الجهال؛ فلا يحفظونهم لا في الدُّنيا، ولا في الآخرة، والله أعلم[٣].

ولهذا لابد من معرفة قدر هذا الإمام العَلَم الذي رماه الطعان بسهمه الخائب

---

(١) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام (ص٣٣٧)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٧/ ١٠٣) ، التفسير والبيان لأحكام القرآن (٢/ ٨٨١)

(٢) فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: " إنما أنا لكم مثل الوالد لولده -وفي لفظ: بمنزلة الوالد- أعلِّمُكم" رواه أبو داود (٨)، وابن ماجه (١/ ١٣١)، والدارمي (١/ ١٧٢)، وحسنه الألباني في المشكاة (١/ ١١٢) ، **فالعلماء " أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا "** كما قال الإمام النووي، انظر الإعلام بحرمة أهل العلم (ص١٩٩)

(٣) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص٥٧)

فهو كما قال الإمام الذهبي: **مفتي الأمَّة، شيخ الإِسْلَام، محيي الدِّين**[١]، **أبو زكريّا النَّواويّ، الحافظ، الفقيه، الشّافعيّ، الزّاهد، أحد الأعلام** ، يحيى بْن شرف بْن مُرّي بْن حسن بْن حُسَيْن[٢].

---

(١) فائدة : كان الشيخ الإمام النووي يكره هذا اللقب؛ تواضعاً لله تعالى، وخوفاً من الدخول في قوله تعالى: ﴿فَلَا تزكوا أَنفُسَكُم﴾ [النجم: ٣٢]. قاله الشيخ مشهور في تحقيقه لتحفة الطالبين(ص٣٩)، وقال : انظر "المنهل العذب الروي"(ص٤)، و"الإمام النووي" للدَّقر (ص ١٩)، و"الإمام النووي وجهوده في التفسير" (ص ٢٤)

وقال اللخمي: وصح أن قال: لا أجعل في حل من لقبني محيي الدين، وذلك منه على ما نشأ عليه من التواضع، وإلا فهو جدير به لما **أحيا الله به من سنن، وأمات به من بدع، وأقام به من معروف، ودفع به من منكر، وما نفع الله به المسلمين من مؤلفات،** ولكن يأبى الله إلا أن يظهر هذا اللقب له عرفانًا بحقه، وإشادة بذكره.

المهمات في شرح الروضة والرافعي (١/ ٦١) وانظر فتح المغيث (٣/ ٢٦٢)

(٢) بتصرف واختصار من تاريخ الإسلام – ت عمد عبد السلام التدمري (٥٠/ ٢٤٦)، ت بشار عواد(١٥/ ٣٢٤)، وقال التدمري : انظر المقتفي ١/ ورقة ٧٠ أ، ب، وزبدة الفكرة ٩/ ورقة، ٩٠ ب، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٣، ٣٨٤، ودول الإسلام ٢/ ١٧٨، والعبر ٥/ ٣١٢، ٣١٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١٥ رقم ٢٢٤٣، وتذكر الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٢، وذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٨٢– ١٨٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧٨، ٢٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٦٥، وطبقات الشافعية للإسنويّ ٢/ ٤٧٦، ٤٧٧، رقم ١١٦٢، وفوات الوفيات ٤/ ٢٦٤ رقم ٥٦٨، وطبقات النحاة لابن قاضي شهبة، ورقة ٢١٨، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٦٤٨، وعقد الجمان (٢) ١٩٤، ١٩٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨،

وكشف الظنون ٥٩/ ٧٠، ٩٦، ٩٧، ١١٥، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٤٤، ٣٤٠، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤٦٥، ٤٩٠، ٥٠٤، ٥٥٠، ٥٥٧، ٦٨٨، ٧١٧، ٩١٥، ٩٣٦، ١٠٣٩، ١١٦٢، ١١٨٨، ١٦١٣، ١٦٤٨، ١٦٩٤، ٧١٨٣٣ ١٨٣٨، ١٨٥٩، ١٨٧٣، ١٨٧٧، ١٩٨٢، ٢٠٢٥، وحسن المحاضرة ٢/ ٧٥ وتاريخ الخلفاء ٤٨٣، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٢٥- ٢٢٧، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٥٦، ومفتاح السعادة ١/ ١٨٢، والدارس ١/ ٢٣، وإيضاح المكنون ١/ ٢٥٢ و ٢/ ١٥٢، ١٩٩، ٤٧٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٢٤، ومعجم المؤلفين ١١/ ٣٠٢، ٣٠٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٩- ١٣ رقم ٤٥٤، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٢٤٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٤، والأعلام ٩/ ١٨٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٦، وعيون التواريخ ٢١/ ١٦٠- ١٦١، ومختصر تاريخ الإسلام، ورقة ٢٩٠، وطبقات الحفاظ ٥١٠، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٨٧ رقم ١١٢٨

وانظر موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ٤٠٣)، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين لابن العطار، المنهل العذب الروي في ترجمة الإمام النووي للسخاوي، المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي للسيوطي، مقدمة محققي المجموع ط العلمية ١/٤٠٢-٤٦٣، وفي حاشية الردود والتعقبات للشيخ مشهور سلمان: "الإمام النووي وأثره في الفقه الإسلامي" (ص ٣٩) للدكتور محمود رجا، و"الإمام النووي وجهوده في التفسير" (ص ٢٩) لشحادة العَمري، و"الإمام النووي" للطنطاوي، و"الإمام النووي" لعبد الغني الدقر، منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم، د/ زكية بنت يوسف مصباح، جامعة ابن سعود، كلية البنات، ص ٢١-٩٦، منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم بن الحجاج، دراسة وصفية تحليلية ، أحمد. ادريس صالح محمود، جامعة أم درمان، كلية أصول الدين، قسم العقيدة الإسلامية.

وُلِدَ فِي العَشْر الأوسط من المحرَّم سنة إحدى وثلاثين بنَوى [١]...

حكى والدُه لشيخنا أبي الحْسَن بْن العطّار[٢] أن الشَّيْخ كان نائماً إِلَى جنبه وهو ابن سبْع سنين ليلة السّابع والعشرين من رمضان، قَالَ: فانتبه نحو نصف اللّيل وأيقظني وقال: يا أَبَه ما هَذَا الضّوء الَّذِي قد ملأ الدّار؟، فاستيقظ أهلي كلّهم، فلم نر شيئاً، فعرفت أنّها ليلة القدر.

وقال ابن العطّار: ذكر لي الشَّيْخ ياسين بْن يوسف المُرّاكِشيّ ﷺ قَالَ: رَأَيْت الشَّيْخ محيي الدّين وهو ابن عشر بنَوَى والصّبيان يُكرهونه على اللِّعب معهم، وهو يهرب ويبكي، ويقرأ القرآن فِي ذلك الحال، فوقع فِي قلبي محبّتُه، وجعله

---

(١) "نوى" مدينة تقع في الجنوب السوري، بسهل حوران، قرب الجولان.

انظر شراح الصحيحين بين الإثبات والتأويل ١/١٢٣، ومعجم البلدان ٥/٣٠٦

(٢) وهو الشيخ العلامة السلفي علاء الدين العطار، تلميذ النووي وأخص الناس به، الملقب بـ"مختصر النووي"، وقد ترجم للنووي ترجمة حافلة هي عمدة من جاء بعده من المترجمين للإمام النووي كالذهبي والسخاوي والسيوطي وغيرهم، وهي مطبوعة بتحقيق الشيخ مشهور حسن، وهي بتمامها في مقدمة المجموع للننوي ط العلمية، ولخصها د/ مازن في مقدمة تحقيقه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ٤١ – ٨٦، وانظر التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٣٠٠-٣٠٤

وانظر رسالة: الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد لابن العطار (ت ٧٢٤ هـ)، ت الدكتور سعد بن هليل الزويهري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ٢/٧

أَبُوهُ فِي دُكّانٍ بالقرية، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فوصَّيْت الَّذِي يُقرِئه وقلت: هَذَا يُرجى أن يكون أعلم أَهْل زمانه [وأزهدهم][1] ، قال لي: أَمُنَجّمٌ أنت؟ قلت: لا، إنّما أنطقني الله بِذَلِك.

فذكر ذلك لوالده فحرص عليه [إلى أن ختم [2]]وقد ناهَزَ الاحتلام

قَالَ ابن العطّار: قَالَ لي الشيخ: فَلَمَّا كان لي تسع عشرة سنة قدِم بي والدي إِلَى دمشق فِي سنة تسع وأربعين فسكنتُ المدرسة الرّواحية، وبقيتُ نحو سنتين لم أضع جنْبي إِلَى الأرض. وكان قُوتي بها جراية المدرسة لا غير.

وحفظت "التّنبيه" فِي نحو أربعة أشهر ونصف.

قَالَ: وقرأت حِفْظًا رُبع "المهذَّب" فِي باقي السّنة، وجعلت أشرح وأصحِّح على شيخنا كمال الدّين إِسْحَاق بْن أَحْمَد المغربيّ، ولازَمْتُه فأُعجِب بي وأحبّني، وجعلني أُعيد لأكثر جماعته[3].

---

(١) من ط د، بشار

(٢) من ط د، بشار

(٣) قال الإمام الذهبي عن الإمام النووي: "وضُرِبَ به المثَلُ في إكبابه على طلب العلم ليلاً ونهاراً، وهجره النوم إلا عند غلبة، وضبط أوقاته بلزم الدَّرس، أو الكتابة، أو المطالعة، أو التردد على الشيوخ".

وحكى البدرُ ابن جماعة أنه سأله عن نومه، فقال: "إذا غلبني النومُ؛ استندتُ إلى الكتب لحظةً ثم أنتبه".

فَلَمَّا كَانَتْ سنة إحدى وخمسين حججتُ مع والدي، وكانت وقْفَة جُمعة، وكان رحيلنا من أوّل رجب، فأقَمْنا بالمدينة نحوا من شهر ونصف.

فذكر والده قَالَ: لَمّا توجّهنا من نَوَى أَخَذَتْه الحُمّى، فلم تفارقْه إِلَى يوم عرفة، ولم يتأوَّه قَطّ.

ثُمَّ قدِم ولازَم شيخه كمال الدّين إِسْحَاق.

قَالَ لي أبو المفاخر مُحَمَّد بْن عَبْد القادر القاضي: لو أدرك القُشَيْرِيُّ شيخكَم وشيخَه لما قدّم عليهما فِي ذِكره لمشايخها - يعني الرّسالة -، أحدا لِما جُمع فيهما من العِلم والعمل والزُّهد والورع والنُّطْق بالحِكَم.

قَالَ: وذكر لي الشَّيْخ أنّه كان يقرأ كلّ يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، درسين فِي "الوسيط" ، ودرسين فِي "المهذّب" ، ودرساً فِي "الجمع بين الصّحيحين"، ودرساً فِي "صحيح مُسْلِم" ، ودرساً فِي "اللُّمَع" لابن جَنّيّ، ودرساً فِي "إصلاح المنطق" لابن السِّكّيت، ودرساً فِي "التّصريف" ، ودرساً فِي أصول الفِقْه، تارة فِي "اللُّمَع" لأبي إِسْحَاق، وتارة فِي "المنتخب" لفخر الدّين، ودرساً فِي أسماء الرجال، ودرساً فِي أصول الدّين وكنتُ أعلّق جميع ما يتعلَّق بها من شرح مُشْكل، ووضوح عبارة، وضبْط لُغة، وباركَ الله لي فِي وقتي.

نقله النعيمي في "الدارس في أخبار المدارس" (١/ ٧٨)؛ ذكره السخاوي في "ترجمة الإمام النووي" (٣٦)، وفيه عن البدر أيضاً قال: **"كنتُ إذا أتيتُه أزوره؛ يضع بعض الكتب على بعض ليوسع لي مكاناً أجلس فيه"**. انظر حاشية تحفة الطالبين (ص٤٧)

وخطر لي الاشتغال بعِلم الطّبّ، فاشتريت كتاب "القانون" فِيهِ، وعزمتُ على الاشتغال فِيهِ، فأظلم عليَّ قلبي، وبقيت أيّاما لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكّرت فِي أمري، ومِن أَيْنَ دخل عليَّ الدّاخل، فألهمني الله أنّ سببه اشتغالي بالطّبّ، فبعت "القانون" فِي الحال، واستنار قلبي.

ثُمَّ سمع الحديث، فسمع "صحيح مُسْلِم" من الرّضَى ابن البرهان، وسمع "صحيح البخاريّ" ، و"مسند أحمد" ، و"سنن أبي داود"، و"النّسائيّ"، و"ابن ماجه"، و"جامع التّرمذيّ"، و"مسند الشّافعيّ"، و"سنن الدّارقطنيّ"، و"شرح السُّنّة" ، وأشياء عديدة.

وسمع من: ابن عَبْد الدّائم، والزّين خَالِد، وشيخ الشّيوخ شرف الدّين عَبْد الْعَزِيز، والقاضي عماد الدّين عَبْد الكريم بْن الحَرَسْتانيّ، وأبي مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَن بْن سالم الأنباريّ، وأبي مُحَمَّد إِسْمَاعِيل بْن أبي اليسر، وأبي زكريّا يحيى بْن الصَّيْرفيّ، وأبي الفضل مُحَمَّد بْن مُحَمَّد بْن البكريّ، والشّيخ شمس الدّين أبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن أبي عُمَر، وطائفة سواهم.

وأخذ علم الحديث عن جماعة من الحفّاظ، فقرأ كتاب "الكمال" لعبد الغنيّ الحافظ، على أبي النّقا خَالِد النّابلسيّ، وشرح مسلماً ومعظم "الْبُخَارِيّ" على أبي إِسْحَاق بْن عِيسَى المراديّ.

وأخذ أُصول الفِقْه عن القاضي أبي الفتح التّفليسيّ، قرأ عليه "المنتخب" وقطعة من "المستصفى" للغزاليّ.

وتفقّه على الإِمَام كمال الدّين إِسْحَاق المغربيّ ثُمَّ المَقْدِسيّ، والإمام شمس الدّين عَبْد الرَّحْمَن بْن نوح المقدسيّ، ثُمَّ الدّمشقيّ، وعزّ الدين عُمَر بْن أسعد الإِربليّ.

وكان النَّووي يتأدَّب مع هَذَا الإِربليّ، ربّما قام وملأ الإبريق ومشى به قُدّامه إِلَى الطّهارة.

والإمام كمال الدّين سلّار بْن الْحُسَيْن الإربليّ، ثُمَّ الحلبيّ صاحب الإِمَام أبي بَكْر الماهانيّ.

وقد تفقّه الثّلاثة الأوّلون على ابن الصّلاح، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقرأ النّحو على فخر الدّين المالكيّ، والشّيخ أَحْمَد بْن سالم المْصْرِيّ.

وقرأ على ابن مالك كتابا من تصانيفه، وعلّق عَنْهُ أشياء.

أَخَذَ عَنْهُ: القاضي صدر الدّين سُلَيْمان الجعبريّ خطيب داريّا، والشّيخ شهاب الدّين أَحْمَد بْن جعوان، والشّيخ علاء الدّين عليّ بْن العطّار، وأمين الدّين سالم بن أبي الدُرّ، والقاضي شهاب الدّين الإربِديّ.

وروى عَنْهُ: ابن العطّار، والمِزّيّ، وابن أبي الفتح، وجماعة كثيرة.

ثم ساق عنه بسنده إلى أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ أُعْطِهَا[1] وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ" . رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ثم ساق بسنده أوّل حديث فِي الصّحيح، ثم قال: قَالَ شيخنا ابن العطّار:

(١) كذا في الأصل. وفي رياض الصالحين ، ط دار الكتاب العربيّ، ١٣٢٢: "أعطيها".

ذكر لي شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه كان لا يضيّع له وقتا فِي ليلٍ ولا نهار إلّا فِي وظيفةٍ من الاشتغال بالعِلم حَتَّى فِي ذهابه فِي الطّريق يكرّر أو يطالع، وأنّه بقي على هَذَا نحو ستّ سنين، ثُمَّ اشتغل بالتّصنيف والاشتغال والنُّصح للمسلمين ووُلاتهم، على ما هُوَ عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الفِقْه، والحرص على الخروج من خلاف العلماء والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشّوائب. يُحاسب نفسه على الخطْرة بعد الخطْرة.

وكان محقّقاً فِي عِلْمِه وفنونه، مدقّقاً فِي عَمَلِهِ[1] وشئونه، حافظاً لحَدِيثُ رَسُولِ الله ﷺ، عارِفًا بأنواعه من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظ واستنباط فِقهه، حافظاً للمذهب وقواعده وأُصوله، وأقوال الصّحابة والتّابعين، واختلاف العلماء ووفاقهم، سالكاً فِي ذلك طريقة السَّلَف. قد صرف أوقاته كلّها فِي أنواع العِلم والعمل بالعِلم.

قَالَ: فذكر لي صاحبنا أبو عَبْد الله مُحَمَّد بْن أَبِي الفتح الحنبليّ قَالَ: كنت ليلة فِي أواخر اللّيل بجامع دمشق والشّيخ واقف يُصلّي إِلَى سَارِيَة فِي ظُلْمة، وهو يردّد قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾[الصافات: ٢٤] مرارا بحُزنٍ وخشوع، حَتَّى حصل عندي من ذلك ما الله به عليم.

(١) من ط د، بشار

قَالَ: وكان إذا ذكر الصّالحين ذكرهم بتعظيم وتوقير، وذكر مناقبهم وكراماتهم، فذكر لي شيخنا وليّ الدّين عليّ المقيم ببيت لِهْيا قَالَ: مرضتُ بالنِّقْرِس فعادني الشَّيْخ محيي الدّين، فَلَمَّا جلس شرع يتكلَّم في الصّبر، فبقي كلما تكلّم جعل الألم يذهب قليلاً قليلاً، فلم يزل يتكلّم حَتَّى زال جميع الألم. وكنت لا أنام فِي اللّيل، فعرفت أنّ زوال الألم من بركته.

وقال الشَّيْخ رشيد الدّين ابن المعلّم: عذلتُ الشَّيْخ فِي عدم دخول الحمّام، وتضييق عيشه فِي أكله ولبْسه وأحواله، وقلت: أخشى عليك مرضا يُعطّلك عن أشياء أفضل ممّا تقصده.

فقال: إن فلاناً صامَ وعبد الله حَتَّى اخضرّ.

فعرفتُ أنّه ليس له غرض فِي المُقام فِي دارنا هَذِهِ، ولا يلتفت إِلَى ما نَحْنُ فِيهِ.

قَالَ: ورأيت رجلاً قشّر خيارة ليُطعمه إيّاها، فامتنع وقال: أخشى أن ترطّب جسمي وتجلب النّوم.

قَالَ: وكان لا يأكل فِي اليوم واللّيلة إلّا أكلة بعد العشاء الآخرة. ولا يشرب إلّا شُربةً واحدة عند السَّحَر، ولا يشرب الماء المبرَّد، ولا يأكل فاكهة، فسألته عن ذلك فقال: دمشق كثيرة الأوقاف وأملاك المحجوز عليهم، والتّصرّف لهم لا يجوز إلّا على وجه الغبطة، والمعاملة فيها على وجه المساقاة، وفيها خلاف والنّاس لا يفعلونها إلّا على جزءٍ من ألف جزء لمالكٍ فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك؟

وقال لي شيخنا مجد الدّين أبو عَبْد الله بن الظّهير: ما وصل الشّيخُ[١] تقيُ الدّين ابنُ الصّلاح إِلَى ما وصل إليه الشَّيْخ محيي الدّين من العِلم فِي الفِقْه والحديث واللّغة وعذوبة اللّفْظ.

وقد نفع الله تعالى الأمَّة بتصانيفه، وانتشرت فِي الأقطار، وجُلبت إِلَى الأمصار، فمنها: المنهاج في شرح مسلم ، وكتاب الأذكار، وكتاب رياض الصّالحين، وكتاب الأربعين حديثا، وكتاب الإرشاد في علوم الحديث، وكتاب التّيسير في مختصر الإرشاد المذكور، وكتاب المبهمات، وكتاب التّحرير في ألفاظ التّنبيه ، والعمدة في صحيح التّنبيه، والإيضاح في المناسك، والإيجاز فِي المناسك، وله أربع مناسك أُخَر.

وكتاب التّبيان فِي آداب حملة القرآن ، وفتاوى له، والرّوضة في أربع مجلّدات، والمنهاج في المذهب، والمجموع فِي شرح المهذّب، بلغ فِيهِ إِلَى باب المصراة[٢] فِي أربع مجلّدات كِبار. وشَرَح قطعة من الْبُخَارِيّ، وقطعة جيّدة من أوّل الوسيط ، وقطعة فِي الأحكام ، وقطعة كبيرة فِي تهذيب الأسماء واللّغات ، وقطعة مسوّدة فِي طبقات الفُقهاء، وقطعة فِي التّحقيق فِي الفِقْه، إِلَى باب صلاة المسافر.

---

(١) التصويب من ط د، بشار

(٢) التصويب من ط د، بشار

قَالَ ابن العطّار: وله مُسَوَّدات كثيرة، ولقد أمرني مرّة ببيع كراريس نحو ألف كرّاس بخطّه، وأمرني بأن أقف على غسْلها فِي الوراقة، فلم أخالف أمره، وَفِي قلبي منها حَسَرات.

وكان لا يقبل من أحدٍ شيئا إلّا فِي النّادر ممّن لا له به عُلقة مِن إقراء[١].

أهدى له فقير مرّة إبريقا فقبِله.

وعزم عليه الشَّيْخ برهان الدّين الإسكندرانيّ أن يُفطر عنده فِي رمضان فقال: "أحضر الطّعام إِلَى هنا ونفطر جملة"، قَالَ أبو الْحَسَن - ابن العطار -: فأفطرنا ثلاثتنا على لونين من طعام أو أكثر.

وكان الشَّيْخ يجمع إدامين ببعض الأوقات.

وكان أمّارا بالمعروف نهّاء عَن المنكر، لَا تأخذه فِي الله لومةُ لائم، يواجه الملوك والجبابرة بالإنكار، وَإِذَا عجز عن المواجهة كتب الرسائل؛ **فممّا كتبه وأرسلني فِي السّعي فِيهِ وهو يتضمَّن العدل فِي الرّعيّة وإزالة المكوس**، وكتَب معه فِي ذلك شيوخنا ... إِلَى السّلطان، فردّ (السّلطانُ) جوابَها ردًّا عنيفاً مؤلماً، فتنكّدت خواطر الجماعة[٢].

وله غير رسالة إِلَى الملك الظّاهر فِي الأمر بالمعروف.

---

(١) أي ممن لا يشتغل عليه، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٧٥)

(٢) فرد عليه النووي برسالة قوية ستأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

قَالَ ابن العطّار: وقال لي المحدّث أبو الْعَبَّاس (أحمد) بْن فرح (الإشبيلي)، وكان له ميعادان فِي الجمعة على الشَّيْخ يشرح عليه فِي الصّحيحين، قَالَ: **كان الشَّيْخ محيي الدّين قد صار إليه ثلاث مراتب، كلّ مرتبة منها لو كَانَتْ لشخصٍ شُدّت إليه الرحال. المرتبة الأولى: العِلم (والقيام بوظائفه)، والثّانية: الزُّهد (في الدنيا وجميع أنواعها)**[1]**، والثّالثة: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.**

سافر الشَّيْخ إِلَى نوى وزار القدس والخليل وعاد إِلَى نوى، وتمرّض عند أَبِيهِ.

قَالَ ابن العطّار: فذهبتُ لعيادته ففرح ثُمَّ قَالَ لي: ارجع إِلَى أهلك، وودّعته وقد أشرف على العافية، وذلك يوم السّبت، ثُمَّ تُوُفِّيَ ليلة الأربعاء.

قَالَ: فبينا أَنَا نائم تلك اللّيلة إذ منادٍ ينادي على سُدّة جامع دمشق فِي يوم جمعة: الصّلاة على الشَّيْخ ركن الدّين الموقّع. فصاح النّاس لذلك.

فاستيقظت فقلت: إنّا للّـهِ وإنّا إليه راجعون.

فَلَمَّا كان آخر يوم الخميس جاءنا وفاته، فنودي يوم الجمعة بعد الصّلاة بموته، وصُلِّيَ عليه صلاة الغائب.

قَالَ الشَّيْخ قُطْبُ الدّين[2]: وَفِي ليلة الأربعاء رابع وعشرين رجب تُوُفِّيَ الشَّيْخ محيي الدّين النّووي صاحب التّصانيف بنوى ودُفن بها. **وكان أوحد زمانه فِي الورع والعبادة والتّقلل وخشونة العيش والأمر بالمعروف.**

---

(١) ما بين الأقواس من ترجمة ابن العطار له.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٣.

واقَفَ الملك الظّاهر بدار العدل غير مرّة، وحُكي عن الملك الظّاهر أنّه قَالَ: أَنَا أفزع منه.

وكانت مقاصده جميلة. وُلّي مشيخة دار الحديث.

قلت: وُلّيها بعد موت أبي شامة سنة خمسٍ وستّين وإلى أن مات.

وقال شمس الدّين ابن الفخر: **كان إماماً، بارعاً، حافظاً، مُفْتياً، أتقن علوماً شتّى، وصنَّف التّصانيف الجمّة.**

وكان شديد الورع والزّهد؛ ترك جميع مَلاذّ الدُّنيا من المأكول إلّا ما يأتيه به أَبُوهُ من كعك يابس وتين حورانيّ، والملبس إلّا الثّياب الرّثّة المرقَّعة، ولم يدخل الحمّام، وترك الفواكه جميعها.

وكان أمّاراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على الأمراء والملوك والنّاس عامّة، فنسأل الله أن يرضى عَنْهُ وأن يرضى عنّا به [١].

وذِكْرُ مناقبه يطول[٢].

(١) ينظر شرح كشف الشبهات، صالح آل الشيخ ص٣٤٣ – ٣٤٤ ط الهدي المحمدي

(٢) وقال شهاب الدين النويري: "**لم يكن في زمانه مثله في ورعه وزهده**، وكان لا يأكل إلّا مما يأتيه من جهة أبيه من نوى، فكان يخبز له الخبز بها ويقمّر ويرسل إليه فيأكل منه، وما كان يجمع بين إدامين، فيأكل إمّا الدبس أو الخلّ أو الزيت أو الزبيب، ويأكل اللحم في كل شهر مرة.

وتَرَكَ جميع الجهات الدّنياويّة ولم يكن يتناول من جهةٍ من الجهات دِرهماً فرداً.
وكان فِي ملبسه مثل آحاد الفقهاء من الحوارنة لا يؤبه به، عليه شبخْتانيّة[١] صغيرة، ولحيته سوداء فيها شعرات بيض، وعليه هيبة وسكينة.
وكان لا يتعانى لغط[٢] الفُقهاء وعياطهم فِي البحث، بل يتكلّم بتؤدة وسمْت ووقار.
وقد رثاه غيرُ واحد يبلغون عشرين نفْسًا بأكثر من ستّمائة بيت...

وكان يتولّى دار الحديث الأشرفية، فيجمع المباشر للوقف جامكيّته بها، ثم يستأذنه فيما يفعل بها إذا اجتمعت، فتارة يشتري بها ملكا ويوقفه على المكان، وتارة يشتري بها كتبا ويوقفها ويجعلها في خزانة المدرسة المذكورة.
وكان لا يقبل لأحد هدية، ولا يأكل لأحد من أهل دمشق طعاما ولا غيره، وكان رحمه الله يواجه السلطان الملك الظاهر بالإنكار عليه في أفعاله، ويلاطفه السلطان ويحمل جفوة كلامه ويخاطبه: يا سيّدي. رحمه الله ". (نهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٤)

(١) قوله:(شبختانية) تصحيف من بعض النساخ ، وصوابها (سختيانية)، وعلى الصواب جاءت في المهمات في شرح الروضة والرافعي للإسنوي(١/ ٣٢٣): وكان يلبس ثوبًا قطنًا وعمامة سختيانية.

وفي قيمة الزمن عند العلماء (ص٧٣): وعمامته سختيانية صغيرة.

والشبختانية لا معنى لها، والسختيانية: هي قلنسوة من جلد الماعز المدبوغ، والله أعلم بالصواب. ينظر: حاشية بداية المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٣٥)

(٢) التصويب من ط د، بشار

وأراد أقاربه أن يبنوا عليه قبّة فرأته عمّته، أو قرابةٌ له، فِي النّوم فقال لها: قولي لهم لا يفعلوا هَذَا الَّذِي قد عزموا عليه، فإنّهم كلّما بَنَوا شيئا تهدَّم عليهم. فانتبهتْ منزعجة وحدَّثتهم، وحوّطوا على قبره حجارة تردّ الدّوابّ.

قَالَ أبو الْحَسَن: وقال لي جماعة بنَوَى أنهم سألوه يوما أن لا ينساهم فِي عَرَصات القيامة، فقال لهم: إن كان لي ثُمَّ جاهٌ، والله لا دخلتُ الجنّة وأحدٌ مِمَّنْ أعرفه ورائي.

قال الذهبي: ولا يحتمل كتابنا أكثر ممّا ذكرنا من سيرة هَذَا السّيّد رحمه الله. وكان مذهبه فِي الصّفات السّمعية السّكوت وإمرارها كما جاءت. وربّما تأوّل قليلاً في شرح مسلم، رحمه الله تعالى [1].

---

(١) جاء في هامش الأصل: (ث): **لم يرض التاج السبكي عن المؤلف بهذه الترجمة، وكتب على خطه هنا حاشيةّ !**

قلت: وهذه الحاشية اغتر بها الطعان وظنها من كلام الذهبي الإمام، فأشاعها واعتمد عليها، ثم لما ظهر بالأدلة والبراهين ، أنها من كلام السبكي لا الذهبي، لم يتراجع عن طعنه، ولا عن نسبتها للإمام الذهبي، مع أن المحقق المعروف ، د. بشار عواد معروف اعترف بخطئه في ضمها لكلام الإمام الذهبي؛ فجزاه الله خيرا، وجزى الله أخانا الشيخ الحُسيني خير الجزاء على دفاعه وذبِّه عن أعراض العلماء، فهو أول من نبّه على هذا الخطأ، وتنبه لخطرها وأثرها على الطعانِ وغيرِه ممن سبقه – أو لحقه – إلى هذا الإفتراء.

قال أبو الفضل: فكان رحمه الله **كما قال الإمام ابن رجب الحنبلي** رحمه الله : أهل العلم النافع كلما ازدادوا في هذا العلم ازدادوا لله تواضعاً وخشيةً وانكساراً وذلاً.

قال بعض السلف: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه؛ فإنه كلما ازداد علماً بربه، ومعرفة به؛ ازداد منه خشيةً ومحبةً وازداد له ذلاً وانكساراً.

ومن علامات العلم النافع : أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا ، وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح، فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع[١].

فإن وقع شيْ من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته، بحيث إنه يخشى أن يكون مكراً واستدراجاً، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته[٢].

وسبق أن الإمام النووي كاتب - هو وجماعة من العلماء - السُّلطان الظاهر بيبرس[٣]، فلما وصلتِ الرسالة إليه، ووقفَ عليها ، ردَّ جوابَها جواباً عنيفاً مؤلماً، فتنكَّدَت خواطرُ الجماعة الكاتبون وغيرهم، فكتب الإمام النووي رحمه الله جواباً لذلك الجواب، فقال:

---

(١) وهذا هو المعروف المشهور عن الإمام النووي رحمه الله

(٢) بيان فضل علم السلف ص ٥٤

(٣) تحفة الطالبين (ص٩٩) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٢/ ٩٧):

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم.

من عبد الله يحيى النَّواوي.

يُنْهَى أن خَدَمَةَ الشرْعِ كانوا كتبوا ما بلغ السلطان - أعز الله أنصاره -، فجاء الجوابُ بالإنكار والتوبيخ والتهديد، وفَهِمْنا منه أن الجهادَ ذُكِرَ في الجواب على خِلاف حكم الشرع، وقد أوْجَبَ الله إيضاحَ الأحكام عند الحاجة إليها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فوجب علينا حينئذٍ بيانه، وحَرُمَ علينا السكوتُ؛ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

وذُكِرَ في الجواب أنَّ الجهادَ ليسَ مختصّاً بالأجنادِ، وهذا أمرٌ لم نَدَّعِهِ، ولكنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، فإذا قَرَّرَ السُّلطانُ له أجناداً مَخْصوصينَ، ولهم أخباز معلومةٌ مِن بيت المال- كما هو الواقع -؛ تفرَّغَ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والأجناد وغيرهم؛ من الزراعة، والصَّنائِع، وغيرهم ، الذي يحتاجُ الناسُ كلُّهم إليها، فجهادُ الأجنادِ مُقابِل الأخبازِ المقرَّرةِ لهم، **ولا يَحِلُّ أنْ يؤخَذَ مِن الرَّعيَّةِ شيءٌ ما دامَ في بيتِ المالِ شيءٌ؛ مِن نَقْدٍ، أو متاع، أو أرضٍ، أو ضياعٍ تباع، أو غير ذلك.**

وهؤلاء علماء المسلمينَ في بلاد السلطان - أعزَّ الله أنصاره - مُتَّفِقون على هذا، وبيت المال - بحَمْدِ الله - معمورٌ، زادَهُ الله عمارةً وسَعَةً وخيراً وبركةً في حياة السلطانِ المقرونةِ بكمالِ السعادةِ له والتَّوفيق والتَّسديد والظهورِ على أعداء الدين، ﴿وَمَا النَّصرُ إلا مِنْ عِندِ اللهِ﴾، وإنما يُسْتَعانُ في الجهادِ وغيرِه بالافتقارِ إلى الله تعالى، واتباع آثار النبي ﷺ، ومُلازمةِ أحكام الشرع.

وجميعُ ما كتبْناهُ - أوَّلاً وثانياً - هو النصيحةُ التي نعتَقِدُها، ونَدينُ الله بها، ونسألهُ الدَّوامَ عليها حتى نَلْقاه.

والسلطانُ يعلمُ أنَّها نصيحةٌ له وللرَّعيَّة، وليس فيها ما نُلامُ عليه، ولم نكتُب هذا للسطان؛ إلَّا لعِلْمِنا أنَّه يُحِبُّ الشَّرعَ، ومتابعَتَهُ أخلاقَ النبي ﷺ في الرفقِ برعيَّتِه، والشفقةِ عليهم، وإكرامِه لآثارِ النبي ﷺ، وكلُّ ناصح للسلطانِ موافِقٌ على هذا الذي كَتَبْناهُ.

وأما ما ذُكِرَ في الجواب مِن كونِنا لم نُنكِر على الكفَّارِ حين كانوا في البلاد؛ فكيف يُقاسُ ملوكُ الإسلامِ وأهلُ الإيمان والقرآنِ بطُغاةِ الكفَّارِ؟! وبأيِّ شيءٍ كُنَّا نُذَكِّرُ طغاةَ الكفَّارِ وهُم لا يعتَقِدونَ شيئاً مِن دينِنا؟!

وأما تهديدُ الرعيةِ بسبب نصيحَتِنا، وتهديدُ طائفة ؛ فليس هو المَرْجُوُّ مِن عدْلِ السلطانِ وحِلْمِهِ ، وأيُّ حِيلة لضعفاء المسلمين المفرَّقين في أقطار ولايةِ السلطان في كتاب كَتَبَهُ بعضُ المسلمين النَّاصحينَ نصيحةً للسلطان ولهُم، ولا عِلْمَ لهُم به؟! وكيفَ يؤاخَذونَ بِهِ لو كانَ فيه ما يُلامُ عليه **وأما أنا في نفسي؛ فلا**

يضرُّني التهديدُ، ولا أكبرُ منه، ولا يمنَعُني ذلك من نصيحةِ السُّلطانِ، فإني أعتَقِدُ أنَّ هذا واجبٌ علي وعلى غيري، وما ترتَّبَ على الواجبِ؛ فهو خيرٌ وزيادةٌ عند الله تعالى؛ ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] ، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقول بالحق حيث ما كنا، وأن لا نخافَ في اللهِ لومَةَ لائِمٍ.

ونحنُ نُحِبُّ للسلطانِ معاليَ الأمورِ، وأكمَلَ الأحوالِ، وما يَنْفَعُهُ في آخرتِه ودُنياه، ويكونُ سبباً لدوامِ الخيراتِ له، ويَبْقى ذكرُهُ له على ممرِّ الأيام، ويخلُدُ في سننه الحسنة، ويجد نفعَه ﴿يَومَ تَجِدُ كل نَفس مَا عَمِلَت مِن خير محضَراً﴾.

وأما ما ذُكِر من تمهيد السلطان البلادَ، وإدامتَه الجهاد، وفتح الحصون، وقهر الأعداء؛ فهذا بحمدِ الله من الأمور الشائعة، التي اشترك في العلم بها الخاصَّةُ والعامَّة، وسارَتْ في أقطارِ الأرضِ، ولله الحمد، وثواب ذلك مُدَّخَرٌ للسلطانِ إلى يَوم ﴿ تَجِدُ كُل نَفس مَا عَمِلَت مِن خير مُحْضَراً﴾.

ولا حُجَّة لنا عند الله تعالى إذا تَرَكْنا هذه النَّصيحَةَ الواجبةَ علينا.

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته .

وله رسائل أخرى للسلطان ولغيره مشتملة على نصائح جمة مهمة، ولولا خشية الإطالة لأتيت بها، فلينظرها من أراد أن ينتفع بها.

من ثناءات العلماء على مقدَّم العلماء ـ في عصره ـ الإمام النووي[(١)]

قال الشيخ الإمام علاء الدين ابن العطار – وهو تلميذه الأقرب إليه –[(٢)]:

هو أبو زكريا يحيى **ابن الشيخ الزاهد الورع وليّ الله** أبي يحيى شرف... **النوويُّ، ذو التصانيف المفيدة والمؤلفات الحميدة، أوحد دهرِهِ، وفريدُ عصرِه، الصوَّام القوام، الزَّاهد في الدنيا الرَّاغب في الآخرة، صاحب الأخلاق الرضيَّة والمحاسن السنيَّة، العالم الرَّبَّاني المتَّفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته** ، له الكرامات الطافحة، والمكرمات الواضحة، والمؤثرُ بنفسه وماله للمسلمين، والقائم بحقوقهم وحقوق ولاة أمورهم بالنُّصح والدُّعاء في العالمين، وكان كثيرَ التلاوةِ والذكرِ لله تعالى، حشَرَنا الله في زمرته، وجمع بيننا وبينه في دار كرامته، مع من اصطفاه

---

(١) هذا باب لا يمكن إحصاؤه فلو بحثت عن اسمه في كتب العلم نقلاً عنه وتأييدا له ، أو مناقشة لقولٍ قاله، مع تبجيله والثناء عليه، والترحم عليه لجاء ذلك في مجلدات !.

ولخص تلميذه ذلك فقال: " **ووقع على دينِه وعلمه وزهده وورعه ومعرفته وكرامته الوِفَاقُ** "، وقال: " **العالم الرَّبَّاني المتَّفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته** ".

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، له، ت الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان، ط : الدار الأثرية

من خليقته أهل الصَّفاء والوفاء والود، العاملين بكتاب الله تعالى، وسنَّة محمد ﷺ وشريعته ... (١)

وقال: **سمع منه خلقٌ كثيرٌ؛ من العلماء، والحفَّاظ، والصُّدور، والرؤساء، وتخرج به خَلْقٌ كثيرٌ من الفقهاء، وسار علمُهُ وفتاويه في الآفاق، ووقع على دينِه وعلمه وزهده وورعه ومعرفته وكرامته الوِفَاقُ،** وانتفعَ الناسُ في سائر البلاد الإسلامية بتصانيفهِ، وأكبُّوا على تحصيل تواليفه(٢)

وقال: **شيخي وقدوتي إلى الله تعالى،** أبي زكريا يحيى بنِ شرف النووي **العالمِ الرباني**(٣)

---

(١) تحفة الطالبين (ص٣٩)

ومن اللطائف قول عبد العزيز بن صالح الطويان عن شيخ الإسلام ابن تيمية : **وقد تحققت فيه دعوة الإمام النووي لما دعا اللهَ قائلاً: "اللهم أقم لدينك رجلاً يكسر العمود المخلّق، ويُخرّب القبر الذي في جيروت"، فكان ذلك على يد شيخ الإسلام** رحمه الله

تحقيق النبوات لابن تيمية (١/ ٧٣) ط أضواء السلف

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص٦٣)

قال الشيخ مشهور: نقله عن المصنف: السيوطي في "المنهاج السوي" (ص ٤٢)، والسخاوي في ترجمة الإمام النووي" (ص ٣٠ و ٣١)

(٣) فتاوى الإمام النووي، ترتيب: تلميذه الشيخ عَلَاء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق: محمَّد الحجَّار، ط: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة (ص٩)

وسبق أَنَّهُ " كَانَ لَا يَضِيعُ لَهُ وَقْتٌ فِي لَيلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا فِي وَظِيفَةٍ مِنَ الاشْتِغَالِ بِالعِلْمِ، حَافِظًا لِحَدِيثِ رَسُولِ الله ﷺ، عَارِفًا بِأَنْوَاعِهِ مِنْ صَحِيحِهِ وَسَقِيمِهِ وَغَرِيبِ أَلْفَاظِهِ وَاسْتِنْبَاطِ فِقْهِهِ، حَافِظًا لِلمَذْهَبِ وَقَوَاعِدِهِ وَأُصُولِهِ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاخْتِلَافِ العُلَمَاءِ وَوِفَاقِهِم، **سَالِكًا فِي ذَلِكَ طَرِيقَةَ السَّلَفِ**"[(١)]

وقال الذهبي : " **الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء** ... صاحب التصانيف النافعة"، وقال: "**مع ما هو عليه من المجاهدة** بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحقها من أغراضها، **كان حافظاً للحديث وفنونه** ورجاله وصحيحه وعليله، **رأساً في معرفة المذهب**"[(٢)].

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير: **الشيخ الإمام العلامة ... الحافظ الفقيه الشافعي النبيل، محرر المذهب ومهذبه وضابطه ومرتبه، أحد العباد والعلماء الزهاد**[(٣)]

وقال: **وقد كان** رحمه الله **على جانب كبير من العلم والزهد والتقشف والاقتصاد في العيش والصبر على خشونته، والورع الذي لم يبلغنا عن أحد في زمانه، ولا**

---

(١) تاريخ الإسلام (٥٠/ ٢٥١) سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية (ص٥) وانظر تحفة الطالبين (ص٦٤ ، ٦٥) ، ومقدمة د/ مازن لشرح صحيح مسلم ١/ ٥٥

(٢) تذكرة الحفاظ (١٧٤/٤) ط العلمية، رفقاً أهل السنة بأهل السنة (ص٣٣)

(٣) طبقات الشافعيين (ص٩٠٩)

قبله بدهر طويل، فكان لا يدخل الحمام، ولا يأكل من فواكه دمشق لما في بساتينها من الشبه في ضمانها والحيلة فيه، صرح بذلك... **وكان قليل النوم، كثير السهر في العبادة والتلاوة والذكر والتصنيف، وكان أمارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر** يواجه الأمراء والكبار والملوك بذلك ويصدع بالحق، وقام على الملك الظاهر في دار العدل في قضية الغوطة لما أرادوا وضع الأملاك على بستانها فرد عليهم ذلك، **ووقى الله شرها بعد أن غضب السلطان، وأراد البطش به، ثم بعد ذلك أحبَّه وعظَّمه** حتى كان يقول: أنا أفزع منه.

وقد ولي الشيخ محيي الدين مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد الشيخ شهاب الدين أبي شامة سنة خمس وستين إلى أن توفي، **ولم يتناول من معلومها فلسًا، ولم يقبل لأحد هدية إلا نادرًا** وإنما كان يتقوت مما يأتيه من أبيه من نوى كعك وفطير، وكان يلبس ثوبًا حرانيا وعمامة سنجانية(١)، وكان لا يؤبه له بين الناس وعليه سكينة ووقار، رحمه الله (٢)

وقال: " اعتنى بالتصنيف، فجمع شيئاً كثيراً، منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله، فمِمَّا كمَّل شرح مسلم والروضة والمنهاج والرياض والأذكار والتبيان وتحرير التنبيه وتصحيحه وتهذيب الأسماء واللغات وطبقات الفقهاء وغير ذلك، **ومِمَّا لم يتممه ـ ولو كمل لم يكن له نظير في بابه ـ شرح المهذب الذي سمَّاه المجموع،**

---

(١) سبق التعليق عليه.

(٢) طبقات الشافعيين (ص٩١٢)

وصل فيه إلى كتاب الرِّبا، فأبدع فيه وأجاد وأفاد وأحسن الانتقاد، **وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره، وحرَّر فيه الحديث على ما ينبغي**، والغريب واللغة وأشياء مهمَّة لا توجد إلَّا فيه ... **ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه** "(١).

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ رحمه الله: " **إِنَّ الفَقِيهَ الإِمَامَ الزَّاهِدَ القُدْوَةَ أَبَا زَكَرِيَّا؛ يَحْيَى النَّوَوِيَّ** رحمه الله أَخَذَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ الَّتِي أَمْلَاهَا ابْنُ الصَّلَاحِ، وَزَادَ عَلَيهَا تَمَامَ اثْنَينِ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا، وَسَمَّى كِتَابَهُ بِـ"الأَرْبَعِين"، وَاشْتَهَرَتْ هَذِهِ الأَرْبَعُونَ الَّتِي جَمَعَهَا، وَكَثُرَ حِفْظُهَا، **وَنَفَعَ اللهُ بِهَا بِبَرَكَةِ نِيَّةِ جَامِعِهَا، وَحُسْنِ قَصْدِهِ**؛ رحمه الله" (٢)

وقال الحافظ العراقي رحمه الله : **الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ** مُحْيِي الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ(٣).

وقال الشيخ قطب الدين موسى اليونيني الحنبلي : " **المحدث الزاهد العابد الورع** المفتخر في العلوم ، صاحب التصانيف المفيدة ، **كان أوحد زمانه في الورع والعبادة والتقلل من الدنيا والإكباب على الإفادة والتصنيف مع شدة التواضع ، وخشونة الملبس والمأكل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

---

(١) البداية والنهاية (١٧/٥٤٠) ، وانظر : رفقاً أهل السنة بأهل السنة (ص٣٣)

(٢) سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية (ص٨)

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب (١/ ١٢٤)

وقال الكمال جعفر الأدفوي : إنه صنف تصانيف مفيدة حصل النفع بها ، ودارت عليه الفتوى بدمشق.

قال : ومآثره عزيزة عزيرة ، **ومضى على جميل وسداد.**

وقال اليافعي : **شيخ الإسلام ، مفتي الآنام ، المحدث المتقن المدقق النجيب الحبر المفيد القريب والبعيد ، محرر المذهب وضابطه ومرتبه ، أحد العباد الورعين الزهاد العالم العامل ، المحقق الفاضل ، الولي الكبير** ، السيد الشهير ، ذو المحاسن العديدة والسير الحميدة والتصانيف المفيدة ، الذي فاق جميع الأقران ، وسارت بمحاسنه الركبان واشتهرت فضائله في سائر البلدان ، وشوهدت له الكرامات وارتقى في أعلى المقامات ، ناصر السنة ، ومتعمد الفتاوى ، ذو الورع الذي لم يبلغنا مثله عن أحد في زمانه ولا قبله. [١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "هدي الساري"، في سياق فهرسة البخاري بابًا بابًا وعدة ما في كل باب من الحديث، قال: "أوردتهُ تبعًا **لشيخ الإسلام** أبي زكريا النووي رضي الله عنه "[٢].

وقال: " قرأتُ بِخَط **الْعَلامَة** أبي زَكَرِيَّا النَّوَوِيّ "[٣].

---

(١) انظر : الإمام النووي، جمع وترتيب أحمد فريد

(٢) هدي الساري ص ٤ ط المكتبة السلفية، وانظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (ص٩٨)

(٣) تغليق التعليق (٥/ ٤٢٤)

وقال ابن علان الصديقي: " **شيخ الإسلام، علم الأئمة الأعلام، أوحد العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، عين المحققين، وملاذ الفقهاء والمحدثين، وشيخ الحفاظ، وإمام أرباب الضبط المتقنين، شيخ الإسلام والمسلمين**، الشيخ أبي زكريا يحيى محيي الدين بن شرف النووي الشافعي، تغمده الله برحمته، وأسكنه بحبوح جنته" [١].

وقال العلامة زكريا الأنصاري: "**الإمام حجة الإسلام** "[٢].

وللسخاوي رسالة في "ترجمة **شيخ الإسلام الإمام النووي**"[٣].

وللسيوطي رسالة "المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي"

ولعبد الغني الدقر كتاب "**الإمام النووي، شيخ الإسلام والمسلمين، وعمدة الفقهاء والمحدثين**"

وقال ابن الخطيب اليمني الشافعي: " الإمام محيي الدين ...، شيخ الإسلام، الإمام الأوحد القدوة، علم الأولياء، صاحب التصانيف النافعة، كان لا يضيع له وقتاً في ليل ولا نهار حتى في الطرق، وقد دام على هذا ست سنين، ثم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢٣)

(٢) منحة الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ٣٣) وانظر: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب (١/ ٣)، حاشية البجيرمي على شرح المنهج (١/ ٥)

(٣) ط دار الجماعة الإسلامية، وانظر مقدمة محقق الإيجاز في شرح سنن أبي داود (ص٧)

أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق، هذا مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الورع والمراقبة، وقد كان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله، رأساً في معرفة المذهب الشافعي "[١]

وقال عنه ابن فضل الله القرشي العدوي العمري: الحافظ شيخ الإسلام علم الأولياء، قدوة الزهاد محيي الدين أبو زكريا صاحب التصانيف، رجل علم وعمل ونجاح سؤل وأمل، وكامل وقلّ مثله في الناس من كمل، وفّق للعلم وسهّل عليه ويسّر له وسيّر إليه[٢]

وقال ابن الجزري: "الْحَبْرُ الْعَلَّامَةُ أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ"[٣]

وقال ابن الوزير: " الإمام الحافظ أبو زكريا النّووي"[٤]

وقال ابن ناصر الدين: " الْعَلامَة شيخ الْإِسْلَام مُحي الدّين أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيّ رَحْمَة الله عَلَيْهِ"[٥].

وقال المقريزي: الحبر أبو زكريا النووي رحمه الله [١]

---

(١) تيسير البيان لأحكام القرآن (٤/ ٣٢٤)

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٥/ ٦٨٠)

(٣) النشر في القراءات العشر (١/ ١٨)

(٤) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ (١/ ٢٣٢)، وقال في ١/ ١٠٠: **قال النووي** رضي الله عنه

(٥) الرد الوافر (ص١١)

وغيره كثير مما يصعب جمعه !، "فالنووي فقيه المحدثين، ومحدث الفقهاء، بل صار عَلَماً يشار إليه بالبنان في زمانه، ومرجعاً يُعتمد عليه غير منازَع ولا مدافع رحمه الله "(٢)

وعدَّه الشيخ عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب من "**الأئمة المبرزين**"(٣)

وعلى طرة مخطوطات شرحه لصحيح مسلم التي تملكها وقرأها العلماء كانت هذه الكلمات (٤) :

تأليف الشيخ العلامة الإمام شيخ الإسلام... (٥)

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين... (٦)

تأليف الشيخ الإمام العالم العامل العلامة... (٧)

---

(١) إمتاع الأسماع (٥/ ٣٠٨)

(٢) الإفصاح على مسائل الإيضاح في مناسك الحج والعمرة للنووي، تأليف: عبد الفتاح حسين المكي، ط دار البشائر الإسلامية ص ٦، ٧

(٣) الدرر السنية ٢/١٥١، منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم. ص ٥، ٦

(٤) وهي مكتوبة في عدة عصور، في عدة بلدان، وتملك كل واحدة منها عدد من أهل العلم والفضل، وآخرها رواية الإمام المزي رحمه الله، ومرفق بها كلها صور المخطوطات ؛ انظر طبعة دار المنهاج

(٥) انظر مقدمة لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٤٣

(٦) انظر السابق ١/ ١٥٤

(٧) انظر السابق ١/ ١٥٩

تأليف الإمام المحدث المتقن الفقيه الحافظ العلامة جامع الفضائل سيد الأفاضل شيخ الإسلام مفتي الأنام...[١]

تصنيف الشيخ الإمام العالم العامل الورع الزاهد...[٢]

تأليف الشيخ الإمام العلامة الحافظ الزاهد العابد الورع ذي الفضائل مفتي المسلمين ناصر السنة...[٣]

تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الحافظ المتقن الضابط فريد دهره ووحيد عصره ...[٤]

تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الورع الزاهد الحبر العلامة الحافظ...[٥]

تصنيف الإمام شيخ الإسلام ولي الله تعالى محيي الدين ...[٦]

تأليف الفقير إلى رحمة ربه ولطفه الشيخ الإمام العالم المتقن المحقق الحافظ الزاهد الورع المدقق العلامة...[٧]

مفتي الأمة وشيخ السنة بركة الإسلام أحد الأعلام ...[١]

---

(١) انظر السابق ١/ ١٧١، ١٧٨

(٢) انظر السابق ١/ ٢٠٨

(٣) انظر السابق ١/ ٢١٦

(٤) انظر السابق ١/ ٢٥٤

(٥) انظر السابق ١/ ٢٥٨

(٦) انظر السابق ١/ ٢٦٤

(٧) انظر السابق ١/ ٢٦٩

خاتمة الحفاظ والمحدثين[٢] الشيخ الإمام العالم العلامة القدوة[٣]
تصنيف الشيخ الإمام الحافظ الحجة المتقن المحقق المدقق مفتي الشام محي الدين... رحمه الله تعالى ورضي عنه وجزاه عن جميع المسلمين أحسن الجزاء، رواية الشيخ الإمام الحافظ الحجة جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي رضي الله عنه ورحمه[٤].

قال قاسم بن صالح بن إِسماعيل بن أبي بكر الشهير بالقاسمي: "كان علمًا بين أقرانه، فريدًا في عصره وأوانه، له التَّصانيف الجامعة، والتآليف النافعة، بعبارات رائقة، وإشارات فائقة.

لقد جمع شمل العلم بعد شتاته بنور معرفته، وحسن ثباته، شاع ذكر الآفاق واشتهر وذاع علمه في الأقطار وانتشر، فهو شيخ مشايخ الإِسلام، وارث علوم سيَّد الأنام، مُحَرِّرُ دلائل الأحكام، ومميِّز الحلال من الحرام، العالم الجامع، ذو الفيض الهامع، والضياء اللامع، والنُّور السَّاطع"[٥]

---

(١) انظر السابق ١/ ٢٧٤

(٢) انظر السابق ١/ ٢٨٠

(٣) انظر السابق ١/ ٢٨٥

(٤) انظر السابق ١/ ٣٠١

(٥) تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين (ص٣٣)، تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

وممن ذكره بـ"**الإمام**" شيخُ الإسلام ابن تيمية [١]، والإمام بدر الدين العيني [٢]، والإمام محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي [٣]، والإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب [٤]، والإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير [٥] ،

---

(١) ففي الإيمان الأوسط (ص٥٨١): **الإمام أبو زكريا يحيى النووي**

وينظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٣٨٢) وانظر شرح الأصبهانية ط دار المنهاج (ص ٦٤١)

ونقل عنه كثيرا من علمه وترجيحاته واختياراته فانظر مثلاً : الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق (١/ ١١)، الإخنائية ت العنزي ١٤١/١ و ٤٠٧، والفتاوى الكبرى ٢٤٣/٣، والحسبة ت الشحود ص ١٩ و٥٣، وجامع المسائل ط عالم الفوائد ١٨٥/١، وشرح الأصبهانية ص ١٨٥، **واختصر كتابه الأذكار في الكلم الطيب !**

وابن القيم كذلك فعل فانظر جلاء الأفهام ص ٢١١، ٤٦٣ ، ٤٦٦، وزاد المعاد ٣٧٠/١ و٣٧٧ و٤٠٣/٢ و ٤٤٨/٥ ط الرسالة.

فائدة: اشترك شيخا الإسلام النووي وابن تيمية في الطلب على أبي عمر المقدسي؛ قال الذهبي في تاريخ الإسلام(١٥/ ٤٧٠): "روى عنه الأئمة أبو زكريا النواوي، وأبو الفضل بن قدامة الحاكم، وأبو العباس ابن تيمية".

(٢) عمدة القاري ٢١/ ١٩٣

(٣) المطلع على ألفاظ المقنع (ص٣٥٢)

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ١٢٤)

(٥) انظر الرَّوضُ البَاسمْ في الذِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِم ﷺ ، لابن الوزير ، ت علي بن محمد العمران، تقديم: فضيلة الشيخ العلامة بكر أبي زيد، ٢٢٧/١، ومواضع كثيرة.

والشيخ حمد بن ناصر النجدي[١]، والشيخ المفتي محمد بن إبراهيم[٢]، وعلماء اللجنة الدائمة [٣] والشيخ العلامة عبد العزيز بن باز[٤]، والشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني [٥]، وشمس الدين السفاريني الحنبلي [٦] ، وشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي[٧]، ونعمان بن محمود الألوسي[٨] ، وحافظ أحمد حكمي[٩]، ومحمد خليل هراس ، ومحمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي [١٠] ، وصالح الفوزان[١١] ، ومحمد أمان الجامي[١]،

---

(١) التحفة المدنية في العقيدة السلفية = الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠١ ، وانظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ١٢٤)

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ٢١٧/٣ و١٨٥/١

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٨/ ٣٣٨ ، ٣/ ٢٢١

(٤) الفتاوى ١٩٠/١

(٥) في عشرات المواضع، وانظر موسوعته في العقيدة (٢/ ٢٣٢)

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية

(٧) الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية ط دار المجد

(٨) الآيات البينات في عدم سماع الأموات، ط: المكتب الإسلامي تحقيق: العلامة المحدث الألباني، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ط المدني

(٩) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٤٧)

(١٠) انظر السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات

(١١) إعانة المستفيد، والإرشاد، وقال: **الإمام الحافظ النووي**، وله مقاطع في الدفاع عنه

وصالح آل الشيخ ومجموعة علماء [٢]، وعبد العزيز الجبرين[٣]، وأحمد بن عطية عطية بن علي الغامدي [٤]، وعبد العزيز بن صالح الطويان [٥] ، وعلي بن بخيت الزهراني [٦]، والشيخان مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وعقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني[٧] ، ومحمد صالح المنجد[٨] ، ومن لا استطيع إحصاءه !!

والإمام النووي رحمه الله " **يلقب بالحافظ ، وشيخ الإسلام، والشيخ، وولي الله، وإمام الأئمة الأعلام**..." [٩]، و" لقد بلغ مبلغاً عظيما في العلم، وفاق أقرانه،

---

(١) شرح الأصول الثلاثة – الجامي (ص: ٩١)

(٢) أصول الإيمان لنخبة من العلماء بإشرافه ، وشرحه فتحَ المجيد

(٣) تيسير العقيدة الإسلامية

(٤) انظر تحقيقه لـ : الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص١٩٣)

(٥) انظر تحقيقه لـ :النبوات لابن تيمية ، ط: أضواء السلف، الرياض

(٦) انظر تحقيقه لكتاب: الإيمان الأوسط لابن تيمية، أطروحة دكتوراه– قسم الدراسات العليا الشرعية فرع العقيدة بجامعة أم القرى

(٧) انظر تحقيق الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، لابن عبد الهادي ، ت: عقيل بن محمد بن زيد اليماني، قدم له: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

(٨) انظر موقعه، وله مرثية رائعة في الدفاع عن الإمامين ، النووي وابن حجر.

(٩) منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ص ٤٠ ، ووصفه بشيخ الإسلام الذهبيُّ في ترجمة ابن النقيب في "العبر في خبر من غبر " ت زغلول (٤/ ١٣٧)

وأصبح ذا مكانة علمية رفيعة ، إماماً في كثير من العلوم ....، **فإذا ذُكر علماء عصره كان اسمه في المقدمة، وفضله وسيرته الحميدة في البال** ، وإلى الآن"[(١)]؛

قال علماء اللجنة الدائمة عن " أبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى أو فوضوا في أصل معناها

أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله سواء تأولوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك[(٢)].

وقال الشيخ العلامة صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي: الإمام النووي[(٣)]، ودافع عنه في مقطع صوتي مشهور

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - وزير الشؤون والأوقاف الإسلامية بالمملكة العربية السعودية - **عنه وعن الحافظ: أولئك مُحبون للسنة**

---

(١) السابق ص ٦٥

(٢) مجلة البحوث الإسلامية عدد ٣٩ (ص ١٢٤) نقلاً عن فتاوى اللجنة (٣/ ٢٤٠)

(٣) في تحقيق الإبانة عن أصول الديانة ص ٣٣ و ٢٢٨، وهي أطروحة دكتوراة، قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، بإشراف د عبد الله بن محمد الغنيمان ، الناشر: دار الفضيلة — الرياض

شارحون لها مبينون لها، وما تأولوه ووقعوا فيه قليل بالنسبة إلى ما بينوه من أمور الاسلام، فلم يزل أهل العلم ينتفعون بكلامهم بل ويفهمون نصوص الكتاب والسنة على ما بينوه، لأنهم كانوا أهل العلم بحق...[(١)].

وقال د/ بشار عواد: الإمام الجهبذ يحيى بن شرف النووي: عالم زاهد ورع متقن متنوع الثقافة[(٢)]

قال د/ إبراهيم اللاحم: وقد رُزق الإمام النووي حسن التأليف وسهولة العبارة ، والقدرة على تلخيص ما كتبه المؤلفون قبله في الفن الذي يؤلف فيه ، والاكتفاء بالمهم، فاشتهرت كتبه شهرة واسعة وتنافس في تحصيلها الطلبة[(٣)] ، ثم ذكر جلالة الإمام النووي وجلالة شرحه لصحيح مسلم [(٤)]

قال الشيخ عبد السعد: إن أبا زكريا يحيى بن شرف النووي علم في رأسه نار – كما يُقال – ، فهو من علماء هذه الأمة وكتبه ذائعة الصيت مشتهرة منتشرة بين العامة والخاصة من طلبة العلم ، وكثيرا ما يُعتمد عليه في شرح حديث أو

---

(١) أسئلة في المنهج لقاء جمع بين الشيخين عبيد الجابري وصالح ال الشيخ

(٢) انظر مقدمة د/ مازن السرساوي لشرح صحيح مسلم، ط دار المنهاج ١/ ١٤٣

(٣) انظر تقديمه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ٩

(٤) انظر تقديمه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٠

حكم فقهي أو ضبط كلمة غريبة، قال الذهبي:"وقد نفع الله الأمة بتصانيفه، وانتشرت في الأقطار، وجُلبت إلى الأمصار"[١]

ثم ذكر شرحه على صحيح مسلم وقال: وهو شرح نفيس... من محاسن الشروح... قال السخاوي: " وهو عظيم البركة" [٢]

---

(١) انظر تقديمه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٣، وسبقت ترجمة الإمام الذهبي للإمام النووي

(٢) انظر تقديمه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٣، وانظر المنهل العذب الروي ص٧

وقد قال الإمام مالك : " **ما كان لله بقي**"، وقد بقيت كتبه وكتب النووي وبورك لهما فيها

وانظر لتعرف شيئاً من عظيم بركة شرح النووي لصحيح مسلم : كم من العلماء قرأه وأقرأه ونقل واستفاد منه، واختصره ، وعلق عليه ، حتي قيل إن العلامة عبد العزيز بن باز قرأه ستين مرة !

ونقل عنه شراح الحديث وجماعة من الأئمة – وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية –، من شروحه لكتب السنة ومن غيرها من كتبه

مقدمة د/ مازن السرساوي لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٢٦، ١٢٧

واعتمد عليه من جاء بعده من الشراح.

انظر منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد ص ١١٣-١١٦

وقال الشيخ مشهور حسن: قال السخاوي في "ترجمة الإمام النووي" (ص ١٢٢) "وهو عظيم البركة".

قلت (مشهور): هو كذلك، وأنا – ولله الحمد – أدرّسه منذ أكثر من عشر سنين، ولي عليه إملاءات أرجو الله تعالى الإعانة على نشرها.

وذكره السيوطي في "المنهاج السوي" (ص ٥٥)، وأفاد أنه قريب من أربع مجلدات ضخمات، مئة كرَّاس، طبع لأول مرة في مصر سنة (١٢٨٣ هـ-١٨٦٦ م)، ومن ثم في المطبعة المصرية في القاهرة دون تاريخ في (١٨ ج) في (٩ مج)، وانتشرت عنه النسخ المتداولة منه الآن (مصوَّرات بيروت) ، وطبع أيضاً على هامش "إرشاد الساري" للقسطلاني، وألَّفه بعد سنة أربع وسبعين وست مئة؛ كما صرح به فيه (١٢/ ٥٧)، وانظر عنه "الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه" (ص٣٠٩ – ٣٧٨) ولسعدون العيساوي أطروحة (ماجستير)، عن جامعة بغداد بعنوان: "الإمام النووي ومنهجه في شرح صحيح مسلم"، ولحبيب الوردي أطروحة عن جامعة الحسن الثاني في المغرب بعنوان: "الدرس الأصولي وأثره في فقه الحديث النبوي، كتاب "المنهاج" في شرح صحيح مسلم بن الحجاج نموذجاً"، وليعقوب توج يغيت أطروحة ماجستير في جامعة سلجوق بقونيا، تركيا، وهي بعنوان: "محيي الدين النووي حياته وآثاره ومنهجه في شرح صحيح مسلم"، ولبعضهم: "الآراء الأصولية عند الإمام النووي من كتاب شرح صحيح مسلم" ولعبد الله أحمد عبد الولي سيف: "استدراكات النووي في المنهاج شرح صحيح مسلم، على الرافعي في المحرر" وهي أطروحة نوقشت في جامعة أم القرى، مكة المكرمة. ولي عليه "ردود وتعقبات" وهي مطبوعة قديماً. ولي عليه زيادات فرغت منها، أثبت فيها رجوع الإمام النووي إلى عقيدة السلف الصالح في باب الصفات.

حاشية تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص٧٠)

ثم ذكر أن المحقق نبه على "تأويل أبي زكريا النووي لبعض صفات الله جل وعلا وصرف النصوص عن ظاهرها ، وجرى في ذلك على مذهب الأشعري، وهذا التنبيه من باب النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم[١]"

وقال الشيخ عبد الله السعد: والذي نعتقده أن النووي وغيره من علماء الإسلام إنما كان منهم ذلك عن تأويل واجتهاد رحمهم الله رحمة واسعة[٢].

قال د/ مازن السرساوي: الإمام الفقيه المحدث الزاهد الورع[٣]

وقال عن شرحه: وهو أجل وأنفع وأشهر شروح هذ الصحيح[٤]

ثم ذكر مكانة الإمام النووي وما كتبه الله له من القبول عند الخاصة والعامة[٥]، وقال: لقد كان هذا الإمام الزاهد الورع بريئاً من كثير من آفات العلم والنفس [٦]

وقال المغراوي: الإمام الحافظ محي الدين... النووي[١]

---

(١) انظر تقديمه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٤، وانظر الردود والتعقيبات لمشهور حسن، وتعليقه على الموافقات: ٣٢٣/٣، والتعليق السني للشيخ عبد العظيم بدوي.

(٢) انظر تقديمه لشرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ١٤ ، حاشية ١

(٣) انظر مقدمته لتحقيق شرح صحيح مسلم ، ط دار المنهاج ١/ ٣٥

(٤) انظر السابق ١/ ٣٥

(٥) انظر السابق ١/ ٣٥

(٦) انظر السابق ١/ ١٠٠

وقد حازت كتبه كلها القبول والرضا لدى الكافة والجميع من أهل العلم ينهل من معينها [٢]، ولا ترى أحداً يأنف من الرجوع إليها ، بل أن من رجع إليها فقد عضد رأيه وقوى حجته ، وما من إنسان يقف على مؤلفاته إلا لهج بمدحه والثناء والترحم عليه ، جزاء خدمته للعلم وأهله بتلك المصنفات المتقنة ، فرحمه الله رحمة واسعة[٣].

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج ٧/٤٠٣

(٢) فأين من كان يعتمد عليها، ثم صار يحذر منها كلها !

(٣) الإمام النووي لأحمد فريد

وقد جمع بعض المدافعين عن الإمام النووي بعضَ الأسماء التي مدحت الإمام النووي وشهدت له بالعلم والفضل ولم تطعن فيه أو تبدعه أو تفسقه أو تكفره!، فذكر منهم : شيخ الإسلام ابن تيمية، الإمام الحافظ الذهبي، الإمام الحافظ ابن فرح شيخ الإمام الذهبي، الإمام الحافظ السخاوي، الإمام الحافظ العلامة ابن رجب الحنبلي، الإمام الحافظ العلامة ابن المبرد الحنبلي، الإمام العلامة المحدث موفق الدين(سبط ابن العجمي)، الشيخ شمس الدين بن الفخر الحنبلي، الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي، الإمام ابن العماد الحنبلي، الإمام ابن عبد الهادي الحنبلي، الإمام ابن ناصر الدمشقي، الإمام ابن العطار (تلميذ النووي)، المحدث العلامة النعيمي، الإمام قطب الدين موسى اليونيني الحنبلي، الإمام شهاب الدين النويري، الإمام محمد حياة السندي (شيخ إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب)، الإمام العلامة ابن الوزير اليماني الحنبلي، الإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، العلامة خير الدين النعمان بن شهاب الدين الألوسي، العلامة عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

فنقول للطعان ومن معه: من معكم من علماء الأمة وورثة الرسول ﷺ على تضليل الإمام النووي أو تجهيمه أو تكفيره ؟!

ونقول كما قال ابن عباس للخوارج عن أصحاب الرسول ﷺ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَمِنْ عِنْدِ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَصِهْرِهِ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، **وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ مِنْكُمْ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ**[1].

ومما قيل في الإمام النووي نثراً[2]:

قَدْ كُنْتَ للدينِ نُوراً يُسْتَضاءُ بِهِ ... مُسَدداً مِنْكَ فيهِ القَوْلُ والعَمَلُ

وكُنْتَ تَتْلو كِتابَ الله مُعْتَبِراً ... لا يَعْتَريكَ على تَكْرارِهِ مَلَلُ

وكُنْتَ في سُنةِ الْمُخْتارِ مُجْتَهِداً ... أَنْتَ باليُمْنِ والتَّوْفيقِ مُشْتَمِلُ

ثم قال – وقد صدق– : القائمة تطول ، وأضف إلى هؤلاء جميع علماء القرن الماضي والحالي.

وأقول: بل كل القرون الخوالي من عصر النووي إلى عصرنا الحالي

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد – أصول الفقه (٥/ ٨٩)، "طبقات الحنابلة" ٣/ ١٢٢ – ١٢٣ ، والمناظرة رواها أحمد في مسنده (٣١٨٧) وأبو داود (٤٠٧٣) والنسائي في الكبرى (٨٥٢٢) وعبد الرزاق (١٨٦٧٨)، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة " ١/ ٥٢٢، والطبراني في الكبير (١٠٥٩٨)، والحاكم ٢/ ١٥٠ ، والروايات مختصرة ومطولة، وحسنها الألباني والوادعي ومحققو المسند الأحمدي.

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص١١٤)

وكُنْتَ زيناً لأهْلِ العِلْمِ مُفْتَخِراً ... على جَديدٍ كَساهُمْ ثوبُكَ السملُ

وكُنْتَ أسْبَغَهُمْ ظِلاًّ إذا استْعَرَتْ ... هَواجِرُ الجَهْلِ والإِظْلالُ يَنْتَقِلُ

كساكَ رَبُّكَ أوْصافاً مُجَمَّلَةً ... يَضِيْقُ عَنْ حَصْرِها التَّفْصيلُ والجُمَلُ

وقال آخر(١):

رَأى الناسُ مِنْهُ زُهْدَ يَحْيى سَمِيِّهِ ... وتَقْواهُ فيما كانَ يُبْدي ويُخْفيهِ

ولَمْ يَرْضَ بالدُّنْيا ولا مالَ لحظَةً ... إلى عَيْشِها فالله لا شَك يُرْضِيْهِ

فَلَيْسَ لهُ في زُهْدِهِ وخُشُوعِهِ ... وتَجْريدِهِ في الناسِ مِثْلٌ يُدانيهِ

تَحَلَّى بأوْصافِ النَّبيِّ وصَحْبِهِ ... وتابعهم هدياً فمن ذا يناويه ؟

وشَمَّرَ عنْ ساقِ اجْتِهادٍ يُعَلِّمُ الـ ... جهول ويهديه السبيل ويكفيه

وكانَ رَؤوفاً بالضَّعيفِ وطالبِ الـ ... ـعلوم يوفيه الجواب ويدنيه

يُسَرُّ إذا ما سَدَّدَ الخَصْمُ حُجَّةً ... وإن ضل عن قصد المحجة يهديه

ومَن جاءَ يَستَفْتيهِ يُمْني مَحَلَّهُ ... ويجلسه بالقرب منه ويفتيه

تَصانِيفُهُ في كُلِّ عِلْم بَديعَةٌ ... وأبدع منها ما يقول ويمليه

حَديث رسولِ الله والفقْهُ دأبُهُ ... يصنف في هذا وهذاك يرويه

وَيتْلو كِتابَ الله سِرّاً وجَهْرةً ... ويفكر في تفسيره ومعانيه

يَرَى المَوْتَ حُلْواً في إماتَةِ بِدْعَةٍ ... وكم سنة أحيا بصدق مساعيه

---

(١) تحفة الطالبين (ص١١٨)

وقال آخر[(١)]:

وكَذاكَ (مُحْيي الدِّينِ) فاقَ بِزُهْدِه ... وبفقهه الفقها مع الزهاد

القانِتُ الأوَّابُ والحَبْرُ الذي ... نصر الشريعة دائماً بجهاد

تَبْكِيهِ دارٌ للحَدِيثِ وأَهْلُها ... لخلوها من فضله المعتاد

لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ للصُّحيحِ مُعَرِّفٌ ... قد كنت فيه جهبذ النقاد

مَنْ ذا يُبَيِّنُ مُرْسَلاً مِن مُسْنَدٍ ... أو من حيث عد في الأفراد

أوْ كانَ مَقْطوعاً ضَعِيفاً مُعْضَلًا ... أو كان موضوعاً لذي إلحاد

أوْ مَنْ يُبَيِّنُ مُنْكَراً في مَتْنِهِ ... أو من يعرف علة الإسناد

مَنْ ذا لِدَفْعِ المُنْكَراتِ وقَدْ غَدَتْ ... بين الأنام كثيرة الترداد

أَنْهَكْتَ جِسْمَكَ بالصِّيام مُواظِباً ... وسهرت غير ممتع برقاد

تشْفي النفوسَ إذا أَجَبْتَ سُؤالَ مَن ... يلقي عليك دقائق الإيراد

وزَهَدْتَ في الدُنْيا وفي لَذاتِها ... فكتبت عند الله في الزهاد

تَبْكِيهِ جامِعُ جِلَّقٍ لَمَا خَلا ... منه تهجده على الآباد

يا حَبذا تِلكَ الخلائِقُ والنُّهَى ... ما كان أبردها على الأكباد

ونَصَرْتَ دينَ الله وَحْدَكَ جَاهِداً ... ودفعت عنه شبهة المراد

حَتى حَصَلْتَ على عُلوم جَمةٍ ... ونشرت أخبار النبي الهادي

---

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص١٢٧)

بالواضِحاتِ مِن الأدِلةِ جُلُّها ... نص القرآن بذهنك الوقاد

وغيرها كثير ، حتى قيل إنها تجاوزت ستمائة بيت !

ولم لا وهو : "الإمامُ العلَّامَةُ الحافظُ المُفْتي الزاهدُ الورعُ أنموذجُ الطِّرازِ الأوَّل"[١]

وهو بالإجماع: "العالم الرَّبَّاني المتَّفق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيانته في أقواله وأفعاله وحالاته" كما سبق من كلام ابن العطار، وقال أيضاً: "**ووقع على دينِه وعلمه وزهده وورعه ومعرفته وكرامته الوِفَاقُ**" ، "**ويُلقب أيضاً بالإمام، وهذا مما لا خلاف فيه**"[٢] ، وقد " **أثنى عليه الموافق والمخالف،وقبِلَ كلامه النائي والآلِف**"[٣]،ومن المقرر المعلوم أن: "**إجماع الأمة معصوم عن الخطأ في الباطن**"[٤]

وفي صحيح مسلم ٩٤٩: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: "وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ"، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا

---

(١) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص١٢٩)

(٢) منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الاعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ص ٤٠

(٣) قاله السيوطي.

(٤) كما في النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٣٧٦) وانظر: المسودة لآل لآل تيمية (ص ٢٤)

شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: "وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ"، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بَجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ"[١] .

فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل[٢].

والأمة الوسط العدل الخيار والشهداء على الناس لا بد أن يكونوا عالمين عادلين كالرسول؛ ولهذا قال في الجنازة : "وجبت وجبت"، وقال: "أنتم شهداء الله في الأرض" وقال: "توشكوا أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار بالثناء الحسن والثناء السيئ"؛ فعلم أن شهادتهم مقبولة فيما يشهدون عليه من الأشخاص والأفعال[٣].

---

(١) ورواه البخاري ٣ / ١٨١ في الجنائز، باب ثناء الناس على الميت

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٧٧)

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٠١)

فمن أَثنوا عليه خيرًا كان من أهلِ الخير، ومَن أثنَوا عليه شرًّا كان من أهلِ الشرّ[١]؛ فخل عنك العناء، وأعط القوس باريها، فوالله لولا الحفاظ الأكابر، لخطبت الزنادقة على المنابر [٢]

قال النووي: قال بعضهم: معنى الحديث أن الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل - وكان ذلك مطابقا للواقع - فهو من أهل الجنة، فإن كان غير مطابق فلا، وكذا عكسه.

قال: **والصحيح أنه على عمومه، وأن من مات منهم، فألهم الله تعالى الناس الثناء عليه بخير كان دليلا على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا؛ فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة، وهذا إلهام يستدل به على تعيينها، وبهذا تظهر فائدة الثناء.**

قال الحافظ: **وهذا في جانب الخير واضح**، ويؤيده ما رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس مرفوعا: "**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة من جيرانه الأدنين أنهم لا يعلمون منه إلا خيرا إلا قال الله تعالى: قد قبلت قولكم، وغفرت له ما لا تعلمون**"[٣].

---

(١) جامع المسائل - ابن تيمية - ط عطاءات العلم (١/ ٧٦)

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٢ ط الرسالة)

(٣) فتح الباري (٣/ ٢٣١ ط السلفية)، وحديث أنس في صحيح الترغيب (٣/ ٣٧٧): ٣٥١٥

بل والقدح في إمامته: "قدح في الأمة حيث ائتموا بمن لا يصلح للإمامة وفي ذلك نسبة لبعض الأئمة إلى تكفير، أو تفسيق وهذا غير جائز"(١).

والإمام ابن تيمية يريد أن يقول لمثل هؤلاء: إن الحق أحق أن يتبع فلا يجوز الطعن في إمام من الأئمة المتبوعين، فمن فعل ذلك فهو جاهل بأصول الفقهاء...، وهو فوق ذلك يرتكب محرمًا من المحرمات لا يسوغها أي ظرف ولا يجيزها أي عالم(٢).

التحذير من معاداة العلماء

من عادى العلماء فهو معادٍ لله ﷻ وقد آذنه الله بالحرب، **فكيف بتكفير العلماء وتبديعهم وإخراجهم من الفرقة الناجية وإدخالهم في الفرق النارية؟** فعَنْ أَبِي هُريرة ﷺ قالَ : **قَالَ رَسولُ الله ﷺ : " إنَّ الله تَعالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً ، فَقَدْ آذنتُهُ بالحربِ ، وما تَقَرَّب إليَّ عَبْدِي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا افترضتُ عَليهِ ، ولا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ ، فإذا أَحْبَبْتُهُ ، كُنتُ سَمعَهُ الّذي**

---

(١) قاله ابن تيمية في الفتاوى الكبرى عن أبي حنيفة وغيره (٦/ ٨٥)

(٢) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٨١٧)

يَسمَعُ بهِ ، وبَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ بهِ ، ويَدَهُ الّتي يَبطُشُ بها ، ورِجْلَهُ الّتي يَمشي بِها ، ولَئِنْ سأَلَني لأُعطِيَنَّهُ ، ولَئِنْ استَعاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ " [١] .

وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٤) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ ، خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمًا فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَبْكِي ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا مُعَاذُ ؟ قَالَ : يُبْكِينِي حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : الْيَسِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، **وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللهِ فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ** ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ ، الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا[٢]، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ [٣].

---

(١) رواه البخاري ٦٥٠٢ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٤ –٥ ، والبيهقي في سننه ٣/٣٤٦ و١٠/٢١٩ وفي الزهد ٦٩٠ وفي الأسماء والصفات (٢/ ٤٤٨) ١٠٢٩، والبغوي في شرح السنة (١٢٤٨). وانظر فتح الباري (١١/٣٤٠-٣٤١)

(٢) في مخطوطة المحمودية: لم يفقدوا

(٣) إسناده ضعيف وهو صحيح لشواهده: وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٩٦٠) والمزي في تهذيب الكمال (٢٢/٦٢٩) من طريق ابن لهيعة عن عيسى بن عبد الرحمن (وهو متروك) عن زيد بن أسلم به

وقال البوصيرى(٤/١٧٩): هذا إسناد فيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف.

قلت: ولكنه من رواية ابن وهب عنه، ثم إنه توبع ؛ تابعه عياش كما سبق.

ورواه الطبراني في الكبير (٢٠/١٥٣، ١٥٤، رقم٣٢١و٣٢٢) وفى الأوسط (٧١١٢) وفى الصغير (٢/١٢٢، رقم٨٩٢) والشهاب (١٠٧١) والطحاوي في المشكل (٥/٤٨،

رقم١٧٩٨) والحاكم (٣٢٨/٤) والبيهقى في الشعب(٦٨١٢) وأبو نعيم في الحلية(٥/١) ، وتمام في الفوائد(٢٨) (الروض١٦٧٣) وابن أبي الدنيا في الأولياء(٦) والتواضع(٨) من طريق نافع بن يزيد عن عياش بن عباس القتباني عن عيسى بن عبد الرحمن (المتروك).

ثم للحديث طرق أخرى منها:

ما رواه الآجري في "الغرباء" (ص٥٠) عن نافع بن مالك بنحوه، ورجاله ثقات إلا أن يحيى بن عبد الله بن قتادة بيض له البخاري(٢٨٥/٨) وابن أبي حاتم (١٦٠/٩-١٦١)

وقال محقق الغرباء : إسناده صحيح ، وروي بطرق كثيرة فيها ضعف.

وله طريق آخر أشار إليه أبو نعيم في معرفة الصحابة؛ يرويه صلة بن زفر عن ربعي بن حراش عن معاذ.

ورواه الطبراني في الكبير(٣٧/٢٠،٣٦ رقم٥٣) والشاشي(١٣٣١) والحاكم (٢٧٠/٣)، وأبو نعيم في الحلية(١٥/١) والبيهقي في الزهد (١٩٧)، عن ابن عمر بنحوه

وقال الحاكم: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: أبو قحذم، قال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة.

في الجرح والتعديل(٤٧٤/١/٤): هو لين الحديث، يكتب حديثه. قاله حمدي السلفي.

وأبو قلابة لم يسمع من ابن عمر.

وقال الذهبي في السير: أخرجه الحاكم وصححه، وخولف.

والحديث ضعفه الألباني وغيره.

وله شاهد عن رجل، أن عمر مر على معاذ... بنحوه : رواه المعافى بن عمران الموصلي في كتاب الزهد (٥٢) حدثنا الأوزاعي،عنه به. وهو ضعيف لإرساله، ولإبهام من أرسله.

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي في موضع، والمنذري، وصححه جماعة من الباحثين المعاصرين ؛ كالشيخ الدويش في (تقوية ما ضعفه الألباني٤٧و٢٩٣) والدكتور

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: "المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته"[١].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: "وولاية الله تعالى بحسب إيمان العبد وتقواه، فيكون مع العبد من ولاية الله تعالى بحسب ما معه من الإيمان والتقوى فإن أولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

وعلى هذا ؛ فالمتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والأمرية ، وإن كان في قوله بدعة يخالف بها نصّاً أو إجماعاً قديماً ، وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك، بل قد أخطأ فيه كما يخطئ المفتي والقاضي في كثيرٍ من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده؛ يكون أيضا مثاباً من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه ، وإن كان معفوّاً عنه[٢] .

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "لا يُحكم لإنسان آذى ولياً ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه، أو ماله، أو ولده، بأنه سَلِمَ من انتقام الله له، فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه ؛ كالمصيبة في الدين مثلاً"[٣] .

عامر حسن صبري في تحقيقه للزهد للمعافى بن عمران(٥٢) والشيخ بدر البدر في تحقيقه للغرباء(ص٥١)، والشيخ الدوسري في الروض البسام(٥/٦٧).

(١) فتح الباري ١١/٣٤٢.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٩٨) ط العصرية، (ص ٣٥٦) ط مكتبة ابن تيمية.

(٣) فتح الباري ١١/٣٤٦-٣٤٧.

وكم رأينا ممن عادى الصالحين فصار مُسخة في العالمين؛ مُسِخَ قلبُه وابتلاه الله قبل موته بموت القلب!؛ فصار إلباً على الدين وأهله، لا سيما وعقوبة البغي معجلة في الدنيا قبل الآخرة؛ فقد صح عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " بَابَانِ مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: الْبَغْيُ، وَالْعُقُوقُ "[١] .

وَصح عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ، مِنْ الْبَغْيِ ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"[٢] .

والنووي كان من أولياء الله باتفاق مترجميه، نحسبه ولا نزكيه على الله ﷻ، فمن آذاه أو عاداه ، أو ضَلَّلَه أو كَفَّره فبشروه بعقوبات تترى إن شاء الله تعالى، فقد آذنه الله عز وجل بالحرب

ومن أهان العلماء فقد عرّض نفسه لوعيد النبي ﷺ القائل: "ليس منا من لم يجل **كبيرنا**، ويرحم صغيرنا، **ويعرف لعالمنا حقه**"[٣] .

---

(١) رواه الحاكم (٨/ ٤٤٢): ٧٥٧٨ والبخارى فى الأدب المفرد (٨٩٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢٨١٠ الصَّحِيحَة: ١١٢٠

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥١١، والبخارى فى الأدب (٦٧)، وانظر الصَّحِيحَة: ٩١٨

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٢٣، رقم ٢٢٨٠٧) عن عبادة ﷺ ، قال المنذرى (١/٦٤) : إسناده حسن. وكذا قال الألباني في صحيح الجامع ٥٤٤٣

والإمام النووي إمام الزهد والورع والعلم والتصانيف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١] .

وأختم هذا الفصل بما قاله الذهبي الإمام: **نسأل الله علماً نافعاً**

ثم قال: **تدري ما العلم النافع**؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولا وفعلا، ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: "من رغب عن سنتي، فليس مني"، فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين، وسنن النسائي، ورياض النووي وأذكاره، تفلح وتنجح[٢].

أهمية العقيدة الصحيحة

العقيدة هي أساس الدين، وهي مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهى الركن الأول من أركان الإسلام، فيجب الاهتمام بها والعناية بها ومعرفتها، ومعرفة ما يخل بها، حتى يكون الإنسان على بصيرة، وعلى عقيدة صحيحة؛ لأنه إذا قام الدين على أساس صحيح صار ديناً قيماً مقبولاً عند الله،

---

(١) وانظر التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٧٨

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٣٩) وعنه الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ في عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (١/ ٤١٥)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٣٣٢)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية – ط المنار (٣/ ١٤٠)

وإذا قام على عقيدة مهزوزة ومضطربة، أو عقيدة فاسدة، صار الدين غير صحيح، وعلى غير أساس(١).

والعقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية النقية هي أهم المهمات، وآكدُ الواجبات، والعنايةُ بها ينبغي أن تُقدم على كل عنايةٍ واهتمام، وإن للعقيدة الإسلامية الصافية النقية المتلقاة من الكتاب والسنة مكانةً عاليةً ورفيعةً في الدين، بل إن منزلتها فيه منزلة الأساس من البنيان، والقلب من الجسد، والأصل من الشجرة، قال الله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. فهذا شأن العقيدة، شأنٌ عظيم، ومكانة عالية، ومنزلة رفيعة، أمرها مستقرٌ في نفوس أهلها، وكامنٌ في قلوب أصحابها، فمنها ينطلقون، وعليها يُعولون، ولأجلها يناضلون، سما قدرُها في نفوسهم، وعلت مكانتُها في قلوبهم، فتمكنت من القلوب، واستقرت في النفوس، فترتب على ذلك وانبنى عليه صلاحٌ في السلوك، واستقامةٌ في المنهج، وتمامٌ في الأعمال، ودأبٌ على الطاعة والعبادة، ولزومٌ لأمر الله تبارك وتعالى، وكلما كانت العقيدة أعظم تمكناً في نفوسهم، وأقوى استقراراً في قلوبهم، كان ذلك دافعاً لهم لكل خير، معيناً لهم على كل فلاحٍ وصلاحٍ واستقامةٍ.

---

(١) الفوزان في شرحه للطحاوية

ومن هنا عظمت عنايتهم بها، وزاد اهتمامهم بها اهتماماً وعناية مقدمة على كل اهتمامٍ وعنايةٍ، هي عندهم أهم من طعامهم وشرابهم ولباسهم وسائر شؤونهم؛ لأنها هي حياة قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

فهي حياة قلوبهم حقيقة، وأساس نماء أعمالهم، واستقامة سلوكهم، وحسن نهجهم وطريقهم، ولهذا عظمت عنايتهم بها علماً واعتقاداً، وما يتبع ذلك ويترتب عليه من جد واجتهادٍ واستقامةٍ ومحافظةٍ على طاعة الله تبارك وتعالى... (١)

أما العقيدة المنحرفة فإن لها شؤماً على صاحبها، ولهذا يتبعُ فساد العقيدة فسادُ العمل وفسادُ السلوك، وهذا من شُؤم الاعتقاد، **ومن يتتبع رؤوس الباطل ودعاة الضلال يجد هذا واضحاً جلياً فيهم، لا يرى فيهم عنايةً بالعبادة واهتماماً بها ومحافظة عليها ولا يرى أيضاً فيهم الخُلق الواضح الكامل البين**، وإن وجد فيهم شيءٌ من ذلك، فما عند أهل السنة والحق والاستقامة من ذلك أعظمُ وأعظمُ.

---

(١) وإذا راجعت ترجمة الإمام النووي علمت ماذا أثمرت عقيدته في نفسه وعلمه وعمله ولو راجعت رسالة منهج الإمام النووي في تحرير الاعتقاد لوجدت أنه تعرض وتكلم في كل مسائل العقيدة تقريباً، وسبق وسيأتي أنه كان "**سالكاً طريقة السلف**"، إلا في بعض المسائل التي تغتفر إن شاء الله تعالى

وهذا من آثار الاستقامة على العقيدة والارتباط بالله تبارك وتعالى.[١]

ومن ثم كان العلماء رحمهم الله يهتمون بأمر العقيدة ولا يَفْتُرون في بيانها في الدروس وفي المناسبات، ويرويها المتأخر عن المتقدم[٢]. فعندما نتأمل سيرة سلفنا الأخيار - رحمهم الله وأسكنهم الجنة، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء - نرى عظم عنايتهم بالعقيدة، وشدة اهتمامهم بها، وأنهم يقدمونها في الاهتمام والعناية على كل الأمور، فهي أعظم مطالبهم، وغاية مقاصدهم، وأنبلُ وأشرفُ أهدافهم، وقد تنوعت عنايتُهم بالعقيدة عبر مجالاتٍ مختلفةٍ وجهودٍ متنوعة، ومن عنايتهم بها وهو من أسباب حفظها وثباتها وبقائها، تأليفهم فيها المؤلفات النافعة، والكتب المفيدة التي تُقررُ العقيدة، وتُبينها وتوضحها وتذكر شواهدها ودلائلها، وتذُبُ عنها كيد الكائدين، واعتداء المعتدين، وتعطيل المعطلين، وتحريف الغالين، ونحو ذلك مما قد يُحاك حولها وتُستهدف به، فقام السلفُ رحمهم الله في هذا المجال العظيم بجهود ضخمة، وأعمال كبيرة، خدمة للعقيدة، ونصرة لها، وقياماً بالواجب العظيم تجاهها، وكتبوا فيها بياناً وتوضيحاً، واستشهاداً واستدلالاً مئات الكتب، بل الآلاف بين مطول ومختصر، وبين شامل لجميع أبوابها، ومختص في جانب من جوانبها، بين مُؤصل للحق

---

(١) راجع: محاضرة ثبات عقيدة السلف وسلامتها من التغيرات للشيخ عبد الرزاق البدر = ألقيت في ١٤٢٠/٣/٧ هـ ، بتصرف

(٢) الفوزان في شرحه للطحاوية

والصواب، وراد على المخالف المرتاب، ثم اللاحق منهم يأخذ العقيدة عن السابق واضحةً وضوح الشمس في رابعة النهار، بينة لا لبس فيها ولا غموض؛ لصحة شواهدها، وسلامة دلائلها وقوتها، ووضوحها وبيانها[١].

المراد بـ: أهلِ السنَّةِ والجماعةِ

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم قبيحة[٢]، وهي في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: الهدي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابُه، علمًا واعتقادًا، وقولاً، وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويُحمد أهلُها، ويُذمُّ

---

(١) ثبات عقيدة السلف

فإن قيل: الإمام النووي لم يصنف كتاباً في العقيدة!

قلنا: لكنه تصدى لشرح أعظم كتابين في الحديث، وفيهما من مسائل العقيدة ما تقر به أعين المسلمين، ولذلك جمعت كل مسائل العقيدة من كتبه وشروحه، ثم إن له رسالة كتبها في آخر عمره بيّن فيها مذهب السلف وسار عليه.

وكم له في كتبه من الردود على الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة.

وهذا موضح ومبين في عدة رسائل أكاديمية في بيان منهجه في تقرير مسائل الاعتقاد.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، باب النون فصل السين، ١٣/٢٢٥.

من خَالَفها؛ ولهذا قيل: فلان من أهل السنة: أي من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة(١).

والجماعة في اللغة : تدور حول الجمع والإجماع والاجتماع وهو ضد التفرق(٢)، والجماعة في اصطلاح علماء العقيدة الإسلامية: هم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح(٣) من الكتاب والسنة(٤).

وجُمع بين لفظي "السُّنَّة" و"الجَمَاعَة"؛ لأن هناك من يدّعي اتباع السنة ولكنه لا يكون مع الجماعة، وهناك من يدعو إلى الجماعة دون اتباع السنة، فصارت طريقة أهل الحديث والأثر اتباع السلف الصالح مشتملة على شيئين اتباع "السُّنَّة" و"الجَمَاعَة"، وكل منهما في الحقيقة لازم للآخر، فاتباع السنة هو اتباع الجماعة، واتباع الجماعة هو اتباع السنة، وذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام صحّ عنه في الحديث الذي في السنن أنه قال: "وَسَتَفْتَرِقُ هذه الأمَّة عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ

---

(١) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة، ص١٣.

(٢)انظر: معجم المقاييس في اللغة ١/ ٤٧٩

(٣) وتطلق الجماعة على من وافق الحق، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك". ذكره الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/٧٠ وسيأتي.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٦٨، وشرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية، للعلامة محمد خليل هراس، ص٦١.

فِرْقَةً، كُلّهَا فِي النّارِ إِلاّ وَاحِدَةً. وَهِيَ الْجَمَاعَةُ" [(١)] ، فصارت الفِرق في النار؛ يعني متوعدة بدخولها في النار[(٢)]، والناجية فرقة واحدة هي الجماعة، وهم المتبعون للسنة الممتثلون لقول النبي عليه الصلاة والسلام :"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيين مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكوا بها، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" [(٣)] الحديث.

وإذا أُفرد "أَهْل السُّنَّة" فقد يطلق ويراد بهم ما يقابل الرافضة والشيعة؛ لأن لفظ "أَهْل السُّنَّة" يطلق ويراد به ما يخالف التَّشيُّع، ويُطلق ويراد به أهل الحديث والأثر، ولهذا زادوا على "السُّنَّة": "الْجَمَاعَة"، مع أن كلا منهما ملازم للآخر لأجل أن يكون هناك تحديد في الإطلاق، فيكون المراد بالإطلاق ما يخالف الفرق كلها؛ الرافضة والخوارج والجهمية، المرجئة والقدرية، والجبرية إلى آخر أصول الفرق[(٤)].

---

(١) سيأتي تخريجه

(٢) وهذا على العموم، أما الأعيان فلا نشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار ، وإنما نرجو للمحسنين الجنة ، ونخشى عليهم، ونخشى على المسيئين من النار، ونرجو لهم. ونسأل الله تعالى أن يتولانا والمسلمين برحمته.

ونقطع بأن من دخل النار من أهل التوحيد سيخرج منها يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه.

(٣) سيأتي تخريجه

(٤) شرح الشيخ صالح للطحاوية

ومصطلح أهل السنة والجماعة اسم شرعي مأثور عن سلف هذه الأمة ، منذ عهد الصحابة والتابعين ، والصدر الأول والقرون الفاضلة[١]، وأوَّل ظهور لهذه التسمية كان في عهد الصحابة الكرام فرُوي عن حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﵄ أنه قال في تفسير قوله ﷻ: ﴿يوم تبيضُّ وجوه و تسود وجوه﴾: "أما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأهل العلم ، وأما الذين اسودت وجوهـهم فأهل البدع والضلال" .

وقال محمد بن سيرين ﵀ : "لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سمُّوا لنا رجالكم ، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[٢].

وسُئِل الإمام مالك بن أنس ﵀ : مَن أهلُ السنة ؟ فقال : "أهل السنة الذين ليس لهم لقبٌ يُعرفون به؛ لا جهميٌ ، ولا قَدَريٌ ، ولا رافضيٌ[٣]

وسُئل الإمام أبو بكر بن عيَّاش ﵀ : مَن السُنِّيُّ ؟ فقال : "الذي إذا ذُكِرت الأهواء لم يتعصَّب لشيءٍ منها" [٤]

---

(١) حراسة العقيدة د/ ناصرالعقل تقديم الفوزان

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح باب الإسناد من الدين ١/١٥.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في " الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء " ص: ٣٥

(٤) الشريعة ٣ / ٥٨١ (٢١١٢) ، شرح أُصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٦٣ (٥٣)

وقال أيوب السَختيَانِي رحمه الله: "من سعادةِ الحَدَث، والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة[١].

وقال: إني أُخبَرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي "[٢]

وقال: "إن الذين يتمنون موتَ أهلِ السُّنّةِ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمّ نوره ولو كره الكافرون"[٣].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "إن لله عبادًا يُحيي بِهِمُ العباد والبِلادَ وهم أصحاب السنة"[٤].

وقد كان أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ، يُطلقون اسم السنة على الاعتقاد الصحيح ، الذي يقابل البدعة ، و يُضادُّها ، كما في قول سفيان بن عيينة رحمه الله: " السنة عشرة ، فمن كُنَّ فيه فقد استكمل السنة ، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنَّة: إثبات القدر ، وتقديم أبي بكر وعمر ، والحوض ،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/٦٦ رقم٣٠، والحَدَث: الشاب. النهاية ١/٣٥١

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ١/٦٦، رقم ٢٩، والحلية ٣/٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ١/٦٨، رقم ٣٥.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٧٢، رقم ٥١، وحلية الأولياء ٨/١٠٤.

والشفاعة ، والميزان ، والصراط ، والإيمان قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، وعذاب القبر ، والبعث يوم القيامة ، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم" [(١)].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : القول في السنة التي أنا عليها ، ورأيتُ أصحابنا عليها ، أهل الحديث الذين رأيتهم ، وأخذتُ عنهم، مثل سفيان، ومالك ، وغيرهما : الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأنَّ الله تعالى على عرشه ، في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء[(٢)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله : "أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله[(٣)]... ثمَّ ذَكر جملة مسائل من معتقد أهل السنة والجماعة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله :"إذا قيل عن رجلٍ إنه صاحب سنة ، فالمقصود به أنه على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم من أمور الدين قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً"[(٤)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٥٥ رقم ٣١٦، اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث (ص٣٦)، وقوله: "ولا تقطعوا .."، أي لا نشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار.

(٢) أورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٢. والذهبي في العلو ص ١٢٠

(٣) أصول السنة للإمام أحمد ط مكتبة العلم بجدة، ورواها اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ١/ ١٥٦ (٣١٧)، وأبو يعلى في الطبقات ١ / ٢٤١ وإسنادها صحيح

(٤) مجموع الفتاوى ١٩/ ٣٠٦ – ٣٠٧

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "صار في عُرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث غيرهم ، السنة عبارة عمّا سلم من الشبهات في الاعتقادات ... وصنفوا في هذا العلم تصانيف سموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم ، والمخالف فيه على شفا هلكة، وأما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات"(١).

وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه؛ لقول ابن مسعود رضي الله عنه : الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وَحدَك(٢)، قال نعيم بن حمّاد: أي إذا فسدت الجماعة ، فعليك بما كانت عليه قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك ، فإنَّك الجماعة حينئذٍ(٣) .

وقال البخاري رحمه الله في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه: باب قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمَّةً وسَطاً﴾ وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ، **وهم أهل العلم ؛** قال الترمذي رحمه الله: وتفسير الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث، وروى (٤) عن عليٍّ بن الحسن: سألتُ عبد الله بن

(١) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة ص : ١١.

(٢) أخرجه اللالكائي ١ / ١٠٨ (١٦٩) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" ١٣ / ٦٤٢

(٣) أخرجه البيهقي في "المدخل" ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخه" ١٣ / ٦٤٣

(٤) سنن الترمذي ٤ / ٤٦٧(٢١٦٧) في الفتن ، باب : ما جاء في لزوم الجماعة

المبارك مَن الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعُمر ، قيل له : قد مات أبو بكرٍ وعُمر، قال : فلانٌ وفلانٌ ، قيل له : قد مات فلانٌ وفلان!.

فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة[1].

وقال البربهاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الجماعة: هم جماعة الحق وأهله [2]

---

(١) ومن جميل كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ ما قال علي بن الحسن بن شقيق المَرْوزيّ (وكان ثقة) : سمعت عبد الله (يعني: ابن المبارك) يقول : " إذا ابْتليتَ بالقضاء ، فعليك بالأثر "، قال عليّ : فذكرته لأبي حمزة محمد بن ميمون السّكريّ ، فقال : " هل تدري ما الأثر ؟ أن أحدّثك بالشّيء فتعمل به ، فيقال لك يوم القيامة : من أمرك بهذا ؟ فتقول : أبو حمْزة ، فيُجاء بي ، فيقال : إنّ هذا يزعم أنّك أمرته بكذا وكذا ، فإن قلت : نعم ، خلّي عنك ، ويقال لي : من أين قلت هذا ؟ فأقول : قال لي الأعمش ، فيُسأل الأعمش ، فإذا قال: نعم ، خلّي عنّي ، ويقال للأعمش : من أين قلت ؟ فيقول : قال لي إبراهيم ، فيُسأل إبراهيم ، فإن قال : نعم ، خلّي عن الأعمش ، وأخذ إبراهيم ، فيقال له : من أين قلت ؟ فيقول : قال لي علقمة ، فيُسأل علقمة ، فإذا قال : نعم ، خلّي عن إبراهيم ، ويقال له : من أين قلت : فيقول : قال لي عبد الله بن مسعود ، فيُسأل عبد الله ، فإن قال : نعم ، خلّي عن علقمة ، ويقال لابن مسعود : من أين قلت ؟ قال : فيقول : قال لي رسول الله ﷺ، فيُسأل رسول الله ﷺ ، فإن قال : نعم ، خلّي عن ابن مسعود ، فيُقال للنبيّ ﷺ ، فيقول : قال لي جبريل ، حتى ينتهي إلى الرّبّ تبارك وتعالى ، فهذا الأثر ، فالأمر جدٌ غير هزل ؛ إذْ كان يشفي على جنّة أو نار ، ليس بينهما هناك منزلٌ، وليعْلم أحدكم أنّه مسؤولٌ عن دينه وعن أخذه حلّه وحرامه". أخرجه الجوزجاني في أحوال الرجال صـ ٢١٠ – ٢١١.

(٢) السنة ، للبربهاري : ٢ / ٣٦.

وهم المعنيون بالفرقة الناجية فى قول رسول الله ﷺ : "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" [١]، وفي رواية قالوا: يا رسول الله من هى؟ قال:"هي الجماعة" [٢] ، وفي رواية قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"[٣] ، فمن كان على مثل ما عليه النبي ﷺ ، وأصحابه، فهو ناج من البدع.

و"كلها في النار إلا واحدة": إذاً هي ناجية من النار، فالنجاة هنا من البدع في الدنيا، ومن النار في الآخرة[٤]؛ ولهذا وصف أهل السنة والجماعة بأنهم الفرقة الناجية[٥] وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم

---

(١) رواه أحمد (٨٣٧٧) وأبو داود (٤٥٩٦) والترمذي (٢٦٤٠) وابن ماجه (٣٩٩١) وصححه الألبانى

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألبانى ، ولفظ "الجماعة" رواه أحمد ١٧٠٦١، ورواه أبو داود ٤٥٩٧، وابن ماجه ٣٩٩٢، ٣٩٩٣

(٣) رواه الترمذي وحسنه الألبانى، واللالكائي (١٤٧)، والحاكم (١/١٢٩).

(٤) شرح الواسطية للعثيمين

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥) ومنهاج السنة النبوية (٣/٤٥٦-٤٥٨)، (٥/٢٤٩)

الساعة "[١] ، وهم الذين يعلمون أنّ أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمّدٍ ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف النّاس، ويقدّمون هدي محمّدٍ ﷺ على هدي كلّ أحدٍ، ولهذا سمّوا أهل الكتاب والسّنّة[٢]، فأهل السنة والجماعة هم : الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله، عن الرسول ﷺ ، أو عن أصحابه رضي الله عنهم؛ فيما لم يثبت فيه نصٌّ في الكتاب ، ولا عن الرسول ﷺ ؛ لأنهم رضي الله عنهم أئمة، وقد أُمرنا بإقتفاء آثارهم واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يُحتاج فيه إلى إقامة برهان، والأخذ بالسنة واعتقادها مما لا مرية في وجوبه[٣]

وقال ابن كثير عنهم : هم أهل السنة و الجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة و التابعين ، وأئمة المسلمين[٤] وهم الذين يقولون بكل ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو

---

(١) رواه البخاري ٣٤٦٠، ٣٤٦٢ ، ومسلم ١٩٢٠ . مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٩)

(٢) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام

(٣) الرد على من أنكر الحرف ، لأبي نصر السجزي ، ص : ٩٩

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٣٣

الواجب على جميع الخلق[١] فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم: صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين.[٢] وسبب هذا أنهم ﵏ يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه، ويعتمدونه[٣] وإنما سموا بأهل السنة، لأنهم ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله، وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها، وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها تصديقاً، وعملاً، وحباً، وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به ﷺ من الكتاب، والحكمة، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم ؛ إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه، ويعتمدونه[٤] فهم سموا أهل السنة لانتسابهم لسنة الرسول ﷺ دون غيرها من المقالات والمذاهب، بخلاف أهل البدع فإنهم ينسبون إلى بدعهم وضلالاتهم كالقدرية والمرجئة، وتارة ينسبون إلى إمامهم كالجهمية، وتارة ينسبون إلى أفعالهم

---

(١) الفتوى الحموية ط ابن الجوزى المصرية صـ ١٠

(٢) العقيدة الواسطية

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٧).

القبيحة كالرافضة والخوارج[١] ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: فأهل الحق هم أهل الكتاب والسنة[٢] ، وقال: أهل السنة والحديث الصواب معهم دائمًا.

وقال: أهل السنة لم يتفقوا على مسألة ردّية[٣].

ولأنهم هم أهل السنة والحديث؛ فإن الصواب معهم دائمًا، ومن وافقهم كان الصواب معه دائمًا لموافقته إياهم، ومن خالفهم فإن الصواب معهم دونه في جميع أمور الدين؛ فإن الحق مع الرسول، فمن كان أعلم بسنته واتبع لها كان الصواب معه[٤]، فأهل السنة في كل مقام أصح نقلاً، وعقلاً من غيرهم لأن ذلك من تمام ظهور ما أرسل به رسوله ﷺ من الهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله، ظهوره بالحجة، وظهوره بالقدرة[٥]، وأهل السنة نقاوة المسلمين ، وهم خير الناس للناس [٦]، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله؛ فيتبعون الحق، ويرحمون الخلق [٧]

---

(١) قاله الفوزان، وانظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص١٠، وشرح العقيدة الواسطية، للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ص١٠.

(٢) التسعينية (٣/٩٠٢-٩٠٤)

(٣) منهاج السنة (٤/٥٩٠,٥٩١)

(٤) منهاج السنة (٥/١٧٢-١٨٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٧٥).

(٦) الاستقامة (١ / ٢٠٥).

(٧) مجموع الفتاوى (٣ / ٢٧٩).

ولما كان أهل السنة والجماعة «هم» الذين مَحَّضُوا الإسلام ولم يَشُوبُوه بغيره، كانت شهادتهم مقبولة على سائر فرق الأمة، بخلاف أهل البدع والأهواء، كالخوارج والروافض، فإن بينهم من العداوة والظلم ما يخرجهم عن كمال هذه الحقيقة التي جعلها الله لأهل السنة[١].

فطريقة أهل السنة والحديث، هي الطريقة المحمدية المحضة الشاهدة على جميع الطرق[٢].

أهميَّة العقيدة السلفية بين العقائد الأخرى:

إن أهمية دراسة العقيدة السلفيَّة تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدءوب لإعادة الناس إليها، وذلك لأمور:

أولاً: أنه بها تتوحَّد صفوف المسلمين والدُّعاة، وعليها تجتمع كلمتهم، وبدونها تتفكَّك؛ ذلك أنها عقيدة الكتاب والسنة والجيل الأول من الصحابة، وكل تجمُّع على غيرها مصيره الفشل والتفكُّك.

ثانيًا: أن العقيدة السلفية تجعل المسلم يعظِّم نصوص الكتاب والسنة، وتعْصِمُه من ردِّ معانيها، أو التّلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٩٨)

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٥٧)

ثالثًا: أنها تربط المسلم بالسَّلف من الصحابة ومَن تبعهم، فتزيده عزَّة وإيمانًا وافتخارًا، فهم سادةُ الأولياء، وأئمَّة الأتقياء، والأمر كما قال ابن مسعود ﷺ: إن الله نظرَ في قلوب العباد، فوجَد قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتِلون على دينه، فما رَأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسنٌ، وما رأوْهُ سيِّئًا فهو عند الله سيئ[١].

أو كما رُوِيَ عن ابن عمر ﷺ أنه قال: مَن كان مستنًّا؛ فليستنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحاب محمّد ﷺ؛ كانوا خيرَ هذه الأمة؛ أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم، والله ربِّ الكعبة[٢].

رابعًا: تميُّزُهَا بالوضوح؛ حيث إنها تتَّخذ الكتاب والسنة منطلقًا في التصوُّر والفهم، بعيدًا عن التأْويل والتعطيل والتَّشْبيه، وتنجي المتمسِّك بها من هَلَكَةِ الخوض في ذات الله، وردِّ نصوص كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ، ومن ثَمَّ تكسب صاحبها الرِّضا والاطمئنان لقدر الله، وتقدير عِظَمِ الله، ولا تكلِّف العقل

---

(١) أخرجه أحمد (١/٣٧٩)، والطيالسي (ص٢٣)، والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/١٦٦) موقوفاً بإسنادٍ حسن.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله": ٢/ ٩٤٦، وغيرُه.

التَّفكير فيما لا طاقة له به من الغيبيَّات؛ فالعقيدة السلفيَّة سهلةٌ ميسَّرة، بعيدة عن التّعقيد والتّعجيز[١].

سابعا: أنها سبب الحياة الطيبة السعيدة فى الدنيا والآخرة

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "واذا كانت سعادة الأولين والآخرين هي باتباع المرسلين فمن المعلوم انَّ أحق الناس بذلك اعلمهم بآثار المرسلين واتبعهم لذلك. فالعالملون بأقوالهم وأفعالهم المتَّبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان وهم الطائفة النَّاجية من أهل كل امَّة وهم أهل السنَّة والحديث من هذه الأمة"[٢].

ومن كان منهم فهو ممن قال الله عز وجل فيه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل٩٧] [٣]

---

(١) مقدمة الشيخ علوي السقاف لتحقيقه للعقيدة الواسطية ، وتيسير الوصول تهذيب معارج القبول لشيخنا مصطفى محمد.

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيّة (٢/٢١).

(٣) من أهم المؤلفات في العقيدة السلفية: أصول السنة، لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، ت ٢٤١، وكتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، ت ٢٩٠، وكتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك، ت ٢٨٧ ، وكتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة، ت ٣١١، والعقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي، ت ٣٢١، ومقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري، ت ٣٣٠، وشرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي

وجوب اتباع المنهج السلفى

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ فى الفتوى الحموية عن اتباع " ما قاله الله ﷻ ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم

البربهاري ، ت ٣٢٩، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، للإمام ابن بطة، ت ٣٨٧، وكتاب الإيمان ، وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته لابن منده، ت ٣٩٥، وأصول أهل السنة لابن زمنين، ت ٣٩٩، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام أبي القاسم اللالكائي، ت ٤١٨، وشرح السنة للإمام البغوي، ت ٥١٦، ولمعة الاعتقاد، للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة، ت ٦٢٠، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى ٧٢٨ ، وهو مطبوع ضمن الفتاوى له ٣/١٢-١٥٩، والفتوى الحموية له، وهو مطبوع ضمن الفتاوى له أيضًا ٥/٥-١٢٠، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ت ٧٩٢، وكتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب، ت ١٢٠٦، وشرحه فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن حمد بن عبد الوهابن ت ١٢٨٥، ومن المؤلفات الحديثة النافعة لأصحاب الفضيلة العلماء: شرح العقيدة الواسطية للعلامة محمد خليل الهراس، والعقيدة الصحيحة وما يضادها للعلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، وعقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة محمد بن صالح العثيمين، وشرح أصول الإيمان له، ومفهوم عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل، ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة له، ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة للعلامة صالح بن فوزان الفوزان، ومجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة، للدكتور ناصر العقل، وعقيدة أهل السنة والجماعة ؛ مفهومها وخصائصها، وخصائص أهلها للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد بتقديم سماحة العلامة ابن باز

وانظر الوجيز في عقيدة السلف الصالح ص٢٣٠-٢٣٦ ط دار الراية

بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم : هذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره؛ فإن الله ﷻ بعث محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهِدَ له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨].

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته، محال - مع هذا وغيره - أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإنّ معرفة هذا أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصّلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا!

ومن المحال أيضا أن يكون النبي ﷺ قد علّم أمته كل شيء حتى الخِراءة[١]، وقال: " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك "[٢]، وقال أيضاً : "ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم".

وقال أبو ذر رضي الله عنه : لقد تُوفي رسولُ الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه. رواه البخاري ، ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقّت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم ربِّ العالمين، الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع

١ الخراءة : هي كيفية وهيئة وآداب قضاء الحاجة، التي جاءت في الأثر: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. وانظر صحيح مسلم

٢ حسنه الألباني بلفظ (على مثل البيضاء)

ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصَّروا في هذا الباب؛ زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين به وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق. وكلاهما ممتنع.

أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حياةٍ وطلب للعلم ونهمة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه؛ أعني: بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته.

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر.

وهذا أمر معلوم بالفطرة الوُجدية[1]، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم.

هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضا عن الله وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟!

١ الوُجدية بضم الواو نسبة إلى الوجود، الفطرة الوجدية نسبة إلى الوجود يعني الوجود الأول الذي كانوا عليه...

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم... ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون[(١)] الحيارى المتهوكون: أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعرفة وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة، ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة – لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته – من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين، وضلاّل اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟![(٢)]

---

(١) وزفي نسخة : "المسبوتون"، أي المقطوعون.

(٢) الفتوى الحموية الكبرى

فطريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم:

أسلم لأنهم ما تعرضوا لشيء وراء النصوص،

وأعلم لأنهم أخذوا عقيدتهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

وأحكم لأنهم سلكوا الطريق الواجب سلوكها : وهو إجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله ﷻ(١)

قال الإمام مالك رحمه الله : ما لم يكن ديناً زمن النبي ﷺ فلن يكون اليوم ديناً، ولن يكون ديناً إلى قيام الساعة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها.

ويقول الإمام الآجري رحمه الله : " علامةُ من أراد الله ﷻ به خيراً سلوك هذه الطريق؛ كتاب الله ﷻ وسنن رسوله ﷺ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد، إلى آخر ما كان من العلماء؛ مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهبٍ لا يذهب إليه هؤلاء العلماء "(٢)

ويقول الإمام ابن قتيبه رحمه الله :"ولو أردنا – رحمك الله – أن ننتقل عن أصحاب الحديث، ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام، ونرغب فيهم؛ لخرجنا من

---

(١) شرح السفارينية للعثيمين

(٢) الشريعة (١/٣٠١).

اجتماعٍ إلى تشتت، وعن نظام إلى تفرق، وعن أُنسٍ إلى وحشةٍ، وعن اتفاق إلى اختلاف "[١]، وإنما قدمتُ هذه المقدمة لأنّ من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره [٢]، وهذا الباب هو أعظم ما يُطلب، وأهم ما يُبحث عنه ليُعلَم؛ فأعظم المطالب: العلم بالله I وصفاته، وأفعاله، وأمره، ونهيه[٣]، ولهذا يقول أبو بكر ابن العربي: شرف العلم بشرف المعلوم والباري أشرف المعلومات[٤]، وتوحيد الأسماء والصفات عند السلف الصالح أهل السنة والجماعة هو: اعتقاد انفراد الرب ﷻ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك:

بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص:١٦).

(٢) الفتوى الحموية

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣٢٢).

(٤) أحكام القرآن (٢/٨٠٤)

ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله ﷻ(١).

فالله ﷻ موصوف بالإثبات، والنفي؛ فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شـيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، والنفي كقوله ﷻ:﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾[البقرة: ٢٥٥](٢) ومذهب أهل السنة وطريقة سلف الأمة، وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله **من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل**، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل(٣).

والتحريف هو : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول: استوى بمعنى استولى، ونحوه، فهذا عند السلف، والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله، وآياته(٤)

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/١٠ مجموعة ابن سعدي

(٢) مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥).

(٣) انظر منهاج السنة(١١١/٢، ٥٢٣)، مجموع الفتاوى (٣/٤)، (١٩٥/٥)،(٣٨/٦)، (٤٣٢/٨)، (٢٥٠/١١)، والصفدية (١٠٣/١) ، الجواب الصحيح (١٦٣/٢)

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٥ / ٣٨٧).

والتعطيل هو: نفي الصفات[١] ، ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات معطلة، لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى[٢].

وأما التكييف فهو طلب معرفة حقيقة الشيء، وكنهه[٣].

أما التمثيل فالمراد به التسوية بين الله ﷻ وغيره فيما يجب، أو يجوز ، أو يمتنع[٤] ؛ ففي قوله ﷻ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على أهل التمثيل، وفي قوله ﷻ :﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾رد على أهل التعطيل[٥] و قد علم بالكتاب، والسنة، والإجماع ما يعلم بالعقل أيضاً أن الله ﷻ :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا يجوز أن يوصف بشيء من خصائص المخلوقين؛ لأنه متصف بغاية الكمال منزه عن جميع النقائص، فإنه ﷻ غنى عما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه[٦]، وكما أن الرب نفسه ليس كمثله شيء

---

[١] درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤٧)، (١/ ٢٨٤).

[٢] مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٦).

[٣] درء تعارض العقل والنقل (٧ / ٣٢٨)، مجموع الفتاوى (٣ / ١٦٧).

[٤] انظر : بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٣، ٥٧)، (٢/ ٣٨١)، دره تعارض العقل (٥ / ٨٤).

[٥] درء تعارض العقل والنقل (٦ / ٣٤٨)، وانظر : الجواب الصحيح (٢ / ١١١)، (٣ / ١٤٠).

[٦] مجموع الفتاوى (٦ / ٣٩٩)، وانظر : (١٢ / ٥٧٥).

فصفاته كذاته[١]، والرب ﷻ منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق، أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه من الوجوه وكذلك ما كان مختصاً بالمخلوق فإنه يمتنع اتصاف الرب به، فلا يوصف الرب بشيء من النقائص، ولا بشيء من خصائص المخلوق، وكل ما كان من خصائص المخلوق فلا بد فيه من نقص[٢] ، والاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات [٣] ، ثم إنهم يثبتون لله تعالى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن المخلوق متصف بذلك [٤]، وفي قول الطحاوي: "**واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى**"، رد على المتأولة المعطلة من الأشاعرة وغيرهم ؛ الذين قالوا بأن المراد بالبغض والرضى إرادة الإحسان ، وليت شعري ما الفرق بين تسليمهم بصفة الإرادة وإنكارهم للصفتين المذكورتين بتأويلهما ، وهي مثلهما في اتصاف العبد بها أيضا؟!، فهلا قالوا فيهما كما قالوا في الإرادة الإلهية : إنها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد ، وإن كان

---

[١] درء تعارض العقل والنقل (١٠ / ١٩٨).

[٢] الصفدية (١ / ١٠١).

[٣] كما قال عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– :"ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء"، وهو عنه صحيح

[٤] انظر "تقريب التدمرية" (ص٢٧)، "مجموع الفتاوى" (٣/٦٤).

لكل منهما حقيقة تناسب الموصوف بها [(١)]، وأهل السنة، والجماعة، والحديث من أصحاب مالك والشافعي، وأبى حنيفة، وأحمد، وغيرهم متفقون على تنزيه الله ﷻ عن مماثلة الخلق، وعلى ذم المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه[(٢)]، **ووجه الجمع بين نفي التحريف، والتعطيل**: أن التحريف يفضي إلى التعطيل، أما الجمع بين نفي التكييف، والتمثيل فلأن التكييف يفضي إلى التمثيل، فالواجب في نصوص الكتاب، والسنة أن: تمر كما جاءت، ويؤمن بها، وتصدق، وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل [(٣)]

ويسلك أهل السنة والجماعة فيما ينفونه، ويثبتونه في باب الأسماء، والصفات طريقة الرسل، فإن الرسل عليهم صلوات الله جاءوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل[(٤)] ، فهذه طريقة الرسل، واتباعهم من سلف الأمة، وأئمتها[(٥)]، وهي التي جاء بها القرآن... يثبت الصفات، وينفي مماثلة المخلوقات[(٦)]، والله ﷻ في

---

(١) قاله الألباني في تعليقه على الطحاوية، ثم قال: وقد بسط القول في ذلك الشارح رحمه الله فراجعه.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٢)، وانظر (١ / ١٤٧)، ومنهاج السنة(٢/ ٥٢٢).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٥). وشرح الواسطية للمشيقح

(٤) الصفدية (١ / ١١٦)، وانظر : النبوات (ص : ٢٢٥).

(٥) منهاج السنة (٣ / ١٨٥)، وانظر : مجموع الفتاوى (٦/ ٥٦٥)، (١١/ ١٨٠).

(٦) مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥).

القرآن يثبت الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه على طريق الإجمال التشبيه والتمثيل.

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب ، والرضى ، والعداوة ، والولاية ، والحب ، والبغض ، ونحو ذلك من الصفات ، التي ورد بها الكتاب والسنة[١]، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله ﷻ، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات ، كما أشار إليه الطحاوي بقوله : "إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية - بترك التأويل ، ولزوم التسليم ، وعليه دين المسلمين"[٢].

وصفة الرضى من الصفات الفعلية التي أثبتها أهل السنة والجماعة لله ﷻ وهي من صفات الكمال، وأضدادها صفات نقص [٣]، والغضب على من يستحق الغضب عليه، من القادر على عقوبته، صفة كمال[٤] قال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال ﷻ:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَّ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾[محمد:

---

[١] كما قال تعالى ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وقال تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾

[٢] شرح الطحاوية للشيخ الإمام ابن أبي العز الحنفي

[٣] مجموع الفتاوى (٦ / ٦٨).

[٤] درء تعارض العقل والنقل (٤ / ٩٢).

٢٨] وقال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ[١] ﴾ [الزخرف: ٥٥] وقال ﷻ: ﴿وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٦] وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣]، ففي هذه الآيات الكريمات إثبات صفة الغضب، والسخط، والأسف، والكره، والمقت. وهى من صفات الفعل التي يثبتها أهل السنة والجماعة لله ﷻ على الوجه اللائق به ﷿ [٢] والرسل صلوات الله عليهم أجمعين: إنما جاءوا بإثبات هذا الأصل، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة، ويرضاها، ويسخط بعض الأمور، ويمقتها، وأن أعمال العباد ترضيه تارة، وتسخطه أخرى[٣] ، وعلى هذا سار السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين[٤].

---

[١] قال ابن عباس: أغضبونا، قال ابن قتيبة: الأسف الغضب، يقال أسفت أسفاً أي: غضبت منهاج السنة النبوية (٥ / ٣٢٣)، وانظر : مجموع الفتاوى (١٢ / ١٣٣).

[٢] مجموع الفتاوى ، وانظر : منهاج السنة النبوية (٣ / ١٦٠).

[٣] منهاج السنة النبوية (٥ / ٣٢٢).

[٤] المراد بالتابعين الذين أثنى الله عليهم بأنهم تبعوهم بإحسان، أما الذين تبعوا الصحابة زماناً وخالفوهم عقيدة، وابتدعوا في الأسماء والصفات أو في القدر أو في الإيمان، كالخوارج والمرجئة والقدرية وأشباه هؤلاء، هؤلاء لا يدخلون أصلا في التابعين بإحسان، خير الناس قرن الرسول صل الله عليه وسلم، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، والمراد من كان منهم على الحق. قاله الشيخ صالح آل الشيخ في شرح العقيدة الطحاوية.

وأكرر: إنما قدمتُ هذه المقدمة لأنّ من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى [١]، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِيَّايَ وَالْبِدَعَ - إِيَّاكَ وَالْبِدَعَ:

رواية عجيبة في حديث جبريل عليه السلام لعلها صحيحة [٢]: وهي في أمالي ابن بشران ٣٠٨، قال: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السِّلَفِيُّ الْأَصْبَهَانِيُّ، أنا أَبُو الْبَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ طِيبَانَ، أنا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرَانَ إِمْلَاءً[٣]، أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَعْلَجٍ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ الصَّائِغُ، ثنا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ[٤]،

---

(١) الفتوى الحموية

(٢) ثم وجدتها في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٠٤) ٣ وقال الألباني: صحيح. وقال: الحديث متصل ورجاله كلهم ثقات، فالإسناد صحيح

فالحمد لله على توفيقه، وهو في مجمع الزوائد (١/ ١٦١) مختصراً على أوله وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٣) وهو في الأمالي له أيضا(٢/ ١٦٢) ١٢٦٧ والزوائد له إلا ما بينت

(٤) وهو في السنن له (٤/ ١٩٦) ٦١٥٤

وتابعه مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْقُطَعِيُّ: شعب الإيمان للبيهقي (٩/ ١٧٣) ٦٤٤١ الأربعون في الأجوبة النبوية لأبي الخير القزويني (مخطوط) مختصرا : قَالَ: نَادَى رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: الإِخْلَاصُ.

وتابعه عمر بن محمد بن الحسن الأسدي مقتصراً على أوله. المعجم الكبير للطبراني (٥/ ٦٠) ٤٥٨٠

ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، ثنا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي فِرَاسٍ ‹اسْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ› رَجُل مِنْ أَسْلَمَ: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ» ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ الَّذِي تَدَّعِي إِلَيْهِ» . فَسَأَلَهُ آخَرُ: أَفِي الْجَنَّةِ أَنَا أَمْ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ: «فِي الْجَنَّةِ» وَسَأَلَهُ آخَرُ، ‹فَقَالَ:› فِي الْجَنَّةِ أَنَا أَمْ فِي النَّارِ؟ فَقَالَ: «فِي النَّارِ» ، ‹فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،› فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: رَضِينَا ‹= رَضِيتُ› بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِيَّايَ وَالْبِدَعَ، ‹= إِيَّاكَ وَالْبِدَعَ؛› وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَبْتَدِعُ رَجُلٌ ‹فِي الإِسْلامِ› شَيْئًا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا مَا خَلَّفَ خَيْرٌ مِمَّا ابْتَدَعَ، إِنَّ أَمْلَكَ الْأَعْمَالِ خَوَاتِمُهَا ‹= خَوَاتِيمُهَا›، إِنَّكُمْ تَرْجِعُونَ ‹= مَرْجُوعُونَ› إِلَى مَا فِي قُلُوبِكُمْ، مَنْ شَاقَّ شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ، فَدَعُونِي مَا وَدَعْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى

وتابعه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٦٤٥) ١٨١٠ مقتصراً على السؤال عن الساعة وعلاماتها

وتابعه محمد بن مهران، وسويد بن سعيد به كما في الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٣٨) ٢٠٣ ولفظه: "يا أيها الناس إياي والبدع، إياي ومخالفة السنة، والذي نفسي بيده لا يبتدع رجل شيئا ليس في سنتي، ولا في سنة أصحابي إلا كان ما خالف خيرا مما ابتدع، ولا تزال به بدعته، حتى يجحد كل ما جئت به"

وفي ٦٤٢ بلفظ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، فَنَادَى رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الإِسْلَامُ؟ قَالَ: إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، قَالَ: فَمَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: الإِخْلَاصُ، قَالَ: فَمَا الْيَقِينُ؟ قَالَ: التَّصْدِيقُ بِالْقِيامةِ ".

أَنْبِيَائِهِمْ " فَنَادَاهُ رَجُلٌ يُسْمِعُ الْقَوْمَ (فَسَمِعَ الْقَوْمَ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِالله ﷻ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ» . قَالَ: فَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِخْلَاصُ» قَالَ: فَمَا الْيَقِينُ؟ قَالَ: «التَّصْدِيقُ بِالْقِيَامَةِ» ، قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ لَهَا أَعْلَامٌ؛ إِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الشَّاءِ (رُعَاةَ الشَّاةِ) تَطَاوَلُوا فِي الْبِنَاءِ، وَإِذَا الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ كَانُوا مُلُوكًا» قَالَ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الْعَرَبُ» . قَالَ: «وَإِذَا الْإِمَاءُ وَلَدْنَ أَرْبَابًا» قَالَ: «أَيْنَ هَذَا السَّائِلُ؟» قَالَ: كُلٌّ يَقُولُ: كَانَ فِي هَذِهِ الرُّقْعَةِ (- كَانَ فِي هَذِهِ الرِّفْقَةِ). فَقَالَ: «إِنَّهُ جِبْرِيلُ ﷺ ، سَأَلَ لَكُمْ عَنْ عُرَى الدِّينِ إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا أَمَا (إنه - ص) وَالله مَا أَنْكَرْتُهُ فِي مَقَامٍ قَطُّ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَدَعُونِي مَا وَدَعْتُكُمْ»

فحرى بالمسلم أن يتبع ولا يبتدع؛ إذ محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ تُنال بالاتباع لا بالابتداع: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١ – ٣٢]، ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعةً سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين، فإن الله لا يُعبد إلا بما هو واجب أو مستحب[١]

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٢٥) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٠)

تعريف البدعة:

البدعة لغة من : بَدَعَ، وتأتي على معنيين؛ أحدهما: ابتداء الشي لا عن مثال والثاني : الانقطاع والكلال [١].

ويدل على المعنى الأول: قوله ﷻ: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢].

وأما المعنى الثاني: فيقال أبدعت الناقة: إذا انقطعت عن السير بكَلال أو ظَلع؛ كأنه جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه من عادة السير إبداعاً ؛ أي: إنشاء أمر خارج عمَّا اعتيد منها [٣].

والْبِدْعَةُ فِي الدِّينِ هِيَ مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ وَلَا اسْتِحْبَابٍ، فَأَمَّا مَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَو اسْتِحْبَابٍ وَعُلِمَ الْأَمْرُ بِهِ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ: فَهُوَ مِن الدِّينِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ[٤]

ويَقُولُ الشاطبي: الْبِدْعَةُ طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا مَا يُقْصَدُ بِالطَّرِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ[٥] .

---

(١) انظر مقاييس اللغة (٢٠٩/١)

(٢) انظر: تفسير الطبري ((٤٥٧/٩) ط هجر، وتفسير ابن كثير (١٢٢/٦) ط مؤسسة قرطبة ، والميزان بين السنة والبدعة ص ٢٧.

(٣) النهاية لابن الأثير ١٠٧/١ انظر لسان العرب (٣٤٣/١)

(٤) مجموع الفتاوى ٤/ ١٠٨

(٥) وهو من أجمع وأشمل تعاريفها: انظر "علم أصول البدع" لعلي الحلبي (٢٣ –٢٤)، مختصر كتاب الاعتصام لعلوي السقاف (ص ٧) والاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد

وقال ابن رجب رحمه الله : المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة[١].

وقال ابن حجر: المراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، **فالبدعة في عرف الشرع مذمومة** بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة، سواء كان محمودا أو مذموما[٢] .

تنبيه: البدعة في اللغة أعم منها في الشرع ؛ ذلك أن البدعة لغة : ما أُحدث لا على مثال سابق، وسواء كانت محمودة أو مذمومة[٣]

والصيني (١/ ٤٧)، ت الهلالي (١/ ٥٠) ، ت مشهور حسن (١/٤٣) وانظر شرح هذا وتفاصيله في حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٢٥٤)

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٠) .

(٢) فتح الباري (١٣/٢٥٣)

(٣) ومن هذا قولهم: أول ما حدث من البدع أربع وهي: المنخل والخوان والأشنان والشبع. انظر المدخل لابن الحاج (١/٢٢٦)، جمع الوسائل في شرح الشمائل(١/ ١٩٥) وانظر التعليق على هذه الأربعة في الإبداع في مضار الابتداع (ص٧١)

والبدعة في الشرع هي إحداث أمر في الدين، وليس لها نظير فيما سلف [١]، وهي **لا تكون إلا مذمومة**[٢].

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال شيخ الإسلام: وَجِمَاعُ الدِّينِ أَصْلَانِ: أَلَّا نَعْبُدَ إلَّا اللهَ، وَلَا نَعْبُدَهُ إلَّا بِمَا شَرَعَ لَا نَعْبُدُهُ بِالْبِدَعِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

وَذَلِكَ تَحْقِيقُ الشَّهَادَتَيْنِ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

فَفِي الْأُولَى أَنْ لَا نَعْبُدَ إلَّا إيَّاهُ

وَفِي الثَّانِيَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُهُ الْمُبَلِّغُ عَنْهُ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ خَبَرَهُ وَنُطِيعَ أَمْرَهُ

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا مَا نَعْبُدُ اللهَ بِهِ وَنَهَانَا عَنْ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ وَأَخْبَرَ أَنَّهَا ضَلَالَةٌ.

---

(١) وصاحبها ابتدأ طريقة في الدين لم يسبق إليها، ولهذا سمي المبتدع في الدين مبتدعاً؛ لإحداثه فيه ما لم يسبق إليه غيره.

انظر: تفسيري الطبري (٢/٤٤٦)، وابن كثير (٦/١٢٢)

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/٤٦٤)، والاعتصام للشاطبي (١/٤١)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٩٣)، وفتح الباري (١٣/٢٥٣)وجامع العلوم والحكم (١/٢٦٦)

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]

وقال الله تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾

وقال: ﴿ وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وعن جابرٍ ﷺ قال : قال رسول اللهَّ ﷺ :"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهَّ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ "[٢].

وفي رواية النسائي: كان رسول الله ﷺ في خطبته: يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: "من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور مُحدَثاتُها، وكل مُحدَثة بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤)

(٢) خرّجه مسلم ٨٦٧.

(٣) أصله في صحيح مسلم، وأخرجه النسائي ٣/١٨٨، برقم ١٥٧٨.

وعن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(١).

وعن العرباض بن سارية ﵁ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اختِلافاً كَثيراً، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة (٢)"

وفي حديث زيد بن أرقم ﵁ عن النبي ﷺ : " أما بعد، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، ‹هو حبل الله من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة› فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به"، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه(٣).

---

(١) متفق عليه: البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨، وتقدم.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب السنة ، باب في لزوم السنة، ٤٧٠٧، والترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ٤٢، ٤٣، ٤٤، وأحمد، ٤/٤٦-٤٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود

(٣) مسلم ٢٤٠٨.

وعن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: "يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم" [١].

قال أبو بكر الصديق : أيها الناس إنما أنا متّبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوِّموني[٢].

وقال عمر الفاروق: إيّاكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلُّوا وأضلُّوا [٣].

وعن أبي قلابة، أن ابن مسعود ﷺ قال: عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه ذهاب أهله، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يُقبض، أو متى يُفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع، والتنطع، والتعمق، وعليكم بالعتيق [٤].

---

(١) مسلم ٦، ٧، وابن وضاح في ما جاء في البدع، ص ٦٧، برقم ٦٥.

(٢) الطبقات الكبرى ١٣٦/٣.

(٣) أخرجه اللالكائي(٢٠١)، والدارمي (١٢١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٠٠١، و ٢٠٠٣، و ٢٠٠٥).

(٤) أخرجه الدارمي (١٤٤)، وابن وضاح البدع (١٦٣)، تبدَّع الشيء : أَنشأَه وبدأَه أو أحدثه واخترعه والمراد هنا : الحدث في الدين بعد الإكمال، والتنطع : التكلف والمغالاة

وقال أيضاً : إنكم أصبحتم على الفطرة، وإنكم ستحدثون، ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة، فعليكم بالهدي الأول (١).

وكان حذيفة يدخل المسجد فيقف على الحِلَقِ فيقول: يا معشر القراء اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا (٢).

وقال عبد الله بن مسعود ﵁ : مَنْ كان مُسْتنّا فَلْيَسْتن بمَنْ قَدْ مَاتَ أولئكَ أَصْحابُ مُحمد ﷺ كانوا خَيرَ هذه الأمَّة، وأَبَرها قُلوبا، وأَعْمقَها عِلْما، وأَقَلّها تَكلفا، قَوم اخْتارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَة نَبيه ﷺ ونَقلِ دينه فَتَشبَّهوا بأَخْلاقِهِم وطَرائِقِهم ؛ فَهُمْ كانوا عَلَى الهَدْي المُستقِيم (٣).

وعن الزهري ، قال: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض سريعا، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وذهاب العلماء ذهاب ذلك كله (٤).

والتعمق في القول أو الفعل، والتعمق : المبالغة في الأمر والتشدد فيه، والعتيق : القديم وما كان عليه الأوائل والمراد التمسك بالقرآن والسنة

(١) أخرجه الدارمي (١٦٩)

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٢)

(٣) أخرجه الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٤٩٨) ، والآجري في الشريعة (١١٤٣)

(٤) أخرجه الدارمي (٩٦)، واللالكائي (١٣٦)، وابن بطة (١٦٦)

وقال ابن سيرين: كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر [(١)].

وعن أبي بن كعب ﷺ قال : عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَن فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ الله فَمَسَّتْهُ النَّارُ أَبَدًا ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللهَّ فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ الله إِلاَّ كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرِقُهَا فَهِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا رِيحٌ فَتَحَاتَّ وَرَقُهَا عنها إِلاَّ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عن هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرِقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سُنَّةٍ وَسَبِيلٍ خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي غَيْرِ سُنَّةٍ وَسَبِيلٍ، فَانْظُرُوا أَعْمَالَكُمْ، فَإِنْ كَانَتِ اقْتِصَادًا وَاجْتِهَادًا أَنْ تَكُونَ عَلَى مِنْهَاجِ الأَنْبِيَاءِ وَسُنَّتِهِمْ[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ، وَأُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، فَعَلَيْك بِالتُّؤَدَةِ، فَتكُونُ تَابِعًا فِي الْخَيْرِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْسًا فِي الشَّرِّ [(٣)].

وقال: يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا ـ يعني مفصل الأنملة ـ ، فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى، وإنه لم يكن أهل كتاب قط، إلا كان أول ما يتركون السنة، وآخر ما يتركون الصلاة، ولولا أنهم أهل كتاب لتركوا الصلاة [(٤)].

---

(١) أخرجه الدارمي (١٤٠)، واللالكائي (١٠٩)، وابن بطة (٢٥٠)، الآجري (٣٠)

(٢) أخرجه اللالكائي (١٠)، وابن بطة (٢٥٩)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٣٤٣) ، وابن بطة (١٨٤)

(٤) أخرجه الحاكم (٨٥٨٤) ، واللالكائي (١٢٢) ، وابن بطة (١٩٤)

وعنه قال: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ الفِتْنَةُ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِنْ غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ» ، قَالُوا: مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ قَالَ : « إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ [١].

وقال ابن عمر: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة[٢].

وعن ابن عون قال غير مرة: ثلاث أرضاها لنفسي ولإخواني أن ينظر هذا الرجل المسلم القرآن فيتعلمه ويقرأه ويتدبره وينظر فيه، والثانية أن ينظر ذاك الأثر والسنة فيسأل عنه ويتبعه جهده، والثالثة أن يدع هؤلاء الناس إلا من خير[٣].

وعن ابن الماجشون، قال: سمعت مالكاً يقول: مَن ابْتَدَعَ في الإِسلام بدعة يَراها حَسَنة ؛ فَقَدْ زَعَمَ أَن مُحمّداً ﷺ خانَ الرّسالةَ ؛ لأَن اللهَ يقولُ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لَم يَكُنْ يَوْمَئذ دينا فَلا يكُونُ اليَوْمَ ديناً [٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٣١١) ، والدارمي (١٨٥)، اللالكائي (١٢٣)، وابن بطة (٧٦٤)، وابن وضاح البدع (٢٦١)

(٢) أخرجه المروزي في السنة: ص ٢٤ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٢٠٥ ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/١٠٤) وسنده صحيح

(٣) علقه البخاري

(٤) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٢٠) ت الشقير والحميد والصيني، والميزان بين السنة البدعة د/ محمد عبد الله دراز ص ٢٩

وَلِهَذَا قَالَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ : إنَّ الْبِدْعَةَ أَحَبُّ إلَى إبْلِيسَ مِنْ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا(١) وَالْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا. وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ إنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ الَّذِي يَتَّخِذُ دِينًا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ قَدْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَهُوَ لَا يَتُوبُ مَا دَامَ يَرَاهُ حَسَنًا لِأَنَّ أَوَّلَ التَّوْبَةِ الْعِلْمُ بِأَنَّ فِعْلَهُ سَيِّئٌ لِيَتُوبَ مِنْهُ. أَوْ بِأَنَّهُ تَرَكَ حَسَنًا مَأْمُورًا بِهِ أَمْرَ إيجَابٍ أَوْ اسْتِحْبَابٍ لِيَتُوبَ وَيَفْعَلَهُ. فَمَا دَامَ يَرَى فِعْلَهُ حَسَنًا وَهُوَ سَيِّئٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّهُ لَا يَتُوبُ (٢)

تنبيه: قال ابن رجب الله: قوله ﷺ: "كل بدعة ضلالة" من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ، فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه،

(١) وفي السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١): بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلَ صاحب بدعة"، ثم روى برقم ٣٧ عن عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَجَزَ أَوْ قَالَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ".

وصححه الألباني ، وأحال على "الصحيحة" ١٦٢٠، وفي المسألة تفصيل سيأتي.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٩) وأمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٣٨)

وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة [١].

وقال ابن حجر: وقوله: "كل بدعة ضلالة" قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها فكأن يقال حكم كذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، فلا تكون من الشرع؛ لأن الشرع كله هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحت المقدمتان وأنتجتا المطلوب، والمراد بقوله : كل بدعة ضلالة ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام [٢].

أهمية معرفة البدع [٣]

إن مما يجب العلم به أن معرفة البدع التي أدخلت في الدين أمر مهم جدا لأنه لا يتم للمسلم التقرب إلى الله تعالى إلا باجتنابها ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة

(١) جامع العلوم والحكم (١/٢٦٦).

(٢) فتح الباري (١٣/٢٥٣)

(٣) الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة (ص: ١٠٩ –١١٥) أحكام الجنائز ٣٠٥ – ٣٢٤ وتلخيصها ص ٩٥ – ١١١ وجامع تراث العلامة الألباني في الفقه

وانظر : الميزان بين السنة البدعة د/ محمد عبد الله دراز ص ٣٤.

شرح الصدور ببيان بدع الجنائز و القبور . تأليف : عبدالله بن محمد الحمادي .

وبدع وأخطاء ومخالفات شائعة تتعلق بالجنائز والقبور والتعازي لأحمد بن عبد الله السلمي

بدع القبور أنوعها وأحكامها . تأليف : صالح بن مقبل العصيمي

اتباع لا ابتداع – قواعد وأسس في السنة والبدعة (ص: ١٥١) لحسام الدين عفانة

مفرداتها إذا كان لا يعرف قواعدها وأصولها وإلا وقع في البدعة وهو لا يشعر فهي من باب: "ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب" كما يقول علماء الأصول رحمهم الله.

ومثل ذلك معرفة الشرك وأنواعه فإن من لا يعرف ذلك وقع فيه كما هو مشاهد من كثير من المسلمين الذين يتقربون إلى الله بما هو شرك كالنذر للأولياء والصالحين والحلف بهم والطواف بقبورهم وبناء المساجد عليها وغير ذلك مما هو معلوم شركه عند أهل العلم ولذلك فلا يكفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط بل لا بد من معرفة ما يناقضها من البدع كما لا يكفي في الإيمان التوحيد دون معرفة ما يناقضه من الشركيات وإلى هذه الحقيقة أشار رسول الله ﷺ بقوله: "من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله"(١)؛ فلم يكتف عليه السلام بالتوحيد بل ضم إليه الكفر بما سواه وذلك يستلزم معرفة الكفر وإلا وقع وهو لا يشعر وكذلك القول في السنة والبدعة ولا فرق ذلك لأن الإسلام قام على أصلين عظيمين:

أن لا نعبد إلا الله وأن لا نعبده إلا بما شرع الله.

فمن أخل بأحدهما فقد أخل بالآخر ولم يعبد الله تبارك وتعالى

---

(١) رواه مسلم (٢٣).

وتحقيق القول في هذين الأصلين تجده مبسوطاً في كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى

فثبت مما تقدم أن معرفة البدع أمر لا بد منه لتسلم عبادة المؤمن من البدعة التي تنافي التعبد الخالص لله تعالى فالبدع من الشر الذي يجب معرفته لا لإتيانه بل لاجتنابه على حد قول الشاعر:

عرفت الشر لا للشـ ... ـر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر ... من الخير يقع فيه

وهذا المعنى مستقى من السنة فقد قال حذيفة بن اليمان ﵁: قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: "نعم"، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: "نعم وفيه دخن"، قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر"، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها"، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: "نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ... " الحديث(١).

قال الألباني: ولهذا كان من الضروري جداً تنبيه المسلمين على البدع التي دخلت في الدين وليس الأمر كما يتوهم البعض: أنه يكفي تعريفهم بالتوحيد

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم

والسنة فقط ولا ينبغي التعرض لبيان الشركيات والبدعيات بل يسكت عن ذلك ، وهذا نظر قاصر ؛ ناتج عن قلة المعرفة والعلم بحقيقة التوحيد الذي يباين الشرك، والسنة التي تباين البدعة ، وهو في الوقت نفسه يدل على جهل هذا البعض بأن **البدعة قد يقع فيها حتى الرجل العالم** ؛ وذلك لأن أسباب البدعة كثيرة جدا لا مجال لذكرها الآن ...

فإن التنبيه على البدع أمر واجب على أهل العلم وقد قام بذلك طائفة منهم بعضها فروعها وبعضها جمع بين النوعين وقد طالعتها جميعا.

والبدع مذمومة من وجوه(١):

١ - قد عُلم بالتجارب أن العقول غير مستقلة بمصالحها دون الوحي، والابتداعُ مضادّ لهذا العمل.

٢ - الشريعة جاءت كاملة، لا تحمل الزيادة ولا النقصان.

٣ - المبتدع معاند للشرع ومشاقّ له.

٤ - المبتدع متّبع لهواه؛ لأن العقل إذا لم يكن متَّبِعاً للشرع لم يبق له إلا اتباع الهوى.

٥ - المبتدع قد نزَّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع، وألزم المكلَّفين بالجري على سننها.

---

(١) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٧١٣) د. سعيد بن وهف القحطاني

و"أعظم المهم في هذا الباب وغيره تمييز السنة من البدعة ؛ إذ السنَّة ما أمَر به الشارع ، والبدعة ما لم يشرعه من الدين .

فإن هذا الباب كثر فيه اضطرابُ الناس في الأصول والفروع ، حيث يزعم كل فريق أنَّ طريقه هو السنة ، وطريقَ مخالفه هو البدعة ، ثم إنه يحكم على مخالفه بحكم المبتدع ، فيقوم من ذلك من الشر ما لا يحصيه إلا الله"[١] .

قال الألباني: **ومرجع البدع المشار إليها إلى أمور**[٢]:

الأول : أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي ﷺ .

الثاني : أحاديث موضوعة أو لا أصل لها ، خفي أمرها[٣].

الثالث: اجتهادات واستحسانات صدرت من بعض الفقهاء، خاصة المتأخرين منهم ، لم يدعموها بأي دليل شرعي! .

ولا يخفى على المتبصر في دينه ، أن ذلك مما لا يسوغ اتباعه ، إذ لا شرع إلا ما شرعه الله تعالى.

الرابع : عادات وخرافات لا يدل عليه.

ونقول[١]: الخامس: اتباع الهوى في الاستنباط[٢]

---

(١) الاستقامة (١٣/١)

(٢) مناسك الحج والعمرة بتصرف

(٣) انظر مجلة التوحيد المصرية عدد ٥٢٣ ص ٤٣ و٤٤

السادس: الجهل بأحكام الدين، ومصادر الأحكام، ومقاصد الشريعة[٣]

---

(١) انظر مجلة التوحيد عدد ٥٢٣ مقال د/ عبد الله شاكر "ظهور البدع؛ أسبابها وأضرارها" ص ٤٢-٤٥

(٢) ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك . الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني (٣/ ١٠٢)

وصاحب الهوى إذا دخل قلبه [الهوى]، وأشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان، ولا يكترث بمن خالفه. الاعتصام للشاطبي ت الشقير وغيره (٣/ ٢١٩)

قال شيخ الإسلام: من أعرض عَن اتِّبَاع الْحق الَّذِي يعلمه تبعاً لهواه ؛ فَإِن ذَلِك يورثه الْجَهْل والضلال ؛ حَتَّى يعمى قلبه عَن الْحق الْوَاضِح كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿فَلَمَّا زاغوا أزاغ الله قُلُوبهم﴾ الْآيَة ، وَقَالَ تَعَالَى:﴿فِي قُلُوبهم مرض فَزَادَهُم الله مَرضا﴾، وَقَالَ تَعَالَى:﴿وأقسموا بِاللَّه جهد أَيْمَانهم لَئِن جَاءَتْهُم آيَة ليُؤْمِنن بهَا قل إِنَّمَا الْآيَات عِنْد الله وَمَا يشعركم أَنَّهَا إِذا جَاءَت لَا يُؤمنُونَ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾.

انظر: أمراض القلوب وشفاؤها (ص: ٣٩) التحفة العراقية (ص: ٣٩)

وسبب ذلك بينه ابن القيم حين قال: من نصر هواه فسد عليه عقله ورأيه لأنه قد خان الله في عقله فأفسده عليه وهذا شأنه ﷻ في كل من خانه في أمر من الأمور فإنه يفسده عليه. روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٨٠)

(٣) انظر مع مجلة التوحيد الميزان بين السنة البدعة د/ محمد عبد الله دراز ص ٩٨-١١٨

السابع: تقديم العقل على النص[١]

الثامن: التعصب لأراء الرجال[٢]

---

(١) الميزان بين السنة البدعة د/ محمد عبد الله دراز ص ٥٤ -٨٤.

(٢) فالمبتدع العامي إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب .

فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله.

ومن أبواب [الشيطان] العظيمة التوصل: التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً... وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم. انظر : إحياء علوم الدين (١/ ٩٧) و (١/ ٢٨٤) و(٣/ ٣٤ و٣٥) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٤٢)

التاسع: التشبه بالكفار

العاشر: التأثر بالأفكار والفلسفات الواردة من غير المسلمين

قلت: **ويجمعها كلها: الغلو في الدين، ومخالفة سبيل النبي الأمين ﷺ والسلف الصالحين!**

وجعلها د/ عبد الله دراز ناشئةً من أصلين فاسدين:

تحكيم العقل - أو الهوى - في الدين، والجهل بالدين[(١)]

أقول: وأيضاً: تصدر الجهال:

قال ابن حزم: لَا آفَة على الْعُلُوم وَأَهْلهَا أضرّ من الدخلاء فِيهَا وهم من غير أَهلهَا فَإِنَّهُم يجهلون ويظنون أَنهم يعلمُونَ ويفسدون ويقدرون أَنهم يصلحون[(٢)]، ولذلك قيل: ما ابتدع عالم قط ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل وأضل، أي: أن البدعة إنما أتت من الجهال، فالجاهل هو الذي يحدث في الدين!

روى مسلم في " الصحيح " أن النبي ﷺ قال: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" [(٣)].

(١) الميزان بين السنة البدعة د/ محمد عبد الله دراز ص ٥٤ -٨٤.

(٢) مداواة النفوس لابن حزم ط الآفاق (ص: ٢٣)

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٣).

فتدبر هذا الحديث؛ فإنه يدل على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنما يؤتون من قبل أنه إذا مات علماؤهم؛ أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبله، وقد صرف عمر هذا المعنى تصريفاً فقال: ما خان أمين قط، ولكنه اؤتمن غير أمين فخان.

ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكنه استفتي من ليس بعالم؛ فضل وأضل.

وكذلك فعل ربيعة؛ قال مالك: بكى ربيعة يوما بكاء شديدا، فقيل له: أمصيبة نزلت بك؟ فقال: لا، ولكنه استفتي من لا علم عنده .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "قبل الساعة سنون خداعات، يصدق فيهن الكاذب، ويكذب فيهن الصادق، ويخون فيهن الأمين، ويؤتمن الخائن، وينطق فيهن الروييضه" قال أبو عبيد: هو الرجل التافه الخسيس ينطق في الأمور العامة .

وكما سبق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قد علمت متى يهلك الناس: إذا جاء الفقه من قبل الصغير؛ استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير؛ تابعه الصغير، فاهتديا، وقال عبد الله بن مسعود: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم؛ هلكوا [١].

---

(١) بتصرف من الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٧٧) وما بعدها، وانظر الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (٢/ ٦٧٩)

ثم ليعلم – كما قال الألباني [١]– أن هذه البدع ليست خطوتها في نسبة واحدة ،
بل هي على درجات ، فبعضها شرك وكفر صريح ، وبعضها دون ذلك ، ولكن يجب أن يعلم أن أصغر بدعة يأتي الرجل بها في الدين هي محرمة بعد تبين كونها بدعة ، فليس في البدع ـ كما يتوهم بعضهم ـ ما هو في رتبة المكروه فقط ، كيف ورسول الله ﷺ يقول : "كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار"، أي صاحبها.
وقد حقق هذا أتم تحقيق الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه العظيم "الاعتصام" ولذلك فأمر البدعة خطير جداً ، لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه ، ولا يعرف ذلك إلا طائفة من أهل العلم ، وحسبك دليلاً على خطورة البدعة قوله ﷺ : "إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة ، حتى يدع بدعته" [٢].

ومن أخطر البدع بدعة الغلو في التكفير والتبديع:

---

(١) في مناسك الحج والعمرة، بتصرف

(٢) رواه الطبراني والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، وغيرهما بسند صحيح ، وحسنه المنذري. وسيأتي شرحه

نعم من أخطر البدع بدعة الغلو في التكفير والتبديع؛ فأول نزاع حدث في الأمة هو النزاع في الأسماء والأحكام - كالتكفير والتفسيق -؛ حيث كفَّرتْ الخوارجُ وضلَّلتْ المعتزلةُ خيرَ جيل على الإطلاق[١] !.

وهو باب خطير[٢]، عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتتت فيه الأهواء والآراء[٣]، أقدم عليه كثير من الناس؛ فسقطوا، وتوقف فيه الفحول ؛ فسلموا...، ولا نعدل بالسلامة شيئا[٤] فيجب على المسلمين عدم الخوض فيه، وتركه لأهل العلم الراسخين[٥] ، ولا يجوز لكل احد أن يتفوّه به في حقّ غيره، إنما هذا من صلاحيات المحاكم الشرعية، ومن صلاحيات أهل العلم

---

(١) انظر أي كتاب من الكتب التي تتكلم عن فتنة الخوارج تجد عين ما ذكرت لك ، وفي شرح الأصبهانية (ص ٦٥٧) ط دار المنهاج عن **مسائل الأسماء والأحكام** هذه:

" والخلاف فيها أول خلاف حدث في مسائل الأصول ؛ حيث **كفرت الخوارج بالذنب وجعلوا صاحب الكبيرة كافراً مخلداً في النار، ووافقتهم المعتزلة على زوال جميع إيمانه وإسلامه وعلى خلوده في النار، لكن نازعوهم في الاسم** فلم يسموه كافرا بل قالوا: هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ؛ ننزله منزلة بين المنزلتين، فهم وإن كانوا في الاسم إلى السنة أقرب فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج "

(٢) المفهم في شرح صحيح مسلم(٣/١١١)، لقاء صحيفة الشرق الأوسط: ٢١/٤/٢٠٠١م) مع الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، المنتقى من فتاوي الفوزان" (١/١١٢)

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٣٢، ٤٣٣ .

(٤) المفهم في شرح صحيح مسلم (٣/١١١)

(٥) في لقاء صحيفة الشرق الأوسط (٢١/٤/٢٠٠١م) مع الشيخ عبد العزيز آل الشيخ

الراسخين في العلم، الذين يعرفون الإسلام، ويعرفون نواقض الإسلام، ويعرفون الأحوال، ويدرسون واقع الناس والمجتمعات، **فهم أهل الحكم بالتكفير وغيره** ، وأما الجهال وأفراد الناس وأنصاف المتعلمين، ليس من حقهم إطلاق التكفير على الأشخاص أو على الجماعات أو الدول لأنهم غير مؤهلين لهذا الحكم[١].

أكرر: إصدار الحكم بالتكفير والتبديع لا يكون لكل أحد من آحاد الناس أو جماعاتهم وإنما مرد الإصدار إلى العلماء الراسخين في العلم الشرعي المشهود لهم به ، وبالخيرية والفضل[٢]

قال العلامة الشيخ الإمام ابن عثيمين : **وأما قضية التبديع والتكفير فهذه ليست لكل احد ؛ ولكنها تعود إلى العلماء المتخصصين** الذين يطبقون الأحكام على مواضعها ؛ ... فالأمر خطير جدا ؛ على الإنسان أن يحفظ نفسه منه ؛ وانتم يا طلبة العلم ؛ عليكم بالاشتغال في طلب العلم. [٣]

---

(١) في " المنتقى من فتاويه"(١/١١٢)

(٢) انظر درء الفتنة ، د/ بكر أبو زيد، وكلام العثيمين التالي.

(٣) نقله الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله بن حمود أبو الخيل ، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأستاذ الفقه المقارن في المعهد العالي للقضاء ، في كتابه "التقرير في حكم وخطورة التكفير والتفجير "، قدم له وقرّظه العلامة صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ص ٧٦

وعن أبي ذر ﷺ سمع النبي ﷺ يقول: " لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك "(١)

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما "(٢)

ويقول ابن دقيق العيد: وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير(٣)

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله: **إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية** التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية(٤)

وذكر ابنُ الوزير تواترَ الأحاديث في النهي عن تكفير المسلم، ثم قال: **وفي مجموع ذلك ما يشهد لصحة التغليظ في تكفير المؤمن، وإخراجه من الإسلام** مع شهادته بالتوحيد والنبوات، وخاصة مع قيامه بأركان الإسلام، وتجنبه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)، ولمسلم نحوه (٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) .

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٤/٧٦

(٤) الفتاوى ٣/٢٢٩، وانظر ٣/٢٨٢، ٢٨٣ ، قاعدة في أهل السنة ٣٥ /١٠٣

للكبائر، وظهور أمارات صدقه في تصديقه لأجل غلط في بدعة، لعل المكفر له لا يسلم من مثلها أو قريب منها، فإن العصمة مرتفعة، وحسن ظن الإنسان بنفسه لا يستلزم السلامة من ذلك عقلاً ولا شرعاً[١]

ويقول أيضاً: وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة، وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله ﷻ، وتعظيمهم الله ﷻ بتكفير عاصيه، فلا يأمن المكفر أن يقع في مثل ذنبهم، وهذا خطر في الدين جليل، فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل[٢]

وهكذا يقرر هؤلاء الأعلام وغيرهم خطورة هذه المسألة، والتحذير من تكفير من ليس بكافر.

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: وبالجملة فيجب على من نصح نفسه ألا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه، واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام، أو إدخاله فيه من أعظم أمور الدين[٣]

من هنا كان لابد من الرجوع لأهل العلم الكبار فالمسائل الكبار لا يفتى فيها إلا الكبار من خواص أهل العلم .

---

(١) انظر إيثار الحق على الخلق ص ٤٢٠ ـ ٤٢٥

(٢) المرجع السابق ص ٤٤٧

(٣) الدرر السنية ٨/٢١٧

من الأصول والضوابط في مسائل التكفير والتفسيق

يجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع(١)، فالتكفير ـ كما قال د/ بكر أبو زيد في درء الفتنة ـ **حكم شرعي**(٢) **لا مدخل للرأي المجرد فيه** ؛ لأنه من

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح بن عثيمين- ص: ٨٧، من "الموسوعة العقدية" إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري ٢٥٧: "التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله و رسوله"

وقال في درء تعارض العقل مع النقل١/٢٤٢: " الكفر حكم شرعي متلقي عن صاحب الشريعة والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل تجب في الشرع معرفته".

ويقول ابن الوزير في العواصم ٤/١٧٨ ، ١٧٩: " إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه، وأن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعياً قطعياً، ولا نزاع في ذلك" بتصرف

وقال شيخ الإسلام في الرد على البكري ٢٥٧ : "فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي "

المسائل الشرعية – لا العقلية – ؛ لذا صار القول فيه من خالص حق الله ﷻ لا حَقَّ فيه لأحد من عباده ، فالكافر من كفره الله ﷻ ورسوله ﷺ لا غير.

وكذلك الحكم بالفسق ، والحكم بالعدالة ، وعصمة الدم ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، كل هذه ونحوها من المسائل الشرعية ، لا مدخل للرأي فيها ، وإنما الحكم فيها لله ولرسوله ﷺ ، وهي المعروفة في كتب الاعتقاد باسم : " مسائل الأسماء والأحكام " .

* للحكم بالردة والكفر موجبات وأسباب هي نواقض الإيمان والإسلام ، من اعتقاد ، أو قول ، أو فعل ، أو شك ، أو ترك، مما قام على اعتباره ناقضا الدليلُ الواضح ، والبرهان الساطع من الكتاب أو السنة ، أو الإجماع ، فلا يكفي الدليل الضعيف السند ، ولا مشكل الدلالة ، ولا عبرة بقول أحد كائنا من كان إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح(١) .

وقد أوضح العلماء رحمهم الله هذه الأسباب في كتب الاعتقاد ، وفرّعوا مسائلها في : " باب حكم المرتد " من كتب الفقه .

* وكما أن للحكم بالردة والكفر موجباتٍ وأسباباً فله شروط وموانع ؛ فيشترط إقامة الحجة الرسالية التي تزيل الشبهة ، وخلوه من الموانع كالتأويل ، والجهل ، والخطأ ، والإكراه .

---

(١) وانظر نواقض الإيمان القولية والعملية،ونواقض الإيمان الإعتقادية للوهيبى

وفي بعضها تفاصيل مطولة معلومة في محلها[١] .

* الحق عدم تكفير كل مخالف لأهل السنة والجماعة لمخالفته ، بل ينزل حكمه حسب مخالفته من كفر ، أو بدعة أو فسق أو معصية .

وهذا ما جرى عليه أهل السنة والجماعة من عدم تكفير كل من خالفهم وهو يدل على ما لديهم بحمد الله من العلم والإيمان والعدل والرحمة بالخلق ، وهذا بخلاف أهل الأهواء ، فان كثيرا منهم يكفِّرون كل من خالفهم .[٢]

* كما أن "الإيمان" شعب متعددة ورتبها متفاوتة أعلاها قول "لا اله إلا الله" وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، فكذلك "الكفر" الذي هو في مقابلة الإيمان ، ذو شعب متعددة ، ورتب متفاوتة ، أشنعها "الكفر المخرج من الملة" مثل : الكفر بالله ، وتكذيب ما جاء به النبي ﷺ، وهناك كفر دون كفر، ومنه تسمية بعض المعاصي كفراً

---

(١) انظر ضوابط التكفير للقرني ونواقض الإيمان

(٢) وقد هدى الله تعالي أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فقرروا هذه المسألة بعلم وعدل، وتوسطوا بين أهل الغلو والإرجاء. فلأن كان من عيوب أهل البدع: تكفير بعضهم بعضاً، فإن من ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/٢٥١

"فَلا يَحِلُّ لَنا أَنْ يَحْمِلَنا بُغْضُ قَومٍ – وَإِنْ كُنَّا نُبْغِضُهُم فِي الله – عَلَى أَن لَا نَعْدِلَ عَلْيهِم فِيمَا هُوَ مِنْ حُقُوقِ العِبادْ، فَكَيْفَ فِي أُمُورِ الدِّيَانَاتْ".

رسالة حدوث العالم لابن تيمية ص ١٥٥

كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يكون مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان؛ فالواجب وضع النصوص في مواضعها وتفسيرها حسب المراد منها من العلماء العاملين الراسخين ، وان الغلط هنا إنما يحصل من جهة العمل وتفسير النصوص وعلى الناصح لنفسه أن يحس بخطورة الأمر ودقته وأن يقف عند حده ويكل العلم إلى عالمه (١) .

لا تكفير بمحتمل:

الأفعال المحتملة هي الأفعال التي ليست صريحة في دلالتها على الكفر، ودخول الاحتمال فيها يسقط الاستدلال بها على كفر صاحبها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن التكفير لا يكون بأمرٍ محتمل (٢) ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِن الْمُسْلِمِينَ وَإِن أَخْطَأَ وَغَلِطَ حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ، وَمَن ثَبَتَ إسْلَامُهُ بِيَقِينٍ لَمْ يَزُلْ ذَلِكَ عَنْهُ بِالشَّكِّ؛ بَل لَا يَزُولُ إلَّا بَعْدَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ (٣)

لا تكفير إلا بإجماع أو نص قاطع للنزاع

قال ابن عبد البر رحمه الله: " ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له أن كل من ثبت له عقد الإسلام بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنبا أو تأوّلَ تأويلا

(١) انظر كتاب الصلاة لابن القيم ، وضوابط التكفير لعبد اللطيف آل الشيخ

(٢) الصارم المسلول (٣/٩٦٣)

(٣) مجموع الفتاوى ١٢/٤٦٦

فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها"[١]؛ "فالواجب في النظر ألا يُكفَّر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة"[٢]

ويقول ابن حزم:" إن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع "[٣].

ويقول ابن الوزير: " إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه، وأن الدليل على الكفر لا يكون إلا سمعياً قطعياً، ولا نزاع في ذلك[٤] "

أي يكون "كفراً بواحاً" أي ظاهراً لا يحتمل تأويلاً؛ قال العثيمين: أي: أن نعلَمَ علمَ اليقين – مثل ما نرى الشمس – كفراً بواحاً، صريحاً ما فيه احتمال[٥].

وتنازعُ أهل العلم تأويلٌ يمنع التكفير؛ لأن للمكفر أن يأخذ قول العلماء الآخرين بما أن الخلاف واقع بين أهل السنة. فما تنازع العلماء في كونه كفراً فالاحتياط للدين التوقف

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٧/٢١ ط المغرب

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٧/٢٢

(٣) الفصل٣/١٣٨

(٤) العواصم والقواصم ٤/١٧٨ ، ١٧٩ باختصار .

(٥) من شريط سمعي: فتاوى الأكابر في نازلة الجزائر.

نقل الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله عن عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين أنه قال: وأيضاً فما تنازع العلماء في كونه كفراً فالاحتياط للدين التوقف وعدم الإقدام ما لم يكن في المسألة نص صريح عن المعصوم ﷺ. [١]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ - وقد نص على أن التكفير لا يكون في المتنازع فيه -: قوله ﷺ :" إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان "، أي واضح بين أي فيه برهان ؛ **قال العلماء : وهو المجمع عليه** [٢]

وقال حفظه الله تعالى: التكفير يكون بمجمع عليه التكفير ما يكون بالمسائل الخلافية، فإذا كان هناك مسألة اختلف فيها العلماء من المسائل.شخص يقول أن هذا الأمر مكفر والآخر يقول لا، ولا دليل واضح من الكتاب والسنة ينصر أحد القولين، فإذن المسألة صارت اجتهادية في الحكم على مسألة بالردة هذا لا تكفير فيها؛ لأن المسألة التكفير إخراج من الدين فلابد أن يكون بشيء واضح مجمع عليه متفق عليه، أما المسائل المختلف فيها فكما هو معلوم أنه لا تكفير على ذلك[٣]

---

(١) منهاج أهل الحق والاتباع ص٧٧ .

(٢) من مقطع صوتي بموقع " لا للإرهاب" بعنوان متى يجوز الخروج على الحاكم وقد تكلم فيه عن ضوابط الخروج ومتى يحرم ولو كفر الحاكم

(٣) شريط فتنة التكفير

وقال المستشار سالم البهنساوي: الردة التي تفسخ العقد **هي الردة التي أجمعت الأمة على أنها كفر بواح لنا فيه من الله برهان** أما الأمور التى هي محل خلاف فلا يجوز شرعا أن نحكم على غيرنا بموجب اعتقادنا[١]

قال د/ وليد بن راشد السعيدان : فإن هذا الخلاف شبهة يجعل العاقل يتورع عن تكفير أحدٍ بعينه فيه وذلك كمسألة كفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً فإن الخلاف قديم وهو قوي فالورع أنه إن ترجح لك القول بالتكفير أن تجعله كالحكم العام الذي لا يتوجه إلى الأفراد إلا بعد التأكد التام من انطباقه عليهم فإذا سئلت عن أحدٍ بعينه في ذلك فإني أنصحك أن تتجنب الحكم على عينه بالتكفير فإن المسألة خلافية ![٢] .

---

(١) كتابه الحكم وقضية تكفير المسلم ط دار الوفاء صـ٩٢

(٢) رسالته : قواعد الحكم على الآخرين

لا تكفير بالمآل[١]

والمقصود به أن يقول قولاً يؤديه سياقه إلى كفر، وهو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه، كحال بعض أهل البدع والمتأولين[٢].

يقول ابن رشد الحفيد : " ومعنى التكفير بالمآل: أنهم لا يصرحون بقول هو كفر، ولكن يصرحون بأقوال يلزم عنها الكفر وهم لا يعتقدون ذلك اللزوم "[٣]

وقال القاضي عياض عند ذكره للمعطلة: " فأما من أثبت الوصف، ونفى الصفة فقال: أقول: "عالم"، ولكن لا علم له، و"متكلم"، ولكن لا كلام له، وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة، فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله، ويسوقه إليه مذهبه كفّره؛ لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم، إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم، فكأنهم صرحوا - عنده - بما أدى إليه قولهم.

ومن لم ير أخذَهم بمآل قولهم، ولا ألزَمَهم موجبَ مذهبهم، لم ير إكفارهم؛ قال: لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا: لا نقول "ليس بعالم"، ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا، ونعتقد - نحن وأنتم - أنه كفر، بل نقول: إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصّلناه.

---

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية

(٢) انظر الشفا ٢/١٠٥٦

(٣) بداية المجتهد ٢/٤٩٢ .

فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل، وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك.

والصواب: ترك إكفارهم ، والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم، ووراثتهم، ومناكحتهم، ودياتهم، والصلاة عليهم، ولكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم"[(١)] ، " وأما من كفر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ؛ **لأنه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به**، وإن لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط، والتناقض ليس كفراً، بل قد أحسن إذ قد فر من الكفر... فصح أنه لا يكفر أحد إلا بنفس قوله، ونص معتقده" [(٢)]، كما ينفي الشاطبي الكفر بالمآل فيقول: " والذي كنا نسمعه من الشيوخ أن مذهب المحققين من أهل الأصول : " إن الكفر بالمآل ليس بكفر في الحال " ؛ كيف والكافر ينكر ذلك المآل أشد الإنكار، ويرمي مخالفه به" [(٣)]

---

(١) الشفا ٢/١٠٨٤ ـ ١٠٨٦

(٢) الفصل ٣/٢٩٤

(٣) الاعتصام ٢/١٩٧، حاشية الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص٣٦٩)

لازم مذهب ليس بمذهب[١]

ومما هو قريب من مسألة التكفير بالمآل ما يسمى بالتكفير بلازم القول[٢]

ومعنى اللازم: ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، وقد يكون هذا اللازم بيناً، وهو الذي يكفي تصوره مع تصور ملزومه في جزم العقل باللزوم بينهما، وقد يكون غير بين، وهو الذي يفتقر جزم الذهن باللزوم بينهما إلى وسط[٣].

والتكفير بلازم القول مطلقاً قـد أورث في الأمة تفرقاً واختلافاً؛ قال الإمام الذهبي: " لا ريب أن بعض علماء النظر بالغوا في النفي، والرد والتحريف والتنزيه بزعمهم حتى وقعوا في بدعة نعت الباري بنعوت المعدوم.

كما أن جماعة من علماء الأثر، بالغوا في الإثبات ، وقبول الضعيف والمنكر ولهجوا بالسنة والاتباع؛ **فحصل الشغب ووقعت البغضاء، وبدّع هذا هذا، وكفّر هذا هذا ونعوذ بالله من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفّر مسلماً موحداً بلازم قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب**[٤]"

---

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية

(٢) أطلق ابن الوزير في العواصم ٤/٣٦٧ على مسألة التكفير بالمآل: التكفير بالإلزام.

(٣) انظر التعريفات للجرجاني ص ١٩٠

(٤) الرد الوافر لابن ناصر الدين ص ٢٠ . ط المكتب الإسلامي، بتصرف.

وحسّن الظن بالإمام الذهبي فهو كباقي أئمة السلف فى مسألة الصفات وله فيها كتب عظيمة منها :كتاب العرش ، والأربعين في صفات رب العالمين، والعلو للعلى العظيم.

وسئل ابن تيمية: هل لازم المذهب مذهب أم لا؟

فقال: " الصواب أن لازم مذهب الإنسان ليس بمذهب إذا لم يلتزمه، فإنه إذا كان قد أنكره ونفاه، كانت إضافته إليه كذباً عليه، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال. **ولو كان لازم المذهب مذهباً للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة، فإن لازم هذا القول يقتضي أن لا يكون شيء من أسمائه وصفاته حقيقة** "[١]

وقال:" لازم قول الإنسان نوعان:

أحدهما: " لازم قوله الحق، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه، فإن لازم الحق حق، ويجوز أن يضاف إليه إذا علم من حاله أنه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره، وكثير مما يضيفه الناس إلى مذهب الأئمة من هذا الباب.

والثاني: لازم قوله الذي ليس بحق، فهذا لا يجب التزامه، إذ أكثر ما فيه أنه قد تناقض، وقد بينت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين، ثم إن عرف من حاله أنه يلتزمه بعد ظهوره له، فقد يضاف إليه، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول، لو ظهر له فساده لم يلتزمه، لكونه قد قال ما يلزمه، وهو لم يشعر بفساد ذلك القول ولا يلزمه.

وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب – هل هو مذهب أو ليس

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١٧/٢٠ .

بمذهب -، هو **أجود من إطلاق أحدهما**، فما كان من اللوازم يرضاه القائل بعد وضوحه له فهو قوله، وما لا يرضاه فليس قوله.[١]

فكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تفصيل طيب في هذه المسألة[٢]

وقال الشاطبي: والذي كان يقول به شيوخنا البجائيون والمغربيون ويرون أنه رأي المحققين أيضاً أن لازم المذهب ليس بمذهب، فلذلك إذا قرر عليه، أنكره غاية الإنكار [٣]

وأورد السخاوي مقالة شيخه ابن حجر: **والذي يظهر أن الذي يحكم عليه بالكفر من كان الكفر صريح قوله، وكذا من كان لازم قوله وعرض عليه فالتزمه.. أما من لم يلتزمه وناضل عنه فإنه لا يكون كافراً ولو كان اللازم كفراً[٤]**

ويقول السعدي رحمه الله: والتحقيق الذي يدل عليه الدليل أن لازم المذهب الذي لم يصرح به صاحبه ولم يشر إليه، ولم يلتزمه ليس مذهبا، لأن القائل غير معصوم، وعلم المخلوق ــ مهما بلغ ــ فإنه قاصر، فبأي برهان نلزم القائل بما لم

---

(١) القواعد النورانية ص ١٢٨،١٢٩، وانظر الفتاوى ٣٠٦/٥، ٤٧٧، ٢١٧/٢٠-٢١٩ وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى ٣٩٤/٢، ٣٩٥ .

(٢) انظر "نواقض الإيمان القولية والعملية": ٨٤، بتصرف يسير

(٣) الاعتصام ٥٤٩/٢

(٤) فتح المغيث ٣٣٤/١، وانظر العلم الشامخ للمقبلي ص ٤١٢

يلتزمه، ونقوله ما لم يقله؟، ولكننا نستدل بفساد اللازم على فساد الملزوم، فإن لوازم الأقوال من جملة الأدلة على صحتها وضعفها وعلى فسادها، فإن الحق لازمه حق، والباطل يكون له لوازم تناسبه فيستدل بفساد اللازم - خصوصاً اللازم الذي يعترف القائل بفساده - على فساد الملزوم[(١)].

والخلاصة أن : **لازم أقوال المذاهب والعلماء: له ثلاث حالات:**

الحالة الأولى: أن يذكر اللازم للقائل، ويلتزم به فهو يعد قولاً له.

الحالة الثانية: أن يذكر له اللازم، ويمنع التلازم بينه وبين قوله، فهذا ليس قولاً له، بل إن إضافته إليه كذب عليه.

الحالة الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتاً عنه؛ فلا يذكر بالتزام، ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله[(٢)] وبهذا يعلم أنه لا يصح التكفير بلازم المذهب بإطلاق، خاصة إذا كان من تلبس به ينفي ذلك اللازم وينكره، أو كان يجهله، أو يغفل عنه، والله أعلم[(٣)].

---

(١) توضيح الكافية الشافية: ١١٣.

(٢) انظر القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لابن عثيمين ص ١٥.

(٣) ذكر المقبلي حكايات لبعضهم، تضمنت التكفير بإلزامات متكلفة، فذكر أن بعض الناس منع أحد هؤلاء المتفقهة نعله، فقل ذاك الفقيه: كفرت ؛ لأنك هونت العلماء، وهو تهوين للشريعة، ثم للرسول، ثم المرسل .

التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين[(١)]

التكفير المطلق هو: الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الاعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه وعلى الفاعلين على سبيل الإطلاق بدون تحديد أحد بعينه.

وتكفير المعين هو: الحكم على شخص بعينه بالكفر لاقترافه ما يناقض الإسلام بعد مراعاة ضوابط التكفير من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع[(٢)].

وأهل السنة يفرقون بين تكفير المطلق وتكفير المعين، ففي الأول يُطلَق القول بتكفير صاحبه فيقال من قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر، ولكن الشخص المعين الذي قاله أو فعله، لا يُحكم بكفره إطلاقاً حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

وقد استدل العلماء على هذا الشرط بأدلة منها:-

وفعل بعضهم شيئاً من منكرات الدولة، فقال المظلوم: هذا ظلم وحاشا السلطان من الأمر والرضى به!

فقال: أنا خادم الدولة المنتمية إلى السلطان، فقد نسبت الظلم إلى السلطان، فهونت ما عظمت الشريعة من أمر السلطان فكفرت، فأخذوه وجاءوا به إلى القاضي، وحكم عليه بالردة، ثم جدد إسلامه وفعل ما يترتب على ذلك !!. انظر: العلم الشامخ ص ٤١٣

(١) انظر نواقض الإيمان القولية والعملية ، ونواقض الإيمان الإعتقادية ، وضوابط التكفير للقرني ، ودرء الفتنة عن أهل السنة، وغيرها

(٢) انظر مسألة التكفير عند ابن تيمية ١/١٩٣ رسالة دكتوراة

قوله ﷻ: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء:١٥]

قوله ﷻ: ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ [تبارك: ٨ ، ٩] مفهوم الآية أن من لم يأته نذير لم يدخل النار.

قوله ﷻ: ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ [الأنعام:١٣١] "فعلم أنه لا يعذب من كان غافلاً ما لم يأته نذير، ودل أيضاً على أن ذلك ظلم تنزه ﷻ عنه"(١)

بوب البخاري في صحيحه: "باب قتل الخوارج والملحدين **بعد إقامة الحجة عليهم**" واستدل بقوله ﷻ: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ [التوبة:١١٥].

قال ابن كثير: "يقول ﷻ مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل إنه لا يضل قوماً إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم، حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة".(٢)

فالأدلة قد دلت على التفريق بين الفعل والفاعل ، ومن ذلك - أيضاً - كما في الحديث الذي اتفق صاحبا الصحيح على إخراجه عن أنس في الرجل الذي خرج في الفلاة بناقته وعليها طعامه وشرابه ، وفي آخره قال من شدة الفرح : " اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح " فهنا قول وقائل ، فالقول في

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٢١٥

(٢) تفسير القرآن العظيم٢/٣٩٥

حد ذاته كفر ولا شك إذ فيه تربيب العبد وتعبيد الرب ولكن هل لزم من الوقوع فيه كفر قائله؟ الجواب بالطبع لا ؛ وذلك لوجود مانع وهو عدم القصد أي الخطأ بسبب شدة الفرح التي غطت على عقله **فدل ذلك على أنه ليس كل من قال الكفر أو فعله كفر مباشرة بل لابد من توفر الشروط وانتفاء الموانع والله أعلم.** [١]

قال ابن حزم: " وكل ما قلنا فيه إنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة عليه، فهو ـ ما لم تقم عليه الحجة ـ معذور مأجور وإن كان مخطئاً[٢]، وصفة قيام الحجة عليه هو أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها"[٣]

قال ابن القيم :" وأما كفر الجهل ـ مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها ـ فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل "[٤]

يقول ابن تيمية: " وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين ـ وإن أخطأ وغلط ـ حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة[٥] .

---

(١) رسالة قواعد الحكم على الآخرين، وساق أدلة أخرى.

(٢) وكونه مأجوراً ليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل؛ فانظره في مجموع الفتاوى٢٠/ ٣١

(٣) الإحكام١/٧١

(٤) طريق الهجرتين٦١١

(٥) مجموع الفتاوى ١٢/٤٦٦

ثم يقول: " إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة الذين أطلقوا هذه العمومات، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعين[(١)].

وقال ابن تيمية: "الأقوال التي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ، فإن الله يغفر له خطاياه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية، أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ، وجماهير أئمة الإسلام[(٢)]

إلى أن قال: " كان الإمام أحمد رحمه الله يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينه... لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط... ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية، ويدعون الناس إلى ذلك ويعاقبونهم، ويكفرون من لم

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/٤٨٧، ٤٨٨

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/٣٢٦، المسائل الماردينية (ص١٥٨)

يجبهم، ومع هذا فالإمام أحمد ترحم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول ﷺ، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال لهم ذلك(١)..

ولقد طبق ابن تيمية هذا المسلك، فكان يقول: " ولهذا **كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله ﷻ فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال**(٢).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، **ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها**(٣).

وقال د/ بكر أبو زيد في درء الفتنة: **يتعين التفريق بين التكفير المطلق** وهو: التكفير على وجه العموم في حق من ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام، **وبين تكفير المعين**، فإن الاعتقاد، أو القول، أو الفعل، أو الشك، أو الترك، إذا

---

(١) ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢٦/٢٣

(٣) الدرر السنية ٢٤٤/٨ .

كان كفرا فإنه يطلق القول بتكفير من فعل ذلك الفعل ، أو قال تلك المقالة وهكذا ... دون تحديد معين به .

أما المعين إذا قال هذه المقالة، أو فعل هذا الفعل الذي يكون كفرا، فينظر قبل الحكم بكفره ، بتوفر الشروط، وانتفاء الموانع في حقه ، فإذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع ، حكم بكفره وردته فيستتاب فإن تاب وإلا قتل شرعاً .

وبهذا يتضح لنا التكفير العام المطلق يجب القول بعمومه وإطلاقه، وأما الحكم على المعين بأنه كافر، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه، وانتفاء موانعه، فالكفر من الوعيد الذي نطلق القول به، ولكن لا نحكم للمعين بدخوله في ذلك المطلق حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له[(١)] .

ويقول ابن تيمية: " إن كثيراً من الفقهاء يظن أن من قيل هو كافر، فإنه يجب أن تجرى عليه أحكام المرتد ردةً ظاهرة، فلا يرث ولا يورث، ولا يناكح... وليس الأمر كذلك، فإنه قد ثبت أن الناس كانوا ثلاث أصناف : مؤمن، وكافر مظهر للكفر، ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر

وكان في المنافقين من يعلمه الناس بعلامات ودلالات، بل من لا يشكون في نفاقه، ومن نزل القرآن ببيان نفاقه – كابن أبيّ وأمثاله – ومع هذا فلما مات

---

(١) وانظر للمزيد: مجموع الفتاوى ٣/٣٥٤، ١٢/٤٩٨، ٢٨/٥٠٠، ٥٠١، ٣٥/١٦٥

هؤلاء ورثهم ورثتهم المسلمون، وكان إذا مات له ميت، آتوهم ميراثه، وكانت تعصم دماءهم، حتى تقوم السنة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته[١].

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عن أهل السنة أنهم: لا يحكمون على مسلم بالكفر إلا إذ ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام **المتفق عليها** والمعروفة عند العلماء ، ولابد أن تتوفر شروط للحكم بالردة أو الكفر على مَنْ ظاهره الإسلام[٢]

فإن قلت : فما هي هذه الشروط التي لابد من توفرها والموانع التي لابد من انتفائها للحكم على المعين بمقتضى فعله ؟ فأقول : هي كما يلي :

الأول : العقل وضده الجنون ، فالعقل شرط والجنون مانع ، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك وبه جنون فلا يحكم عليه بمقتضاه ، والأدلة على اشتراط العقل معروفة .

والثاني : البلوغ وضده الصغر ، فالبلوغ شرط والصغر مانع ، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك وهو غير بالغ فلا يحكم عليه بمقتضاه .

الثالث : العلم وضده الجهل ، فالعلم شرط والجهل مانع، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك جاهلاً الحكم ومثله يجهل فلا يحكم عليه بمقتضاه .

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/٦١٧

(٢) التكفير وضوابطه / جريدة الجزيره اليوم، بتاريخ: الخميس ١ محرم ١٤٢٦ هـ

الرابع : الاختيار وضده الإكراه، فالاختيار شرط والإكراه مانع، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك وهو مكره فلا يحكم عليه بمقتضاه .

الخامس : عدم التأويل وضده وجود التأويل، وبناءً عليه فمن فعل شيئاً من ذلك متأولاً تأويلاً سائغاً فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه .

السادس : القصد وضده عدم القصد ، وبناءً عليه فمن قال أو فعل شيئاً من ذلك غير قاصدٍ له فإنه لا شيء عليه ، ويدخل في ذلك الغفلة والنسيان وكلام المبرسم والنائم والمغمى عليه وهي التي يسميها الأصوليون عوارض الأهلية ، أي الأشياء التي تعترض للإنسان فترفع أهليته للمطالبة بالحكم أو انطباق أثره عليه ويدخل في ذلك أيضاً ما إذا كان العقل مغطى بسكرٍ أو غضبٍ أو شدة فرح أو خوف ونحو ذلك ، والله يتولانا وإياك[١]

وتلك الشروط والضوابط في التكفير هي هي في التبديع والتفسيق، فإخراج الناس من السنة شديدٌ[٢]

---

(١) قواعد الحكم على الآخرين وتفصيل هذه الأمور أمرها يطول، ولعلي أفرد ذلك فيما بعد بمصنف مفرد إن شاء الله تعالى

(٢) انظر السنة للخلال (٢/ ٣٧٣) ٥١٣ ، الجامع لعلوم الإمام أحمد – العقيدة (٤/ ٣٢٠)، حكم التبديع في مسائل الاجتهاد، د/ محمد حسين الجيزاني ص٥٠- ٥٦ ، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ، د/ إبراهيم الرحيلي ، ط مكتبة العلوم والحكم، ١/ ٢٣٣

"فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له، وقد بسطت هذه القاعدة في قاعدة التكفير [(١)]"

و"الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروط بثبوت شروط وانتفاء موانع، فلا يلحق التائب من الذنب باتفاق المسلمين، ولا يلحق من له حسنات تمحو سيئاته، ولا يلحق المشفوع له، والمغفور له [(٢)]"

فاحفظ هذه القاعدة : "التبديع كالتكفير، له ضوابطه وأسبابه[(٣)]"

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٠، ٥٠١)، وانظر (١٠/ ٣٣٢ و٣٧٢)، (٤/ ٤٨٤)، حاشية الروض المربع لابن قاسم (٧/ ٤٠٣) موقف أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء ، د/ إبراهيم الرحيلي ، ط مكتبة العلوم والحكم ١/ ٢٣٢-٢٣٥

"وهذا رد على الذين يسبون ويغتابون بعض الدعاة والمشايخ بزعم مُخالفتهم لبعض نصوص الشريعة؛ وذلك أنه من المقرر أنه لا يجوز غيبة أحد على وجه الإطلاق إلا إذا كان فاسقًا، فكيف إذا زادوا على ذلك ووصفوهم بأنهم ضلال ومبتدعة؟، فما يفعله هؤلاء مُخالف لمنهج السلف الصالح الذي قرره الشيخ رحمه الله" تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٧٨٣)

(٢) أحكام عصاة المؤمنين من كلام شيخ الإسلام(ص٣٩)،وانظر منهاج السنة ٤/٣٤٦

(٣) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص١٤٣) للشيخ عبد العزيز بن فيصل الراجحي، تقديم العلامة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض، العقد المنضد الجديد في الإجابة على مسائل في الفقه والمناهج والتوحيد ٢/ ٩٣، ٩٥

أكرر : "**التكفير والتبديع** - كما تقدم - **له ضوابطه الشرعية، ولا يكون بالعواطف أو الأهواء**(١)"

فـ"كَلَامُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ - مَعَ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ - بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ ، لَا بِالظَّنِّ، وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ(٢)"

قال الإمام أحمد: **كل رجل ثبتت عدالته ، لم يقبل فيه تجريح أحد ، حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه** (٣).

وسئل الشيخ مقبل الوادعي: متى نحكم على الشخص أنه ضال ومبتدع وهل يلزم إقامة الحجة عليه ؟

فأجاب : إذا لم تقم الحجة عليه فيحكم على العمل بأنه ضلال وبدعة ، وإذا أقمت الحجة عليه لا بأس أن تحكم عليه بأنه ضال ومبتدع (٤).

وقد بسط شيخ الإسلام القولَ في قضية الحكم على المبتدع ، وبين أنه لابد من إقامة الحجة عليه، وإزالة الشبهة عنه (١).

---

(١) قمع الدجاجلة (ص١٤٥) وانظر إنصاف أهل السنة لإبراهيم بن عبد الله الأزرق ص ٣٠

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ١٠٧)

(٣) تهذيب التهذيب ٧/٢٧٣.

(٤) شريط : (الأجوبة الحضرمية على مسائل دعوية)

قال الإمام البخاري رحمه الله : " ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم ، نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي ، وكلام الشعبي في عكرمة ، وفي من كان قبلهم ، وتناول بعضهم في العرض والنفس ، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة " (٢)

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : " لو كان كل من ادُّعِيَ عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادُّعِي به ، وسقطت عدالته ، وبطلت شهادته بذلك ، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه " (٢)

وقال ابن عبد البر رحمه الله :" وَالصَّحِيحُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ مَنَ صَحَّتْ عَدَالَتُهُ وَثَبَتَتْ فِي الْعِلْمِ إِمَامَتُهُ وَبَانَتْ ثِقَتُهُ وَبِالْعِلْمِ عِنَايَتُهُ لَمْ يُلْتَفَتْ فِيهِ إِلَى قَوْلِ أَحَدٍ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ فِي جَرْحَتِهِ بِبَيِّنَةٍ عَادِلَةٍ يَصِحُّ بِهَا جَرْحَتُهُ عَلَى طَرِيقِ الشَّهَادَاتِ وَالْعَمَلِ فِيهَا مِنَ الْمُشَاهَدَةِ وَالْمُعَايَنَةِ لِذَلِكَ بِمَا يُوجِبُ تَصْدِيقَهُ فِيمَا قَالَهُ لِبَرَاءَتِهِ مِنَ الْغِلِّ

---

(١) البدعة، ضوابطها وأثرها السيء في الأمة، د/ علي الفقيهي، ط دار الإيمان ص ٢١، حكم التبديع في مسائل الاجتهاد ص ٥٥-٥٧، موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ، د/ إبراهيم الرحيلي ، ط مكتبة العلوم والحكم، ١/٦٤ - ٧٢ و ١٢٦

(٢) انظر السير (٧ / ٤٠) ، تهذيب التهذيب (٩/٣٧)

(٢) هدي الساري (ص : ٤٢٨)

وَالْحَسَدِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْمُنَافَسَةِ وَسَلَامَتِهِ مِنْ ذَلَكَ كُلِّهِ، فَذَلَكَ كُلُّهُ يُوجِبُ قَبُولَ قَوْلِهِ مِنْ جِهَةِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَثْبُتُ إِمَامَتُهُ وَلَا عُرِفَتْ عَدَالَتُهُ وَلَا صَحَّتْ لِعَدَمِ الْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ رِوَايَتُهُ، فَإِنَّهُ يُنْظَرُ فِيهِ إِلَى مَا اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَيْهِ وَيُجْتَهَدُ فِي قَبُولِ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يُؤَدِّي النَّظَرُ إِلَيْهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ فِيمَنِ اتَّخَذَهُ جُمْهُورٌ مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِمَامًا فِي الدِّينِ قَوْلُ أَحَدٍ مِنَ الطَّاعِنِينَ: إِنَّ السَّلَفَ ﭫ قَدْ سَبَقَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ كَلَامٌ كَثِيرٌ، مِنْهُ فِي حَالِ الْغَضَبِ وَمِنْهُ مَا حَمَلَ عَلَيْهِ الْحَسَدُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، وَأَبُو حَازِمٍ، وَمِنْهُ عَلَى جِهَةِ التَّأْوِيلِ مِمَّا لَا يَلْزَمُ الْمَقُولُ فِيهِ مَا قَالَهُ الْقَائِلُ فِيهِ، وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالسَّيْفِ تَأْوِيلًا وَاجْتِهَادًا لَا يَلْزَمُ تَقْلِيدُهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ دُونَ بُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ تُوجِبُهُ، وَنَحْنُ نُورِدُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ قَوْلِ الْأَئِمَّةِ الْجِلَّةِ الثِّقَاتِ السَّادَّةِ، بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ مِمَّا لَا يَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ فِيهِمْ إِلَيْهِ وَلَا يُعْرَجُ عَلَيْهِ "[١]، "فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْبَلَ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ الثِّقَاتِ الْأَئِمَّةِ الْأَثْبَاتِ بَعْضِهِمْ فِي بَعضٍ فَلْيَقْبَلْ قَوْلَ مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا وَخَسِرَ خُسْرَانًا، وَكَذَلِكَ إِنْ قَبِلَ فِي سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَوْلَ عِكْرِمَةَ، وَفِي الشَّعْبِيِّ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ مَكَّةَ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ وَأَهْلِ الشَّامِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَفِي مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَسَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَاهُ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٩٣)

فِي هَذَا الْبَابِ مَا ذَكَرْنَا عَنْ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ وَلَنْ يَفْعَلَ إِنْ هَدَاهُ اللهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ فَلْيَقِفْ عِنْدَ مَا شَرَطْنَا فِي أَنْ لَا يَقْبَلَ فِيمَنْ صَحَّتْ عَدَالَتُهُ وَعَلِمْتَ بِالْعِلْمِ عِنَايَتَهُ، وَسَلِمَ مِنَ الْكَبَائِرِ وَلَزِمَ الْمُرُوءَةَ وَالتَّصَاوُنَ وَكَانَ خَيْرُهُ غَالِبًا وَشَرُّهُ أَقَلَّ عَمَلِهِ فَهَذَا لَا يُقْبَلُ فِيهِ قَوْلُ قَائِلٍ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَصِحُّ غَيْرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ"[(١)]

قال ابْنَ دَقِيقِ العِيد[(٢)]: "أَعْرَاضُ الْمُسْلِمين حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّار؛ وَقَفَ عَلَى شَفِيرِهَا طَائِفَتَانِ مِنَ النَّاس: الْمُحَدِّثُونَ، وَالحُكَّام".

فيا من لست منهم انج بنفسك !

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَمْرو ابْنُ الصَّلاَح[(٣)]: "إِنَّ عَلَى الآخِذِ فِي ذَلِكَ [الجَرْحِ وَالتَّعْدِيل] أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعالَى - وَيَتَثَبَّتَ، وَيَتَوَقَّى التَّسَاهُلَ؛ كَيْلاَ يَجْرَحَ سَلِيماً، وَيَسِمَ بَرِيًّا بِسِمَةِ سُوءٍ يَبْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرَ عَارُهَا".

قال شَيخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ: "أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعةِ يَتَّبِعُونَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ فَيَتَّبِعُونَ الحَقَّ، وَيَرْحَمُونَ الخَلْقَ[(٤)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله(٢/ ١١١٧) وانظر كلام ابن حزم في مجموع رسائله ج١ ط أولاد الشيخ

(٢) الاقتراح (٣٤)

(٣) معرفة عُلُوم الحدِيث (ص٣٥٠)

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٢٧٩)

قال الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد : "أما وقوع الزلة والفلتة فلا يعد مرتكبها مفارقا ؛ **فافهم**"[١].

وقال شَيخِ الإِسْلاَمِ [٢]: "سَبَبُ الْفَرْقِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ - مَعَ وُجُودِ الِاخْتِلَافِ فِي قَوْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا : -

أَنَّ الْعَالِمَ قَدْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ حُسْنِ الْقَصْدِ وَالِاجْتِهَادِ ، وَهُوَ مَأْمُورٌ فِي الظَّاهِرِ بِاعْتِقَادِ مَا قَامَ عِنْدَهُ دَلِيلُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُطَابِقًا ؛ لَكِنَّ اعْتِقَادًا لَيْسَ بِيَقِينِيٍّ ؛ كَمَا يُؤْمَرُ الْحَاكِمُ بِتَصْدِيقِ الشَّاهِدَيْنِ ذوي الْعَدْلِ ، وَإِنْ كَانَا فِي الْبَاطِنِ قَدْ أَخْطَآ أَوْ كَذَبَا ، وَكَمَا يُؤْمَرُ الْمُفْتِي بِتَصْدِيقِ الْمُخْبِرِ الْعَدْلِ الضَّابِطِ ، أَوْ بِاتباع الظَّاهِرِ ، فَيَعْتَقِدُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الِاعْتِقَادُ مُطَابِقًا .

فَالِاعْتِقَادُ الْمَطْلُوبُ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ مِمَّا يُؤْمَرُ بِهِ الْعِبَادُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مَأْمُورِينَ فِي الْبَاطِنِ بِاعْتِقَادٍ غَيْرِ مُطَابِقٍ قَطُّ .

فَإِذَا اعْتَقَدَ الْعَالِمُ اعْتِقَادَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ فِي قَضِيَّةٍ أَوْ قَضِيَّتَيْنِ **مَعَ قَصْدِهِ لِلْحَقِّ وَاتباعِهِ لِمَا أُمِرَ بِاتباعِهِ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ : عُذِّرَ بِمَا لَمْ يَعْلَمْهُ** وَهُوَ الْخَطَأُ الْمَرْفُوعُ عَنَّا

بِخِلَافِ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ وَيَجْزِمُونَ بِمَا يَقُولُونَهُ بِالظَّنِّ وَالْهَوَى جَزْمًا لَا يَقْبَلُ النَّقِيضَ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ

---

(١)حكم الانتماء ص ٩٩

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/ ٤٣)

بِجَزْمِهِ ، فَيَعْتَقِدُونَ مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِاعْتِقَادِهِ لَا بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا، وَيَقْصِدُونَ مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِقَصْدِهِ ، **وَيَجْتَهِدُونَ اجْتِهَادًا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ** ؛ فَلَمْ يَصْدُرْ عَنْهُمْ مِنْ الِاجْتِهَادِ وَالْقَصْدِ مَا يَقْتَضِي مَغْفِرَةَ مَا لَمْ يَعْلَمُوهُ ، فَكَانُوا ظَالِمِينَ ـ شَبِيهًا بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ـ، أَوْ جَاهِلِينَ ـ شَبِيهًا بِالضَّالِّينَ ـ .

فَالْمُجْتَهِدُ الِاجْتِهَادَ الْعِلْمِيَّ الْمَحْضَ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ سِوَى الْحَقِّ ، وَقَدْ سَلَكَ طَرِيقَهُ .

وَأَمَّا مُتَّبِعُ الْهَوَى الْمَحْضِ : فَهُوَ مَنْ يَعْلَمُ الْحَقَّ وَيُعَانِدُ عَنْهُ .

وَثَمَّ قِسْمٌ آخَرُ - وَهُوَ غَالِبُ النَّاسِ - وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ لَهُ هَوًى فِيهِ شُبْهَةٌ فَتَجْتَمِعُ الشَّهْوَةُ وَالشُّبْهَةُ ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : "إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ[١]" . فَالْمُجْتَهِدُ الْمَحْضُ مَغْفُورٌ لَهُ وَمَأْجُورٌ .

وَصَاحِبُ الْهَوَى الْمَحْضِ مُسْتَوْجِبٌ لِلْعَذَابِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٩٩) ولبيهقي في الزهد الكبير (ص٣٤٦) ٩٥٤ والقضاعي في مسند الشهاب عن عمران بن حصين ٢/ ١٥٢ (١٠٨٠) وأبو عبد الرحمن السُّلمي في "الأربعون في التصوف" (٦)

وهو حديث ضعيف، وفي مجموع الفتاوى (٢٩/ ٤٤): "جاء في حديث مرسل"، فذكره وجعله ابن كثير من قولِ بَعْضِ السَّلَفِ ، البداية والنهاية (٢/ ٢٠٤ ت التركي) وسيأتي شاهده !

وَأَمَّا الْمُجْتَهِدُ الاِجْتِهَادَ الْمُرَكَّبَ مِنْ شُبْهَةٍ وَهَوًى : فَهُوَ مُسِيءٌ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى دَرَجَاتٍ حَسَبَ مَا يَغْلِبُ وَبِحَسَبِ الْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ .

وَأَكْثَرُ الْمُتَأَخِّرِينَ – مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى فِقْهٍ أَوْ تصَوُّفٍ – مُبْتَلُونَ بِذَلِكَ.

وَهَذَا الْقَوْلُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أُصُولُ مَالِكٍ وَأُصُولُ أَحْمَد وَبَعْضُ أُصُولِ غَيْرِهِمَا : هُوَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ . وَعَلَيْهِ يَدُلُّ غَالِبُ مُعَامَلَاتِ السَّلَفِ" .

وقال: "وَلاَ رَيْبَ أَنَّ مَنِ اجْتَهَدَ فِي طَلَبِ الحَقِّ وَالدِّينِ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَخْطأَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ: فَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ خَطَأَهُ، تَحْقِيقاً لِلدُّعَاءِ الَّذِي اسْتَجَابَهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ وَلِلمُؤْمِنِينَ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿رَبَّنا لاَ تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطأْنَا﴾

وَمَنِ اتَّبَعَ ظَنَّهُ وَهَواهُ، فَأَخَذَ يُشَنِّعُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ خطَأ ظَنَّهُ صَواباً بَعْدَ اجْتِهَادِهِ، [وَهُوَ] مِنَ البِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لِلسُّنَّة: فَإِنَّهُ يَلْزَمُهُ نَظِيرُ ذَلِكَ –أَوْ أَعْظَمُ أَوْ أَصْغَرُ– فِيمَن يُعَظِّمُهُ هُوَ مِنْ أَصْحَابِه!

فَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْمُتأَخِّرين؛ لِكَثْرَةِ الاشْتِباهِ، وَالاضْطِراب، وَبُعْدِ النَّاسِ عَنْ نُورِ النُّبُوَّةِ وَشَمْسِ الرِّسالَةِ الَّذِي بِهِ يَحْصُلُ الهُدَى وَالصَّوَاب، وَيَزُولُ بِهِ عَنِ القُلُوبِ الشَّكُّ وَالارْتِيَاب[1]" .

والحديث الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية يشهد له ما رواه ابن بشران [1]

عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده عبد الله

---

(١) دَرْءِ التَّعَارُض (٢/١٠٢-١٠٣)

(١) رواه ابن بشران في أماليه (١/٣٣٢-٣٣٣ رقم ٧٧٥) وأبو عبدالله بن عبد الواحد بن محمد الدقاق في مجلس إملاء في رؤية الله تبارك وتعالى ٧٧٥ والخطيب في الفقيه والمتفقه ٧٤١ والطبراني (١٠/٢١١) ١٠٣٥٧ وابن عبد البر في جامعه وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة - باب مختصر من معاني العلماء. وذكره الحكيم (١/٨٦)

قال الهيثمي (٧/٢٦٠) : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير بن معروف وثقه أحمد وغيره وفيه ضعف.

قلت: وهو حسن الحديث.

وقال ابن شاهين: وهذا حديث حسن الإسناد ، غريب اللفظ من ألفاظ رسول الله ﷺ.

وقال الألباني في تخريجه لكتاب "الإيمان" لابن أبي شيبة ص(٤٥): أخرجه الطبراني في "الكبير" عن ابن مسعود مرفوعًا، وهُوَ حَسَنٌ.

وقال في الصحيحة(٢/٧٣٥) حسن في الشواهد والمتابعات.

وقال في الصحيحة (٤/٣٠٧): صححه الحاكم ورده الذهبي كما بينته في الروض النضير (٦٥١) لكن له طريق أخرى يتقوى بها خرجتها هناك.

قلت: ومن هذا الطريق الذي صححه الحاكم رواه الطيالسي في مسنده (ص٥٠) ٣٧٨ = (منحة المعبود ١/٢٣) والطبراني في الكبير (١٠/٢٧٢) والأوسط (٤/ ٣٧٦) والحاكم (٢/٤٨٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦٨-٦٩) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٧٧) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٥٤) من طريق عقيل الجعدي عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود.

وهو في العلل لابن أبي حاتم (٢/١٦٢) والمطالب العالية رقم٢٨٨٠و٣٠٢٢

وفيه عقيل الجعدي قال البخاري: منكر الحديث (التاريخ الكبير٧/٥٣) .

وفي الجرح والتعديل٦/٢١٩ : هو منكر الحديث ذاهب ويشبه أن يكون أعرابياً.

ومع ذلك فهو في ثقات للعجلي (٢ /١٤٣) ١٢٦٩ وقال: ثقة .

بن مسعود ، قال : قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم : "يا ابن مسعود" ، قلت : لبيك يا رسول الله (ثلاثا -طب)،

قال : "هل تدري ما أوثق عرى[1] الإيمان ؟ (طب: هل تدرون أي عرى الإيمان أوثق ؟)" . قلت : الله ورسوله أعلم

قال : "الولاية في الله [2]، والحب في الله ، والبغض في الله

ثم قال : "يا ابن مسعود" ثلاث مرات ، كل ذلك أقول : لبيك يا رسول الله

قال : "هل تدري أي المؤمنين أفضل (بر: تدري أي الناس أفضل)؟" قلت : الله ورسوله أعلم

قال : "إذا ما هم عرفوا الدين[1] أحسنهم عملاً (طب: إذا عرفوا دينهم أحسنهم عملاً)(بر: إن أفضل الناس أفضلهم عملا إذا فقهوا في دينهم)[2]" ،

وانظر الضعفاء للعقيلي٣/ ٤٠٨، والكامل لابن عدي ٥/ ٣٨٢٣ وبه ضعّف الهيثمي الحديث(١/٩٤) ولما صححه الحاكم تعقبه الذهبي بعقيل.

وله طريق ثالث في تاريخ جرجان (ص٢٨١) ٤٧٩ من طريق هشام بن عمار حدثنا أبو الصلت شهاب بن خراش حدثنا بكر بن خنيس عن سالم النصيبي عن عواد بن نافع قاضي جرجان عن ابن مسعود بنحوه مختصرا.

ومن هذا الطريق ذكره ابن عساكر كما في في مختصر تاريخ دمشق (٥ /٤٩) مطولاً.

(١) العروة : ما يُستمسك به ويُعتصم من الدين

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. الفرقان ص ٥٣

ثم قال : يا ابن مسعود ثلاث مرات ، كل ذلك أقول : لبيك يا رسول الله

قال : هل تدري أي المؤمنين أعلم (بر: أتدري أي الناس أعلم)؟ قلت : الله ورسوله أعلم

قال : (بر: أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس) إذا اختلفوا ، – وشبك رسول الله ﷺ أصابعه – ، أبصرهم بالحق[٣] وإن كان في علمه[٤] (طب خطف شا: عمله) تقصير (بر: وإن كان مقصراً في العمل)، وإن كان يزحف على استه[٥] زحفاً[٦]...

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمَشْقِيِّ : "وَالكَلاَمُ فِي الرِّجَالِ وَنَقْدِهِم يَسْتَدْعِي أُمُوراً – فِي تَعْدِيلِهِم وَرَدِّهِمْ –؛ مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ عَارِفاً بِمَراتِبِ الرِّجَالِ وَأَحْوَالِـهِم فِي الانْحِرَافِ وَالاعْتِدَال، وَمَرَاتِبِهِم مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَال،

(١) في الأصل (الذين) بالزاي المعجمة!!

(٢) وإلا فقد روي عن علي ﷺ قال: "نادى العلم العمل فإن أجابه وإلا ارتحل"

(٣) قال الخطيب معلقاً: فقد نص رسول الله ﷺ على أن الحق يصيبه بالعلم بعض أهل الاختلاف ، ومنع أن يصيبه جميعهم مع اختلافهم.

(٤) وهي كذلك في مجلس الرؤية

(٥) الاست : العجز والمؤخرة ويطلق على حلقة الدبر

(٦) قال ابن شاهين معلقاً: فأبان لنا (ﷺ) أن أهل النجاة هم العالمون بالصلاح من الفساد عند اختلاف الناس ، فمن لم يعرف الحق ، وقع في الباطل ، ومن عرف الباطل اجتنبه . ومن أدعية من تقدم : اللهم أرنا الحق حقا وألهمنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا ، وألهمنا اجتنابه . فمن لزم الحق لم يضره قلة العمل ، ومن لم يعرف الحق لم ينفعه كثرة العمل ؛ لأن العمل بلا علم لا يضر ولا ينفع.

وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الوَرَعِ وَالتَّقْوَى، مُجَانِباً لِلعَصَبِيَّةِ وَالهَوَى، خَالِياً مِنَ التَّسَاهُل، عَارِياً عَنْ غَرَضِ النَّفْسِ بِالتَّحَامُل، مَعَ العَدَالَةِ فِي نَفْسِهِ وَالإِتْقَان، وَالمَعْرِفَةِ بِالأَسْبَابِ الَّتِي يُجْرَحُ بِمِثْلِهَا الإِنْسَان، وَإِلاَّ لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُهُ فِيمَن تَكَلَّم، وَكَانَ مِمَّن اغْتَابَ وَفَاهَ بِمُحَرَّم.

وَإِذَا نَظَرْنَا فِي طَبَقَاتِ النُّقَّادِ مِنْ كُلِّ جِيل - الَّذِينَ قُبِلَ قَوْلُهُم فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيل -، رَأَيْنَاهُم أَئِمَّة بِمَا ذُكِرَ مَوْصُوفِين، وَعَلَى سَبِيلِ نَصِيحَةِ الأُمَّةِ مُتَكَلِّمِين[١]".

قال الشاطبي: **لا يخلو المنسوب إلى البدعة أن يكون مجتهداً أو مقلداً**[٢]

لا يخلو المنسوب إلى البدعة أن يكون مجتهداً فيها أو مقلداً ، والمقلد إما مقلد مع الاقرار بالدليل الذي زعمه المجتهد دليلاً والأخذ فيه بالنظر ، وإما مقلد له فيه من غير نظر كالعامي الصرف ، فهذه ثلاثة أقسام :

فالقسم الأول : على ضربين :

أحدهما أن يصح كونه مجتهداً ، فالابتداع منه لا يقع إلا فلتة وبالعَرَض لا بالذات ، وإنما تسمى غلطة أو زلة لأن صاحبها لم يقصد اتباع المتشابه ابتغاء

---

(١) الرَّدِّ الوَافِر (ص١٤)

(٢) انظر رسالة علم أصول البدع ٢٠٥- ٢١٠ لعلي الحلبي والاعتصام للشاطبي ت الهلالي (١/ ١٩٣) وما بعدها، ت الشقير والحميد والصيني (١/ ٢٥٢) وما بعدها، ومختصر كتاب الاعتصام لعلوي السقاف (ص٤٧)

الفتنة وابتغاء تأويل الكتاب ، أي لم يتبع هواه ولا جعله عمدة ، والدليل عليه أنه إذا ظهر له الحق أذعن له وأقر به .

ومثاله ما يذكر عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه ، وقال : وأول ما أفارق ـ غير شاك ـ أفارق ما يقول المرجئون .

ثم ذكر الشاطبي عن يزيد بن صهيب الفقير ، وأسوقه مجموعاً

روى مسلم[١] عن يَزِيدَ «بْنِ صُهَيْبٍ» الْفَقِيرِ،قَالَ: «كُنَّا بِمَكَّةَ مِنْ قُطَّانِهَا ، وَكَانَ مَعِي أَخٌ لِي يُقَالُ لَهُ: طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ[٢] ، وَكُنَّا نَرَى رَأْيَ الْحَرُورِيَّةِ -جر» كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي[٣] رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ،«وَكُنْتُ رَجُلًا شَابًّا -يمند» فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ[٤]، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، «فَبَلَغَنَا أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيَّ قَدِمَ ، وَكَانَ يَلْزَمُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ ، فَأَتَيْنَاهُ -جر» فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ،

---

(١) رواه مسلم ٣٢٠ والنسائي في الكبرى ١١٢٠٧ والآجري في الشريعة ٧٧٣

(٢) بَصْرِيٌّ، زَاهِدٌ كَبِيْرٌ، مِنَ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ. وَكَانَ طَيِّبَ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ، بَرّاً بِوَالِدَيْهِ. عَنْ طَاوُوْسٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً مِنْهُ، وَكَانَ مِمَّنْ يَخْشَى اللهَ تَعَالَى

(٣) (شَغَفَنِي): لَصِقَ بِشِغَافِ قَلْبِي ، وَهُوَ غِلَافُه (رَأيُ الْخَوَارِجِ): أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَاب الْكَبَائِرِ يَخْلُدُونَ فِي النَّار ، وَمَنْ دَخلَهَا لَا يَخْرُج مِنْهَا

(٤) أَيْ: خَرَجْنَا مِنْ بِلَادنَا وَنَحْنُ جَمَاعَة كَثِيرَة لِنَحُجَّ ، ثُمَّ نَخْرُجُ عَلَى النَّاس مُظْهِرِينَ مَذْهَبَ الْخَوَارِج

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟

وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ، وَ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟

(= بَلَغَنَا عَنْكَ قَوْلٌ فِي الشَّفَاعَةِ ، وَقَوْلُ اللهِ عَجَّلَ يُخَالِفُكَ،

فَنَظَرَ فِي وُجُوهِنَا ، وَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنْتُمْ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ ، قَالَ: فَتَبَسَّمَ أَوْ ضَحِكَ ، وَقَالَ: أَيْنَ تَجِدُونَ فِي كِتَابِ اللهِ عَجَّلَ؟ قُلْنَا: حَيْثُ يَقُولُ رَبُّنَا عَجَّلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]

وَقَالَ عَجَّلَ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] وَقَوْلُهُ عَجَّلَ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ ، فَقَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ عَجَّلَ أَمْ أَنَا؟ ، فَقُلْنَا: بَلْ أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا ، قَالَ: فَوَاللهِ لَقَدْ شَهِدْتُ تَنْزِيلَ هَذَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ تَأْوِيلَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ فِي كِتَابِ اللهِ عَجَّلَ لِمَنْ عَقَلَ

قَالَ: قُلْنَا: وَأَيْنَ الشَّفَاعَةُ؟ ، قَالَ: فِي سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ

قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْنَا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٣] ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَرَوْنَهَا حَلَّتْ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ عَجَّلَ شَيْئًا ، -جر) قَالَ: فَقَالَ: «(أَيْ بُنَيَّ -يمند) أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ،

قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ ﷺ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟» قُلْتُ: نَعَمْ،

قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ[(١)]»

قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - ، قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، «إِنَّ قَوْمًا يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ يَحْتَرِقُونَ فِيهَا، إِلَّا دَارَاتِ وُجُوهِهِمْ[(٢)] حَتَّى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ[(٣)]، قَالَ:

---

(١) في صحيح البخاري (٤٤٤١) باب: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: "إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثاً كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِي الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُود".

في صحيح ابن حبان (١٤/ ٣٩٩) عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: " يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، فَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ، فَأَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ"

وروى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قَالَ: " الشَّفَاعَةُ ". قال ابن كثير: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٢) (دارات) جمع دارة وهى ما يحيط بالوجه من جوانبه ومعناه أن النار لا تأكل دارة الوجه لكونها محل السجود

(٣) (السَّمَاسِم) جَمْع سِمْسِم، وَهُوَ هَذَا السِّمْسِم الْمَعْرُوف الَّذِي يُسْتَخْرَج مِنْهُ الشَّيْرَج، وَعِيدَانُه تَرَاهَا إِذَا قُلِعَتْ وَتُرِكَتْ فِي الشَّمْس لِيُؤْخَذ حَبُّهَا دِقَاقًا سُودًا كَأَنَّهَا مُحْتَرِقَة، فَشَبَّه بِهَا هَؤُلَاءِ.

«فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ[(١)] (الْبِيضُ- يمند)»، (كن: إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، لِمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَى مُوَحِدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللهُ" ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]) (قَالَ: - يمند) فَرَجَعْنَا (يمند: فَـــ)قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ (هَذَا - يمند) الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٢)]؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ[(٣)]

وعَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ[(٤)]، قَالَ: كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَكْذِيبًا بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّى لَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كُلَّ آيَةٍ ذَكَرَهَا اللهُ ﷻ فِيهَا خُلُودُ أَهْلِ النَّارِ، (معمر: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ

---

(١) الْقَرَاطِيس: جَمْع قِرْطَاس ، وَهُوَ: الصَّحِيفَة الَّتِي يُكْتَب فِيهَا، وَشَبَّهَهُمْ بِالْقَرَاطِيسِ لِشِدَّةِ بَيَاضهِمْ بَعْد اِغْتِسَالهمْ ، وَزَوَال مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّوَاد.

(٢)يَعْنِي بِالشَّيْخِ: جَابِر بْن عَبْد الله وَهُوَ اِسْتِفْهَام إِنْكَار وَجَحْد ، أَيْ: لَا يُظَنُّ بِهِ الْكَذِب

(٣) أَيْ: رَجَعْنَا مِنْ حَجِّنَا وَلَمْ نَتَعَرَّض لِرَأْيِ الْخَوَارِج، بَلْ كَفَفْنَا عَنْهُ ، وَتُبْنَا مِنْهُ ، إِلَّا رَجُلًا مِنَّا ، فَإِنَّهُ لَمْ يُوَافِقْنَا فِي الِانْكِفَاف عَنْهُ

(٤) مسند أحمد١٤٥٣٤ والأدب المفرد ٨١٨ ومسند ابن الجعد ٣٣٨٤ وجامع معمر (١١/ ٤١٢) وصححه الألباني

مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] ؟ وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَقَالَ: يَا طَلْقُ، أَتُرَاكَ أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، وَأَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَاتَّضَعْتُ لَهُ، فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ، بَلْ أَنْتَ أَقْرَأُ لِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، وَأَعْلَمُ بِسُنَّتِهِ مِنِّي، قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي قَرَأْتَ أَهْلُهَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنْ قَوْمٌ أَصَابُوا ذُنُوبًا، فَعُذِّبُوا بِهَا، ثُمَّ أُخْرِجُوا، صُمَّتَا - وَأَهْوَى بِيَدَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ» ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ مَا تَقْرَأُ

(معمر) قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَآمَنَّا بِهَا قَبْلَ أَنْ تُؤْمِنَ بِهَا، وَصَدَّقْنَا بِهَا قَبْلَ أَنْ تُصَدِّقَ بِهَا، وَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ مَا أُخْبِرُكَ: «أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ» فَقَالَ طَلْقٌ: لَا جَرَمَ، وَاللهِ لَا أُجَادِلُكَ أَبَدًا)

قال الشاطبي: ويزيد الفقير من ثقات أهل الحديث ، وثقة ابن معين ، وأبو زرعة . وقال أبو حاتم : صدوق ، وخرج عنه البخاري(١) .

---

(١) من رجال الصحيحين، وهو ثِقَةٌ، مُقِلٌّ. مِنْ كِبَارِ شُيُوْخِ أَبِي حَنِيْفَةَ. وَثَّقَهُ: ابْنُ مَعِيْنٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَدُوْقٌ. لُقِّبَ بِالفَقِيْرِ؛ لأَنَّهُ اشْتَكَى فَقَارَ ظَهْرِهِ، وَلَهُ وِفَادَةٌ عَلَى عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ. (السير ٥/ ٢٢٧)

في الكنى للدولابي ورجاله ثقات عن يزيد الفقير قال : قرأت القرآن وأنا غلام شاب فأتاني نفر من الخوارج يدعونني إلى أمرهم فقضي أني حججت معهم فقالوا : هل لك في رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديثه ينقض بعضه بعضا ؟ فقمت معهم فإذا أبو سعيد الخدري فقيل : يا أبا سعيد إن ههنا رجالا هم أقرأ بالقرآن وذكر من صلاحهم قال : فبينا هم كذلك إذ خرجوا علينا بأسيافهم فقال أبو سعيد : قال رسول الله ﷺ : "

وعبيد الله بن الحسن العنبري كان من ثقة أهل الحديث ، ومن كبار العلماء العارفين بالسنة ، إلا أن الناس رموه بالبدعة بسبب قول حكى عنه من أنه كان يقول : بأن كل مجتهد من أهل الأديان مصيب ، حتى كفّره القاضي أبو بكر وغيره .

وحكى القُتيبي عنه كان يقول : إن القرآن يدل على الاختلاف ؛ فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب ، والقول بالإجبار صحيح وله أصل في الكتاب ، ومن قال بهذا فهو مصيب لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين .

وسئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجبار ، قال : كل مصيب ، هؤلاء قوم عظموا الله ، وهؤلاء قوم نزهوا الله .

قال : وكذلك القول في الأسماء ، فكل من سمى الزاني مؤمناً فقد أصاب، ومن سماه كافراً فقد أصاب ، ومن قال هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب لأن القرآن يدل على كل هذه المعاني . قال : وكذلك السنن المختلفة ، كالقول بالقرعة وخلافه ، والقول بالسعاية وخلافه ، وقتل المؤمن بالكافر ، ولا يقتل مؤمن بكافر ، وبأي ذلك أخذ الفقيه فهو مصيب . قال : ولو قال قائل : إن القاتل في النار . كان مصيباً ،

يكون في أمتي قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية "

ولو قال : في الجنة . كان مصيباً ، ولو وقف وأرجأ أمره كان مصيباً إذا كان إنما يريد بقوله إن الله تعبده بذلك وليس عليه علم الغيب .

قال ابن أبي خَيْثَمَةَ: أخبرني سليمان بن أبي شيخ قال : كان عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن أبي الحريقي العنبري البصري اتهم بأمر عظيم ، وروى عنه كلام رديء .

قال بعض المتأخرين : هذا الذي ذكره ابن أبي شيخ عنه قد **روي أنه رجع عنه لما تبين له الصواب** ، وقال : إذاً أرجع وأنا من الأصاغر ، ولأن أكون ذنباً في الحق ، أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل.

فإن ثبت عنه ما قيل فيه فهو على جهة الزلة من العالم ، وقد رجع عنها رجوع الأفاضل إلى الحق ، لأنه بحسب ظاهر حاله فيما نقل عنه إنما اتبع ظواهر الأدلة الشرعية فيما ذهب إليه ، ولم يتبع عقله ، ولا صادم الشرع بنظره ، فهو أقرب من مخالفة الهوى .

ومن ذلك الطريق ـ والله أعلم ـ وفق إلى الرجوع إلى الحق .

وكذلك يزيد الفقير فيما ذكره عنه ، لا كما عارض الخوارج عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، إذ طالبه بالحجة ، فقال بعضهم : لا تخاصموه فإنه ممن قال الله فيه : "بل هم قوم خصمون" فرجحوا المتشابه على المحكم ، وناصبوا بالخلاف السواد الأعظم .

وأما إن لم يصح بمسبار العلم أنه من المجتهدين فهو الحري باستنباط ما خالف الشرع ؛ إذ قد **اجتمع له مع الجهل بقواعد الشرع ، الهوى** الباعث عليه في الأصل ، وهو التبعية ، إذ قد تحصل له مرتبة الإمامة والاقتداء ، وللنفس فيها من اللذة ما لا مزيد عليه ، ولذلك يعسر خروج حب الرئاسة من القلب إذا انفرد ، حتى قال الصوفية[١] : حب الرئاسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين ، فكيف إذا انضاف إليه الهوى من الأصل وانضاف إلى هذين الأمرين دليل ـ في ظنه ـ شرعي على صحة ما ذهب إليه ، فيتمكن الهوى من قلبه تمكناً لا يمكن في العادة الانفكاك عنه ، وجرى منه مجرى الكَلَبِ من صاحبه ، كما جاء في حديث الفرق .

فهذا النوع ظاهر أنه آثم في ابتداعه إثم من سن سنةً سيئةً، ومن أمثلته أن الإمامية من الشيعة تذهب إلى وضع خليفة دون النبي ﷺ، وتزعم أنه مثل النبي ﷺ في العصمة، بناءً على أصل متوهم، فوضعوه على أن الشريعة أبداً مفتقرة إلى شرح وبيان لجميع المكلفين ، إما بالمشافهة أو بالنقل ممن شافه المعصوم ، وإنما وضعوا ذلك بحسب ما ظهر لهم باديء الرأي من غير دليل

---

(١) والصوفية أقسام وأنواع؛ فانظر رسالة ابن تيمية "الصوفية والفقراء" في مجموع الفتاوى ١١/ ٥ – ٢٤ ، ونشرها مفردة الشيخ رشيد رضا بالقاهرة ١٣٤٨ ، وفي مجلة المنار (١٢/ ٧٤٦)

عقلي ولا نقلي ، بل بشبهة زعموا أنها عقلية ، وَشُبَهٍ من النقل باطلة ، إما في أصلها ، وإما في تحقيق مناطها.

وتحقيق ما يدعون وما يرد عليهم به مذكور في كتب الأئمة ، وهو يرجع - في الحقيقة - إلى دعاو ، وإذا طولبوا بالدليل عليها سُقط في أيديهم ؛ إذ لا برهان لهم من جهة من الجهات .

وفي جلاء العينين في محاكمة الأحمدين : فصل: في الجرح والتعديل(١)

القاعدة المعروفة بين أهل التفريع والتأصيل من أن الجرح مقدم على التعديل إنما هي في غير من اشتهرت عدالته وظهرت ديانته وفي غير من علم أن التكلم فيه ناشئ عن عداوة أو جهالة وغباوة فقد قال الحافظ الباجي: الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحه وكان هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره؛ فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة وإلا فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقة لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون

"ثُمَّ عَلَى الْجَارِحِ تَقْوَى الله تَعَالَى فِي ذَلِكَ ، وَالتَّثَبُّتُ فِيهِ ، وَالْحَذَرُ مِنَ التَّسَاهُلِ بِجَرْحِ سَلِيمٍ مِنَ الْجَرْحِ أَوْ بِنَقْصِ مَنْ لَمْ يَظْهَرْ نَقْصُهُ ؛ فَإِنَّ مَفْسَدَةَ الْجَرْحِ عَظِيمَةٌ

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: ٦٥-٦٩) ط مطبعة المدني، وانظر اللسان لابن حجر ١٦/١ وفيه أمثلة على الجرح المردود بسبب العداوة

؛ فَإِنَّهَا غِيبَةٌ مُؤَبَّدَةٌ مُبْطِلَةٌ لِأَحَادِيثِهِ مُسْقِطَةٌ لِسُنَّةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَادَّةٌ لِحُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ

ثُمَّ إِنَّمَا يَجُوزُ الْجَرْحُ لِعَارِفٍ بِهِ مَقْبُول الْقَوْلِ فِيهِ

أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنِ الْجَارِحُ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ أَوْ **لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِيهِ: فَلَا يَجُوزُ لَهُ الْكَلَامُ فِي أَحَدٍ ، فَإِنْ تَكَلَّمَ كَانَ كَلَامُهُ غِيبَةً مُحَرَّمَةً** كَذَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ

قَالَ: **وَهَذَا كَالشَّاهِدِ يَجُوزُ جَرْحُهُ لِأَهْلِ الْجَرْحِ وَلَوْ عَابَهُ قَائِلٌ بِمَا جُرِّحَ بِهِ أُدِّبَ وَكَانَ غِيبَةً**

والجَرْحُ لَا يُقْبَلُ إِلَّا مِنْ عَدْلٍ عَارِفٍ بِأَسْبَابِهِ"[١].

قال الذهبي: "والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام وبراءة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث وعلله ورجاله "

وقال : " والكلام في الرجال لا يجوز إلا لتام المعرفة تام الورع "[٢].

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٢٤)(ط المعرفة ١/٨٣-٨٤) بتصرف يسير ، وانظر منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص ٥٥

(٢) ميزان الاعتدال (٣/٤٦) وانظر الموقظة له ، العقد المنضد الجديد في الإجابة على مسائل في الفقه والمناهج والتوحيد ٢/ ٨١

وقال في ترجمة الإمام الشافعي: "ونال بعض الناس منه غضاً فما زاده ذلك إلا رفعة وجلالة ، ولاح للمنصفين أن كلام أقرانه فيه بهوى ، وقلَّ من برز في الإمامة ورَدَّ على من خالفه إلا عودي ، نعوذ بالله من الهوى "(١)

وقال أيضاً : " فمن ذا الذي يسلم من ألسنة الناس ؟!!

لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله لم يضره ما قيل فيه ، وإنما الكلام في العلماء يفتقر إلى وزنٍ بالعدل والورع "(٢)

وقال رحمه الله : " لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر ، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينه وبينه شحناء وإحنة ، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به ، لا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف " (٣)

وقال في ابن منده : " أقذع الحافظ أبو نعيم في جرحه لما بينهما من الوحشة ، ونال منه واتهمه ، فلم يلتفت إليه ؛ لما بينهما من العظائم نسأل الله العفو ، فلقد نال ابن منده من أبي نعيم وأسرف أيضاً " (٤)

---

(١) السير (١٠ / ٨ – ٩)

(٢) السير (٨ / ٤٤٨)

(٣) السير (٧ / ٤٠ – ٤١) وانظر منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص ٦١-٦٤

(٤) ميزان الاعتدال (٣ / ٤٧٩)

وقال عن قيس بن أبي حازم: " أجمعوا على الاحتجاج به ، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه ، نسأل الله العافية وترك الهوى " [(١)]

وقال ابن حجر رحمه الله : " واعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد ، فينبغي التنبه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق "[(٢)]

وَقَالَ الحَافِظُ: وَلْيَحْذَر المُتَكَلِّمُ فِي هَذَا الفَنّ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي الجَرْحِ وَالتَّعْدِيل؛ فَإِنَّهُ إِنْ عَدَّلَ أَحداً بِغَيْرِ تَثَبُّتٍ كَانَ كَالْمُثَبِّتِ حُكْماً لَيْسَ بِثَابِتٍ، فَيُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ مَنْ رَوَى حَدِيثاً وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ كَذِبٌ! وَإِنْ جَرَّحَ بِغَيْرِ تَحَرُّزٍ أَقْدَمَ عَلَى الطَّعْنِ فِي مُسْلِمٍ بَرِيءٍ مِنْ ذَلِك، وَوَسَمَهُ بِمِيْسَمِ سُوءٍ يَبْقَى عَلَيْهِ عَارُهُ أَبَداً " [(٣)].

وقال السخاوي[(٤)]: واحذر – أيها المتصدي لذلك المقتفي فيه أثر من تقدم – من غرض أو هوى يحملك كل منها على التحامل والانحراف وترك الإنصاف، أو الإطراء والافتراء ؛ فذلك شر الأمور التي تدخل على القائم بذلك الآفة منها ، والمتقدمون سالمون منه غالبا ، منزهون عنه ؛ لوفور ديانتهم

---

(١) المرجع السابق (٣ / ٣٩٣)

(٢) هدي الساري (ص : ٣٨٥)

(٣) نُزْهَةِ النَّظَر (٧٥)

(٤) فتح المغيث(٣/ ٣٤٨ ط العلمية = ٤/٣٥٥) وانظر طبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٢ ،٢٣ ، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، لمحمد بن يحيي القرافي ص٢٠

بخلاف المتأخرين فإنه ربما يقع ذلك في تواريخهم، وهو مجانب لأهل الدين وطرائفهم، فالجرح والتعديل خطر لأنك إن عدلت بغير تثبت كنت كالمثبت حكما ليس بثابت ؛ فيخشى عليك أن تدخل في زمرة "من روى حديثا وهو يظن أنه كذب"، وإن جرحت بغير تحرز أقدمت على الطعن في مسلم بريء من ذلك ووسمته بميسم سوء يبقى عليه عاره أبدا وهو في الجرح بخصوصه أي خطر - بفتح المعجمة ثم المهملة من قولهم خاطر بنفسه أي أشرف على هلاكها -؛ فإن فيه مع حق الله ورسوله حق آدمي ، وربما يناله إذا كان بالهوى ومجانبة الاستواء الضرر في الدنيا قبل الآخرة والمقت بين الناس والمنافرة كما اتفق [لفلان] ، فإنه كان مع كونه عالما راسخا في العلم مقرئا محدثا نحويا يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة ، كثير الوقيعة في العلماء والصلحاء وأكابر الناس والطعن عليهم والتنقص لهم وذكر مساويهم ، وكونه عند نفسه عظيما فصار ساقطة من أعين كثير من الناس ممن علم منه ذلك ، وتكلموا فيه وأدى ذلك إلى امتحانه بدخول رجلين جليلين عليه داره في صورة مستفتين فضرباه ضربا مبرحا إلى أن عيل صبره ولم يغثه أحد !

ونحوه ما اتفق لبعض العصريين ممن لم يبلغ في العلم مبلغ الذي قبله بيقين ، فإنه أكثر الوقعية في الناس بدون تدبر ولا قياس ، فأبعد عن البلد وتزايد به الألم والنكد ، ومع ذلك فما كف حتى ثقل على الكافة وما خف، وارتقى لحجة

الإسلام فضلا عمن يليه من الأئمة الأعلام، فلم نلبث أن مات وما اشتفى من تلك النكايات والله تعالى يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا ...

ثم قال[١]: **قال الذهبي - وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال -** :" لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قط على توثيق ضعيف ولا على تضعيف ثقة".

قال العلامة المعلمي[٢]: وقد كان من أكابر المحدثين وأجلهم من يتكلم في الرواة فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه .

يشترط في المعدل والجارح أربعة شروط، هي: أن يكون عدلاً.

أن يكون وَرِعاً يمنعه الورع من التعصب والهوى.

أن يكون يَقِظاً غير مغفّل لئلا يغتر بظاهر حال الراوي.

أن يكون عارفاً بأسباب الجرح والتعديل لئلا يجرح عدلاً أو يعدّل من استحق الجرح[٣]، و"**كثير من المحدِّثين لم يدخلوا في باب الجرح والتَّعديل**، ولا بابَ

(١) فتح المغيث (٣/ ٣٥٩)

(٢) في مقدمة الجرح والتعديل

(٣) انظر: ضوابط الجرح والتعديل "ص ٣٢" د/ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف، الموقظة في علم مصطلح الحديث ص ٨٢، ونزهة النظر ص ٧٠، ٧٢. ومقدمة الرد الوافر لابن ناصر الدين.

التَّصحيح والتَّضعيف والتَّعليل ، **تركوا هذا الشأن لأهلِهِ من كبار النُّقَّاد** من أمثال: شعبة وسفيان الثَّوري ويحي بن سعيد القطان وعبد الرَّحمن بن مهدي، ثم طبقة تلي هؤلاء مثل الإمام أحمد ويحيى بن معين وعلي بن المديني، ثم البخاري وأقرانه كأبي زرعة وأبي حاتم، وهكذا إلى يومنا هذا لا يتصدَّى لهذه الأمور إلا أناس منحهم اللهُ مواهب وأهَّلهم بها للنهوض بهذا الشأن" [١] .

ويمكن إجمال التعليق هذه الشروط فيما يأتي:

أولا: أن يكون الجارح أو المعدل متصفا بالعدالة[٢]:

فـ"لابد للمزكي أن يكون عدلا"[٣].

قال ابن حجر : "**الأزدي ضعيف، فكيف يقبل منه تضعيف الثقات**" [٤].

لأن جميع علماء الحديث متفقون على اشتراط العدالة بالنسبة لمن اشتغل بالحديث. ومعرفة العدالة وثبوتها بالنسبة إليهم-كما تحدثنا عنه في موضعه-

(١) قاله د/ ربيع بن هادي في مجموع الكتب والرسائل (١٥/١٤٥)

(٢) ضوابط الجرح والتعديل ص ٣٧، وانظر ضوابط التبديع ص ٥٩- ٧٦، والإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة لمحمد بن عبد الله الإمام، تقديم ، د/ ربيع بن هادي وجماعة من الشيوخ، ط دار الآثار ص ١٨٠ و٢٣٩

(٣) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت ٢/١٥٤. الرفع والتكميل (ص٦٩)

(٤) هدي الساري (ص: ٤٠٠).

يعتمد جلها على علماء الجرح والتعديل. فلا يمكن عقلا أن توكل مهمة التعديل أو التجرح لمن لا يتصف بالعدالة. إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه.

ثانياً: أن يكون ورعاً تقياً:

لأن التقوى والورع يمنعان المسلم من التساهل في هذا الأمر الخطير ويعصمانه عن التعصب والهوى، ويحملانه على الإنصاف ومراقبة الله[١].

يقول أبو الحسنات اللكنوي : يشْتَرط فِي الْجَارِح والمعدل الْعلم وَالتَّقوى والورع والصدق والتجنب عَن التعصب وَمَعْرِفَة اسباب الْجرْح والتزكية وَمن لَيْسَ كَذَلِك لَا يقبل مِنْهُ الْجرْح وَلَا التَّزْكِيَة[٢]

ثم نقل اللكنوي نصيحةً ذهبيةً عن الإمام الذهبي؛ قال : " ولَا سَبِيْلَ إِلَى أَنْ يَصِيْرَ العَارِفُ - الَّذِي يُزَكِّي نَقَلَةَ الْأَخبَارِ ويُجَرِّحُهُمْ - جِهْبِذًا إِلَّا بِإِدْمَانِ الطَّلَبِ والفَحْصِ عَنْ هذَا الشَّأْنِ، وكَثْرَةِ الْمُذَاكَرَةِ والسَّهَرِ والتَّيَقُّظِ والفَهْمِ، مَعَ التَّقْوَى والدِّيْنِ الْمَتِيْنِ والْإِنْصَافِ، والتَّرَدُّدِ إِلَى العُلَمَاءِ والْإِتْقَانِ، وَإِلَّا تَفْعَلْ:

فدَعْ عَنْكَ الكِتَابَةَ لَسْتَ مِنْها ... وَلَوْ سَوَّدْتَ وَجْهَكَ بِالْمِدَادِ

فَإِنْ آنَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَهْمًا وصِدْقًا ودِيْنًا ووَرَعًا، وَإِلَّا فَلَا تَتَعَنَّ، وإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الهَوَى والعَصبِيَّةُ لَرَأْيٍ ولِمَذْهَبٍ، فَبِاللهِ لَا تَتْعَبْ، وَإِنْ عَرَفْتَ أَنَّكَ مُخَلِّطٌ مُخَبِّطٌ مُهْمِلٌ لِحُدُودِ اللهِ، فَأَرِحْنَا مِنْكَ[١]"

---

(١) دراسة في مصطلح الحديث لإبراهيم النعمة ص ٢١١.

(٢) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ص ٦٧

ويقول ابن حجر ناقلاً قول الإمام ابن دقيق العيد : " أعراض المسلمين حفرة من حفر النار ، وقف على شفيرها طائفتان من الناس الحكام والمحدثون " (٢).

وقال: " والكلام في الرجال يحتاج إلى ورع تام وبراءة من الهوى"(٣).

ثالثاً: أن يكون يقظاً متثبتاً:

إذ ليس كل من كان ورعا تقيا جاز له أن يتكلم في الرجال جرحا وتعديلا بل يجب أن يكون-فوق عدالته وورعه وتقواه-يقظا متثبتا لا يخلط بين أحكامه ولا تشتبك عليه الأمور.

قال الذهبي في ميزانه: " وينبغي على المتصدي للنقد أن يكون ثبتاً "(٤).

وقال ابن حجر: "**وينبغي أن لا يقبل الجرح إلا من عدل متيقظ** "(٥)؛ إذ إن قوام هذا الأمر قائم على الفهم الدقيق واليقظة التامة.

وسبق أن هذا يحتاج إلى ادمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والانصاف والتردد إلى العلماء والاتقان (١).

---

(١) تذكرة الحفاظ: ١/ ٤ ط الهند الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ص ٦٨

(٢) لسان الميزان١/١٦، وسبق

(٣) كتاب (المتكلمون في الرجال)، السخاوي، ت أبو غدة. هامش صفحة ق١٣٠

(٤) ميزان الاعتدال: ٤/٨ .

(٥) شرح نخبة الفكر لابن حجر ١٣٧.

رابعاً: أن يكون عارفاً بأسباب الجرح والتعديل:

وهو من أهم الشروط؛ لأن مسقطات العدالة لها حدود ثابتة يجب أن يُلم بها المجرح ، وكذلك ما يثبت عدالة الراوي يجب أن يكون معلوماً له.

وسبق قول الإمام النووي: "إنما **يجوز الجرح لعارف به مقبول القول فيه**، أما إذا لم يكن الجارح من أهل المعرفة ، أو **لم يكن ممن يقبل قوله فيه** : فلا يجوز له الكلام في أحد من الناس ؛ **فان تكلم كان كلامه غيبة محرمة** "(٢).

وقوله كذلك: " والجرح لا يقبل إلا من عارف بأسبابه " (٣).

قال العلماء: إن التعديل لا يحتاج إلى بيان السبب ؛ فإن كون الشخص عدلاً صادقاً لا يكذب ، لا يتبين بذكر شيء معين ، بخلاف الجرح فإنه لا يقبل إلا مُفسراً عند جمهور العلماء لوجهين:

أحدهما: أن سبب الجرح ينضبط

الثاني: أنه قد يظن ما ليس بجرح جرحاً (٤).

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/٤ .

(٢) شرح النووي على مسلم: ١/١٢٤.

(٣) المصدر السابق: ١/١٢٥.

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية (ص٢٠٠) ك العصرية، (ص٣٦١) ط مكتبة ابن تيمية.

وقال تاج الدين السبكي: " من لا يكون عالماً بأسبابهما لا يقبلان منه لا بإطلاق ولا بتقييد" [١]؛ لأن الجارح إذا لم يكن عالماً بأسباب الجرح والتعديل ؛ فإنه لا يؤمن والحالة هذه أن يجرح بما ليس بجرح.

وكذلك الحال بالنسبة للمعدل ؛ إذ جهله بذلك يمكن أن يجعله يصدر حكمه بتعديل من لا يستحق العدالة لعوارض يراها يحسبها مما تثبت بها العدالة وهي في حقيقتها بخلاف ذلك.

أما تزكية الصبي المراهق والغلام ـ الضابط لما يسمعه ـ ، فلا أعلم أن أحداً أجاز جرحه وتعديله وسبب ذلك "أن الغلام وإن كانت حاله ضبط ما سمع والتعبير عنه على وجهه **فإنه غير عارف بأحكام أفعال المكلفين وما به يكون العدل عدلاً والفاسق فاسقاً**، وأن يكمل لذلك المكلف، فلم يجز لذلك قبول تزكيته ولأنه لا تعبد عليه في تزكية الفاسق وتفسيق العدل ، **فإن لم يكن لذلك خائفاً من مأثم وعقاب ؛ لم يؤمن منه تفسيق العدل، وتعديل الفاسق**[٢].

فائدة : إذا كان **الأموات على الإطلاق لا ينبغي لنا ألا نُخِّير بينهم إلا لحاجة** فالصحابة الذين أمرنا بالاستغفار لهم وبمسألة ألا تجعل في قلوبنا غلاً لهم أولى.

---

(١) جمع الجوامع، تاج الدين السبكي: ١٢/٢، وينظر فتح المغيث(١: ٣٠٧).
(٢) الكفاية/ ١٢٣.

والكلام فيما شجر بينهم يفضي إلى الغل المذموم، ولهذا علل بأنها: ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ .

ونحن وإن علمنا بالنوع أن أحد المختلفين مخطئ ، فليس علينا أن نعلَمَه بالشخص، إلا في مسألة تتعلق بنا.

فأما اثنان اختلفا في مسألة تختص بأعيانهما ، فلا حاجة بنا إلى الكلام في عين المخطئ، **وهذا أصل مستمر**[1]، **فليست هذه القاعدة مختصة وقاصرة على ما حصل بين الصحابة، بل يجب إعمالها في كل خلاف حصل بين عالمين،** فلا حاجة بنا إلى أن نعرف أعيان المردود عليهم من المجتهدين[2]، وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ لَا يُذْكَرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فهو على غير السبيل[3] .

الدفاع عن عرض الإمام النووي:

قديماً أوّل النووي رحمه الله بعض الصفات لا سيما الفعلية منها، وفوض معناها، ونسب هذا القول إلى جمهور السلف، وخاصة في شرحه على صحيح مسلم.

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/ ٢٣٦)، المسودة في أصول الفقه (ص٥٠٠)

(٢) حاشية تقريب فتاوى ابن تيمية (٥/ ٣٦٨)

(٣) متن العقيدة الطحاوية ، شرح وتعليق الألباني (ص٨٢)، شرح العقيدة الطحاوية - ت الأرناؤوط (٢/ ٧٤٠)، الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص٣٩٧)

لذلك قال الذَّهَبِيُّ بعد ما ذكر " **سِيرَةَ هَذَا السَّيِّدِ** رحمه الله: **وَكَانَ مَذْهَبُهُ فِي الصِّفَاتِ السَّمْعِيَّةِ السُّكُوتُ، وَإِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ، وَرُبَّمَا تَأَوَّلَ قَلِيلًا فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ؛** رحمه الله **تَعَالَى**"

وَتَعَقَّبَهُ الحَافِظُ السَّخَاوِيُّ رحمه الله[١]؛ فَقَالَ: "وَصَرَّحَ اليَافِعِيُّ وَالتَّاجُ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُمَا اللهُ بِأَنَّهُ أَشْعَرِيٌّ[٢]. **والصحيح أولاً أن الإمام النووي ليس أشعرياً**

---

(١) في كتابه المنهل العذب الروي (ص:٤٤)

(٢) ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ٤٠٥) ، وتاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٤) للذهبي، ط دار الغرب الإسلامي، الأعلام (٨/ ١٤٩).

وهذا كلام السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ١٣٢): "من محدثي الأشاعرة وفقهائهم النَّوَوِيّ رحمه الله سيد الْمُتَأَخِّرين"

وفيها (٣/ ٣٨٥): عن الأشاعرة "آخِرهم الشَّيْخ محيي الدّين النَّوَوِيّ رحمه الله"

وفيها: (٢/ ١٩): وَقد وصل حَال بعض المجسمة فِي زَمَاننَا إِلَى أَن كتب شرح صَحِيح مُسلم للشَّيْخ محيي الدّين النَّوَوِيّ وَحذف من كَلَام النَّوَوِيّ مَا تكلم بِهِ عَلَى أَحَادِيث الصِّفَات فَإِن النَّوَوِيّ أشعري العقيدة فَلم تحمل قوى هَذَا الْكَاتِب أَن يكْتب الْكتاب عَلَى الْوَضع الَّذِي صنفه مُصَنفه

وَهَذَا عِنْدِي من كَبَائِر الذُّنُوب فَإِنَّهُ تَحْرِيف للشريعة وَفتح بَاب لَا يُؤمن مَعَه بكتب النَّاس وَمَا فِي أَيْديهم من المصنفات فقبح اللَّه فَاعله وأخزاه وَقد كَانَ فِي غنية عَن كِتَابَة هَذَا الشَّرْح وَكَانَ الشَّرْح فِي غنية عَنهُ.

وانظر رد مشهور حسن عليه في عقيدة الإمام النووي ١٧ و١٨، وانظر التحولات المذهبية العقائدية ، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٨٥، ٢٨٦

ذكر د/ عمار خنفر[١]: إدعاء الأشاعرة أن النووي وابن حجر أشعريان

ثم قال: وهذا غلط شنيع يعرفه كل من قرأ لهما واطلع على أرائهما في المسائل المختلفة، فهما وإن كانا سلكا منهج التأويل والتفويض في الصفات ، **إلا أنهما لم يستندا على أصول الأشاعرة بشيء.**

وهذا خطأ يكثر الأشاعرة وغيرهم من الوقوع فيه ؛ فإنهم يعتبرون كل من يتأول الصفات أشعريا ، وهذا باطل ؛ لأننا نطلق اسم الأشعري على كل من يتابع الأشاعرة على أصولهم ، ويقول بها ، ويرسم منهجه في المسائل المختلفة على ضوء تلك الأصول.

ومن لم توافق أصوله أصول الأشاعرة ، لا ينبغي أن نعده منهم لمجرد موافقته لهم في بعض المسائل.

ولم يعرف عن النووي وابن حجر موافقة أصول الأشاعرة ، ولا ذكرا ذلك، ولا صرحا بها ، ولا بنيا عليها شيئاً في العقائد.

ثم دَلَّل على ذلك وذكر جماعةً من الأئمة نسبهم الأشاعرةُ للأشعريةِ فناقشهم ورد عليهم[٢]، وقال : "والأشعري[٣] لا يسمى الحنابلة إلا بالحشوية"[٤]

---

(١) قصة الأشاعرة ط دار الحجاز ص ٧١٨- ٧٢٠

(٢) فانظره إن شئت، إلى ص ٧٣٥

(٣) يعني من نُسب بهذه النسبة

(٤) قصة الأشاعرة ص ٧٣٢

ورد على السبكي فقال: وينطلق السبكي من فرضية محمومة في خياله، وهي أن كل أهل العلم هم من الأشاعرة حتى يتبين العكس[١] !

(١) قصة الأشاعرة د/ عمار خنفر ط دار الحجاز ص ٧٢٢

من ذلك ما قاله المعلمي: الخطيب ينقل في "الكفاية" من كتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني رأس الأشاعرة بروايته عن محمد بن عبيدالله المالكي عن الباقلاني.

وحكى ابن السبكي عن الكتاني أنه قال: "وكان ـ الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت ـ يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري"، ثم حكى عن شيخه الذهبي أنه حكى ذلك ثم قال: "مذهب الخطيب في الصفات أنها تُمر كما جاءت صرّح بذلك في تصانيفه".

ثم قال ابن السبكي: "وهذا مذهب الأشعري فقد أُتي الذهبي من عدم معرفته بمذهب الشيخ أبي الحسن كما أُتي أقوام آخرون وللأشعري قول آخر بالتأويل".

قال المعلمي اليماني: لم يزد الذهبي على التنبيه على الصواب؛ لأن المشهور من مذهب الأشعري هو التأويل فخشي الذهبي أن يتبادر إلى ذهن السامع أن الخطيب كان يؤوّل، وابن السبكي شديد العقوق لأستاذه الذهبي. وقد نقل الذهبي في "التذكرة" من نصوص الخطيب ما هو صريح في أن مذهبه في العقائد هو مذهب السلف.

آثار عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (٢٥/ ٢٨٩، ٢٩٠)

وفي ترجمة الخطيب من كتاب المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور (ص١١٢ ط الفكر): ٢٣٦: الحافظ الإمام في الصنعة وأحد عصره في الحفظ، وكان اشعرى العقيدة حسن الايراد والاحتجاج صحيح العبارة وكان حسن الخط والقراءة والفهم والحفظ !

فنقول: نعم النووي رحمه الله: "له أغلاط في الصفات سلك فيها مسلك المؤولين وأخطأ في ذلك فلا يقتدى به في ذلك؛ بل الواجب التمسك بقول أهل السنة وهو إثبات الأسماء والصفات الواردة في الكتاب العزيز .... "[١]

ولكنه قد خالف الأشاعرة في أصول كثيرة؛ منها:

١ - دفاعه عن عقيدة السلف في أفعال العباد.

٢ - إثبات رؤية الله يوم القيامة.

٣ - دفاعه عن عقيدة السلف في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

٤ - كلامه عن حكم مرتكب الكبيرة.

٥ - وكلامه في النبوات.

٦ - أول واجب على المكلف رد فيه على الأشاعرة[٢]

قَالَ الإِمَام النَّوَوِيّ رحمه الله فِي مُقَدّمَة الْمَجْمُوع شرح الْمُهَذّب بعد أَن ذكر السّلف وَالْخلف: وَهَذِه طَرِيقَة السّلف أَو جماهيرهم وَهِي أسلم إِذْ لَا يُطَالب الْإِنْسَان

---

(١) اللجنة الدائمة فتوى برقم (٤٢٦٤) (٣/ ٢٢١)

(٢) معالم التوحيد في فاتحة الكتاب (ص٦٢) ، أبو عبد الرحمن عرفة بن طنطاوي، وأصل الكتاب: رسالة دكتوراه للمؤلف، في التفسير وعلوم القرآن، ط: دار المأثور - دار الأمل.

وانظر المجموع ١/ ٢٤ – ٢٥، التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٨٦-٢٩٢، ورسالة منهج الإمام النووي في تقرير الإعتقاد من خلال شرح صحيح مسلم.

بالخوض فِي ذَلِك فَإِذا اعْتقد التَّنْزِيه فَلَا حَاجَة إِلَى الْخَوْض فِي ذَلِك والمخاطرة فِيمَا لَا ضَرُورَة بل لَا حَاجَة لَهُ إِلَيْهِ فَإِذا دعت الْحَاجة إِلَى التَّأْوِيل لرد مُبْتَدع وَنَحْوه تأولوا حِينَئِذٍ وعَلى هَذَا يحمل مَا جَاءَ عَن الْعلمَاء فِي هَذَا[١]

وقال الإمام النووي عن المفتي: قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله ليس له إذا استفتى في شئ من المسائل الكلامية أن يفتي بالتفصيل بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك أو في شئ منه وان قل ويأمرهم بأن يقتصروا فيها على الإيمان جملة من غير تفصيل ويقولوا فيها وفي كل ما ورد من آيات الصفات وأخبارها المتشابهة إن الثابت فيها في نفس الأمر ما هو اللائق فيها بجلال الله تبارك وتعالى وكماله وتقديسه المطلق فيقول ذلك معتقدنا فيها وليس علينا تفصيله وتعيينه وليس البحث عنه من شأننا بل نكل علم تفصيله إلى الله تبارك وتعالى ونصرف عن الخوض فيه قلوبنا وألسنتنا فهذا ونحوه هو الصواب من أئمة الفتوى في ذلك وهو سبيل سلف الأمة وأئمة المذاهب المعتبرة وأكابر العلماء والصالحين وهو أصون وأسلم للعامة وأشباههم

ومن كان منهم اعتقد اعتقاد باطلا تفصيلا ففي هذا صرف له عن ذلك الاعتقاد الباطل بما هو أهون وأيسر وأسلم، وإذا عزّر ولي الأمر من حاد منهم

---

(١) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص٥٨)

عن هذه الطريقة فقد تأسى بعمر بن الخطاب ﵁ في تعزير صبيع - بفتح الصاد المهملة الذي كان يسأل عن المتشابهات - على ذلك.

قال : والمتكلمون من أصحابنا معترفون بصحة هذه الطريقة وبأنها أسلم لمن سلمت له وكان الغزالي منهم في آخر أمره شديد المبالغة في الدعاء إليها والبرهنة عليها وذكر شيخه إمام الحرمين في كتابه الغيائى أن الإمام يحرص ما أمكنه على جمع عامة الخلق على سلوك سبيل السلف في ذلك. [(١)]

ثانياً: أن الإمام النووي تراجع عن أخطائه ورجع إلى مذهب السلف

فللشيخ مشهور حسن رسالة الردود والتعقيبات

---

(١) المجموع شرح المهذب (١/ ٥٢ ، ٥٣ ط المنيرية) (١/٦٧٢-٦٧٣ ط العلمية)، وانظر فتاوى ابن الصلاح(١/ ٨٣)، أدب المفتي والمستفتي له (ص١٥٣)، صفة الفتوى لابن حمدان الحنبلي (ص٤٤)

تنبيه : قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٣١عن ابن الصلاح: **وكان سلفيًّا حسن الاعتقاد، كافًّا عن تأويل المتكلمين مؤمنًا بما ثبت من النصوص غير خائض ولا معمق.**

ومع ذلك يقول ابن الصلاح كما ترى: "المتكلمون من أصحابنا"، فهل من مبدع أو مضلل لأبي عمرو؟!

قال حفظه الله: ولي عليه زيادات فرغت منها، **أثبتُ فيها رجوع الإمام النووي إلى عقيدة السلف الصالح في باب الصفات**[١]، وله رسالة مطبوعة بعنوان "عقيدة الإمام النووي[٢]"

فَصَحَّحَ حفظه الله كَونَهُ سَلَفِيَّ العَقِيدَةِ؛ وَخَاصَّةً فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، وَأَورَدَ الأَدِلَّةَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِ النَّوَوِيِّ نَفْسِهِ رحمه الله.[٣]

وقال حفظه الله: "النووي: هل هو أشعري؟

ثم قال: أنا بينت في محاضرة في دروس صحيح مسلم، وأثبتُ اثباتاً لا ريب فيه تراجع الإمام النووي عن أشعريته - وكان متأثراً -، وله رسالة في الحرف والصوت ألفها قبل وفاته بأشهر قليلة - بشهرين وأيام - ، وتراجع فيها عن مذهب الأشاعرة، وهكذا صنع تلميذه ابن العطار - لازم النووي، وكانوا يقولون عنه: مختصر النووي، من شدة ملازمته للنووي -، بعد أن تراجع شيخه ألف كتاباً بديعاً طُبع أكثر من مرة ، سمّاه الإعتقاد الخالص من الشك

---

(١) حاشية تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص٧١)

(٢) أصلها درس من شرحه المبارك لصحيح مسلم، فرغها بعض تلاميذه ، شَرِيطَ: ٣٤٧

(٣) سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية لأبي عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، ط: الدار العالمية للنشر - القاهرة ص ٦، التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٨٩-٢٩٢

أثبتَ فيه صواب مذهب السلف - مذهب الإمام أحمد -، وبيّن خطأ المذهب الأشعري، هذه قرينة زائدة "

ثم تكلم عن كتاب النووي في الحرف والصوت، ثم قال: **لم أجد تأويلا واحدا للصفات من قِبل الإمام النووي أنشأها بقلمه** ، وكلها عبارات مأخوذة عمن قبله كالخطابي ، وغير الخطابي ، أكثر من النقل عن القاضي عياض كعادته من كتابه إكمال المعلم

فالقول أن الإمام النووي رحمه الله **أشعري** كأئمة الأشاعرة كالباقلاني والجويني ومن انشغل بعلم الكلام: **هذا ظلم هذا ظلم للإمام النووي**

الإمام النووي رحمه الله **عالم تأثر في شرحه للصحيح بكلام الشراح الذين قبله ممن كانوا أشاعرة فنقل كلام كلامهم وسكت عنه**[١].

ثم دافع حفظه عن الحافظ ابن حجر.

وللنووي رسالة طُبعت حديثاً جرى فيها على مذهب السلف ورد فيها على الأشاعرة [٢]، وجزم بنسبتها للإمام النووي محدثُ المدينة العلامةُ عبد المحسن العباد البدر ، والعلامة صالح العصيمي ، والعلامة أحمد سبالك ، والمحقق

---

(١) مرئية بعنوان "هل الأشاعرة أغلب علماء المسلمين، وحال الإمام النووي والحافظ ابن حجر"

(٢) الكتاب: جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، ت: أحمد بن على الدمياطي، الناشر: مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع.

مشهور حسن، وصاحب رسالة منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ، وغيرهم، وذكر الذهبي أن النووي نسخ بخطه كتاب الإبانة عن أصول الديانة (١)

وفي مجلس عقدوه لابن تيمية - كما حكى بنفسه رحمه الله فقال -:

" أُحْضر كتابُ " الإبانة " وما ذكر ابن عساكر في كتاب " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري " **وقد نقله بخطه أبو زكريا النووي**. وقال فيه:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون.

قيل له: **قولنا: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث.**

ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل

---

(١) كتابه "العلو" ، وانظر تحقيق العصيمي كتاب الإبانة عن أصول الديانة (ص٣٣)، كتاب العلو ٢/ ١٢٤٨، ط أضواء السلف ، ص ٢١٩، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ١٢٤) والتحفة المدنية في العقيدة السلفية = الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠١ ففيها: ونسخه بخطه الإمام محي الدين النواوي

الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين [١]".

وهذّب الإمام النووي طبقات فقهاء الشافعية لابن الصلاح ، وفيه الرد على من زعم أن الإستواء هو الاستيلاء، بل وصرح بأنه ﷻ فوق السماء [٢]

وفي خاتمة رسالة منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ص ٩٩٤، ٩٩٥

توصلت الباحثة من خلال دراستها إلى:

١) لم يكن الإمام النووي أشعري المذهب في جزيئات العقيدة ولا في كلياتها، وإنما وافق الأشاعرة في مسائل ، وخالفهم في مسائل أخرى في أصول مذهبهم.

٢) لقد كان الإمام النووي ذاباً عن السنة محباً للسلف مفضلاً لمذهبهم وطريقتهم في العقيدة، كما كان ذاماً للبدعة مبغضاً للمبتدعة محذراً من مذهب أهل الكلام، وله في كل ذلك كلام واضح.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٤)

(٢) في ترجمة الخطابي وبيّن أن هذا قول الخطابي ، وذكره في معرض الثناء والتقرير، انظر التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٩٠، ٢٩١، وعقيدة الإمام النووي للشيخ مشهور حسن ص ٤٦

فإن قيل: إنما هو ناقل لقول غيره، قلنا: وهو كذلك ناقل لقول غيره في شرح مسلم !

وإن كان ينسب نفسه لعلم الكلام بقوله "أصحابنا المتكلمون"، فهو بلا شك لا يقصد علم الكلام المحظور.

٣) يُعد كتاب شرح صحيح مسلم من كبار كتب العلم التي لا يستغني عنها عالم فضلاً عن طالب علم

وهو من الكتب التي أسهمت في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح في جوانب عديدة، والأخذ بمذهبهم في أمور الديانة ، مع نقل جملة طيبة من أقوال علماء السلف في ذلك ، وإن كان قد أخطأ في جوانب عديدة سبق بيانها في هذا البحث

وهو كذلك من الكتب التي أسهمت في الرد على الفرق المبتدعة بأصنافها، وفي فضح باطلهم والتحذير من بدعهم(١).

وقال العلامة العصيمي عن كتاب الإمام النووي " جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات " : "**كتاب للنووي رجع فيه عن اعتقاده القديم** ، وهذا الكتاب هو جزء له في مسألة الكلام لله ﷻ ؛ فإنه صرح فيه باثبات الصفات، وألفه في الرد على مقالة الأشاعرة في كلام الله عزوجل ، **وهذا الكتاب ثابت**

---

(١) والرسالة تجاوزت الألف صفحة في بحث كل مسائل العقيدة التي ذكرها الإمام النووي مما أصاب فيه أو أخطأ !، وانظر رسالة منهج الإمام النووي في أصول الدين، د/ منيرة بنت حمود البدراني، ط دار كنوز إشبيليا، وأراء الإمام النووي في مسائل العقيدة ، د/ إبراهيم أحمد الديبو، ط دار المقتبس

للنووي لا مطعن فيه، فإن له في الدنيا ثلاث نسخ ، وقد طُبع طبعتين كلاهما عن نسخة وحيدة، دون اطلاع كل واحد منهم على نسخة الآخر، والكتاب له ثلاث نسخ خطية، وقد صرح في آخره بأن طريقته هي طريقة أهل السنة والحديث ، ومما يدل على هذا حال تلميذه علاء الدين ابن العطار؛ فإنه أخص تلاميذه ، له مصنف في الإعتقاد السلفي، فكأن هذا هو الذي عُرف من المذهب الذي صار إليه، وهذه قرينة ؛ فإن مما يدل على مذهب الشيخ مذهب تلاميذه المختصين به، وابن العطار أخص الناس بالنووي، فرجوعه عن ذلك ظاهر، ... ولأجل هذا والله أعلم عمد بعض العلماء في القرن السابع أو الثامن إلى تلخيص شرحه على مسلم، وأخرج هذه المسائل المخالفة ، ولعله من أصحابه، أو أصحاب أصحابه"

ثم رد العلامة العصيمي على السبكي في تخطئته لهذا العالم.

ثم قال العلامة العصيمي: والحاصل أن النووي رحمه الله كان له معتقد قديم خالف في كثير منه الأشاعرةَ، وإلا فهو خالفهم أيضاً في مسائل في كتبه التي صنفها قديماً ، لكن هذا الكتاب في الكلام والحرف والصوت الذي صنفه قبل قبل وفاته بنحو ثلاثة أشهر، هذا الكتاب هو الذي يحكم بأنه صار إليه اعتقاده رحمه الله[١].

---

(١) مرئية بعنوان: "هل تراجع النووي عن عقيدته الأشعرية"؟

وقال الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر : "النووي رحمه الله له رسالة طُبعت مؤخراً بعنوان "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحرف والصوت" ثم ذكر بعض كلمات الإمام النووي [١]!

قلت: **ومن روائع كلامه من رسالته الأخيرة :"جزء الحروف والأصوات":**

قال الإمام النووي: رغبة في إظهار الحق ونصرة لما سلف عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين وجمعنا وإياهم في دار كرامته وسائر أحبابنا ومشايخنا وإخواننا إنه أجود الأجودين وأرحم الراحمين. (ص١٥)

قال الإمام النووي: وأروي له ما ثبت به النقل عن سيد المرسلين وأشرف خلق الله من الأولين الآخرين محمد بن عبد الله رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى سائر النبيين وآل كلٍّ وسائر الصالحين. (ص١٥)

قال الإمام النووي: لا يجوز العدول عما جاء به الكتاب العزيز، ونطق به السيد الرسول ﷺ، ولا يليق بذي الجلال أن نصفه إلا بما وصف به نفسه، ومن تجاوز ذلك المنهاج، مال بآرائه ومقاييسه عن طريق الحق والسداد، عُدَّ مِن عصابة الجهل وأهل العناد. (ص٥٤)

قال الإمام النووي: **ونحن من ديننا: التمسك بكتاب الله** عز وجل **وسنة نبينا** ﷺ **وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين ونؤمن بجميع**

---

(١)مرئية بعنوان "سلامة عقيدة الإمام النووي من عقائد المتكلمين"

أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئاً، ولاننقص منه شيئاً، كحديث قصة الدجال وقوله فيه:" وإن ربكم ليس بأعور ".

وكحديث النزول إلى السماء الدنيا، وكحديث الاستواء على العرش، وإن القلوب بين إصبعين من أصابعه، وإنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع، ونقول بتصديق حديث المعراج وبصحيح مافيه من الروايات وندين أن الله مقلب القلوب.

وما أشبه هذه الأحاديث جميعها كما جاءت بها الرواية من غير كشف عن تأويلها، وأن نمرها كما جاءت.

وأن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر:٢٢] وإن الله يقرب من عباده كيف يشاء لقوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٨-٩]

وأشباه ذلك من آيات الصفات، ولا نتأولها ولا نكشف عنها بل نكف عن ذلك كما كف عنه السلف الصالح.

ونؤمن بأن الله على عرشه كما أخبر في كتابه العزيز ولا نقول هو في كل مكان، بل هو في السماء، وعلمه في كل مكان لايخلو منه مكان كما قال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك:١٦] وكما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١١] .

وكما جاء في حديث الإسراء إلى السماء السابعة:" ثم دنا من ربه"(١)، وكما في حديث سوداء أريدت أن تعتق، فقال لها النبي ﷺ:" أين ربك؟ " فقالت: في السماء فقال:" اعتقها فإنها مؤمنة "(٢).

وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة، نؤمن بذلك ولا نجحد شيئاً من ذلك وقد روت الثقات عن مالك بن أنس أن سائلاً سأله عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فيا إله السموات والأرضين، ويا خالق الخلق أجمعين، أنت المطلع على البواطن وأنت الرقيب على كل حالق وساكن، أسألك أن تغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.

(ص٦٧- ٦٩)

وقد نقل الإمام النووي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى، أنه قال:" لعن الله المشبهة والمعطلة. فقيل له: من المشبهة؟ قال: الذين يقولون يد كيدي وبصر كبصري".

ونقل عنه: أنه قال: من شبه الله بخلقه فهو كافر بالله العظيم.

وروي عنه أنه قال: مذهبنا بين مذهبين وهدى بين ضلالتين، إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات، لا نغالي في الصفات فنجعلها أجساماً

---

(١) ينظر مختصر العلو وفتح الباري ١٣: ٤٨٤

(٢) صحيح مسلم وسيأتي ، كلام الطعان في الإمام النووي بسبب هذا الحديث !

فنشبه الله بخلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولا نقصر فنمحو عنه ما أثبته لنفسه بل نقول كما سمعنا، ونشهد بما علمنا.

وقال الإمام النووي: قال النبي ﷺ: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم "[١].

فالتشبيه زيغ وضلال، والتعطيل كفر وإبطال، والوقوف مع السلامة أسلم.

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

وروى يونس بن عبد الأعلى المصري عن إمامنا الشافعي رحمه الله، أنه قال: نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ونثبت الصفات التي جاءت بها السنة، وننفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فنحن نصف ولا نشبه، ونثبت ولا نجسم، ونعرف ولا نكيف.

مذهبنا بين باطلين، وهدي بين ضلالتين، وسنة بين بدعتين وقد تفرد الله سبحانه وتعالى بحقائق صفاته ومعانيها عن العالم فنحن بها مؤمنون، وبحقائقها موقنون، وبمعرفة كيفيتها جاهلون.

فانظروا - رحمكم الله- إلى لفظ هذين الإمامين وكيف اتحدا واتفقا والتبري مما ورائه أحرى. (ص٦٢، ٦٣)

---

(١) الصواب أنه موقوف على ابن مسعود كما سبق

نقل الإمام النووي: عن الإمام أحمد ﷺ أنه قال: من زعم أن حروف الهجى مخلوقة فهو كافر لأنه سلك طريقاً إلى البدعة، لأنه متى حكم بأنها مخلوقة فقد حكم بأن القرآن مخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر.

ونقل عنه أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه قال فيمن حلف لا يتكلم فقرأ القرآن أنه لا يحنث ولو كانت مخلوقة لحنث بالقياس على غيرها. (ص٢٠)

ونقل أقولاً عن السلف بمعناها ثم قال: فإشارات هؤلاء السادة الفضلاء والأئمة العلماء رحمهم الله إلى الاحتراز عن القول بحدوث الحروف صيانة الكلام العزيز عن طرق الحدوث إليه بوجه من الوجوه، فلا سبيل إلى الخروج عما اعتقدوه فهم القدوة للإسلام والأنجم في الظلام. (ص٢٢)

ونقل عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو ضال مبتدع وقائل بما لم يقل به أحد من سلف الأمة. (ص٢٥)

ونقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر. (ص٢٦)

ولما ذكر الإمام النووي الأشاعرة لم يعد نفسه منهم[1] ، بل قال: ذهب أبو الحسن الأشعري واتباعه كأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي بكر بن فورك ، وأبي

---

(١) ومن لطائف الاستدلال: أن الإمام النووي لم ينسب نفسه قط إلى الأشاعرة، مع أن العادة في زمانه أن ينسب العالم نفسه للمذهبين العقدي والفقهي !

بكر الباقلاني، وأبي القاسم القشيري، وأبي القاسم الإسفراييني، وأبي محمد الجويني ، وأبي سهل الصعلوكي وغيرهم: إلى أن هذه الحروف والأصوات التي نتلوها ويحفظها أولادنا ونرجع إليها في حلالنا وحرامنا، المنزلة على النبي ﷺ بنظم القرآن، محدثة وإنها عبارة ودلالة على الكلام القديم ولم ينزل على النبي ﷺ كلام قديم

ثم رد عليهم في ورقات كثيرات (ص٢٧) وما بعدها

وقال الإمام النووي: والعجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأن[١] كلام الله منزل على نبيه، ومكتوب في المصاحف، ومتلو بالألسنة على الحقيقة، ثم يقولون: المنزل هو عبارة، والمكتوب غير الكتابة، والمتلو غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة وتعقبات باردة ركيكة.

ويكفي في دحض هذا المعتقد كونهم لا يستطيعون على التصريح به. (ص٣٩)

ثم (ص ٤٥) ألزم الأشاعرة بلوازم مهمة في اتباع السلف

وتلميذه ابن العطار اشتد على الأشاعرة في كتابه "الإعتقاد الخالص"، مع ثنائه البالغ على شيخه النووي، ولم ينسبه له قط !

راجع مرئية بعنوان: التأصيل المبدئي لمدى موافقة النووي لعقيدة الأشاعرة.

(١) في الأصل: لأن

وقال بعدما ذكر كلاماً " أشار إليه الإمام أبو الحسن ابن الزاغوني[١] في كتابه الإيضاح: **ولعمري لقد اندفع بهذا التقرير كثير من كلام الأشاعرة وتلبيساتهم[٢] عند العارف بمعاني الكلام ودقائقه.** (ص٥٣)

وقال الإمام النووي: فثبت أنه يقال: كلَّمَ موسى بكلام سمعه بحاسة أذنه، ولذلك امتن الله ﷻ عليه في قوله: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾ [الأعراف:١٤٤] فلولا أنه سمع كلامه وإلا لم يكن للتخصيص فائدة. (ص٥٥ ، ٥٦)

وذكر أن الله كتب التوراة بيده لموسى. (ص٥٦)

وذكر عن الشافعي ﵁ أنه قال:" إذا سمعت من رجل يقول الاسم غير المسمى فاشهدوا عليه بالزندقة". (ص٦٥)

وقال : فصلٌ في إثبات الحرف لله تعالى، ثم ساق دليله آيات من الكتاب العزيز. (ص٥٤)

وقال: فصل: في اثبات الصوت لله تعالى، ثم قال: ينطق الكتاب العزيز بذلك في مواضع. ثم ساقها مع أحاديث للنبي ﷺ. (ص٥٦، ٥٧)

وقال: فصل: في ان كلام الله مسموع، وساق دليله من آيات من الكتاب العزيز، ثم أحاديث تؤكد أن كلام الله مسموع. (ص٦٦ ، ٦٧)

---

(١) الحنبلي ، وقارن بين هذا وبين كلام ابن ابن الجوزي فيه !

(٢) في الأصل: وتلبياتهم

فكيف يكون الإمام النووي على عقيدة الأشعرية؟

وكيف يصح أن نطلق انتسابه إليها؟![١]

ولماذا قبلت توبة أبي حنيفة رحمه الله وسجلتها في مقال لك، ولم تقبل توبة الإمام النووي[٢]**؟!**

والإمام النووي إن لم يثبت تراجعه : نعمل بوصية معاذ بن جبل رضي الله عنه

روى أبو داود ٤٦١١ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ ، حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ، وَالْعَبْدُ وَالْحُرُّ ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ ، مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ ؛ فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، فَقُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ ، قَالَ: بَلَى ، اجْتَنِبْ مِنْ

---

(١) التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٩١

(٢) وقد أثبتها جماعة من المحققين كما سبق

فإن قلتَ: لم تثبت عندي !، نقول: ومن أنت حتى يكون لك عند ؟!

كَلَامِ الْحَكِيمِ مَا تَشَابَهَ عَلَيْكَ ، حَتَّى تَقُولَ: مَا أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ ، فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا

وروى الحاكم ٨٤٢٢ وصححه والذهبي على شرط الشيخين عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: أَدْرَكْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ﵁ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَأَدْرَكْتُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁ وَوَعَيْتُ عَنْهُ، وَفَاتَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﵁، فَأَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ عُمَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَجْلِسُهُ: " اللهُ حَكَمٌ قِسْطٍ تَبَارَكَ اسْمُهُ، هَلَكَ الْمُرْتَابُونَ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَالْحُرُّ وَالْعَبْدُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَمَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ ثُمَّ يَقُولُ: مَا هُمْ مُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتَدَعَ فَإِنَّ مَا ابْتَدَعَ ضَلَالَةٌ، اتَّقُوا زَلَّةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِي الْحَكِيمِ الضَّلَالَةَ، وَيُلْقِي لِلْمُنَافِقِ كَلِمَةَ الْحَقِّ "، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا يُدْرِيكَ يَرْحَمُكَ اللهُ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُلَقَّى كَلِمَةَ الْحَقِّ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يُلْقِي عَلَى فِي الْحَكِيمِ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ؟ قَالَ: " اجْتَنِبُوا مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ كُلَّ مُتَشَابِهٍ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْتَ: مَا هَذَا؟ وَلَا يُنْئِيكَ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ وَيُلْقِي الْحَقَّ فَاسْمَعْهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا

فلا نرضى ولا نقر أي قول مخالف للسلف الصالح ، ونبرأ إلى الله تعالى من كل ما لا يرضيه، ولكننا نقول : نبرأ إلى الله من الخطأ ، لا من العالم المجتهد إذا أخطأ؛ بل نسأل الله لنا وله المغفرة، ونعوذ بالله من الهوى والفظاظة !

ونقول بما في مجموع الفتاوى[١] : " وكثيرٌ من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ، ولم يعلموا أنه بدعة ، إمَّا لأحاديث ضعيفة ظنُّوها صحيحة ، وإمَّا لآيات فهموا منها ما لم يُرَد منها ، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم " .

وفي مجموع الفتاوي[٢]: وإن كان المخطئ المجتهد مغفورا له خطؤه ، وهو مأجور على اجتهاده . فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب ، والسنة واجب ، وإن كان في ذلك مخالفة لقوله ، وعمله .

ومن علم منه الاجتهاد السائغ ؛ فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم ، والتأثيم له فإن الله غفر له خطأه ، بل يجب لما فيه من الإيمان ، والتقوى موالاته ، ومحبته ، والقيام بما أوجب الله من حقوقه : من ثناء ، ودعاء ، وغير ذلك.

وبما قاله شيخ الإسلام : "مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ"[٣].

وقال أيضاً : "ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان ذلك في المسائل العلمية ، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة ، وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل مع كونه لم يطلب العلم ، فالفاضل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/١٩١

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٣٥

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/١٢٣

المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذ بما أخطأ تحقيقاً لقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾"(١).

وقال: "فأما الصديقون والشهداء والصالحون ، فليسوا معصومين، وهذا في الذنوب المحققة.

وأما ما اجتهدوا فيه فتارة يصيبون وتارة يخطئون.

فإذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران.

وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم ، وخطؤهم مغفور لهم .

وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلون فيهم يقولون : إنهم معصومون، وتارة يجفون عنهم ويقولون : إنهم باغون بالخطأ .

وأهل العلم والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون" (٢).

وقال أيضاً : "والمتأول المخطئ مغفور له بالكتاب والسنة"(٣).

وقالَ ابنُ تيميةَ رحمه الله : وعلى هذا فالمتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والأمرية وإن كان في قوله بدعة يخالف بها نصّا أو إجماعا قديما وهو لا

---

(١) الفتاوى ٢٠/١٦٧

(٢) الفتاوى ٣٥ /٦٩

(٣) منهاج السنة ٤ /٤٥٢

يعلم أنه يخالف ذلك بل قد أخطأ فيه كما يخطئ المفتي والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده؛ يكون أيضا مثابا من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه وإن كان معفوّا عنه، ثم قد يحصل فيه تفريط في الواجب أو اتباع لهوى يكون ذنبا منه، وقد يقوى فيكون كبيرة وقد تقوم عليه الحجة التي بعث الله ﷻ بها رسله ويعاندها مشاقّا للرسول من بعد ما تبين له الهدى متبعا غير سبيل المؤمنين فيكون مرتدّا منافقا أو مرتدّا ردة ظاهرة، فالكلام في الأشخاص لا بد فيه من هذا التفصيل[١].

و"مِثْلُ هذا وَقَعَ لِطَوائفَ مِن أهلِ العِلْمِ والدِّينِ، واللهُ تعالى يَتَقَبَّلُ مِن جميعِ عبادِهِ المؤمنينَ الحسناتِ، ويتجاوزُ لهم عن السيئاتِ، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ولا رَيْبَ أنَّ مَن اجتهدَ في طَلَبِ الحقِّ والدِّينِ مِن جِهَةِ الرسولِ ﷺ، وأخطأَ في بعضِ ذلك؛ فاللهُ يَغْفِرُ له خطأَهُ تحقِيقًا للدعاءِ الذي استَجَابَهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ وللمؤمنينَ حيثُ قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾"[٢]

---

(١)شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٩٨) ط العصرية، (ص ٣٥٦، ٣٥٧) ط مكتبة ابن تيمية، ثم قال: "**وأما الكلام في أنواع الأقوال والأعمال باطناً وظاهراً من الاعتقاد والإرادات وغير ذلك ، فالواجب فيما تنوزع في ذلك أن يرد إلى الله والرسول، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالفهما فهو باطل، وما وافقهما من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل** ".

(٢) دَرْءُ تَعَارُضِ العَقْلِ والنَّقْلِ (٢/ ١٠٣)

وقال ابن أبي العز الحنفي : "والقول قد يكون مخالفاً للنص وقائله معذور . فإن المخالفة بتأويل لم يسلم منها أحد من أهل العلم ، وذلك التأويل وإن كان فاسداً فصاحبه مغفور له لحصوله على اجتهاده ، فإن المجتهد إذا اجتهد وأصاب له أجران : أجر على اجتهاده ، وأجر على إصابته الحق ، وإذا اجتهد فأخطأ : فله أجر على اجتهاده ، وخطؤه مغفور له ، فمخالفة النص إن كانت عن قصد فهي كفر ، وإن كانت عن اجتهاد فهي من الخطأ المغفور.." [(١)]

"والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل الخبرية والعلمية كما قد بسط في غير موضع[(٢)]، كمن اعتقد ثبوت شيء لدلالة آية أو حديث وكان لذلك ما يعارضه ويبين المراد ولم يعرفه مثل من اعتقد أن الذبيح إسحاق لحديث اعتقد ثبوته أو اعتقد أن الله لا يرى؛ لقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ولقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾ كما احتجت عائشة بهاتين الآيتين على انتفاء الرؤية في حق النبي ﷺ وإنما يدلان بطريق العموم ، وكما نقل عن بعض التابعين أن الله لا يُرى وفسروا قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾

---

(١) الاتباع ص٢٩ وانظر منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص ٧٠-٧٣

(٢) منها: " **فَإِنَّ نُصُوصَ "الْوَعِيدِ" الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنُصُوصَ الْأَئِمَّةِ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا يُسْتَلْزَمُ ثُبُوتُ مُوجَبِهَا فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ إلَّا إذَا وُجِدَتْ الشُّرُوطُ وَانْتَفَتْ الْمَوَانِعُ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ** ". مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٧٢ ، وينظر منهاج السنة ٤ / ٣٤٦

﴿إلى ربها ناظرة﴾ بأنها تنتظر ثواب ربها كما نقل عن مجاهد وأبي صالح...

أو اعتقد أن الله لا يعجب كما اعتقد ذلك شريح؛ لاعتقاده أن العجب إنما يكون من جهل السبب والله منزه عن الجهل، أو اعتقد أن عليا أفضل الصحابة؛ لاعتقاده صحة حديث الطير؛ وأن النبي ﷺ قال: "اللهم ائتني بأحب الخلق إليك؛ يأكل معي من هذا الطائر" ...

أو اعتقد أن بعض الكلمات أو الآيات أنها ليست من القرآن؛ لأن ذلك لم يثبت عنده بالنقل الثابت، كما نقل عن غير واحد من السلف أنهم أنكروا ألفاظا من القرآن كإنكار بعضهم: ﴿وقضى ربك﴾ وقال: إنما هي "ووصى ربك"، وإنكار بعضهم قوله: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ وقال: إنما هو ميثاق بني إسرائيل وكذلك هي في قراءة عبد الله، وإنكار بعضهم ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ إنما هي " أو لم يتبين الذين آمنوا"، وكما أنكر عمر على هشام بن الحكم لما رآه يقرأ سورة الفرقان على غير ما قرأها، وكما أنكر طائفة من السلف على بعض القراء بحروف لم يعرفوها حتى جمعهم عثمان على المصحف الإمام.

وكما أنكر طائفة من السلف والخلف أن الله يريد المعاصي؛ لاعتقادهم أن معناه أن الله يحب ذلك ويرضاه ويأمر به" (١)

وقال ابن القيم رحمه الله : "من له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٣ - ٣٦) بتصرف

الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين"(١).

وقال ابن القيم: "من قواعد الشرع والحكمة أيضاً: أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره، ويعفى عنه ما لا يعفى عن غيره؛ فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، بخلاف الماء القليل فإنه يحمل أدنى خبث، ومن هذا قول النبي ﷺ لعمر: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم وهذا هو المانع له ﷺ من قتل من حس عليه وعلى المسلمين وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بدرا، فدل على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ما له من الحسنات.

وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرهم: أن من له ألوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها ... كما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

---

(١) إعلام الموقعين ٣ /٢٩٥

وقال آخر:

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فأفعاله اللاتي سررن كثير"[١].

وقال ابن عثيمين: "وأما موقفنا من العلماء المأولين ، فنقول : من عرف منهم بحسن النية وكان له قدم صدق في الدين واتباع السنة فهو معذور بتأويله السائغ ، فالقول الخطأ إذا كان صادراً عن اجتهاد وحسن قصد لا يذم قائله ، بل يكون له أجر على اجتهاده"[٢].

وقال ابن عبد البر : "لا يسلم العالم من الخطأ ، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو عالم ، ومن أصاب قليلاً وأخطأ كثيراً فهو جاهل"[٣].

وكما قال سفيان الثوري : "ليس يكاد يفلت من الغلط أحد ، إذا كان الغالب على الرجل الحفظ فهو حافظ وإن غلط ، وإن كان الغالب عليه الغلط ترك"[٤].

وقال الإمام أحمد : "ما رأيت أحداً أقل خطأ من يحيى بن سعيد ولقد أخطأ في أحاديث ثم قال : ومن يعرى من الخطأ والتصحيف" [٥].

---

(١)"مفتاح دار السعادة" (١/١٧٦-١٧٧)

(٢) المجموع الثمين ٣ /٢٤

(٣) الجامع بيان العلم ٢ /٤٨

(٤) الكفاية ص١٧٢، تهذيب الكمال ١ /١٦١

(٥) سير أعلام النبلاء ٩ /١٨١ والآداب الشرعية ٢ /١٤١

وقال الإمام الترمذي: " لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة "(١).

قَالَ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ" ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ إِلَّا مَا بَدَرَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ عَلَى الْحَسَدِ وَالْهَفَوَاتِ وَالْغَضَبِ وَالشَّهَوَاتِ دُونَ أَنْ يُعنى بِفَضَائِلِهِمْ وَيَرْوِي مَنَاقِبَهُمْ حُرِمَ التَّوْفِيقَ وَدَخَلَ فِي الْغِيبَةِ وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقِ جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِمَّنْ يَسْمَعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ(٢)

وقال الذهبي في ترجمة قتادة: "**حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدّثين ...** ، كان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوّة الحفظ ... ، وهو حجّة بالإجماع إذا بيّن السماع؛ فإنه مدلّس معروف بذلك، **وكان يرى القَدَر، نسأل الله العفو.**

ومع هذا فما توقّف أحد في صدقه وعدالته وحفظه.

ولعلّ الله يعذر أمثاله ممن تلبّس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبَذَل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يُسئل عما يفعل. ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعُلِمَ تحرّيه للحق، واتّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرِف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلّله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك"(٣).

وقال: " قَالَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ، مُؤَلِّفُ كِتَابِ "ذم

---

(١) كتاب العلل الصغير للترمذي في آخر كتابه السنن ٥ /٧٤٧ - ٧٤٨

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١١٨)

(٣) سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٧١)

الكَلَامِ" [(١)]: سَمِعْتُ عبدَ الصَّمدِ بنَ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُوْلُ: أَنكرُوا عَلَى أَبِي حَاتِمٍ بنِ حِبَّانَ قولَهُ: النُّبُوَّةُ العِلْمُ وَالعملُ. فحكمُوا عَلَيْهِ بِالزَّنْدَقَةِ، هُجِرَ، وكُتِبَ فِيْهِ إِلَى الخَلِيْفَةِ، فَكَتَبَ بِقَتْلِهِ.

ثم قال الذهبي: هَذِهِ حِكَايَةٌ غريبَةٌ، وابن حبان مِنْ كبارِ الأَئِمَةِ، وَلَسْنَا ندَّعي فِيْهِ العِصْمَةَ مِنَ الخَطَأِ، **لَكِنَّ هَذِهِ الكَلِمَةَ الَّتِي أَطلقَهَا قَدْ يُطلقُهَا المُسْلِمُ، وَيُطلقُهَا الزِّنديقُ الفيلسوفُ، فَإِطلَاقُ المُسْلِمِ لَهَا لَا يَنْبَغِي، لَكِنْ يُعتذرُ عَنْهُ،** فَنَقُوْل: لَمْ يُردْ حصرَ المبتدأِ فِي الخَبَرِ، وَنظيرُ ذَلِكَ قولُهُ عليه الصلاة والسلام: "الحَجُّ عَرَفَةٌ"، وَمعلومٌ أَنَّ الحاجَّ لَا يصيرُ بِمُجَرَّدِ الوُقُوْفِ بِعَرَفَةِ حَاجّاً، بَلْ بَقِيَ عَلَيْهِ فروضٌ وَواجبَاتٌ، وَإِنَّمَا ذكرَ مُهمَّ الحَجِّ، وَكَذَا هَذَا، ذكرَ مُهمَّ النُّبُوَّةِ؛ إِذْ مِنْ أَكملِ صفَاتِ النَّبِيِّ كمَالُ العِلْمِ وَالعملِ، فَلَا يَكُون أَحدٌ نَبِيّاً إِلَّا بوجودهما، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ برَّزَ فِيْهِمَا نَبِيّاً؛ لأَنَّ النُّبُوَّةَ مَوْهِبَةٌ مِنَ الحَقِّ تَعَالَى، لَا حِيْلَةَ للعبدِ فِي اكتسَابِهَا، بَلْ بِهَا يتولَّدُ العِلْمُ اللدنِّي، وَالعملُ الصَّالِحُ.

وأَمَّا الفيلسوفُ فَيَقُوْلُ: النُّبُوَّةُ مكتسبةٌ ينتجُها العلمُ والعملُ، **فهذا كفرٌ، وَلَا يريدُهُ أَبُو حَاتِمٍ أَصلاً، وَحَاشَاهُ،** وَإِنْ كَانَ فِي تقَاسيمِهِ مِنَ الأَقوَالِ وَالتَّأَويلَاتِ البعيدَةِ، وَالأَحَادِيثِ المنكرَةِ عجَائِبُ، وَقَدِ اعترفَ أَنَّ صحيحَهُ لَا يقدرُ عَلَى الكشفِ مِنْهُ إِلَّا مَنْ حِفْظَهُ، كمنْ عِنْدَهُ مصحفٌ لَا يقدرُ عَلَى مَوْضِعِ آيَةٍ يريدُهَا

---

(١) بمناسبة ذكره غفر الله لنا وله، هل يستطيع الطعان أن يكتب رسالة في عقيدته وأقوال السلف فيها ، كما فعل مع الإمام النووي ؟!

مِنْهُ إِلَّا مَنْ يحفظُهُ "[١].

ونقل الذهبي عن علي بن المديني، "قال: قلت ليحيى القطان: إن عبد الرحمن قال: أنا أترك من أهل الحديث كل رأس في بدعة.

فضحك يحيى، وقال: كيف تصنع بقتادة؟ كيف تصنع بعمر بن ذر؟ كيف تصنع بابن أبي رواد؟

وَعَدَّ يحيى قوماً أمسكتُ عن ذكرهم"[٢].

وقال الذهبي: "وَلَوْ أَنَّا كُلَّما أَخْطَأَ إمامٌ في اجتِهادِهِ في آحَادِ المسائلِ - خَطَأً مَغْفُورًا له -، قُمْنَا عليه وبَدَّعْنَاهُ وهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنا لا ابنُ نَصْرٍ، ولا ابنُ مَنْدَه، ولا مَن هو أكبرُ منهما، واللهُ هو هادي الخلقِ إلى الحقِّ، وهو أرحمُ الراحمينَ، فَنَعُوذُ باللهِ مِن الهوى! والفَظاظَةِ !! [٣]".

وقال: "غُلاةُ المُعْتَزِلَةِ، وغُلاةُ الشِّيعَةِ، وغُلاةُ الحنابِلَةِ ، وغُلاةُ الأشاعِرةِ، وغُلاةُ المُرْجِئَةِ، وغُلاةُ الجَهْمِيةِ، وغُلاةُ الكَرَّامِيَّةِ : **قد مَاجَتْ بِهِمُ الدُّنْيا، وكَثُرُوا، وفيهم أَذْكِياءٌ وعُبَّادٌ وعُلَمَاءٌ؛ نَسْأَلُ اللهَ العفوَ والمغفرةَ لأهلِ التوحيدِ، ونَبْرَأُ إلى اللهِ مِن الهوى والبدعِ، ونُحِبُّ السنةَ وأهلَها، ونُحِبُّ العالِمَ على ما فيه مِن الاتباع والصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ، ولا نُحِبُّ ما ابتَدَعَ فيه بتأويلٍ سائغٍ، وإنما العِبْرَةُ بِكَثْرَةِ**

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٦)

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٧) ، وينظر تهذيب التهذيب ٨/٣٥٣

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠)

المُحَاسِنِ"[١].

وعلَّق ابن القيم على بعض ألفاظ الهروي: "في هذا اللفظ قلق وسوء تعبير ، **يجبره حسن حال صاحبه وصدقه ، وتعظيمه لله ورسوله** ، ولكن أبى الله أن يكون الكمال إلا له"[٢].

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية : "وبالجملة فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب ، ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي ، وخطؤه مغفور له"[٣].

ومن أشد ما قيل في الهروي ما قاله العلامة عبد العزيز الراجحي: " هو من أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، باب الأسماء والصفات"!

ثم قال : "**لكنه مع الأسف لما جاء في باب السلوك وافق أهل البدع في التعطيل** ، تعطيلاً آخر غير تعطيل أهل البدع ، أهل البدع عطلوا الله من أسمائه وصفاته، والصوفية عطلوا عبادته، فلما جاء في باب السلوك وقع في تعطيل يوازن تعطيل أهل البدع في الأسماء والصفات"

وقال: " وقد قال كلاماً خطيراً جرَّه إليه أهلُ وحدة الوجود، فقال في الأبيات المعروفة:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٥)، وانظر ضوابط التبديع ص (١٨٦-١٩٠)

(٢) مدارج السالكين ٣ /١٥٠ ، وهو الإمام المشار إليه قريباً

(٣) البداية والنهاية ١٤ / ١٣٨

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ ... إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ

تَوْحِيدُ مَنْ يُخْبِرُ عَنْ نَعْتِهِ ... عَارِيَةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ

تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ ... وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لَاحِدُ

... فهذه الأبيات الثلاثة جرّه إليها الاتحادية، وقال ابن القيم :"أقسموا بالله جهد أيمانهم إنه لمنهم، وما هو منهم"، ثم نقل قول شيخ الإسلام: **عمله خير من علمه**"(١).

فنقول كما قال ابن الأثير رحمه الله : " إنما السيد من عدَّت سقطاته وأخذت غلطاته فهي الدنيا لا يكمل فيها شيء"(٢).

وكما يقول ابن القيم رحمه الله بعد رده على الهروي: "ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام (الهروي) إهدار محاسنه، وإساءة الظن به؛ فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يجهل. وكل أحد فمأخوذ من قوله ومترك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه. والكامل من عُدَّ خطؤه؛ ولا سيما في مثل هذا المجال الضنك، والمعترك الصعب؛ الذي زَلَّت فيه أقدام، وضلت فيه أفهام، وافترقت بالسالكين فيه الطرقات، وأشرفوا -

---

(١) البيان والتسديد بشرح الأربعين في دلائل التوحيد للعلامة عبد العزيز الراجحي ص ٦ ٦ ، ٧ ، ١٠

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ١ /٩

إلا أقلهم – على أودية الهلكات"[١].

وقال الذهبي في الميزان: لا أذكر في كتابي من الآئمة المتبوعين في الفروع أحداً لجلالتهم في الاسلام وعظمتهم في النفوس، **مثل أبى حنيفة، والشافعي، والبخاري،** فإن ذكرت أحداً منهم فأذكره على الانصاف، وما يضره ذلك عند الله ولا عند الناس، إذ إنما يضر الانسان الكذب، والاصرار على كثرة الخطأ، والتّجرّي على تدليس الباطل، فإنه خيانة وجناية، والمرء المسلم يطبع على كل شئ إلا الخيانة والكذب[٢].

ومع ذلك نقول كما قال ابن رجب[٣]: رد المقالات الضعيفة ، وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ، ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء ، بل مما يحبونه ويمدحون فاعله ويثنون عليه[٤] ... وأما بيان خطأ من أخطأ من العلماء قبله

---

(١) مدارج السالكين: ٣٦٦/١ ط. دار طيبة

(٢) ميزان الإعتدال ٤٦/١-٤٧ ط الرسالة

(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير ص ٣

(٤) قال ابن رجب رحمه الله الفرق بين النصيحة والتعيير ص٢: ولم يترك ذلك (أي بيان الخطأ) أحد من أهل العلم ولا ادعى فيه طعناً على من ردَّ عليه قولَه ولا ذمَّاً ولا نقصاً... وسبب ذلك أن علماء الدين كلُّهم مجمعون على قصد إظهار الحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ ولأنْ يكون الدين كله لله وأن تكون كلمته هي العليا ، وكلُّهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة أحد منهم ولا ادعاه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم

إذا تأدب في الخطاب وأحسن في الرد والجواب فلا حرج عليه ولا لوم يتوجه إليه... ، فإن كان مقصوده في ذلك مجرد تبيين الحق ولئلا يغتر الناس بقالات من أخطأ في مقالاته فلا ريب أنه مثاب على قصده ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم ...

"وهذا هو السبيل الوسط الذي نرى من الواجب على المسلمين أن يتخذوه لهم طريقا لحل الخلافات القائمة بينهم: أن يجهر كل منهم بما يراه هو الصواب الموافق للكتاب والسنة **شريطة أن لا يضلل ولا يبدع من لم ير ذلك لشبهة عرضت له** ، لأنه هو الطريق الوحيد الذي به تتحقق وحدة المسلمين وتتوحد كلمتهم ويبقى الحق فيه ظاهرا جليا غير منطمس المعالم[(١)]"، "هذا هو موقفنا في المسائل الخلافية بين المسلمين الجهر بالحق بالتي هي أحسن وعدم تضليل من يخالفنا لشبهة – لا لهوى –، وهذا هو الذي جرينا عليه منذ أن هدانا الله لاتباع السنة ، وذلك من نحو عشرين سنة، ونتمنى مثل هذا الموقف لأولئك

يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم .

وقال ابن رجب أيضا: ومن عُرف منه أنه أراد بردِّه على العلماء النصيحة لله ورسوله فإنه يجب أن يُعامَل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين الذين سبق ذكرهم وأمثالهم ومن تبعهم بإحسان .

(١) صلاة التراويح – الألباني (ص٤٤)

المتسرعين في تضليل المسلمين[١]"، و" نَعُوذُ بِالله ﷻ مِمَّا يَقْضِي إِلَى الْوَقِيعَةِ فِي أَعْرَاضِ الْأَئِمَّةِ، أَوْ انْتِقَاصٍ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ، أَوْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ بِمَقَادِيرِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، أَوْ مُحَادَّتِهِمْ وَتَرْكِ مَحَبَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ، وَنَرْجُو مِنْ الله ﷻ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ وَيُوَالِيهِمْ وَيَعْرِفُ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَفَضْلِهِمْ مَا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ الْاتباع، وَأَنْ يَكُونَ نَصِيبُنَا مِنْ ذَلِكَ أَوْفَرَ نَصِيبٍ وَأَعْظَمَ حَظٍّ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

لَكِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْأَئِمَّةِ وَحُقُوقِهِمْ وَمَقَادِيرِهِمْ، وَتَرْكُ كُلِّ مَا يَجُرُّ إِلَى تَلْمِهِمْ

وَالثَّانِي: النَّصِيحَةُ لله ﷻ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَإِبَانَةُ مَا أَنْزَلَ اللهُ ﷻ مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى.

وَلَا مُنَافَاةَ أَنَّ اللهَ ﷻ بَيَّنَ الْقِسْمَيْنِ لِمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، وَإِنَّمَا يَضِيقُ عَنْ ذَلِكَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ جَاهِلٌ بِمَقَادِيرِهِمْ وَمَعَاذِيرِهِمْ، أَوْ رَجُلٌ جَاهِلٌ بِالشَّرِيعَةِ وَأُصُولِ الْأَحْكَامِ...

---

(١) جامع تراث العلامة الألباني في الفقه (٧/ ٣٧)، قاموس البدع ، مستخرج من كتب الألباني لمشهور حسن ص ٣٦

أَنَّ الرَّجُلَ الْجَلِيلَ الَّذِي لَهُ فِي الْإِسْلَامِ قَدَمٌ صَالِحٌ وَآثَارٌ حَسَنَةٌ، وَهُوَ مِنْ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَكَانَةٍ عُلْيَا قَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ هُوَ فِيهَا مَعْذُورٌ"[١]

قال النووي: " وليس الغرض القدح فيهم، وإنما المطلوب التحذير من أقوال باطلة نُقلت عنهم" [٢]، " وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم أهله"[٣]

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٩٢) شفاء العليل في اختصار إبطال التحليل (ص٧٦) غاية الأماني في الرد على النبهاني (٢/ ٢٩٥)

(٢) ذكره الشيخ مشهور حسن ، نقلاً عن الإمام النووي في آخر كتابه "الأذكار" تحت باب: في ألفاظ حكي عن جماعة من العلماء كراهتها وليست بمكروهة (٢/ ٩٢٤). انظر تحقيقه لتحفة الطالبين (ص٦٥) وقال: وانظر "جلاء الأفهام" لابن القيم (الفصل العاشر) (ص ٤٥٣) وتعليقي عليه، والله الموفق والهادي

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/ ٢٣

موقف علمائنا من الحافظين، ابن حجر، والنووي – رحمهما الله –[١]:

أهل السنَّة والجماعة منصفون في الحكم على الآخرين، لا يرفعون الناس فوق ما يستحقون، ولا ينقصون قدرهم، ومن الإنصاف بيان خطأ المخطئ من أهل العلم والفضل، والتأول له، والترحم عليه، كما أن من الإنصاف التحذير من خطئه؛ لئلا يغتر أحد بمكانته فيقلده فيما أخطأ فيه، وأهل السنَّة لا يتوانون عن الحكم على المخالف المتعمد للسنَّة بأنه مبتدع ضال، وقد وُجد في زماننا هذا من نال من ابن حجر والنووي، فحكم عليهما بأنهما مبتدعان ضالان!، وبلغت السفاهة ببعضهم أن قال بوجوب إحراق كتابيهما فتح الباري وشرح مسلم!.

وليس معنى هذا أنهما لم يخطئا في مسائل من الشرع، وبخاصة في باب صفات الله تعالى، وقد علَّق عليها علماؤنا، وبينوها، وردوا عليهما، مع الترحم عليهما، والثناء بما يستحقانه، والدعاء لهما، والوصية بالاستفادة من كتبهما، وهذا هو الإنصاف الذي عُرف به أهل السنَّة والجماعة، بخلاف من بدَّعهما، وضلَّلهما، وقال بإحراق كتبهما، وبخلاف من استدل بكلامهما كأنه شرع منزَّل، وجعل ما يعتقدانه هو الحق الذي لا ريب فيه، وسنذكر ما يتيسر من كلام علمائنا ليقف المسلم على الإنصاف، والعلم، والحكم بالعدل على هذين الحافظين.

---

(١) معالم التوحيد في فاتحة الكتاب (ص١٠٢) عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان(ص ٤٢)

سُئل العلماء الكبار؛ علماء اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية: ما هو موقفنا من العلماء الذين أوَّلوا الصفات، مثل ابن حجر، والنووي، وابن الجوزي، وغيرهم، هل نعتبرهم من أئمة أهل السنَّة والجماعة، أم ماذا؟ وهل نقول: إنهم أخطأوا في تأويلاتهم، أم كانوا ضالين في ذلك؟

فأجابوا: "... موقفنا من أبي بكر الباقلاني، والبيهقي، وأبي الفرج بن الجوزي، **وأبي زكريا النووي، وابن حجر،** وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى، أو فوَّضوا في أصل معناها: أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة ﷺ وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة ﷺ، سواء تأولوا الصفات الذاتية، وصفات الأفعال، أم بعض ذلك، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١]".

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(٣/ ٢٤١)، عضو عبد الله بن قعود، عضو عبد الله بن غديان ، نائب رئيس اللجنة عبد الرزاق عفيفي ، الرئيس عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مجلة البحوث الإسلامية (٣٩/ ١٢٣، ١٢٤) ، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب (ص١٠٢) عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان (ص ٤٢)

وسئل الشيخ العلامة ابن باز: سائل يقول: هناك من يحذر من كتب الإمام النووي وابن حجر رحمهما الله تعالى، ويقول: إنهما ليسا من أهل السنة والجماعة، فما الصحيح في ذلك؟

ج: لهم أشياء غلطوا فيها في الصفات، ابن حجر والنووي وجماعة آخرون، لهم أشياء غلطوا فيها، ليسوا فيها من أهل السنة، وهم من أهل السنة فيما سلموا فيه ولم يحرفوه هم وأمثالهم ممن غلط [١]

وفي مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٢٥٤) تحت عنوان:

حكم تبديع بعض أئمة أهل السنة

س: ما حكم تبديع جملة **من أئمة أهل السنة** بحجة أنهم أخطأوا في العقيدة مثل النووي وابن حجر وغيرهما[٢]؟

ج: من أخطأ لا يؤخذ بخطئه، الخطأ مردود مثل ما قال مالك رحمه الله: " ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر " يعني النبي ﷺ، وكل عالم يخطئ ويصيب، فيؤخذ صوابه ويترك خطؤه، وإذا كان من أهل العقيدة السلفية ووقع في بعض الأغلاط، فيترك الغلط ولا يخرج بهذا من العقيدة السلفية إذا كان معروفا باتباع السلف، ولكن تقع منه بعض الأغلاط في بعض شروح

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٤٧)

(٢) سؤال موجه لسماحته بعد الدرس الذي ألقاه في المسجد الحرام بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٤١٨ هـ ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٢٥٤، ٢٥٥)

الحديث أو في بعض الكلمات التي تصدر منه فلا يقبل الخطأ ولا يتبع فيه، وهكذا جميع الأئمة إذا أخطأ الشافعي أو أبو حنيفة أو مالك أو أحمد أو الثوري أو الأوزاعي أو غيرهم، يؤخذ الصواب ويترك الخطأ، والخطأ ما خالف الدليل الشرعي، وهو ما قاله الله ورسوله، فلا يؤخذ أحد من الناس إلا بخطأ يخالف الدليل، والواجب اتباع الحق، قال الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقد أجمع العلماء على أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فالواجب اتباع ما جاء به وقبوله، وعدم رد شيء مما جاء به عليه الصلاة والسلام؛ للآية الكريمة المذكورة، وما جاء في معناها؛ ولقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩][1].

وقال العثيمين: نحن نؤمن بأن كل بدعة ضلالة، ثم هذه الضلالات تنقسم إلى: بدع مكفرة، وبدع مفسقة، وبدع يعذر فيها صاحبها، ولكن الذي يعذر صاحبها فيها لا تخرج عن كونها ضلالة، ولكن **يعذر الإنسان إذا صدرت منه**

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٢٥٤)

هذه البدعة عن تأويل وحسن قصد، وأضرب مثلاً بحافظين معتمدين موثوقين بين المسلمين وهما: النووي وابن حجر رحمهما الله تعالى.

فالنووي، لا نشك أن الرجل ناصح، وأن له قدم صدق في الإسلام، ويدل لذلك قبول مؤلفاته حتى إنك لا تجد مسجداً من مساجد المسلمين إلا ويقرأ فيه كتاب "رياض الصالحين"، وهذا يدل على القبول، ولا شك أنه ناصح، ولكنه رحمه الله أخطأ في تأويل آيات الصفات حيث سلك فيها مسلك المؤولة، **فهل نقول: إن الرجل مبتدع؟**

نقول: قوله بدعة لكن هو غير مبتدع، لأنه في الحقيقة متأول، والمتأول إذا أخطأ مع اجتهاده فله أجر، فكيف نصفه بأنه مبتدع وننفر الناس منه، والقول غير القائل، فقد يقول الإنسان كلمة الكفر ولا يكفر.

أرأيتم الرجل الذي أضل راحلته حتى أيس منها، واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، فإذا بالناقة على رأسه، فأخذ بها وقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك!، وهذه الكلمة كلمة كفر لكن هو لم يكفر، قال النبي ﷺ: "أَخطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَح"(١) ، أرأيتم الرجل يكره على الكفر قولاً أو فعلاً فهل يكفر؟، الجواب: لا، القول كفر والفعل كفر لكن هذا القائل أو الفاعل ليس بكافر لأنه مكره.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧)

أرأيتم الرجل الذي كان مسرفاً على نفسه فقال لأهله: إذا مت فأحرقوني وذرُّوني في اليمِّ - أي البحر - فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين[1]، ظن أنه بذلك ينجو من عذاب الله، وهذا شك في قدرة الله ﷿، والشك في قدرة الله كفر، ولكن هذا الرجل لم يكفر.

جمعه الله ﷿ وسأله لماذا صنعت هذا؟ قال: مخافتك. وفي رواية أخرى: من خشيتك، فغفر الله له.

أما الحافظ الثاني: فهو ابن حجر رحمه الله، وابن حجر حسب ما بلغ علمي متذبذب في الواقع، أحياناً يسلك مسلك السلف، وأحياناً يمشي على طريقة التأويل التي هي في نظرنا تحريف.

مثل هذين الرجلين هل يمكن أن نقدح فيهما؟

أبداً، لكننا لا نقبل خطأهما، خطؤهما شيء واجتهادهما شيء آخر.

أقول هذا لأنه **نبتت نابتة قبل سنتين أو ثلاث تهاجم هذين الرجلين هجوماً عنيفاً**، وتقول: يجب إحراق فتح الباري وإحراق شرح صحيح مسلم

أعوذ بالله، كيف يجرؤ إنسان على هذا الكلام، لكنه الغرور والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨١) . ومسلم (٢٧٥٦)

والبدعة المكفرة أو المفسقة لا نحكم على صاحبها أنه كافر أو فاسق حتى تقوم عليه الحجة، لقول الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الاسراء: ١٥] ولو كان الإنسان يكفر ولو لم تقم عليه الحجة لكان يعذب، وقال ﷻ: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] والآيات في هذه كثيرة.

فعلينا أن نتئد وأن لا نتسرع، وأن لا نقول لشخص أتى ببدعة واحدة من آلاف السنن إنه رجل مبتدع.

وهل يصح أن ننسب هذين الرجلين وأمثالهما إلى الأشاعرة، ونقول: هما من الأشاعرة؟

الجواب: لا؛ لأن الأشاعرة لهم مذهب مستقل له كيان في الأسماء والصفات والإيمان وأحوال الآخرة.

وما أحسن ما كتبه أخونا سفر الحوالي عما علم من مذهبهم، لأن أكثر الناس لا يفهم عنهم إلا أنهم مخالفون للسلف في باب الأسماء والصفات، ولكن لهم خلافات كثيرة.

فإذا قال قائل بمسألة من مسائل الصفات بما يوافق مذهبهم فلا نقول: إنه أشعري.

أرأيتم لو أن إنساناً من الحنابلة اختار قولاً للشافعية فهل نقول إنه شافعي؟

الجواب: لا نقول إنه شافعي.

فانتبهوا لهذه المسائل الدقيقة، ولا تتسرعوا، ولا تتهاونوا باغتياب العلماء السابقين واللاحقين، لأن غيبة العالم ليست قدحاً في شخصه فقط، بل في شخصه وما يحمله من الشريعة، لأنه إذا ساء ظن الناس فيه فإنهم لن يقبلوا ما يقول من شريعة الله، وتكون المصيبة على الشريعة أكثر.

ثم إنكم ستجدون قوماً يسلكون هذا المسلك المشين فعليكم بنصحهم، وإذا وجد فيكم من لسانه منطلق في القول في العلماء فانصحوه وحذروه وقولوا له: اتق الله، أنت لم تُتَعَبَّد بهذا، وما الفائدة من أن تقول فلان فيه فلان فيه، بل قل: هذا القول فيه كذا وكذا بقطع النظر عن الأشخاص.

لكن قد يكون من الأفضل أن نذكر الشخص بما فيه لئلا يغتر الناس به، لكن لا على سبيل العموم هكذا في المجالس، لأنه ليس كل إنسان إذا ذكرت القول يفهم القائل، فذكر القائل جائز عند الضرورة، وإلا فالمهم إبطال القول الباطل، والله الموفق[١]

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين دار الثريا للنشر (ص٢٨٧- ٢٩٠) ، ط مكتبة سلسبيل بمصر ص٣٥٢ - ٣٥٥ وسيأتي كلام د سفر

وسئل رحمه الله**: بالنسبة للعلماء الذين وقعوا في بعض الأخطاء في العقيدة،** كالأسماء والصفات، وغيرها، تمر علينا أسماؤهم في الجامعة حال الدراسة، فما حكم الترحُّم عليهم؟ ...

الشيخ: مثل مَن؟.

السائل: مثل: الزمخشري، والزركشي، وغيرهما.

الشيخ: الزركشي في ماذا؟.

السائل: في باب الأسماء والصفات.

فأجاب: "على كل حال، هناك أناس ينتسبون لطائفة معينة شعارها البدعة، كالمعتزلة مثلًا، ومنهم الزمخشري، فالزمخشري مُعتزلي، ويصف المثْبِتِين للصفات بأنهم: حَشَوِية، مُجَسِّمة، ويُضَلِّلهم فهو معتزلي، ولهذا يجب على مَن طالع كتابه "الكشاف" في تفسير القرآن أن يحترز من كلامه في باب الصفات، لكنه من حيث البلاغة، والدلالات البلاغية اللغوية جيد، يُنْتَفع بكتابه كثيرًا، إلا أنه خَطَرٌ على الإنسان الذي لا يعرف في باب الأسماء والصفات شيئًا، لكن هناك علماء مشهودٌ لهم بالخير، لا ينتسبون إلى طائفة معينة مِن أهل البدع، لكن في كلامهم شيءٌ من كلام أهل البدع؛ مثل: ابن حجر العسقلاني، والنووي - رحمهما الله -، فإن بعض السفهاء من الناس قدحوا فيهما قدحًا تامًّا مطلقًا من كل وجه، حتى قيل لي: إن بعض الناس يقول: يجب أن يُحْرَقَ "فتح الباري"؛ لأن ابن حجر أشعري، **وهذا غير صحيح، فهذان الرجلان بالذات ما أعلم**

اليوم أن أحدًا قدَّم للإسلام في باب أحاديث الرسول مثل ما قدَّماه، ويدلك على أن الله ﷻ بحوله وقوته - ولا أَتَأَلَّى على الله - قد قبلها: ما كان لمؤلفاتهما من القبول لدى الناس، لدى طلبة العلم، بل حتى عند العامة، فالآن كتاب "رياض الصالحين" يُقرأ في كل مجلس، ويُقرأ في كل مسجد، وينتفع الناس به انتفاعًا عظيمًا، وأتمنى أن يجعل الله لي كتابًا مثل هذا الكتاب، كلٌّ ينتفع به في بيته، وفي مسجده، فكيف يقال عن هذين: إنهما مبتَدعانِ ضالان، لا يجوز الترحُّم عليهما، ولا يجوز القراءة في كتبهما! ويجب إحراق "فتح الباري"، و"شرح صحيح مسلم"؟! سبحان الله! فإني أقول لهؤلاء بلسان الحال، وبلسان المقال: أَقِلُّوا عليهمْ لا أبا لأبيكمُ مِن اللومِ، أو سدوا المكان الذي سدوا، من كان يستطيع أن يقدم للإسلام والمسلمين مثلما قدَّم هذان الرجلان، إلا أن يشاء الله، فأنا أقول: غفر الله للنووي ولابن حجر العسقلاني، ولمن كان على شاكلتهما ممن نفع الله بهم الإسلام والمسلمين، وأمِّنوا على ذلك" (١).

قال العلامة العثيمين : إذا تكلم أحد من العلماء ببدعة أو سلك منهج قوم مبتدعة في مسألة من المسائل فهل يعد منهم؟

الجواب: لا. **لا يعد منهم ولا ينسب إليهم**، إذا وافقهم في مسألة من المسائل فإنه وافقهم في هذه المسألة، ولا يصح أن ينسب إليهم نسبة مطلقة، ولهذا مثلاً:

---

(١) لقاءات الباب المفتوح (٤٣/ السؤال رقم ٩)، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب (ص١٠٢) عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان (ص ٤٢).

نحن الآن نتبع في فقهياتنا ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، لكن هل إذا أخذنا برأي يراه الشافعي معناه أنا نكون شافعية مثلاً أو يراه مالك أن نكون مالكية، أو يراه أبو حنيفة أن نكون حنفية، كذلك هم أيضاً إذا أخذوا بمسألة يقول بها الإمام أحمد هل يكونون حنابلة؟ لا.

فإذا رأينا شخصاً من العلماء المعتبرين المعروفين بالنصيحة أخذ بشيء مما ذهب إليه أهل البدع لا يصح أن نقول: هو منهم وعلى مذهبهم، نقول: هذا بما نرى له من النصيحة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعباد الله إذا أخطأ في هذه المسألة، فإن ذلك الخطأ صادر عن اجتهاد، ومن اجتهد من هذه الأمة فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، **ومن ردَّ جميع الحق لكلمة أخطأ فيها من قال بالحق فإنه ظالم**، خصوصاً إذا كان هذا الخطأ الذي ظنه خطأً ليس بخطأ؛ لأن بعض الناس إذا خالفه أحد قال: هو على خطأ وخطَّأه أو ضلله أو ربما كفره والعياذ بالله وهذا مذهب سيئ للغاية[1]

وسئل العلامة ابن عثيمين غفر الله له: ما قولكم فيما يحصل من البعض من قدح في الحافظين النووي وابن حجر وأنهما من أهل البدع...؟

فأجاب فضيلته بقوله: **إن الشيخين الحافظين "النووي وابن حجر" لهما قدم صدق ونفع كبير في الأمة الإسلامية** ولئن وقع منهما خطأ في تأويل بعض

(١) اللقاء الشهري (٣/ ٣٦)، البدع والمحدثات وما لا أصل له لحمود بن عبد الله المطر ط دار ابن خزيمة ص ١٥٩

نصوص الصفات إنه لمغمور بما لهما من الفضائل والمنافع الجمة ولا نظن أن ما وقع منهما إلا صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ ـ ولو في رأيهما، وأرجو الله تعالى أن يكون من الخطأ المغفور وأن يكون ما قدماه من الخير والنفع من السعي المشكور وأن يصدق عليهما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

والذي نرى أنهما من أهل السنة والجماعة، ويشهد لذلك خدمتهما لسنة رسوله الله ﷺ وحرصهما على تنقيتها مما ينسب إليها من الشوائب، وعلى تحقيق ما دلت عليه من أحكام ولكنهما خالفا في آيات الصفات وأحاديثها أو بعض ذلك عن جادة أهل السنة عن اجتهاد أخطئا فيه، فنرجو الله تعالى أن يعاملهما بعفوه"(١)

وسئل رحمه الله : ما رأي فضيلتكم فيمن صار ديدنهم تجريح العلماء وتنفير الناس عنهم والتحذير منهم، هل هذا عمل شرعي يثاب عليه أو يعاقب عليه ؟

فأجاب: "الذي أرى أن هذا عمل محرّم، فإذا كان لا يجوز لإنسان أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين؟!

---

(١) رواه مسلم ٧٧٠ وأبو داود ٧٦٧ والترمذي ٣٤٢ والنسائي ١٦٢٥ وابن ماجه ١٣٠٧ وأحمد ١٥٦/٦، وانظر مجموع فتاوى ورسائل العثيمين(٢٦/ ٢٩٧)، وكتاب العلم له (ص١٤٨ – ١٥٠)

والواجب على الإنسان المؤمن أن يكف لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين.

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾[الحجرات:١٢]

وليعلم هذا الذي ابتلي بهذه البلوى أنه إذا جرّح العالم فسيكون سبباً في رد ما يقوله هذا العالم من الحق، فيكون وبال رد الحق وإثمه على هذا الذي جرّح العالم، لأن جرح العالم في الواقع ليس جرحاً شخصياً بل هو جرح لإرث محمد ﷺ ؛ فإن العلماء ورثة الأنبياء ، فإذا جرح العلماء وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم وهو موروث عن رسول الله ﷺ، وحينئذ لا يثقون بشيء من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جُرح.

ولست أقول إنّ كل عالم معصوم؛ بل كل إنسان معرّض للخطأ، وأنت إذا رأيت من عالم خطأ فيما تعتقده، فاتصل به وتفاهم معه، فإن تبيّن لك أن الحق معه وجب عليك اتباعه، وإن لم يتبين لك ولكن وجدتَ لقوله مساغاً وجب عليك الكف عنه، وإن لم تجد لقوله مساغاً فحذر من قوله لأن الإقرار على الخطأ لا يجوز، لكن لا تجرحه وهو عالم معروف مثلاً بحسن النية، ولو أردنا أن نجرح العلماء المعروفين بحسن النية لخطأ وقعوا فيه من مسائل الفقه، لجرحنا علماء كباراً، ولكن الواجب هو ما ذكرتُ ، وإذا رأيت من عالم خطأ فناقشه وتكلم معه، فإما أن يتبين لك أن الصواب معه فتتبعه أو يكون

الصواب معك فيتبعك، أو لا يتبين الأمر ويكون الخلاف بينكما من الخلاف السائغ، وحينئذ يجب عليك الكف عنه وليقل هو ما يقول ولتقل أنت ما تقول. والحمد لله، الخلاف ليس في هذا العصر فقط، الخلاف من عهد الصحابة إلى يومنا .

وأما إذا تبين الخطأ ولكنه أصر انتصاراً لقوله وجب عليك أن تبين الخطأ وتنفر منه، لكن لا على أساس القدح في هذا الرجل وإرادة الانتقام منه؛ لأن هذا الرجل قد يقول قولاً حقاً في غير ما جادلته فيه.

فالمهم أنني أحذر إخواني من هذا البلاء وهو تجريح العلماء والتنفير منهم، وأسأل الله لي ولهم الشفاء من كل ما يعيبنا أو يضرنا في ديننا ودنيانا"(١)

لو قَالَ قَائِلٌ: الَّذينَ يحرفون نُصُوص الْكِتَابِ وَالْسُّنَّةِ هل يعذرون؟!

أجاب **ابن عثيمين: نحنُ نبطل القَوْل ونعذر القائل**، ونقول للرَّجُلِ إِذَا أخطأ أخطأت، ولكن مع ذَلِك لا نلومه إِذَا علمنا منه حسن النِّية، بل نحبه أيضًا، **نحنُ نعرف الآن علماء أجلاء فضلاء ممَّن سلكوا هَذَا المسلك مسلك التَّحريف في أَسْماء الله وصفاته، ومع ذَلِك نُشْهِد الله على محبتهم؛ لأَنَّنا نعرف أنهم لم يسلكوا ذَلِك إلا عن اجتهاد وحسن نية، لما لهم من قدم الصِّدق في الإِسْلام**

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦/ ٣٠٦) وفتاوى إسلامية (٤/ ٢٧٨):

والنُّصح للإِسْلام والمكانة، مثل النَّووي وابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى، وغيرهما كثير، هَؤُلَاءِ لا أحد يكرههم أو يبغضهم أو يسيء الظَّن بهم.

لكن لا مانع من أن نقول إِذَا أخطئوا: قولهم خطأ، ونقول: قولهم باطل، لكن لا يَلْزَم من ذَلِك أن نلوم هَذَا الشَّخص إِذَا علمنا منه حسن النِّية وأن هَذَا هو الَّذِي أداه إِلَيْه اجتهاده، وهَذه طريقة أهْل السُّنَّة والجماعَة، ولذَلك لا تجد بينهم عداوة ولا بغضاء إِذَا اختلفت أقوالهم، لأَن كل واحد منهم يعرف أن صاحبه معذور، لكن أهل الأهواء والعِيَاذ بالله هم الَّذينَ لا يعذرون أحدًا يخالفَهْم وإن كانوا هم على باطل ولذَلك تجدهم يُكِنون العداوة والبغضاء لمن خالفَهْم[١].

وقال ناصر الدين ومحدث العصر الألباني:

لا غرابة في أن يكون يخطئ من كان إماما في دعوة الحق ، فإذا أخطأ في مسألة أو أخرى في مسألتين أو ثلاث أو أكثر فذلك لا يخرجه عن دعوة الحق إذا تبناها ، الحافظ ابن حجر والإمام النووي وغيره ممن أخطأوا في بعض المسائل العقدية كما يقولون اليوم فذلك لا يخرجهم من كونهم من أهل السنة والجماعة، لأن العبرة بما يغلب على الإنسان من فكر صحيح أو عمل صالح ، متى يكون المسلم صالحا ؟ هل يشترط لكي يكون صالحا أن لا يقع منه أي ذنب أو

---

(١) تفسير العثيمين: النور (ص٢٣٩ - ٢٤١)

معصية ؟ الجواب لا ، بل من طبيعة الإنسان أن يقع منه الذنب والمعصية مرارا وتكرارا ، فمتى يكون العبد صالحا؟، إذا غلب خيرُه شرَّه وصلاحُه ضلالَه ، وهكذا تماما كذلك يقال عن المسائل العلمية مسائل عقدية أو فقهية ، فإذا كان هذا العالم يغلب عليه العلم الصحيح فهو الناجي ، وأما أنه له زلة أو زلات في الفقه أو في العقيدة فهذا لا يخرجه عما غلب عليه من العقيدة .. فابن حجر مع ما ذكر مما له من تلك الزلات فلا يعني ذلك أنه لا ينبغي أن نستفيد من كتابه وأن لا نترحم عليه وأن لا نحشره في زمرة المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة [(١)]

وقال في مقطع صوتي له: قد نبتت الآن نابتة ، لا أقول لم يحيطوا بالعلم ، إنما لم يحيطوا ببعض الأصول العلمية ؛ فأخذوا يضللون ـ إن لم أقل يكفرون ـ كثيراً من علمائِنا أهلِ الحديث وأهلِ السنة أيضاً ...، وأعني بالذات الإمام النووي، والإمام العسقلاني، وهما بلا شك إمامان كبيران.

وسئل العلامة مقبل بن هادي الوادعي: هل النووي وابن حجر مبتدعة لكونهم قالوا بتأول الصفات على طريقة الأشاعرة؟

---

(١) سلسلة الهدى والنور (٧٢٨)؛ انظر منهج العلامة الألباني في مسائل التبديع والتعامل مع المخالفين لمحمد حاج عيسى الجزائري.

فأجاب: الله يغفر لهما ولابن حزم ولابن الجوزي ولعلمائنا الآخرين الذين زلت أقدامهم، **لا أستطيع أن أطلق عليهم بأنهم مبتدعة** (١)

وسئل معالى الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء حفظه الله:

لقد ظهر بين طلاب العلم اختلاف في تعريف المبتدع فقال بعضهم: هو من قال أو فعل البدعة، ولو لم تقع عليه الحجة، ومنهم من قال لا بد من إقامة الحجة عليه، ومنهم من فرَّق بين العالم المجتهد وغيره من الذين أصلوا أصولهم المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وظهر من بعض هذه الأقوال تبديع ابن حجر والنووي، وعدم الترحم عليهم؟

فأجاب: أولًا: لا ينبغي للطلبة المبتدئين وغيرهم من العامة أن يشتغلوا بالتبديع والتفسيق؛ لأن ذلك أمر خطير وهم ليس عندهم علم ودراية في هذا الموضوع، وأيضًا هذا يُحدث العداوة والبغضاء بينهم، فالواجب عليهم الاشتغال بطلب العلم، وكف ألسنتهم عما لا فائدة فيه، بل فيه مضرة عليهم، وعلى غيرهم.

ثانيًا: البدعة: ما أحدث في الدين مما ليس منه؛ لقوله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" ، وإذا فعل الشيء المخالف جاهلًا؛ فإنه يعذر بجهله، ولا يحكم عليه بأنه مبتدع، لكن ما عمله يعتبر بدعة.

---

(١) غارة الأشرطة ص ٢٩٥.

ثالثًا: من كان عنده أخطاء اجتهادية تأوَّل فيها غيره، **كابن حجر، والنووي، وما قد يقع منهما من تأويل بعض الصفات: لا يُحكم عليه بأنه مبتدع**، ولكن يُقال: هذا الذي حصل منهما خطأ، ويرجى لهما المغفرة بما قدماه من خدمة عظيمة لسنَّة رسول الله ﷺ، **فهما إمامان جليلان، موثوقان عند أهل العلم**(١).

وسئل العلامة محدث المدينة عبد المحسن العباد:

هل الحافظ ابن حجر والإمام النووي وأمثالهما من الأئمة ممن أخطأ في بعض مسائل العقيدة يعدون من أئمة أهل السنة والجماعة؟

فأجاب: لا شك في أنهم من أئمة أهل السنة والجماعة، وأخطاؤهم التي حصلت مغمورة في جنب صوابهم الكثير، والعلماء يعولون على كلامهم ويرجعون إلى كلامهم، فهم من أهل السنة الذين أخطأوا وحصل منهم أخطاء، والله تعالى يتجاوز عنهم، **وقبلهم البيهقي** رحمه الله **صاحب السنن، فعنده أخطاء في العقيدة وهو من أهل السنة**(٢).

---

(١) المنتقى من فتاوى الفوزان (٢/ ٢١١، ٢١٢) معالم التوحيد في فاتحة الكتاب (ص١٠٢): عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان (ص ٤٢)

وانظر دفاع الفوزان عن الإمامين النووي وابن حجر ، في الإجابات المهمة في المشاكل الملمة، له ، جمع محمد بن فهد الحصين ، ط بلنسية ٢/ ٨٩، ٩١

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد (٥٨/ ٢٩ الشاملة)

وقال : ليست العصمةُ لأحد بعد رسول الله ﷺ؛ فلا يسلم عالِمٌ من خطأ، ومن أخطأ لا يُتابَع على خطئه، ولا يُتخذ ذلك الخطأ ذريعة إلى عيبه والتحذير منه، بل يُغتفر خطؤه القليل في صوابه الكثير، ومن كان من هؤلاء العلماء قد مضى فيُستفادُ من علمه مع الحذر من متابعته على الخطأ، ويُدعى له ويُترحَّم عليه، ومَن كان حيًّا سواء كان عالماً أو طالب علم يُنبَّه على خطئه برفق ولين ومحبَّة لسلامته من الخطأ ورجوعه إلى الصواب.

ومن العلماء الذين مَضوا وعندهم خلل في مسائل من العقيدة، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم، بل إنَّ مؤلَّفاتهم من المراجع المهمَّة للمشتغلين في العلم، الأئمة: البيهقي والنووي وابن حجر العسقلاني[1].

وسئل العلامة عبد الله الغنيمان: هل منكر الصفات، أو صفة من صفات الله سبحانه وتعالى يكون كافراً مطلقاً؟

فأجاب: لا يلزم ذلك، فالمنكر قد يكون مجتهداً، وقد يكون تلقى هذا عن مشايخه بنية طيبة وحسن قصد، ويرى أن هذا هو الصواب، كطريقة أكثر الأشاعرة وغيرهم، فمثل هذا لا يجوز تضليله فضلاً عن تكفيره، بل نقول: إنه مجتهد مخطئ والله يثيبه على اجتهاده ويغفر خطأه، وقد وقع في مثل هذا كثير من العلماء: مثل النووي رحمه الله والبيهقي والخطابي رحم الله الجميع، وغيرهم من

---

(١) رفقا أهل السنة بأهل السنة (ص٣١، ٣٢)

العلماء الكبار وأئمة المسلمين، فيجب أن يترحم عليهم ويترضى عنهم، ويعلم أنهم قالوا هذا القول مجتهدين؛ لأن البيئة التي نشأوا فيها والعلماء الذين أخذوا عنهم هم الذين وجهوهم هذا التوجه، وذكروا لهم أن هذه هي معاني الكلام، واستبعدوا أن يكون هذا خطأ، فاجتهدوا وأخطئوا، فهم مجتهدون مخطئون[١]

وقال فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي: "إننا على طريقة الطائفة الناجية المنصورة وأئمتها كابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي ثم ابن عبد الوهاب وتلاميذه وأبنائه وأحفاده أولي العلم والنهى والهدى في التعامل مع ابن حزم والنووي، وهل عرفت أقوالهم في النووي[٢]؟، وهل عرفت أقوال أهل السنة في الجيرة وغيرها في الشوكاني الذي ظل طوال حياته يجاهد أهل البدع من القبورية والروافض والزيدية ، تشهد له مواقفه ومؤلفاته، أنترك هدي هؤلاء الأئمة الأخيار ونتبع هلوسة الحاد الجاهل؟! " [٣]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان (١٦/ ١٤ الشاملة)

(٢) وقد سبقت نصوصهم على إمامة النووي وعلمه وفضله، فكُن منها على ذُكر .
وقد " اعتذروا عنهم بما حفظ لهم مكانتهم العلمية الرفيعة، ولم تعاملهم الجماهير السلفية معاملة الأشعرية لرفعهم شعار الدليل النقلي وخدمتهم لحديث النبي ﷺ" انظر وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد ص ١٨

(٣) مجازفات الحداد ومخالفاته لمنهج السلف ص ٦٦، ٦٧ وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد ص ١٩

وضرب الشيخ مثلاٍ بابن تيمية و"كيف ألف كتباً في الرد على الأشاعرة ولم يتعرض للنووي[(١)]"

وقال: "الحداد وشيعته غلوا غلواً شديداً لا يُعرف له نظير في تاريخ أهل السنة ، وما ذلك إلا تصنع كاذب !؛ فافتعلوا ايجاب التصريح بلفظ "مبتدع"، وركزوا كثيراً على ابن حجر والنووي[(٢)]"

وقال: "وقد اشتهر الحداد بالتركيز على ثلاثة من الناس يبدعهم ويمنع من الترحم عليهم ، ويعادي هو وأصحابه ويقاطعون من لا يفعل ذلك: ابن حجر والنووي وأبو حنيفة رحمهم الله"[(٣)]

وبين الشيخ ربيع سبب ذلك فقال:"إنما كان يركز هو واتباعه على النووي وابن حجر ؛ لإثارة الفتن بين أهل السنة، وللوصول السريع إلى الطعن في علمائهم"[(٤)]

---

(١) مجازفات الحداد ومخالفاته لمنهج السلف ص ٤٧ وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد ص ٧

(٢) مجازفات الحداد ومخالفاته ص ٦ وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد ص ٧٨

(٣) مجازفات الحداد ومخالفاته ص ٣ وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد ص ٩٤-٩٥

(٤) مجازفات الحداد ومخالفاته ص ٣٧ وقوة الجلاد والألسن الحداد على المدعو الحداد وشيعته أهل الإفك والعناد ص ١١٤

وقال فضيلة الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي لما سئل عن تأويل الإمام النووي للرضا والسخط والكراهة:

هذا من التأويل المذموم الذي وافق فيه النووي ﷺ أهل التأويل المذموم كالأشاعرة ونحوهم،... غير أنه لا يطلق عليه أنه رجل مبتدع [١]

وقال : هذه الأخطاء التي وقعوا فيها[٢] وافقوا فيها أهل التأويل المذموم لها أسبابها؛ منها:

١- البيئة التي يعيش فيها العالم

٢- ومنها التلمذة على كتب يوجد فيها التأويل المذموم لمثل هذه النصوص

٣- ومنها التتلمذ عل المشايخ في تقليدهم الذين ابتلوا بداء التأويل المذموم نسأل الله أن يعذرهم.

ثم قال: "غير أنه لا يجوز أن يُصنَّفوا مع أهل البدع الذين ألحدوا في أسماء الله وصفاته ، مع بيان ما أخطأوا فيه ، سواء النووي ، أو القرطبي، أو الشوكاني، أو صاحب الفتح ابن حجر ، أو القسطلاني ، أو الخطابي، أو غيرهم ، يُبين ما وافقوا فيه – من التأويل المذموم – أهلَ البدع، ولكن لا يحكم عليهم بأنهم

---

(١) العقد المنضد الجديد في الإجابة على مسائل في الفقه والمناهج والتوحيد ط دار الاتقان السعودية ٢/٤٤

(٢) يعني" النووي ومن معه من أئمة العلم" ، مثل: "القرطبي، والشوكاني، وصاحب الفتح ابن حجر ، والقسطلاني ، والخطابي، وغيرهم " انظر ص ٤٤ ، ٤٥

أئمة بدع ، ولا يحذر من كتبهم ؛ لما فيها من العلم الغزير ، ولما لهم من الفضائل والمحاسن الجليلة التي استفاد منها ما بعدهم" [١].

وقال: قد يكون المخالف في أمر من أمور العقيدة بسبب تأويل ، أو سوء فهم ، وعنده علوم شرعية يستفاد منها ، فلا يصنف هذا الصنف مع أهل البدع والضلال الذين قعدوا قواعدها ، وألفوا في ترويجها ودعوا الناس إليها، وإنما يبين للناس ما أخطأ فيه ؛ ليحذروا متابعته عليه ، ويعتذر له تقديراً لما يحمل من العلم الشرعي والمؤلفات فيه ، وأمثلة ذلك كثيرة ؛ فقد وقع في شيء من التأويلات في نصوص الصفات وذرائع الشرك بعض فحول العلماء : كصاحب الفتح ، وكالنووي ، وكأبي حنيفة ، وكابن خزيمة الذي يطلق عليه إمام الأئمة، وكالأمير الصنعاني ، والشوكاني ، فهؤلاء لهم علوم واسعة ودفاع عن السنة ، إلا أنهم وقعوا - كما أسلفت - في تأويل بعض النصوص على سبيل الخطأ في الفهم والتأثر بالمشيخة، والبيئة التي عاشوا فيها[٢].

---

(١) العقد المنضد الجديد في الإجابة على مسائل في الفقه والمناهج والتوحيد ط دار الاتقان السعودية ٢/٤٤ ، ٤٥

(٢) العقد المنضد الجديد في الإجابة على مسائل في الفقه والمناهج والتوحيد ط دار الاتقان السعودية ٢/٨٤، ٨٥ وانظر ص ٨٧

وقال د. عبد الله بن عمر الدميجي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى:

أما البدع ذات الأصول والقواعد، وهي بدع الفرق كالمعتزلة والأشاعرة والخوارج والمرجئة ونحوهم، فهذه من التزم أصولهم وقواعدهم ومنهجهم في الاعتقاد فهو منهم، فمن التزم الأصول الخمسة عند المعتزلة، مثلاً، فهو معتزلي، ومن التزم القول بالقانون الكلي عند الأشاعرة، وإثبات الصفات السبع فقط والقول بالكلام النفسي، وبكتب الأشعري فهو من الأشاعرة، وهكذا **لكن من وافقهم في جزئية من الجزئيات كتأويل صفة، مثلاً، من الصفات بنحو تأويل الأشاعرة فلا يحكم عليه بأنه أشعري، ولكن يحكم عليه بأنه وافق الأشاعرة في هذه المسألة، وهذا حكم سائر كبار العلماء الذين وافقوا الأشاعرة في التأويل، ولكنهم خالفوهم في سائر أصولهم كالحافظ النووي وابن حجر ونحوهما، فهم من أهل السنة والجماعة، ولكنهم وافقوا الأشاعرة فيما خالفوا فيه أهل السنة، وعلى مثل ذلك فقِسْ**، ومثال ذلك الشافعي، مثلاً، إذا وافق الأحناف في بعض الفروع هل يعد حنفيًّا، أو يعد شافعيًّا وافق الأحناف في بعض المسائل؟ لا شك أن الثاني هو الصحيح.

أما إذا كان الشخص قد قال ببدعة فلما تبين له خطؤها، وأقيمت عليه الحجة رجع عنها، فإنها لا تضره، وحكمه حكم التائب من المعصية، ولا تخرجه من عموم أهل السنة والجماعة.

أما عن الفرق التي أشار إليها النبي ﷺ، في حديث الافتراق فهي من فرق أهل القبلة - أهل الملة - الذين لا يخرجون من الإسلام، ولكنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة، وهم سائر الفرق التي لم تخرجهم بدعهم من دائرة الإسلام، ولذلك لم يعد العلماء غلاة الفرق الخارجة عن الإسلام من هذه الفرق، كالباطنية وغلاة الجهمية، والدروز والنصيرية، وهكذا.

أما الوعيد المذكور في الحديث: "كُلُّها في النَّارِ إلَّا واحِدَةً". فلا يلزم منه الخلود في النار، ولكنها متوعدة بالنار كوعيد سائر مرتكبي الكبائر كالزاني والسارق، ولكنهم بإجماع أهل السنة لا يلزمهم من ذلك الخلود في النار، وما كنت تحسبه، أيها الأخ السائل، فهو الصحيح، فقد يكون الإنسان مبتدعًا ضالاً ولكنه مسلم حتى وإن انتصر لنفسه؛ لأن من عقيدة أهل السنة أنه قد يجتمع في الشخص كفر وإيمان، وفسق وإيمان، ونفاق وإيمان، وبدعة وإيمان أما أفراد الفرق الثلاث والسبعين فكما قلنا عمومهم ليسوا بكافرين، فما بالك بأفرادهم؟! وهناك من أهل السنة من قد وافق المبتدعة في بعض أفراد البدع، فإذا أصر الشخص على بدعته بعد بيانها له تعصبًا واتباعا للهوى فهو مبتدع آثم في هذه الجزئية، **وإن كان متجردًا وهذا ما أداه إليه اجتهاده ولم يقتنع بكلام الآخرين -**

كما أسلفنا- فهو مجتهد مخطئ، ولا يتابع على خطئه، ولكنه قد يكون معذورًا عند الله ﷻ- ويجازيه على أجر اجتهاده. والله تعالى أعلم[١]

وسئل د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف :

سمعت بعض طلاب العلم يصف ابن حجر والنووي بأنهما أشاعرة، ونحن نعلم أن لديهم تأويل في بعض الأسماء والصفات، لكن هل يستقيم بأن ينسبون إلى الأشاعرة على الإطلاق، أفيدونا أحسن الله إليكم؟

فأجاب: **إن الإمام النووي رحمه الله من الأئمة الكبار والعلماء الربانيين، وقد كتب الله لمؤلفاته القبول والانتشار، ولم يكن الإمام النووي رحمه الله أشعرياً محضاً،** فإنه وإن وافق الأشاعرة في تأويل جملة من صفات الله ﷻ أو تفويضها، إلا أن اشتغاله بحديث رسول الله ﷺ حفظه عن الوقوع في كثير من مزالق الأشاعرة **وكذا الحافظ ابن حجر**، فإنه من الأئمة الأعلام، والجهابذة المحققين، وقد وافق الأشاعرة في تأويل صفاتٍ لله ﷻ أو تفويضها، لكن نقد الأشاعرة في جملة من عقائدهم كمسألة الإيمان وأول واجب على المكلف.

ونوصي السائل وسائر إخواننا بالاشتغال بما ينفع، والاهتمام بكتب هذين الإمامين لاسيما رياض الصالحين، والأذكار، وشرح صحيح مسلم ، وفتح الباري ، وأن لا يحكم على الأشخاص إلا بعلم وعدل، وبالله التوفيق[٢]

---

(١) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (٣/ ١٩٦ الشاملة)

(٢) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (٤/ ٢٢٨ الشاملة) و(١٣/ ٤٩٣ الشاملة)

وسئل الشيخ الدكتور ناصر العقل: هل الأشاعرة والمعتزلة من أهل السنة، ولماذا أطلق لفظ أهل السنة على الأشاعرة في بداية الأمر؟

فأجاب: المعتزلة ليسوا من أهل السنة ولا أرادوا أن يكونوا من أهل السنة أصلاً، وهذا واضح من مقالاتهم ومنهجهم، وأما الأشاعرة فالكلام فيهم يحتاج إلى شيء من التفصيل، لعلي أوجزه بقواعد محدودة.

أولاً: الأشاعرة هم اتباع أبي الحسن الأشعري الذي ظهر مذهبه في القرن الرابع الهجري، وكان مذهبه مذهب أهل السنة والجماعة في الجملة وكثير من التفاصيل، ثم دخلتهم النزعة الكلامية، أي: تقرير الدين بالعقول وبمسائل كلامية، فانحرف المسار الأشعري إلى الكلاميات، ثم إلى التصوف بعد القشيري، فدخلهم علم الكلام والتصوف، فأصبح الأشاعرة أصناف، منهم أهل حديث وعلماء وفقهاء في جملتهم على السنة والجماعة كالنووي وابن حجر - إن صح انتسابه للأشاعرة - وغيرهم، وكالبيهقي والخطابي، **وهؤلاء من أهل السنة والجماعة، وانتسابهم للأشاعرة خطأ يغفر الله لنا ولهم، ومثلهم كثير** من علماء الأشاعرة إلى يومنا هذا، ينتسبون إلى الأشاعرة مجرد انتساب، لكنهم على منهج أهل الحديث من أهل السنة والجماعة فهؤلاء من أهل السنة والجماعة[1]، وقد قال ﷺ: " أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود " ، والإمام

(١) مجمل أصول أهل السنة (١/ ٤٣ الشاملة):

النووي والقرطبي وابن حجر العسقلاني من ذوى الهيئات، فينبغي أن نقيل عثراتهم، نعم أخطأ من أخطأ منهم في مسألة التأويل، ووافقوا قول الأشاعرة لكن نقول: يغفر الله لهم، ألم نقل: إنَّ من الناس من لا ينبغي أن يذكر عيبه لما له من فضل فنهب نقصه لفضله، وأصحاب الهيئات كما يقول الشافعي رحمه الله إنَّهم الذين لا يعرفون بالشر فيزل أحدهم الزلة، فتغفر له زلته، ولا تذكر، ولا يُشَنّع بها عليه، " إلا الحدود " فلا شفاعة في حد من حدود الله(١).

قال د. محمد بن عبد الله القناص عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم(٢): يعتقد أهل أهل السنة والجماعة أن من الإيمان بالله سبحانه وتعالى الذي أمر الله به ورسوله: الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ ولهذا فهم يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير؛ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه وتعالى لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه...

وأما ما يوجد من تأويل عند بعض العلماء مثل النووي وابن حجر وغيرهما فهذا بسبب تأثرهم بمذهب الأشاعرة حيث تلقوا هذا المذهب عن شيوخهم

---

(١) الأخوة أيها الإخوة (ص٦٩)

(٢) فتاوى واستشارات الإسلام اليوم (١٦/ ٨٣ الشاملة)

فرأوا أنه هو الحق الذي يجب اتباعه، والمسلم عليه أن يتبع الحق والصواب وما عليه سلف الأمة ويعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال، ويعتذر لمن أخطأ من أهل العلم وينتفع من علومهم ومعارفهم فيما أصابوا فيه.

وقال الشيخ محمد صالح المنجد: أهل السنة والجماعة منصفون في الحكم على الآخرين، لا يرفعون الناس فوق ما يستحقون، ولا ينقصون قدرهم، ومن الإنصاف بيان خطأ المخطئ من أهل العلم والفضل، والتأول له، والترحم عليه، كما أن من الإنصاف التحذير من خطئه؛ لئلا يغتر أحد بمكانته فيقلده فيما أخطأ فيه، وأهل السنة لا يتوانون عن الحكم على المخالف المتعمد للسنة بأنه مبتدع ضال.

وقد وجد في زماننا هذا من نال من الإمامين ابن حجر والنووي، فحكم عليهما بأنهم مبتدعة ضالون! ، وبلغت السفاهة ببعضهم أن قال بوجوب إحراق كتابيهما "فتح الباري" و "شرح مسلم "! .

وليس معنى هذا أنهما لم يخطئا في مسائل من الشرع، وبخاصة في باب صفات الله تعالى، وقد علق عليها علماؤنا، وبينوها، وردوا عليهما، مع الترحم عليهما، والثناء بما يستحقانه، والدعاء لهما، والوصية بالاستفادة من كتبهما، وهذا هو الإنصاف الذي عرف به أهل السنة والجماعة، بخلاف من بدعهما، وضللهما، وقال بإحراق كتبهما، وبخلاف من استدل بكلامهما كأنه شرع منزل، وجعل ما يعتقدانه هو الحق الذي لا ريب فيه، وسنذكر ما

يتيسر من كلام علمائنا ليقف المسلم على الإنصاف، والعلم، والحكم بالعدل على هذين الإمامين[١].

وسئل الشيخ الدكتور محمد حسن عبد الغفار: هل النووي وابن حجر من الأشاعرة؟

فأجاب: **الإمام النووي والإمام ابن حجر لا يصطفان لصف الأشاعرة، فهما متأثران بكلام الأشاعرة، وليسا بأشعريين، بل هما من أهل السنة والجماعة،** لكنهما انغمسا في ذلك؛ لأن البلدة التي كانا فيها انتشر فيها منهج الأشاعرة، ولذلك الذي يقرأ صحيح مسلم أو يقرأ فتح الباري يجد أن شارح صحيح مسلم فيه تذبذب، لكنه قليل، فمرة يأتي بكلام أهل السنة والجماعة وكثيراً ما ينقل عن المازري وهو أشعري جلد، وكلامه تابع له، فهو ناقل مقلد دون أن يدري بهذا[٢]. **وقال بآخرة: من قال عن الإمام النووي مبتدع، فهو مبتدع !**

---

(١) ثم نقل فتاوى اللجنة والعثيمين والألباني، وقد سبق والحمد لله رب العالمين، انظر موقعه الإسلام سؤال وجواب.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي له (١٩/ ١٢ الشاملة)

انصاف النووي ولو كان أشعرياً

فإن قيل: أقمتم الدنيا وقد ذكر بعض العلماء الإمام النووي بأنه أشعري؟!

نقول: " الصحيح أن الإمام النووي ليس من الأشاعرة لأنه لا يوافقهم في كل أصولهم "(١)

ورغم هذا : انظر لهذا الإنصاف ممن ذكر ذلك عنه، وقارنه بمن بدّعه وضلله، بل ومنهم من كفَّره، ومنهم من تردد في تكفيره !

وسأذكر أمثلة:

قال العلامة الفقيه الشيخ محمد بن صالح العثيمين: أما ابْنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ فأنا رأيي فيه أنه ليس على طريقةِ الأشعريَّةِ، فالرجلُ متذبذبٌ أحيانًا يتكلَّمُ بكلامٍ هو كلامُ أهلِ السُّنَّةِ مئةً بالمئةِ، وأحيانًا يَنْقُلُ كلامَ الأشاعرةِ وهو أحيانًا يَنْقُلُ عن شيخِ الإسلامِ مقرِّرًا قولَهُ.

وأما النووِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فصحيحٌ على مذهبِ الأشاعرةِ في جميعِ ما قرأْتُ له من كتبٍ...

أمَّا مَن قالَ عَن كُتب النَّووي رَحِمَهُ اللهُ: يَجب أن تُحرقَ، فهذا غلَط منه؛ فكيف نَدَعُ الإستفادةَ من هذه الكُتُبِ العظيمةِ والخطأُ فيها لا يُمَثِّلُ ولا عُشْرَ عُشْرِ المِعشارِ،

---

(١) أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة رسالة: دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز، إعداد: إبراهيم بن حسن الحضريتي، وسبق تفصيله.

قال ابنُ رجبٍ ﷺ في كتابِهِ "القواعدُ الفقهيَّةُ" [(١)]: "ويأبى اللهُ العِصْمةَ لكتابٍ غيرِ كتابِهِ، والمُنْصِفُ من اغتفر قليلَ خطأِ المرءِ في كثيرِ صوابِه". صحيحٌ هذا الإنصافُ، ولا تكادُ تَجِدُ مؤلفًا إلَّا وفيه الخطأُ إمَّا متعمَّدًا أو غيرَ مُتَعَمَّدٍ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النَّساءِ: ٨٢][(٢)]

وقال الإمام الألباني[(٣)]: "مثل النووي وابن حجر العقسلاني وأمثالهم ...

من الظلم أن يقال عنهم إنهم من أهل البدعة، أنا أعرف أنهما من الأشاعرة لكنهما ما قصدوا مخالفة الكتاب والسنة وإنما وهموا وظنوا أن ما ورثوه من العقيدة الأشعرية، ظنوا شيئين اثنين، أولاً: أن الإمام الأشعري يقول ذلك وهو لا يقول ذلك إلا قديماً؛ لأنه رجع عنه، وثانياً: توهموه صواباً وليس بصواب". وأطال في توضيحه ﷺ

ثم قيل للألباني[(٤)]: "يقولون نحن نقول بعدم الترحم عليهم؛ لأن الترحم ليس بواجب وجائز، نحن لا نمنع ولا نحرم الترحم، ولكن نمتنع منه حتى لا يكون فيه نوع ثناء وتزكية ومدح لأهل البدع هؤلاء الذين قد لا نقول إنهم

---

(١) القواعد الفقهية (ص: ٣)

(٢) تفسير العثيمين: الشورى (ص١١٤)

(٣) جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى (٦/ ١٦٣، ١٦٩) (الهدى والنور/٦٦٥/ ٥٥: ٠٠: ٠٠)

(٤) جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى (٦/ ١٦٧)

مبتدعة مثلاً، ونحكم عليهم بأنهم مبتدعة من الكبراء، ولكن مثلاً لا نثني عليهم ولا نقول هم أئمة مثلاً، إذا ورد ذكر النووي لا نقول قال الإمام النووي، بل هم يتجنبون أحياناً ويتحاشون النقل عنهم والعزو إليهم... فإذا رأيتم يا شيخنا التعليق على هذه.

الشيخ: أنا لا أعتقد أن هذا مقصدهم أولاً

وثانياً: أنه لو كان هذا مقصدهم أنه أسلوب في التوعية، فأنا سأقول: هؤلاء الذين أشرت إليهم هل يقرؤون فتح الباري أم لا يقرؤونه؟

أيما الأمرين افترض فهو خطأ بالنسبة إليهم

إن قيل لا يقرؤون، إذاً: من أين يفهمون صحيح البخاري شرحاً وفقهاً وخلافاً ومصطلحاً وحديثاً .. إلى آخره، سوف لا يجدون فيه الشروح عند البخاري في الدنيا كلها سلفية، لا يجدون سلفياً كما نريد نحن شرح البخاري، ثم إن وجد مشروحاً فسيوجد من شروح هي رؤوس أقلام فقط، أما هذا البحر الزاخر من العلم المتضمن والمفتوح على صاحب الفتح به عليه، كما لا يجدوا في أي كتاب من الكتب التي تولت الكلام على صحيح البخاري.

إذاً: هم سيخسرون علماً كثيراً، فإن كانوا يعنون أو يضمنون هذا الكلام تحذير الناس في جملة ما يحذرون أنهم ما ينتفعون من كلام هذا الإمام خسروا العلم ، مع أنهم بإمكانهم أن يجمعوا بين جلب المصلحة ودفع المفسدة كما هو شأن العلماء

الآن لا يوجد عالم في الدنيا من بعد العسقلاني ومن بعد النووي إلى اليوم يمكنه أن يستغني من الاستفادة من شرحيهما، هذا للبخاري وذاك لمسلم، ومع ذلك فهم حينما يستفيدون من كتابيهما هم يعرفون أنهم في كثير من المسائل أشاعرة ومخالفون لمنهج السلف الصالح، فاستطاعوا بعلمهم وليس بجهلهم أن يأخذوا من هذين الكتابين أو من صاحبها من العلم ما ينفعهم، وأن يعرضوا عما يضرهم ولا ينفعهم، فأريد أن أقول أنا أخشى ما أخشاه أن يكون وراء هذا الكلام المعسول هو التحذير من الانتفاع من كتبهم، وحينئذ فيه خسارة.

وإذا قالوا نحن ننتفع من كتابهما ونقرأهما ونقرئهما أيضاً، حينئذ ما فائدة هذا الأسلوب بالامتناع عن الترحم، وهو مسلم كما قلنا في أول الكلام، ثم ما الفائدة أو ما الثمرة بين قولهم: نحن لا نقول بأنه لا يجوز الترحم، لكننا لا نترحم؛ لأنه خاض البدعة، قد ذكرنا آنفاً **ليس كل من وقع في البدعة وقعت البدعة عليه، ليس من وقع في الكفر وقع الكفر عليه**، هذا تلبسه الكفر وذاك تلبسته البدعة، وقد قلنا نحن هذا.

فإذاً: هذا التحفظ لا فائدة منه الآن

ثم يا أخي سلفية وخلفية ، **هل العلماء الذين ورثنا عنهم هذه الدعوة الطيبة، أهكذا كان موقفهم من أمثال هؤلاء الأئمة كموقف هؤلاء أو هذا النشء الناشئ الجديد ممن يدعي السلفية؟!**، أولئك كانوا كهؤلاء؟، **العكس هو**

الصواب، الطبيعي أن يكون هؤلاء كأولئك الذين سبقونا إلى هذه الدعوة الصالحة، غير ذلك؟"

العلامة المحدث الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله

قال: "إن النووي أشعري والسبب في هذا أنه لم يشتغل بكتب السلف في العقيدة كما اشتغل في فقه الفروع"[١] ، وأيضاً قال:"سألني بعض الشباب ما تقول في قراءة كتب المبتدعة مثل ابن حجر والنووي – وغيرها؟

فقلت لهم: لو كنت مسؤولاً لكبلتكم ورميتكم في السجون.

وسؤالهم هذا سؤال إضلال وضلال"[٢]

وقال: "لو كان لي سلطان على الذي يقول بعدم القرءاة في فتح الباري وشرح النووي على صحيح مسلم لأخذته وسجنته حتى يتوب وهذا القول **لا يقوله إلا سفيه** "[٣]

وقال العلامة الرجحي: "والنووي من الأشاعرة[٤]**"**

وأيضاً قال في مسألة :" **والإمام النووي** رحمه الله **هنا خالف مذهب الأشاعرة،**

---

(١) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/ ٧٥٠)

(٢) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/ ٥٨٤)

(٣) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/ ٥٨٢)

(٤) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم (٨/ ١٤٣)

فكأنه رحمه الله مثل الحافظ ابن حجر رحمه الله، أحيانًا يميل إليهم وأحيانًا أُخَرَ يخالفهم"[١]

وسئل العلامة المحدث عبد الكريم الخضير:

يقول: بعض الشباب يطعن في ابن حجر والنووي بقولهم إنهما من الأشاعرة، وعندهم شيء من الأشعرية ويروجون لذلك، فهل من كلمة حول هذا؟

فقال: النووي أشعري ويقرر عقيدة الأشاعرة في شرح مسلم بكل ما تتطلبه من أبواب العقيدة[٢]، وأما الحافظ ابن حجر فهو ليس له مذهب معين، هو نقال، فقد ينقل قول الأشاعرة ولا يتعقبه، وقد ينقل قول السلف ولا يرجحه، المقصود أنه نقال، **وعلى كلٍ: هذه هفوات وزلات، لكن هم ليسوا من المنظرين لهذا المذهب، فعندي الاختلاف كبير بين النووي وبين الرازي، الرازي منظر للمذهب وداعية إلى المذهب، والنووي مقلد، ولا يعفيه أن يُقدح به بسبب ذلك، لكن كتبه نافعة، وكتب الله لها القبول، وفي كل مسجد من مساجد الدنيا يقال: قال النووي رحمه الله تعالى، وهذه كتب لا شك أن نفعها عظيم،** وما فيها يمكن أن ينبه عليه مع عدم صرف لطلاب العلم عنها؛ لمسيس حاجتهم إليها، ولذا التنبيه على الأخطاء في الكتب يختلف باختلاف الضرر والنفع الراجح، فمثلاً لا يسوغ لطالب علم أن يفرد الأخطاء الموجودة في فتح الباري في مجلد

---

(١) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم (٨/ ١٥٩)

(٢) ومع ذلك : انظر كيف يُثني ويترحم عليه ، بخلاف أهل الفظاظة والهوى!

مثلاً، أو في شرح النووي على مسلم في مجلد لماذا؟ لأن **طلاب العلم بمسيس الحاجة إلى هذين الكتابين، وإفراد الأخطاء يزهد طلاب العلم بهما، لكن ما في ما يمنع أن يطبع الكتاب، ويعلق على جميع المواضع التي فيها المخالفات، فيستفيد طالب العلم من ما فيه من علم وخير، وينبه على ما فيه من مخالفات**، لكن لو كان هناك كتاب لا يتضرر طالب العلم بعدم قرأته، وأفردت مساوئه والمُآخذات عليه ما في ما يمنعه، يعني لو أن شخصا كتب خمسة مجلدات في المؤاخذات على تفسير الرازي، أو على تفسير الزمخشري، وعزف عنها طلاب العلم، لم ينقصهم شيء -إن شاء الله- ولن تتأثر المكتبة الإسلامية بعدمهما أبداً؛ لأن العلم موجود ولله الحمد، العلم قائم بدونهما[1].

وقال: **هل نعامل النووي مثلما نعامل الرازي؟**

ثم أجاب: لا، العدل والإنصاف مطلوب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ [المائدة:٨] **النووي أشعري، ومن هذه الحيثية ليس من أهل السنة، لكن مع ذلك ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ لكن النووي عنده محاسن عنده خدمة للسنة، وعنده عمل، وعنده زهد في الدنيا، وعنده إقبال على الآخرة، وعنده تعظيم لشرع الله - جل وعلا -.**

---

(١) شرح صحيح البخاري - عبد الكريم الخضير (٤/ ٢٣ الشاملة)

الرازي رمي بالعظائم، إن ثبت عنه كتاب السر المكتوم موضوعه سحر طلاسم وتعلق بالنجوم هذا مسلك خطير جداً، قد يقال بردته إن ثبت عنه هذا الكتاب، على كل حال هذا أشعري وهذا أشعري، لكن تختلف معاملتنا لهذا عن هذا. (١)

ويقول: هو النووي معروف أن مذهبه في العقيدة مذهب البيئة ؛ بيئته، مذهب شيوخه وعلماء عصره في مصره الشام، ذلك الوقت مذهب الأشعرية منتشر، وفي مصر أيضاَ منتشر، فتجد الناس يتتابعون على دراسة هذا المذهب من غير روية ولا نظر، لكن منهم من يوفق إلى من يأخذ بيده إلى جادة الصواب، ومنهم من يستمر على ذلك، وعلى كل حال هم ليسوا من المؤسسين للمذهب ولا من المنظرين للمذهب، هم أشبه ما يكون بالمقلدين على أن بينهما بوناً في تقرير المذهب.

النووي أشعري بكل ما تحويه هذه الكلمة في جميع أبواب العقيدة، ابن حجر لا ليس له مذهب معين، فتجده ينقل عن الأشاعرة، وينقل عن أهل السنة، وينقل عن غيرهم فهو على حسب ما ينقل ما يتيسر له من نقل، مذهبه ليس متقرراً ، وإن كان الأصل في مذهب بيئته وعلماء عصره في مصره أنه مذهب الأشاعرة في الجملة، **وعلى كل حال هذه هفوة، وهذه زلة، وهذه زلة عظيمة،**

---

(١) دروس الشيخ عبد الكريم الخضير (٢٤/ ٦ الشاملة)

لكن مع ذلك أن أرى الرجال لهم حسنات، لهم بحار من الحسنات اهتمامهم بالسنة واهتمامهم بتوضيح السنة، وشرح السنة، والدفاع عن السنة، على كل حال هذه حسنات ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩][١]

وقال: "ابن حجر ينقل كلام المبتدعة، أحياناً يتعقب، أحياناً لا يتعقب، النووي، العيني كذلك يعني **عندهم هذه الهفوات،** يعني أيضاً لا ننكر أنهم خدموا الكتاب خدمة **نرجو أن يكون ثوابهم عند الله جزيلاً**[٢]"

وقال عن النووي – وعمره فقط خمس وأربعين سنة –: "قد خلف هذا العلم العظيم الذي يستفاد منه منذ تأليف هذه الكتب إلى يومنا هذا في مشارق الأرض ومغاربها، لا سيما الأذكار، ورياض الصالحين، شرح مسلم، شرح المذهب كتاب عظيم، لو قُدر تمامه لأغنى عن كثير من كتب الفقه، **هذه بركة من الله** سبحانه وتعالى ، هذا القدر اليسير من العمر ينتج فيه هذا الإنتاج العظيم مع أنه لم يكن يشغل عمره أو جلّ وقته في التصنيف، لا، عنده في اليوم اثنا عشر درس، في اليوم الواحد اثنا عشر درس، والعبادة تأخذ من وقته الشيء الكثير، فهو معدود من العباد رحمه الله "[٣]

---

(١) شرح الأربعين النووية (٣/ ٣ ، ٤ الشاملة)

(٢) شرح صحيح البخاري (٨/ ٨ الشاملة)

(٣) مقارنة بين شروح كتب السنة الستة (٣/ ١٣ الشاملة)

ثم قال:" أما في مسائل الاعتقاد فهو على ما تقدم في سوابقه أنه يقرر مذهب الأشاعرة في الصفات، ولا يسلك مسلك السلف في إمرارها كما جاءت، وهذا لا شك أنه قدح في الكتاب لكنه يستفاد من الكتاب بقدر ما فيه من فوائد، ويعرض عما فيه أو يعلق لو تيسر من يعلق على جميع الكتاب فيما يخالف فيه المنهج الصالح، وأما الإعراض بالكلية عن الكتاب هذا ليس بمنهجٍ سليم، **شيخ الإسلام** رحمه الله **اعتذر عمن هذا مسلكه في مجموع الفتاوى بأعذار كثيرة،** حتى أنه اعتذر عمن يظن كثير من طلبة العلم أنه يحرف النصوص، يعني مثلاً **فرق بين النووي في تأويله مسائل الصفات مع ما نعرفه عنه من حسن القصد، وبين ما يسلكه الرازي في تفسيره من تأصيله وتقريره وتقعيده**، فهو مجتهد مذهب، مجتهد عند الأشاعرة، يقرر هذا المذهب بقوة، ويدافع عنه ويناضل، ويرمي من يخالفه بالعظائم"[١]

تنبيه: إنما أطلت النقل هنا ؛ لأن ذاك الطعان في الإمام النووي نقل عن الشيخين الخضير والحماد أنهما قالا بأن النووي أشعري !

---

(١) مقارنة بين شروح كتب السنة الستة (٣/ ١٦ الشاملة)، تنبيه: ترجم الحافظ ابن حجر للرازي ترجمة بينت ضلالته وخطأه (لسان الميزان)، وقال في آخرها: أوصى بوصية تدل على أنه حسّن اعتقاده. ووصية الرازي نقلها السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) وهي صريحة في رجوع الرازي إلى مذهب السلف.

وانظر السلفيون وحوار هادئ مع الدكتور علي جمعة (ص٧٧)

والقاعدة عند أهل السنة أن "**المخطئ في بعض المسائل، المعروف بمنهجه وسلوكه الحميد وعلمه الشرعي فإن خطأه لا يحط من شأنه**"(١)

وفي تقريب فتاوى ابن تيمية (٢/ ٦٧٤): مَن لَهُ فِي الْأُمَّةِ لِسَان صِدْقٍ عَامٌّ بِحَيْثُ يُثْنَى عَلَيْهِ وَيُحْمَدُ فِي جَمَاهِيرِ أَجْنَاسِ الْأُمَّهِ فَهَؤُلَاءِ هُم أَئِمَّةُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجى، وَغَلَطُهُم قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى صَوَابِهِمْ، وَعَامَّتُه مِن مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي يُعْذَرُونَ فِيهَا، وَهُم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْعِلْمَ وَالْعَدْلَ، فَهُم بُعَدَاءُ عَن الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَعَن اتباع الظَّنِّ، وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُس.

- لَيْسَ مِن شَرْطِ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ أَلَّا يَكُونُوا مُخْطِئِينَ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ خَطَأً مَغْفُورًا لَهُمْ؛ بَل وَلَا مِن شَرْطَهُم تَرْكُ الصَّغَائِرِ مُطْلَقًا؛ بَل وَلَا مِن شَرْطِهِمْ تَرْكُ الْكَبَائِرِ أَو الْكَفْرُ الَّذِي تَعْقُبُهُ التَّوْبَة.

- أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَيتَّبِعُونَ سُنَّةَ الرَّسُولِ، وَيَرْحَمُونَ الْخَلْقَ، وَيَعْدِلُونَ فِيهِمْ، وَيَعْذُرُونَ مَن اجْتَهَدَ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ فَعَجَزَ عَن مَعْرِفَتِهِ. إنَّمَا يَذُمُّونَ مَن ذَمَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ الْمُفَرِّطُ فِي طَلَبِ الْحَقِّ لِتَرْكِهِ الْوَاجِبَ، وَالْمُعْتَدِي الْمُتَّبعُ لِهَوَاهُ بِلَا عِلْمٍ لِفِعْلِهِ الْمُحَرَّمَ .

"ولا شك أن هناك **أئمة وعلماء** قد خالفوا في هذه العقائد التي هي عقيدة الأسماء والصفات، وذهبوا إلى كثير من التأويلات، ومنهم – مثلاً – الإمام

(١) البدعة د، علي الفقيهي ص ٢٢

النووي صاحب كتاب رياض الصالحين، وصاحب شرح مسلم، وله كتاب الأذكار، والمجموع شرح المهذب، وله كتب كثيرة، ولكن مشايخه الذين قرأ وتتلمذ عليهم طوال حياته في باب العقيدة أشاعرة؛ لأن المذهب الأشعري هو الذي عم في تلك البلاد، فلم يكن له من يلقنه مذهب أهل السنة، وكأنه لم يشتغل إلا بمذهب الشافعي، ولم يشتغل إلا بكتب مشايخه القديمين، وقراءته لكتب الحديث إنما هي قراءة عابرة، وقد تأثر بأهل زمانه، فلما تأثر بهم اعتقد ما هم عليه، فذهب إلى تأويل آيات الصفات وأحاديثها، فتجد أنه في شرح صحيح مسلم أتى على حديث النزول فأخذ يتأوله تأويلات بعيدة وينكر أن يكون نزولاً حقيقياً يليق بالله، وتمر به أيضاً أحاديث فيها صفات فعلية فيتأولها، حتى في رياض الصالحين يتأول كثيراً من الأحاديث التي فيها بعض الصفات إذا صارت مخالفة له.

نقول: إن هذا بسبب تأثرهم بعلماء أهل زمانهم، ولا شك أن أهل الزمان لهم تأثير على غيرهم؛ فلذلك نقول: إن الإنسان عليه أن يختار من مشايخه أهل الثقة ممن يثق بعقيدتهم حتى يكونوا قدوة له، فإذا أخذ من هؤلاء المبتدعة تأثر بهم كما هو طريقة هؤلاء العلماء الذين منَّ الله عليهم بهذه المنزلة [(١)]".

---

(١) اعتقاد أهل السنة للعلامه عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (٢/ ٦)

و"كثير من الفقهاء وغيرهم مذهبهم يتماشى مع مذهب الأشاعرة وقد يوافقهم بعض المحدثين في بعض كالحافظ ابن حجر ﵀ فبعض الصفات أَوَّلَهَا على طريقة الأشاعرة الغضب والرضا والكلام وكذلك النووي ﵀ في شرح صحيح مسلم يؤول الصفات على طريقة الأشاعرة.

والسبب في هذا أن هؤلاء العلماء الفطاحل المحدثين لم يوفقوا لمن ينشئهم على معتقد أهل السنة والجماعة في سن الطلب ظنوا أن هذا هو الحق.

المحصلة لهم أعمال عظيمة في خدمة الإسلام لكن هذه الأخطاء صدرت منهم عن اجتهاد لم يتعمدوا، ولم ينشئوا مع مذهب أهل السنة والجماعة، فإذا كان هؤلاء العلماء الكبار وقعوا في الغلط ولم يهتدوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فإذا قرأت ما في الحديث تجد تأويلاتهم الكثيرة فتذكر أقوال كثيرة تأويل اليد خطأ وتأويل السنة والجماعة ولا يزل، فإذا كان بمعتقد أهل السنة والجماعة ولا يزال فإذا كان العلماء الفطاحل زلوا فأنت يخشى عليك أن تزل[(١)]"

كلام ابن تيمية وابن باز عن الأشاعرة

قال د / عبد الرحمن المحمود: ابن تيمية أحيانا ينظر نظرة فاحصة إلى الكتب بفنونها- من غير نظر إلى مؤلفيها فيقول: " والمقصود هنا أن يعلم أنه لم يزل في أمة محمد ﷺ من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن أمته لا تبقى على

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبد العزيز الراجحي (ص٨٦ الشاملة)

ضلالة، بل إذا وقع منكر من لبس حق بباطل أو غير ذلك فلابد أن يقيم الله تعالى من يميز ذلك فلابد من بيان ذلك ولابد من إعطاء الناس حقوقهم، كما قالت عائشة ﵂ أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم [(١)]

قال أبو الفضل: وكذلك كان ابن باز ﵀ يُنزل الناسَ منازلهم في رده عليهم[(٢)]

موقف ابن تيمية من الأشاعرة:

يرى أنهم[(٣)] أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم،

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٢٤١)، وهذا الحديث ذكره مسلم في مقدمة صحيحه ، ورواه أبو داود (٤٨٤٢) والبخاري في كتاب الأدب (ص: ١٩٣-١٩٤)، وأبو نعيم في الحلية (٤/٣٧٩) ، وأبو يعلى ٨/٢٤٦ (٤٨٢٦) وغيرهم، وقد اختلف العلماء في حكمهم عليه، فضعفه أبو داود والمنذري في مختصر سنن أبي داود (٧/١٩٠) رقم (٤٦٧٥) ، والألباني في ضعيف الجامع (١٣٤٢) ، (١٣٤٤) .

وقواه ابن الصلاح ، انظر شرح النووى (١/١٩) وحسنه السخاوي في المقاصد الحسنة رقم (١٧٩) وأطال الكلام حوله في الجواهر والدرر (٤١١)، كما أيده العجلوني في كشف الخفا (١/١٩٤) (٥٩٠)، رمز له السيوطي بالصحة. (ملخص من كلام المحقق)

قلت: وجزم واحتج به ابن تيمية في شرح الأصبهانية ط دار المنهاج ٤٦٧

(٢) انظر "أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين"، لفيصل الجاسم، تقديم العلامة صالح الفوزان ، ط دار البشائر الإسلامية ص ١٩١- ١٩

(٣) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٧٠٣)

بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم "[١]، ويلاحظ وصفه لهم بأنهم هم أهل السنة في البلاد التي يغلب فيها أهل البدعة من الرافضة والمعتزلة، وهذا منتهى الإنصاف والاعتراف.

ويقول عنهم: إنهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة، بل دافع عنهم لما ذَكر عن أبي إسماعيل الأنصاري صاحب ذم الكلام أنه من المبالغين في ذم الجهمية قال: " ويبالغ في ذم الأشعرية، مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة"[٢]، وقال: " وهم في الجملة أقرب المتكلمين إلى مذهب أهل السنة والحديث "[٣]، ويذكر عنهم أنهم من المتكلمين "المنتسبين إلى السنة "[٤]، ويصنفهم مع بقية أهل السنة ويقول عنهم أنهم " **ليسوا كفاراً باتفاق المسلمين** "[٥] ، وكثيراً ما ينعى على المعتزلة تشنيعهم عليهم ويقول: إن مذهب الأشاعرة ليس بهذه الشناعة[١].

---

(١) نقض التأسيس(٢/٨٧)، وينظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨٧)، الفتاوى (٦/٥٥، ٨/٢٣٠)، درء التعارض (٤/ ١٠١ – ١٠٢، ٦/ ٢٩٢)، التدمرية (ص ١٩٠– ١٩١)

(٢) مجموع الفتاوي (٨/٢٣٠).

(٣) مجموع الفتاوي (٦/٥٥).

(٤) الجواب الصحيح (١/٢٥٢) .

(٥) مجموع الفتاوي (٣٥/١٠١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٧٠٠ ، ٧٠٣)، الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام (ص٣٠٩)، وسبق نحو هذه الكلمة ، فاحفظ هذا يا من يكفر الإمام النووي! ؛ "**فإن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم**

ويقول بعد كلام طويل عن الأشاعرة، وتحذير العلماء منهم: " **ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف**،... وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين.

والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] "(٢).

المنكرات؛ وإنما أصل هذا من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين؛ لما يعتقدون أنهم أخطئوا فيه من الدين. وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض؛ بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفر ولا يفسق؛ بل ولا يأثم؛ فإن الله تعالى قال في دعاء المؤمنين: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وفي الصحيح عن النبي ﷺ : "أن الله تعالى قال قد فعلت"... **ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشافعية، والمالكية، والحنفية، والحنبلية، والأشعرية، وأهل الحديث، والتفسير، والصوفية: الذين ليسوا كفارا باتفاق المسلمين**".

مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٠٠ ، ١٠١) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٧٥)

(١) انظر: درء التعارض (٥/٤٠،٣٦)

(٢) انظر: درء التعارض (٢/١٠٢-١٠٣) وسيأتي مطولاً

إنصاف ابن تيمية لأعلام الأشاعرة[١].

أنصف شيخ الإسلام أعلام الأشاعرة، وعلى الرغم من مناقشاته الشديدة لهم إلا أنه ذكر ما عندهم من إيجابية وما لهم من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والدفاع عنه، وما سبق في الفقرات الماضية يدل على هذا ونزيد الأمر أيضاً بذكر أقواله في بعض أعلامهم.

ويعتمد منهج ابن تيمية في ذلك على أمرين:

أحدهما: أن القاعدة عنده التي يطبقها على الأشاعرة وغيرهم هي التفريق بين العقيدة المسطرة في الكتب وبين أصحابها، فهو يحكم على ما هو مدون أو منقول من عقائد هؤلاء وأدلتهم ومناقشاتهم، ويبين ما في ذلك من خطأ أو صواب، فإذا ما وصل في الحديث إلى الشخص نفسه، صاحب العقيدة فإنه ينظر إليه نظرة أخرى مبنية على:

أ – أنه قد يكون صادقاً في خدمته للإسلام، ولا يحمل غشاً لأهله، ولذلك فهو لا يتعمد الكذب والافتراء.

ب – أنه مجتهد، وأن هذا الذي قاله هو مبلغ علمه، أو أنه كان مقلداً لغيره في هذه المسائل.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٧١٠)

جـ - ما مات عليه هذا العالم، فقد يكون ممن رجع وتاب، وصرح بذلك أو أنه في آخر عمره رضي مسلك أهل الحديث.

والثاني: أن لهؤلاء الأعلام - على أخطائهم - جهوداً لا تنكر في الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن العقيدة، والرد على أعدائها من الملاحدة والمتفلسفة والرافضة وغيرهم، وهي جهود تكون في موازينهم يوم القيامة ولا يحرمون أجرها عند الله تعالى.

وقال ابن باز : الأشاعرة من أهل السنة في غالب الأمور، ولكنهم ليسوا منهم في تأويل الصفات، **وليسوا بكفار بل فيهم الأئمة والعلماء والأخيار**، ولكنهم غلطوا في تأويل بعض الصفات، فهم خالفوا أهل السنة في مسائل؛ منها تأويل غالب الصفات، وقد أخطأوا في تأويلها، والذي عليه أهل السنة والجماعة إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تشبيه، وتمر كما جاءت مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به ﷻ، لا يشابه فيها خلقه ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ٤] [(١)].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٢٨/ ٢٥٦) ، وانظر كتاب التمييز في بيان أن مذهب الأشاعرة ليس على مذهب السلف العزيز (رد على كتاب أهل السنة الأشاعرة) لأبي عمر حاي الحاي ص ٢٥٤ وما بعدها

تفصيل القول في عقيدة الإمام النووي رحمه الله

قال فضيلة الشيخ المحدث حسن أبو الأشبال[١] : "هناك معالم ينبغي ضبطها وسردها لبيان عقيدة الإمام النووي عليه رحمة الله تبارك وتعالى

فهذه القواعد:

أولها: لا نعلم كتاباً مستقلاً للإمام النووي تكلم فيه عن العقيدة حتى يتضح المقال في عقيدته، فليس له إلا مجرد الكلام على الأحاديث التي وردت في صحيح الإمام مسلم في كتاب الإيمان وغيره، فهي التي يؤخذ منها كلام الإمام النووي في العقيدة، وعليها مدار كلام المتقدمين والمتأخرين في عقيدة الإمام عليه رحمة الله.

وهناك كتاب في العقيدة نُسب إلى الإمام النووي، وأما نسبته إليه ففيها نظر كبير، هذا الكتاب اسمه: المقاصد في بيان ما يجب معرفته من الدين من العقيدة والعبادة وأصول التصوف، فهذا الكتاب يُنسب زوراً وبهتاناً إلى الإمام النووي[٢].

---

(١) من شرح صحيح مسلم لفضيلة الشيخ حسن أبي الأشبال المصري (٣/ ٤- ٢١ شاملة) بتصرف واختصار كثير ، وانظر منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم، د/ زكية بنت يوسف مصباح، جامعة ابن سعود، كلية البنات ص٩٠ وما بعدها

(٢) قلت: وهذا بخلاف كتابه في الحروف والأصوات ، فتنبه !

الثانية: أن سائر كلام النووي على الصفات منقول من شُرّاح صحيح مسلم الذين سبقوه، وخاصة من كلام عياض، وشيخه أبي عبد الله المازري.

وعياض لا شك أنه كان أشعري العقيدة، وكذلك شيخه الإمام أبو عبد الله المازري، فالإمام النووي عليه رحمة الله حينما جمع ما جمع في شرح هذا الصحيح اعتمد جُل اعتماده على النقل من كلام عياض وكلام الإمام أبي عبد الله المازري، وكلاهما أشعري العقيدة، فكان الإمام ينقل كلامهما دون تمحيص ولا تحقيق ولا تدقيق

القاعدة الثالثة: أوّل النووي بعض الصفات ولا سيما الفعلية منها تنزيهاً لله عن ظاهرها، وخشية تشبيهه بخلقه، ووصفه بالتجسيم، والذين سلكوا هذا المسلك خرجوا من التشبيه والتجسيم فوقعوا في التعطيل، وهذا الذي وقع فيه الإمام النووي أيضاً، ولو أثبتوا ظواهر النصوص على حقيقتها على مذهب السلف لنجوا، أثبتوها بالمعنى المعلوم والكيف المجهول الذي يليق بجلال الله ﷻ كما هو الكلام المنسوب إلى الإمام مالك، و[إلى] أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت[1]: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، ثم من بعدها

---

(١) وهو عنها ضعيف السند، ينظر العرش للذهبي ص١١٧ ، مختصر العلو ، وهو صحيح عن مالك وقبله عن ربيعة الرأي ، انظر العرش للذهبي ١٥٦ و ٢٦٧، وقال في العلو ٢/ ٩٥٤ : وهو قول أهل السنة قاطبة، وينظر شرح الأثر المشهور عن الإمام مالك

تبنى هذه المقولة ربيعة الرأي، وهو إمام الرأي في المدينة، ثم بعد ذلك أخذها الإمام مالك واشتهرت عنه، حينما سئل عن قول الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] قال: الاستواء معلوم.

إذاً: السلف لا يفوضون العلم، ولا يفوضون المعنى، إنما يفوضون الكيف؛ لأنه قال: الاستواء معلوم، فالعرب يعرفون ما معنى الاستواء، (استوى) عند العرب بمعنى: (علا وارتفع) فلا يقال: استوى بمعنى: استولى، والاستيلاء هذا هو كلام المتأخرين من الأشاعرة وغيرهم، والاستيلاء يلزم منه المناهضة والمدافعة والمبارزة حتى يستولي أحد المتبارزين على الآخر، وحتى يهزمه وينتصر عليه، هذا كلام المتأخرين، وأما كلام السالفين من الصحابة وغيرهم: أن الاستواء بمعنى: الارتفاع والعلو، فهذا هو معنى: الاستواء معلوم، أي: معلوم عند العرب بمعنى: علا وارتفع، وعند الخلف بمعنى آخر وهو غير مراد لنا.

قال: والكيف مجهول، أي: كيفية استواء الرب ﷻ على العرش هذه مجهولة لنا.

الرابعة: أفصح النووي في مقدمته في كتاب المجموع - وهو من أعظم وأجل كتب الإمام النووي في الفقه، وهو أصل في مراجع كتب الفقه في المذهب

في صفة الإستواء ، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط الدار الأثرية ص٦٨ ، وقد صححه عن ربيعة الرأي (ص ٦٩)، وعن مالك (٢٩-٤١)

وانظر تصحيح الذهبي له في العلو ٣٤٤ وجوده الحافظ في فتح الباري ٤٠٧/١٣

الشافعي - أن التأويل يستساغ إذا دعت الحاجة إليه، **وهذا - على أي حال - درب من دروب الاجتهاد عند الأئمة، وإن كنا لا نوافق عليه**، ولكنه على أية حال موجود وله ظل عند أهل العلم، خاصة ممن كانت العقيدة عندهم غير ثابتة ثبوت الجبال الرواسي، فكانوا يلجئون للتأويل أحياناً لرد بدعة على مبتدع، وهذا الذي فعله الإمام النووي.

قال الإمام في المجموع[(١)]: **اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا؟**

فقال قائلون: تتأول على ما يليق بالله ﷻ، وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين.

---

(١) انظر المجموع (١/ ٢٥ ط المنيرية)، (١/ ٦٠٠، ٦٠١ ط العلمية) وسيأتي نحوه من شرحه لصحيح مسلم، ولعل سبب ذلك أنه استفاده من الخطابي والبيهقي، فهما سبقاه به!، انظر "تحفة اليقين في صفة علو الله على العالمين" ص ٣٩٦

وفي كتاب الاعتقاد للبيهقي (ص١١٧)، بعدما ذكر حديث النزول ، قَالَ ﵀: "وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ فِيمَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا، **وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي تَأْوِيلِهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ قَبِلَهُ وَآمَنَ بِهِ وَلَمْ يُؤَوِّلْهُ وَوَكَلَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَنَفَى الْكَيْفِيَّةَ** وَالتَّشْبِيهَ عَنْهُ. **وَمِنْهُمْ مَنْ قَبِلَهُ وَآمَنَ بِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى وَجْهٍ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي اللُّغَةِ وَلَا يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ فِي كِتَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي تَكَلَّمُوا فِيهَا مِنْ هَذَا الْبَابِ".فهما طريقتان أشار البيهقي إليهما**، ونسبهما **إلى أصحاب الحديث**، وناقشه في د/ أحمد بن عطية بن علي الغامدي، فانظر البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص٣٣٨) وما بعدها

وقال آخرون: لا تتأول، بل يمسك عن الكلام في معناها، ويوكل علمها إلى الله تعالى.

قوله: (ويوكل علمها) هذا كلام لا شك أنه خطأ، لكن يوكل كيفيتها إلى الله ﷻ، أما يوكل علمها فهذا هو تفويض العلم وتفويض المعنى الذي قال به الخلف دون السلف.

ثم قال: **ويعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه، فيقال مثلاً: نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى، ولا نعلم حقيقة معنى ذلك، والمراد به، مع أنا نعتقد أن الله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾، وأنه منزه عن الحلول وسمات الحدوث**[1].

---

(١) وسبق نقله في المجموع (١/ ٥٢ ط المنيرية)(١/٦٧٢-٦٧٣ ط العلمية) عن ابن الصلاح قال للمفتي في كل ما ورد من آيات الصفات وأخبارها المتشابهة: **إن الثابت فيها في نفس الأمر ما هو اللائق فيها بجلال الله تبارك وتعالى وكماله وتقديسه المطلق**، فيقول: ذلك معتقدنا فيها وليس علينا تفصيله وتعيينه وليس البحث عنه من شأننا بل نكل علم تفصيله إلى الله تبارك وتعالى ونصرف عن الخوض فيه قلوبنا وألسنتنا فهذا ونحوه هو الصواب من أئمة الفتوى في ذلك وهو سبيل سلف الأمة وأئمة المذاهب المعتبرة وأكابر العلماء والصالحين...

قوله: "ولا نعلم حقيقة معنى ذلك"، هذا كلام خطأ، وإنما الصواب: ولا نعلم كيفية ذلك، أما معنى ذلك وعلم ذلك فإننا نعلمه، فقوله: "الاستواء معلوم" يرد هذا الكلام من أصله[١].

وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم، وهي أسلم، إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك، فإذا اعتقد التنزيه فلا حاجة إلى الخوض في ذلك والمخاطرة فيما لا ضرورة إليه، أو لا حاجة إليه، فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا. والله أعلم.

هذا كلام الإمام النووي، ويفهم منه على سبيل الإجمال دون التفصيل أنه ينسب تفويض المعنى إلى السنة، وهذا كلام غير صحيح، وإنما الذي يُنسب إلى السلف وهو الحق الذي لا مراء فيه تفويض [الكيفية]

الخامسة: أنه يظهر من كلام الإمام النووي السابق أنه يرى تفويض المعنى، وهذا لا شك مذهب الخلف، وهذا ما صرّح به في كثير من المواطن في شرحه على الصحيح[٢].

---

(١) قلت: مثل علمنا بمعنى السمع والبصر ، ولا نعلم كيفية سمع الله وبصره، مع علمنا بأن الله تعالى سميع يسمع ، وبصير يبصر، ﷻ.

(٢) وكما سبق نسب هذا إلى السلف ، وانظر تفصيل بطلان مذهب التفويض هذا في "تحفة اليقين في صفة علو الله على العالمين"، د: عمار خنفر ، ط مكتبة الحجاز، ص ٣٩٦-٤٣١

وخلاصة القول وصفوته أن الإمام النووي انطلق فيما صار إليه في الأسماء والصفات من وجوه مختلفة في فهم النص، أدى إلى القول بالتفويض أو التأويل، وخاصة في الصفات الخبرية كالنزول والفرح والغضب والضحك والإتيان والمجيء ونحو هذا

فاشتغال النووي بعلم الحديث وبُعده عن علم الكلام جعله يوافق أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة جداً من مسائل العقيدة، السر في ذلك بركة اشتغاله بعلم الحديث؛ لأن الذي يشتغل بعلم الحديث لا بد أن يتعرض لأقوال الشُرّاح، ومعظم أهل الحديث إنما كانوا على نهج أهل السنة والجماعة إلا ما ندر.

مثل دفاعه عن عقيدة السلف في مسألة خلق الله لأفعال العباد، وإثبات رؤية الله ﷻ يوم القيامة، ودفاعه عن عقيدة السلف في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه، والاستثناء فيه، وكلامه على حكم مرتكب الكبيرة وكلامه في النبوات عامة، وكذا في السمعيات، ودفاعه عن مذهب أهل السنة في الإمامة والصحابة والتفضيل بينهم.

الإمام النووي دافع ونافح عن هذه المسائل أيما دفاع وأيما منافحة، فهذه المسائل بين أهل السنة وبين أهل البدع فيها خلاف عظيم وهوّة شاسعة على جهة الخصوص، **فكون الإمام النووي يتبنى مذهب أهل السنة والجماعة في هذا وينافح ويدافع عنه ضد المعتزلة، بل وضد الأشاعرة أنفسهم** الذين يُنسب إليهم

الإمام النووي إنه ليدل دلالة واضحة على أن **الإمام النووي لم يكن أشعرياً ولا معتزلياً**، وقد تضمنت هذه التقريرات ردوداً على أهل الزيغ والضلال، وصرّح الإمام النووي بأسماء كثير من الطوائف المبتدعة والملل المنحرفة، مثل: الشيعة والرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والمرجئة والكرّامية وغيرهم.

ونستطيع أن نقرر هنا باطمئنان أن هذا الشرح ساهم في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح في هذه الأمور، وهو شرح الإمام النووي، وذلك من خلال الرد على من تجنبها من أهل الكلام، ومن سلك مسلكهم معتمداً على ما قرره السابقون في مصنفاتهم المعتبرة في العقيدة وغيرها.

ومن الجدير بالذكر هنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية حينما قرر ميل أبي حامد الغزالي إلى الفلسفة لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية قال[(١)]: وقد حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه، ورد عليه أبو عبد الله المازري في كتاب أفرده، إلى أن قال: **ورد عليه الشيخ أبو البيان والشيخ أبو عمرو بن الصلاح وحذّر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النووي وغيرهما**.

فكون النووي يحذر من كلام أبي حامد الغزالي في مسألة الصفات أو مسائل العقيدة على سبيل الإجمال، فلا شك أنه [لا] يرتضيه، فالذي يختلق كلاماً يلزمه

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٦٦)، وانظر شرح الأصبهانية (٦٤٠)، الانتصار لأهل الأثر المطبوع باسم نقض المنطق (ص٩٦)

أن ينافح عنه لا أن يرده وأن يسب أو يذم قائله، وهذا الذي فعله الإمام النووي أنه رد على الغزالي وأبطل قوله، مما يؤيد ويساعد ويشجّع على أن **الإمام النووي إنما كان من أهل السنة والجماعة لا من أهل البدعة،** وأقصى ما يقال: إنه وافق أهل البدع، أو **وافق الأشاعرة والخلف في بعض المسائل عن اجتهاد منه وتأويل،** فنسأل الله تعالى أن يغفر له، وأن يتجاوز عن سيئاته.

ولا يفوتنا بهذا الصدد إلى أن نشير إلى أن الإمام النووي خالف الأشاعرة مخالفة صريحة في مسألة أول واجب على المكلف، ونصر فيها مذهب السلف فقال في المجموع[1]: **وأما أصل واجب الإسلام وما يتعلق بالعقائد فيكفي فيه التصديق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ.**

يعني: التصديق على سبيل الإجمال، أي: تصديق العوام للنبي ﷺ على سبيل الإجمال دون التفصيل، فهذا الذي قاله الإمام النووي.

قال: أول ما يلزم المسلم أن يصدق بكل ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا التصديق إنما يعتقده اعتقاداً جازماً سليماً من كل شك، ولا يتعين على من حصل له هذا تعلم أدلة المتكلمين، أي: ليس فرض عين على كل مسلم أن يتعلم أدلة المتكلمين.

والمتكلمون إنما هم المتأخرون.

---

(١) انظر المجموع (١/ ٢٤، ٢٥ ط المنيرية) (١/ ٥٩١ - ٦٠٠ ط العلمية)

قال: هذا هو الصحيح الذي أطبق عليه السلف والفقهاء والمحققون من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، فإن النبي ﷺ لم يطالب أحداً بشيء سوى ما ذكرناه، وكذلك الخلفاء الراشدون ومن سواهم من الصحابة فمن بعدهم من الصدر الأول، بل الصواب للعوام وجماهير المتفقهين والفقهاء الكف عن الخوض في دقائق الكلام مخافة من اختلال يتطرق إلى عقائدهم يصعب عليهم إخراجه، بل الصواب لهم الاقتصار على ما ذكرناه من الاكتفاء بالتصديق الجازم، وقد نص على هذه الجملة جماعات من حذاق أصحابنا الشافعية وغيرهم، وقد بالغ إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى في تحريم الاشتغال بعلم الكلام أشد مبالغة، وأطنب في تحريمه، وتغليظ العقوبة لمتعاطيه، وتقبيح فعله، وتعظيم الإثم فيه، فقال: لئن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الكلام. وألفاظه بهذا المعنى كثيرة[١]

سبب الاشتباه في نسبة الإمام النووي إلى الأشاعرة

ذكرنا أن الإمام النووي كان مضطرباً في مسائل العقيدة، خاصة مسألة الصفات فما سر هذا الاضطراب؟

---

(١) منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ص ١٩١-١٩٧، (٥٩٩/١، ٦٠٠ ط العلمية)

سبب الاشتباه في نسبة الإمام النووي إلى الأشاعرة أو أهل السنة ، أنه قد وافق الأشاعرة من خلال النقل عن مصنفاتهم كما ثبت نقله عن الإمام أبي عبد الله المازري وتلميذه عياض، فلما نقل عنهم وسكت عن هذا النقل قال الأشاعرة: هو أشعري من هذه الزاوية، أنه اعتمد كلام عياض والشيخ أبي عبد الله المازري وسكت عنه مما يدل على رضاه به.

فهذه حجة الذين ينسبون الإمام النووي إلى الأشاعرة

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم ببركة اشتغال الإمام النووي بالحديث ومنافحته عن عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة نسبوه إلى عقيدة السلف، ورحم الله تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: وقلّ طائفة من المتأخرين إلا وقع في كلامهم نوع غلط؛ لكثرة ما وقع من شبه أهل البدع.

ولهذا يوجد في كثير من المصنفات في أصول الفقه وأصول الدين والزهد والتفسير والحديث من يذكر في الأصل العظيم عدة أقوال، والأصل فيها أنها قول واحد، فتجد الواحد منهم وهو إمام كبير فحل يذكر في هذا الأصل العظيم الذي لا ينبغي أن يُذكر فيه إلا كلام واحد عدة أقوال، ومع هذه الأقوال الكثيرة لا يذكر القول الصحيح.

ثم يقول: **لعدم علمه به لا لكراهيته لِما عليه الرسول ﷺ.**

فالإمام النووي من الأفاضل الأبرار، بل من العلماء الأحبار، ولكن لم يوفق لمتابعة منهج أهل الآثار في بعض المسائل العقدية الواردة في بعض الأخبار،

عفا الله عنا وعنه بمنه وكرمه، وجعلنا وإياه من أهل الجنة وأبعدنا عن النار إنه عزيز غفار

ثم ذكر الشيخ حسن بعض المسائل التي خالف فيها الإمام النووي أهل السنة والجماعة (١).

ثم قال: الأسباب التي أدت إلى وقوع الإمام النووي في مخالفة أهل السنة في بعض مسائل العقائد

أما الأسباب التي أدت إلى وقوع الإمام النووي في هذه الأخطاء فهي كثيرة:

منها: أنه سار في شرحه في مسائل الصفات على نهج المازري، وكذلك على نهج القاضي عياض... (٢)

والإمام النووي لم يكن محققاً في باب العقائد؛ وذلك لانشغاله بالحديث وانشغاله بالفقه، فلم يكن بلغ مبلغاً متيناً في مسائل العقيدة أو كما يقولون: في أبواب الكلام أو مسائل الكلام (٣)

---

(١) انظر مواضع هذه التأويلات في الردود والتعقيبات للشيخ مشهور حسن، وقد نقلتها في آخر هذه الرسالة نصيحة للأمة، وتصحيحاً لمن كان عنده الشرح ، وانظر منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم، د/ زكية بنت يوسف مصباح، جامعة ابن سعود، كلية البنات، ص ٢٨٩ وما بعدها.

(٢) وانظر آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٨٤٧)

(٣) فهو ﵀ توهم أن مذهب السلف الصالح هو التفويض، كما قال في شرح صحيح مسلم (٣/ ١٩): "اعْلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلَيْنِ:

ومنها: أن الإمام النووي عليه رحمة الله ولد في عصر قريب عهد بانتشار مذهب الأشاعرة، ومن المعلوم أن ظهور أي مذهب يجعل له الغلبة على عقول الناس خاصة إذا تبناه الحُكّام.

فكذلك مذهب الأشاعرة انتشر وفاح وذاع في عصر ولد فيه الإمام النووي وطلب فيه العلم، مما كان له التأثير العظيم على كثير من علماء ذلك الزمان،

أَحَدُهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ : أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا ، بَلْ يَقُولُونَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَنَعْتَقِدَ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ ، مَعَ اعْتِقَادِنَا الْجَازِمِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّجَسُّمِ وَالِانْتِقَالِ وَالتَّحَيُّزِ فِي جِهَةٍ وَعَنْ سَائِرِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَاخْتَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُحَقِّقِيهِمْ وَهُوَ أَسْلَمُ

وَالْقَوْلُ الثَّانِي وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ الْمُتَكَلِّمِينَ: أنها تتأول على مايليق بِهَا عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا وَإِنَّمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهَا لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَقَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ذَا رِيَاضَةٍ فِي الْعِلْمِ".

وسبق كلام النووي في المجموع، وانظر :"تحفة اليقين " ص ٣٩٣-٣٩٤

قلت: نسبة هذا المذهب إلى السّلف غير صحيحة، وإنّما مذهب السّلف هو تفويض الكيفية، مع إثبات المعنى، ونسب النووي هنا إليهم تفويض المعنى والكيفية!!.

وانظر للتوسّع والرد: مجموع الفتاوى(٦/ ٣٥) ودرء التعارض (٥/ ٢٤٨) والردود والتعقبات ص/٦٧، ١٧١ وحاشية "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم "(١/ ٣٠٢) والأشاعرة في ميزان أهل السنة لفيصل الجاسم - ص ٧٣٧ – ٧٣٨،"تحفة اليقين " ص ٣٩٤-٣٩٦، "علو الله على خلقه" ، د/ موسى الدويش ١٦٣-١٦٩

منهم عياض وأبو عبد الله المازري، ونحن نعلم أن الإمام النووي تأثر بهما أيما تأثر في شروحه وفي كلامه وفي عقيدته[١]، بخلاف تلميذه ابن العطار فقد كان متأخراً عنه في السن، وتأثر بالإمام النووي تأثراً عظيماً، حتى كان يقال عن ابن العطار: هذا مختصر النووي، أو: هذا النووي الصغير.

فالإمام ابن العطار تأثر بشيخه الإمام النووي، ولكنه تهيأ للإمام ابن العطار ما لم يتهيأ لشيخه الإمام النووي؛ وذلك لأن جُل شيوخ الإمام النووي من الأشاعرة فتأثر بهم، وهذا التأثر طبيعي، والإنسان جزء من مجتمعه، يتأثر ويؤثر، أما ابن العطار فقد تهيأ له من الشيوخ والعلماء ما لم يتهيأ لشيخه الإمام

---

(١) لقد عاش المازري النصف الثاني من القرن الخامس والثلث الأول من القرن السادس والقرطبي عاش في الربع الأخير من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع، وهذا الزمن ابتليت الأمة فيه بالإضطرابات والفتن وتسلط الأعداء عليها مما كان له الأثر الواضح على حياتهما خصوصًا القرطبي الذي تسببت هذه الفتن في تركه لبلده وهجرته إلى مصر حين قضى فيها بقية عمره بعد أن سقطت بلاده الأندلس في أيدي النصارى.

وتبين من خلال دراسة ذلك العصر أنَّ المذهب الأشعري في الإعتقاد هو السائد خصوصًا في تلك البلاد وهذا يظهر من خلال التزام المازري والقرطبي بهذا المعتقد كما كان عليه شيوخهما ومن أخذا العلم عنهما.

انظر: آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٨٤٦)

وفي (ص٨٤٧): تبين من خلال هذه الرسالة قوة القرطبي رحمه الله في محاربته للفرق الضالة فقد بين انحرافات الخوارج وشطحات الصوفية وردَّ على عامَّة الفرق المنحرفة وأصحاب الإعتقادات الباطلة.

النووي، فقد تهيأ للإمام ابن العطار ابن تيمية عليه رحمة الله وكفى به، ولا أقول: إنه أدرك ابن تيمية، ولكني أقول: إنه تأثر به وبتلاميذه

قواعد ينبغي أن يحرص عليها المرء في حكمه على أمر من الأمور

وحتى نخلص إلى بيان موقفنا من تأويلات الإمام النووي والحافظ ابن حجر وغيرهما لا بد من تقعيد وتأصيل، وهذه القواعد وهذه الأصول كثيرة جداً [(١)]، ومردها إلى خمسة أصول لو علمناها لن نقع إن شاء الله فيما يقع فيه كثير من الناس، في كثير ممن تثار حولهم شبهة، وربما لا أصل لها ولا دليل عليها، ولكنها إشاعة قيلت فتلقفها كثير من الإخوة، ثم نشروها.

فأما **القاعدة الأولى** التي ينبغي أن يحرص عليها المرء في حكمه على الرجال والأشخاص، وعلى الكتب والمصنفات، وعلى الجماعات، وعلى الأمم وغير ذلك هي: **الخوف من الله ﷷ عند الكلام في الآخرين**[(٢)].

حرّم الله ﷷ الغيبة في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فقال ﷻ في كتابه: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢]، وقال النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة عنه: "أتدرون ما الغيبة"؟

---

(١) انظر: جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين من ١٢٠٠-١٣٥٠ هـ، ص ٣٣ ـ ٥٨، منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين لهشام بن إسماعيل الصيني، تقديم د/ عابد بن محمد السفياني، ط دار المروة ص١٥-٦٢

(٢) انظر منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص١٥-٢٠

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "ذكرك أخاك بما يكره"، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"، أي: ظلمته وجرت عليه، والنبي ﷺ حرّم ذلك في حجة الوداع كما ورد في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، وحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، قال: ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد".

بل جاءت الأحاديث ببيان أشد مما سبق، فجعلت الخوض في عرض المؤمن أشد من أن ينكح الرجل أمه كما ورد في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال: "الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه" أي: أن تطلق لسانك في عرض أخيك.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج".

وعن ابن عمر أيضاً رضي الله عنهما مرفوعاً قال ﷺ: " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم،

فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبّع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته".

فهذه النصوص - في الحقيقة - كلها تدل دلالة واضحة على أنه ينبغي عليك أن تحرص على أن تراقب الله ﷻ في أقوالك وأفعالك، خاصة في التي لها تعلق بغيرك من بني البشر

والقاعدة الثانية التي ينبغي أن يضعها العبد نصب عينيه عند الكلام في الآخرين: **هي حسن الظن بالمسلم**(١)، أي: تقديم حسن الظن على سوء الظن، وقديماً قال الإمام محمد بن سيرين: احمل أخاك على أحسن الوجوه، حتى إن لم تجد له مساغاً فقل: لعل له عذراً، فإن لم تجد عذراً قط فقل: لعل له عذراً لا أعلمه.

وهذا لا شك باب عظيم من أبواب تقديم حسن الظن بالمسلمين.

فالأصل في هذه القاعدة - وهي تقديم حسن الظن بالمسلمين - قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات:١٢] أي: إن بعض هذا الكثير إثم، فمن أساء الظن بإخوانه فلا شك أنه قدّم هنا سوء الظن في إخوانه.

(١) منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص٢١

وأمر المسلم في الأصل قائم على الستر وحسن الظن؛ ولذلك أمر الله ﷻ المؤمنين بحسن الظن عند سماعهم لقدح في إخوانهم المسلمين، بل وشدد النكير على من تكلم بما سمع من قدح في إخوانه دون تثبت ولا روية

القاعدة الثالثة هي: **الكلام في أعراض الناس ينبغي أن يكون بعلم وعدل وإنصاف**(١)، والأصل في هذه القاعدة قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف:٨٥] ونحو ذلك من الآيات.

فكأن الله ﷻ يوجه المؤمنين إلى أن يقوموا بالعدل والإنصاف والحكمة سواء مع الكفار أو مع المسلمين، وأما قوله: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]، فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم عليهم وفي رأيكم فيهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم من العداوات، ولكن الزموا العدل والإنصاف.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل"، قوله: (بعلم) أي: بتثبت وروية وتبيان قبل أن تنطلق الألسنة، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع.

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص٢٣

ولذلك أهل البدع يقولون: إن أهل السنة والجماعة أرحم لنا من رحمة بعضنا البعض؛ لأن أهل البدع أهل ظلم وجور وطغيان وبغي، حتى على بعضهم البعض إذا انفردوا، وأما أهل الإسلام وأهل السنة والجماعة فإنما بعثهم الله تعالى رحمة للخلق جميعاً، كما بعث الأنبياء رحمة للخلق جميعاً؛ لأن أهل السنة والجماعة إنما هم امتداد للدعوة وللرسالة التي أرسل الله بها الأنبياء والمرسلين من نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في ترجمة الفضيل بن عياض: إذا كان مثل الفضيل يتكلم فيه! فمن الذي يسلم من ألسنة الناس؟ ، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس جداً يتضح فيه منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين: **ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك فالله تعالى يغفر له خطأه.**

وهذا كلام ينبغي أن يُحفظ: "**ليس من تحرى الحق فأخطأه كمن تحرى الباطل فأصابه**"؛ فإن الثاني من أهل البدع والأول من أهل الحق، وإن خالف الحق فيما اجتهد فيه.

ومن خلال النصوص السابقة نعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره إن احتاج إلى ذلك من جهة الشرع إلا بعلم وعدل وإنصاف، فالله تعالى يقول:

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦] ومن تكلم في غيره بظلم وزور فقد خالف قول الله ﷻ: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]

أما **القاعدة الرابعة** التي ينبغي أن يلتزمها العبد في الحكم على الآخرين فإنها: **العبرة بكثرة الفضائل**(١).

وهذا كلام في مجمله: أن كل إنسان له خير وشر، فإن غلب خيره على شره غُفر له شره، وإن غلب شره على خيره دل على فساد نيته وسوء طويته، فلا شك أن من غلب شره كان الأصل فيه الشر، فإنه لا يُغفر له ذلك، وأما إذا غلب خيره على شره فإنه من أهل الصلاح وأهل السنة، يتمنون له ويرجون الله ﷻ أن يغفر له هذا الذي وقع فيه من باطل وشر.

يقول ابن رجب الحنبلي ؒ: **والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه.**

وكلمة ابن رجب هي بمثابة المنهج الصحيح في الحكم على الشخص، ومنهج السلف هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب والخطأ، والنظر إليه بعين الإنصاف.

(١) منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص٣٠

والإمام الذهبي يقول: **ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن...**

وننتقل إلى **القاعدة الخامسة** التي ينبغي أيضاً أن يلتزمها العبد في الحكم على الآخرين، فهي: معاملة من أخطأ في طلب الحق، كيف نتعامل مع من طلب الحق فأخطأ فيه؟

إن واقعنا العملي يوضح لنا أن الذي يبتغي الحق ويخطئ فيه كالذي يبتغي الشر ويصيبه، وهذا هو منهجنا وحياتنا العملية، لكن السلف كانوا على غير ذلك تماماً، فإن من تحرى الحق وأخطأ فيه ليس كمن تحرى الباطل فأصابه، يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فالله ﷻ قد علّم المؤمنين من صحابة النبي ﷺ أن يدعوه بهذا الدعاء، علّمهم وأدّبهم كيف يدعون ربهم، وكأنه قال: قولوا: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، أي: لا تأخذنا بذنبنا إذا كان هذا الذنب مبعثه الخطأ والنسيان، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "إن الله تجاوز لأمتي عمّا حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل".

وثبت عند ابن ماجه وابن حبان وغيرهما من حديث أم الدرداء وغيرها أن النبي ﷺ قال: " إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"، وفي رواية أم الدرداء: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان والاستكراه"، وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] إلى آخر الآيات، وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عباس أن الله ﷻ قال عند كل دعاء من هذا: قد فعلت، أو قال: نعم.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: قد فعلت، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قال: قد فعلت، وفي رواية عند مسلم قال: نعم.

فهذا يدل على أن الله ﷻ يغفر المعاصي إن صدرت عن خطأ أو عن نسيان وجهل.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق من جهة الرسول ﷺ وأخطأ في بعض ذلك، فالله يغفر له ذلك تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله ﷻ لنبيه وللمؤمنين: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

ثم يقول: فإن اجتهد الإنسان في طلب الحق من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في ذلك؛ فهو مغفور له بنص الآية السابقة، كما أنه إذا استفرغ العالم وسعه في طلبه للحق من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض مسائل الاعتقاد فإنه لا يبدّع ولا يهجر من أجل خطئه، وإن كان يقال: إن قوله قول مبتدع، ومن هنا تعلم أنه لا

تلازم بين البدعة وبين فاعلها؛ لأنه قد يفعل المرء فعلاً هو من أفعال أهل البدع، ولكنه لا يدري ولا يعلم أن هذا الفعل أو هذا القول هو من أفعال المبتدعة أو أقوالهم.

فالذي يقول مقولة أهل البدع، أو يفعل فعل أهل البدع لا يبدّع ولا يُهجر إلا بتحقق الشروط وانتفاء الموانع من قيام الحجة عليه، وتبليغ العلم إليه، وانتفاء الجهالة، وانتفاء الإكراه وغير ذلك مما يمكن أن يتصور أنه ما وقع فيما وقع فيه إلا نتيجة الجهل مثلاً أو نتيجة الإكراه وغير ذلك، أو النسيان أو الخطأ أو التأويل، فربما وقع هذا من باب التأويل.

والتأويل عند العلماء له أيضاً شروط وأحكام

قال: فكما أن القول الكفر لا يلزم منه أن يكون صاحبه كافراً، فكذلك لا يلزم أن يكون قائل البدعة مبتدعاً.

يعني: ربما يتلفظ المرء بقولة هي قولة كفر، لكن هذا لا يلزم منه أن يكون القائل كافراً، إلا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، ولو أننا كلما أخطأ الإمام في اجتهاده خطأ مغفوراً له فيه، لاستفراغ الوسع في طلبه للحق ومن مصادره الصحيحة قمنا عليه وبدّعناه وهجرناه لما سلم لنا كثير من العلماء.

ولو أن كل إنسان أخطأ رُد كله، لكان أول المردودين أنت.

وقال الشاعر: من ذا الذي ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

وأما من أخذ دينه من غير جهة الرسول ﷺ، وأخذ دينه من طريقة أهل الكلام؛ من المعتزلة أو الأشاعرة، أو الماتريدية، أو طريقة المتصوفة، وغير ذلك من المذاهب والفرق الضالة، فلا شك أنه يأخذ دينه من غير جهة الرسول ﷺ، فمن فعل ذلك فهذا مبتدع في مصدره وفي قوله ومعتقده.

وأما القاعدة السادسة[١] وهي آخر القواعد: فقد يبرع أحدهم في مسألة معينة ولا يبرع في مسألة أخرى، يبرع أحد العلماء في علم دون علم آخر، فيفيد هنا ولا يفيد هناك، فيصيب هنا ويخطئ هناك، وهذا ما قررناه في منهج الإمام النووي، فإنه برع في مسألة الفقه ومسألة الحديث، ولكنه لم يبرع في مسألة الكلام في العقيدة ولا في مسائل الأصول، فقد يبرع أحدهم في العلم، والآخر في الجهاد، والآخر في الدعوة وهكذا.

يقول الإمام الذهبي: والكتابة مسلمة لابن البواب، كما أن أقرأ الأمة أبي بن كعب، وأقضاهم علي، وأفرضهم - أي: أعلمهم بالفرائض - زيد بن ثابت، وأعلمهم بالتأويل - أي: التفسير - ابن عباس، وأمينهم - أمين هذه الأمة - أبو عبيدة، وعابرهم محمد بن سيرين - أي: الذي يعبر الرؤيا ويفسّرها - وأصدقهم لهجة أبو ذر، وفقيه الأمة مالك، ومحدثهم أحمد بن حنبل، ولغويهم أبو عبيد، وشاعرهم أبو تمام، وعابدهم الفضيل بن عياض، وحافظهم سفيان

(١) انظر منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين ص٧٥

الثوري، وأخباريهم الواقدي، وزاهدهم معروف الكرخي، ونحويهم سيبويه، وعروضيهم الخليل، وخطيبهم ابن نباتة، ومنشئهم القاضي الفاضل، وفارسهم خالد بن الوليد ، رحم الله تعالى الجميع ورضي عنهم[١].

فينبغي في هذا الأصل أن يعنون ويبوّب بباب **يجب إعطاء كل ذي حق حقه،** فهذه هي القواعد التي ينبغي أن يشار إليها، وأن يرجع إليها في الحكم على الآخرين

القول الفصل في الإمام النووي

إذا علمنا هذا فينبغي أن نرجع إلى : ما موقفنا من الإمام النووي؟

بعد هذه القواعد وهذه الأصول، وهذه الأعذار التي يجب أن تلتمس من حسن الظن، والخوف من الله ﷻ، ما عقيدتنا وما هو القول الفصل في الإمام النووي عليه رحمة الله تبارك وتعالى؟.

على أية حال الإمام النووي لا يحتاج منا إلى مدح وثناء، **فما من إنسان ترجم له إلا ومدحه وأثنى عليه خيراً،** وكتب الله ﷻ له القبول في مصنفاته؛ فانتشرت

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١٩

في حياته في ربوع الأرض شرقاً وغرباً، فهو لا يحتاج منا إلى مدح، ومن نحن حتى نمدحه؟

ولكن في هذا المقام لا بد أن ننبه إلى مسألة عظيمة من المسائل المهمة: وهي أن الله ﷻ قد أيد هذا الدين برجال ذبّوا عنه في مختلف الميادين في الجهاد والدعوة والعلم وإن كانوا قد انحرفوا قليلاً أو كثيراً عن مسلك ومعتقد أهل السنة.

ثم ضرب الشيخ مثالاً بالإمام أبي بكر البيهقي وابن عساكر والعز بن عبد السلام، وأشار لبعض أخطائهم ثم قال:

ولنا أسوة بسلفنا الصالح والأئمة، فإنهم رووا عن الكثير من المبتدعة أحاديث؛ لعلمهم أنهم أصحاب عدل وإنصاف وصدق وأمانة

من نصيحتنا لهؤلاء ومن نصيحتنا لديننا ولعلمنا ولمن يتعلم منا أن نأخذ ما وافقوا فيه الحق وأن نرد ما خالفوا فيه الحق، وهذا كله في حق العالم إذا لم تغلب عليه البدع والأهواء، وعلمنا منه حرصه على متابعة الرسول ﷺ وتحري الحق من الكتاب والسنة، إلا أنه لم يصبه بشبهة ما أو غير ذلك، وهكذا يكون الأمر مع النووي.

إذاً: **الإمام النووي كان يتحرى الحق، ولكنه كان يجانبه أحياناً، فلا يأتي أحد فيقول: الإمام النووي أشعري أو الإمام النووي من أهل البدع، والحافظ ابن حجر من أهل البدع**، فوالله لقد بلغني أن شخصاً يقول: إن المجلد الأخير من فتح الباري ينبغي أن يحرق أو يلقى في المزابل!!.

ونختم بكلام لـشيخ الإسلام نفيس غاية النفاسة، ذكر فيه الحكم على العالم المتأول الذي من عادته وديدنه الوقوف عند الحق، ولكن لم يصبه في بعض الأمور.

قال: **وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء بل ولا رخص الفقهاء**، يعني: إذا كان لا ينبغي لك أن تتبع رخص الفقهاء، فمن باب أولى لا ينبغي لك أن تتبع الزلات، وهي السقطات التي خالفت الحق مخالفة صريحة، ويعجبني رسالة صُنّفت بعنوان: "زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء"، وسموه سفيهاً، وما أكثر السفهاء في هذا الزمان

والخلاصة أن الإمام النووي عليه رحمة الله " **لا أقول: إنه أشعري وإن كان يتبنى مذهب الأشاعرة في بعض الأحيان**، وليس حال الإمام النووي بأحسن من حال ابن الجوزي، فكلاهما مضطرب في أمر الاعتقاد، خاصة في باب الصفات، فهما تارة ينافحان ويدافعان عن مذهب السلف بكل ما أوتيا، ويقولان: نؤمن بهذه الصفات ونمرها كما جاءت، ولا نخوض فيها بتأويل ولا تعطيل، بل نثبتها على الوجه اللائق بالله ﷻ، وتارة يقولان: لابد من تأويل هذه الصفة؛ لأن الأمر لا يستقيم في أذهانهم على المنهج الأول وهو منهج السلف[١]"

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – حسن أبو الأشبال (٢٦/ ٨ الشاملة)

قال الشيخ مشهور حسن عن النووي [١]: اضطرب المترجمون للإمام النووي - قديماً وحديثاً - في عقيدته في الصفات ، فبعضهم نعتها بأنها (سلفيه)!! ونعتها آخرون بأنها (أشعرية) تأويلية وخلفية !! ونعتها فريق ثالث بأنها " تفويضية "!!

والحق أن هذا الإمام ممن أفنى عمره في الطلب والتحصيل ، وتوالت وتتابعت عبارات مترجميه على مدحه، ولم نعلم أن أحد منهم قدحه، وهو - والله حسيبه - من أهل الصلاح والفلاح، ولكن وقع فيما وقع فيه من الأخطاء لعدة أسباب ، هذه أشهرها :

أولاً : سار في "شرحه" في مسائل الصفات على نهج المازري والقاضي عياض ، فما من موطن من المواطن التي أول فيها الصفات إلا وينقل إما عن المازري أو القاضي عياض ، ويصرح بذلك تارة، ويلمح أخرى، ويأتي بالنص أحياناً، وينقله بالمعنى في أحايين أخرى، وقد اعتنيت بكشف ما تحقق لي من ذلك في هذه الدراسة، ولله الحمد والمنَّة ،

ثانياً : لم يكن الإمام النووي رحمه الله محققاً في هذا الباب ، وإنما وقعت له عبارات من سبقه من العلماء، فارتضاها من غير تمحيص وتحقيق وتدقيق، وصدقت عليه فيها مقولة الأسنوي لما قال عنه في أوائل "المهمات" : "أعلم أن الشيخ محي

---

(١) بتصرف من كتابه " الردود والتعقيبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات " .

الدين النووي رحمه الله لما تأهل للنظر تصنيفاً ينتفع به الناظر فيه، فجعل تصنيفه تحصيلاً، وتحصيله تصنيفاً، وهو غرض صحيح، وقصد جميل، ولولا ذلك لم يتيسَّر له من التصانيف ما تيسر له .

وأما الرافعي فإنه سلك مسلك الطريق العالية فلم يتصدر للتأليف إلا بعد كمال انتهائه،- وكذا ابن الرفعة - رحمهم الله أجمعين" .

ثالثاً : كان رحمه الله في عصرٍ قريب عهد بانتشار مذهب الأشاعرة، " فمن المعلوم أن إمام الأشعرية المتأخر الذي ضبط المذهب وقعد أصوله هو الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، ثم خلفه الآمدي (ت ٦٣١ هـ)، و الآرموي (ت ٦٨٢ هـ) فنشرا فكره في الشام ومصر ، واستوفيا بعض القضايا في المذهب " .

فتأثر رحمه الله بكلام هؤلاء وغيرهم ،إذ كان ما ضبطوه وقعدوه هو السائد المنتشر آنذاك، لاسيما في الديار الشامية والمصرية ، ولم يقيض الله - بعد - من يمحص كلام هؤلاء، كما وقع لشيخ الإسلام ابن تيمية، فإن كتابه "درء التعارض" - مثلاً - قائم موضوعه على رد ما كتبه هؤلاء الثلاثة.

ولو أن الله يسر له رحمه الله كما يسر لتلميذه ابن العطار شيوخاً أو تلاميذ ممن اتضحت لهم معالم أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات لغير وبدل.

فإن ابن العطار اشتغل على شيخه النووي، ولازمه فترة حتى كان يُقال له : "مختصر النووي" وقد يختصر فيقال : "المختصر" .

وكان من شدة إعجابه بشيخه – ويحق له ذلك – قد انقطع فترة تزيد عن ست سنوات إلى التلمذة عليه، والأخذ منه، فها هو يقول: "وكانت مدة صحبتي له ، مقتصراً عليه دون غيره، من أول سنة سبعين وست مئة وقبلها بيسير إلى حين وفاته"، حتى أنه حفظ كتاب "التَّنبيه" بين يديه، وكان النووي ﷺ يثق بمقدرة تلميذه العلمية، والدليل عليها ما قال التلميذ عن نفسه :"وأذن لي ﷺ في إصلاح ما يقع لي في تصانيفه، فأصلحت بحضرته أشياء، فكتبه بخطه، وأقرني عليه، ودفع إلي ورقة بعدة الكتب التي كان يكتب منها ويصنف بخطه، وقال لي : إذا انتقلت إلى الله تعالى، فأتمم " شرح المهذب " من هذه الكتب ، فلم يقدر ذلك لي ".

وكان يعلل ابن العطار أخذه على شيخه في الدرس، بقوله :"لا تسقط الثمرة من الشجرة إلا بهز الأفنان أو التَّـقطف بالبنان "

أقول : على الرغم من هذه العلاقة الشديدة الوطيدة بين النووي وتلميذه ابن العطار، إلا أن ابن العطار تأثر بعصره الذي كان فيه شيخ الإسلام ، وتأثر ببعض من أخذ عنه كالذهبي ، وكان أخاه لأمه من الرضاعة، وظهرت آثار هذا التأثر بكتاب صنفه في التوحيد بعنوان "الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد" نصر فيه العقيدة السلفية.

وحاصل ما أريد تقريره وتأكيده هنا : أن ابن العطار على الرغم من حبه الشديد لشيخه النووي، وأنه انقطع في الأخذ عنه ست سنين، ومع هذا فلم

يتابعه على أخطائه في الأسماء والصفات ، لأنه عاش عصراً غير عصر شيخه، ووقف على تحقيق وتمحيص لم يكن سائداً أيام النووي في مثل هذه القضية الاعتقادية المهمة جداً .

سبب الاختلاف في تحديد عقيدة الإمام النووي :

لعله ظهر لك - أخي القارئ - سبب الاشتباه في نسبة الإمام النووي للأشاعرة، أو أهل السنة، فهو قد وافق الأشاعرة من خلال النقل عن مصنفاتهم، والسكوت عنها، بل تصريحه في بعض الأحايين بقبولها، ووافق السلف في كثير من عقيدتهم، لتأثره واشتغاله بالنقل، وابتعاده عن علم الكلام، والخوض في تفصيلاته [١] ، فالناظر إلى المواضع التي قرر فيها عقيدة أهل السنة، ونافح عنها ، ورد فيها على أهل البدع والضلالة يعده سلفياً، فهذا التداخل هو أصل الاشتباه و اللبس.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية لَمَّا قال : " وقَلَّ طائفة من المتأخرين إلا وقع في كلامها نوع غلط لكثرة ما وقع من شُبه أهل البدع، ولهذا يوجد في كثير من المصنفات في أصول الفقه، وأصول الدين،والفقه، والزهد،والتفسير ،والحديث، من يذكر في الأصل العظيم عدة أقوال ، ويحكي من مقالات

(١) وقال في المجموع بتحريم كل ما كان سبباً لإثارة الشكوك. (٦٠٦/١ ط العلمية)

الناس ألواناً، والقول الذي بعث الله به رسوله لا يذكره، لعدم علمه به،لا لكراهية لما عليه الرسول ".

قلت : وقوله هذا ينطبق تماماً على الإمام أبي زكريا النووي رحمه الله تعالى .

موقفنا من الإمام النووي رحمه الله وتأويلاته :

لا تتسع هذه السطور لتدبيج عبارات العلماء التي فيها مدح وثناء على أبي زكريا النووي، ولا إخالني بحاجة إلى التركيز على هذا ، لشهرته ومعرفته عند كل واحدٍ من طلبة العلم ، ومع هذا فقد سطرته بإسهاب من خلال نشري وتحقيقي لكتاب ابن العطار "تحفة الطالبين في ترجمة محي الدين" فمن رام الوقوف عليه، فليطلبه هناك، يجد – إن شاء الله تعالى – ما يسره .

وأريد في هذا المقام أن أنبه على أمرٍ مهم جداً ، وهو : إن في الأشعرية علماء لهم قدم في خدمة الشريعة أمثال : الحافظين أبي بكر البيهقي ، وأبي القاسم بن عساكر ، والإمام العز بن عبد السلام، وغيرهم من فضلاء الأشعرية، نذكرهم بما لهم من المحاسن، غير أننا ننبه على ما وقعوا فيه من البدعة، فإن الحق لا محاباة فيه، ولا تمنعنا بدعتهم من الانتفاع بعلومهم في السنن والفقه والتفسير والتاريخ وغير ذلك ،مع الحذر .

ولنا أسوة بالسلف والأئمة فإنهم رووا عن الكثير من المبتدعة لعلمهم بصدقهم .

ونجتنب التكفير والتضليل و التفسيق للمعين من هذا الصنف من العلماء، فإن هذا ليس من منهج السلف، وإنما نكتفي ببيان بدعته وردها إذا تعرضنا لها .

وهذا كله في حق العالم إذا لم تغلب عليه البدع والأهواء، وعلمنا منه حرصه على متابعة الرسول ﷺ وتحري الحق من الكتاب والسنة إلا أنه لم يصبه لشبهة ما أو غير ذلك شأن الإمام النووي رحمه الله ، فإن له اجتهاداً في طلب الحق والوقوف عليه، والأخذ به - ولا نزكي على الله أحداً -.

ونختم هذه (الكلمة) بكلام لشيخ الإسلام نفيس غاية ، ذكر فيه الحكم على العالم المتأول الذي من عادته ودينه الوقوف على الحق ، ولكن لم يصبه في بعض الأمور ، أو في بعض الأحايين ، وذكر فيه أيضاً تحذير طلبة العلم من اتباع هذا العالم في زلاته ، أو ترديد مقالاته ، ويقع ذلك بسبب شهرته وصلاحه ، وطول باعه، وكثرة مصنفاته ، قال رحمه الله تعالى :" وليس لأحدٍ أن يتبع زلات العلماء ، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل، فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطئوا ،كما قال تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾، قال الله : "قد فعلت".

وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء، وأمرنا أن لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فنقول : ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية.

وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور ، ونعظم أمره تعالى بالطاعة لله ورسوله، ونرعى حقوق المسلمين ، لاسيما أهل العلم منهم ، كما أمر الله ورسوله ، ومن عدل عن هذه الطريق فقد عدل عن اتباع الحجة إلى اتباع الهوى في التقليد ، وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فهو من الظالمين، ومن عظم حرمات الله، وأحسن إلى عباد الله، كان من أولياء الله المتقين، والله سبحانه أعلم " .

وقال أيضاً : " إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم، فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك ، ولا تبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم ، فهذا أصل عظيم، فتدبره فإنه نافع " .

وقال بعد أن ذكر الفرقة الناجية واعتقادها، والدليل على نجاتها : "وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه ،وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة " .

وأوضح أنه ربما يكون العالم من المتأولين ومن أهل الاجتهاد، ومن ذوي فضل وصلاح وحرص على اتباع الشريعة ، واقتفاء آثار الرسول ، ولكنه أخطأ في فهم النصوص، وغلط في اجتهاده ووهم فيما ذهب إليه من تأويل ، وبين أن

هذا الصنف مأجور ومعذور، ولكن لا يجوز اتباعه في غلطه، فقال :" فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله، أو أوجبه بقوله أو بفعله من غير أن يشرعه، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكاً لله ، شرع ما لم يأذن به الله، نعم، قد يكون متأولاً في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله، إذا كان مجتهداً الاجتهاد الذي يعفي معه عن المخطئ ، ويثاب أيضاً على اجتهاده ، لكن لا يجوز اتباعه في ذلك ، كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قولاً أو عملاً

قد عُلم الصواب في خلافه، وإن كان القائل أو الفاعل مأجوراً أو معذوراً ".

ومع هذا فلا يتساوى من وقع في شيء من هذا لسبب من الأسباب، فقد يُغلظُ على بعض دون بعض ، وهذا ما استخرجه شيخ الإسلام باستقراء النصوص الشرعية، والأحوال السلفية، وخلص إلى القول: " فإذا رأيت إماماً قد غلَّظ على قائل مقالته أو كفره فلا يعتبر هذا حكماً عاماً في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه ، والتكفير له " .

ولما نقرر قبول هذا العذر من هذا الأمام بسبب اجتهاد وتأول فلا يلزم من هذا القبول الإقرار بالخطأ والمخالفة، و الرضى بهما .

بل يجب بيان الصواب ، فالحكم بعذره في الآخرة ، وعدم نيله الوزر، والقول بالأجر بسبب الاجتهاد وبذل الوسع ؛ شيء وإنكار الخطأ والتحذير منه؛ شيء أخر ، فتنبه، ولا تكن من الغافلين[١] .

ولقد كان النووي رحمه الله "يوافق السلف في أكثر مسائل العقيدة وقضاياها"[٢] ، وهو "إمام من أئمة الأثر ؛ فقد عاش مع كلام النبي ﷺ ، وقضى أغلب وقته في سماع الحديث الشريف"[٣] ، وكان كما قال عنه الشيخ أبو عبد الرحيم محمد الأخميمي: "سالكاً منهاج الصحابة"[٤] ، وكان مقرراً لمنهج السلف داعياً إليه [٥]

فرحم الله: النووي وابن حجر، وغفر لهما ما أخطآ فيه[٦].

كلمة موجزة في تبرئة الحافظ ابن حجر:

---

(١) انتهى كلام الشيخ مشهور حسن.

(٢) منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ص ١٢١

(٣) ينظر السابق ص ١٢٢

(٤) نقله عنه السخاوي، وانظر السابق ص ٩٠

(٥) انظر السابق ص ١٢٠

(٦) وانظر معالم التوحيد في فاتحة الكتاب (ص١٠٢) عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان (ص ٤٢)

"كان الحافظ رحمه الله[١] من أئمة أهل الحديث، متمسكًا باتباع الأثر فِي أصول الدين وفروعه، متبعًا لمنهج السلف الصالح فِي مسائل العقيدة من حيث الجُمْلَةُ. ومع أَنَّهُ لا يوجد للحافظ ابن حجر تأليف مستقل فِي موضوعات العقيدة، إلَّا أَنَّهُ يمكننا أن نعتبر شرحه لصحيح البخاري المسمى "فتح الباري" مرجعًا مُهمًّا فِي بيان عقيدة الحافظ ومنهجه فِي هذا الْبَاب، وذلك فِي شرحه للأحاديث المتعلقة بموضوعات العقيدة، وهذه الأحاديث تشتمل على معظم مسائل العقيدة، وقد حصل للحافظ رحمه الله أثناء شرحه لتلك المسائل ما كان موضع ملاحظات عليه جانب فيها منهج السلف الصالح المستمد من الكتاب والسنة الصحيحة، ونظرًا لمكانة الحافظ ابن حجر العلمية خاصة بين المحدثين، ومنزلة شرحه فتح الباري الذي يُعدُّ - بحق - أفضل شرح على الإطلاق لأصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل وهو صحيح الإمام البخاري رحمه الله اهتم العلماء والباحثون فِي عقيدة الحافظ ابن حجر وتباينت الآراء، فمنهم من يرى أَنَّهُ كان على منهج الأشاعرة فِي باب العقيدة، ويستدل على ذلك بما حصل له

(١) مقدمة تحقيق زهر الفردوس = الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس (ابن حجر العسقلاني) (١/ ٨٩ - ٩٣) مجموعة رسائل جامعية، اعتنى به وقام بتنسيقه: د/ أبو بكر أحمد جالو، الناشر: جمعية دار البر، دبي - الإمارات العربية المتحدة

من أخطاء عقدية، وافق فيها الأشاعرة[١] بينما يرى آخرون أَنَّهُ كان على المنهج السلفي فِي باب العقيدة[٢].

ووصفه آخرون بأنه كان متذبذبًا فِي باب العقيدة ولم يكن فِيهِ محققًا[٣].

وسبب هذا الاختلاف فِي عقيدة الحافظ هو أَنَّهُ يقرر فِي شرحه بعض مسائل العقيدة على منهج الأشاعرة أحيانًا، بينما تراه فِي مسائل كثيرة يقرر منهج أهل السنة والجماعة ويخالف الأشاعرة، بل ويرد عليهم أحيانًا، وذلك أن الحافظ نشأ وعاش فِي بيئة كانت الحالة الدينية فيها مشوبة بالبدع والمحدثات، خاصة مذهب الأشاعرة الذي كان منتشرًا فِي زمانه، ونتيجةً لذلك كان أَكْثَرُ مشايخه ممن تأثر بهذا المنهج السائد فِي عصرهم، وأيضًا فإن الحافظ اعتمد فِي شرحه "فتح الباري" على شرّاح الأحاديث ممن كان قبله من الأئمة كالبيهقي والنووي والخطابي وابن بطّال والقاضي عياض والقرطبي وغيرهم ممن تأثر بالعقيدة الأشعرية فِي بعض مسائلها، وإن كانوا مخالفين للمنهج الكلامي الذي كان عليه الأشاعرة فِي تقرير مسائل العقيدة.

(١) انظر عقيدة التوحيد فِي فتح الباري (ص ٨) والنكت على نزهة النظر لعلي بن حسن ابن عبد الحميد (ص١٣)

(٢) انظر كتاب "الحافظ ابن حجر العسقلاني" لعبد الستار الشيخ (ص ٣٦٦)

(٣) انظر منهج الأشاعرة فِي العقيدة لسفر الحوالي (ص ٢٨)

وخلاصة القول فِي عقيدة الحافظ ابن حجر كالتالي:

أَنَّهُ كان رَحِمَهُ اللَّهُ جاريًا على أصول أهل السنة والجماعة، محبًا للسلف الصالح، مفضلًا لمذهبهم وطريقتهم فِي العقيدة، مدافعًا عنها، ذامًا للبدعة، مبغضًا لأهلها، محذرًا من المذاهب الكلامية.

وافق رَحِمَهُ اللَّهُ الأشاعرة فِي بعض مسائل العقيدة كقوله بالكسب فِي باب القدر، وتأويله لبعض صفات الله عَزَّ وَجَلَّ وغيرها.

أَنَّهُ كان مجتهدًا فِي المسائل التي وافق فيها الأشاعرة، وخالف فيها منهج السلف، غير متعمدٍ لمخالفتهم، بل ظهر له الصواب فيما اختاره فِي تلك المسائل، خاصة وأنه وافق بعض الأئمة الذين اعتمد عليهم فِي شرحه كالبيهقي والنووي والقاضي عياض وغيرهم.

وفي ذلك يقول الشيخ الدكتور محمد إسحاق كيندو، فِي خاتمة كتابه "منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني فِي العقيدة من خلال كتابه "فتح الباري" - بعد تتبع المسائل التي نهج فيها منهج السلف، والتي سلك فيها مسلك الأشعرية، من خلال "فتح الباري" :

"الحافظ لم يسِر فِي تقريره لمسائل العقيدة فِي كتابه "فتح الباري" على منهج واحد، وإنَّما كان منهجه متأرجِحا بين السلفية والأشعرية، بحيث تجده فِي

بعض المسائل مع المنهج السلفي مقرِّرا ومؤيِّدا، وفي بعضها مع المنهج الأشعري مقرِّرا ومؤيِّدا. . ."[١]

ثم سرد المسائل التي وافق فيها الحافظ ابن حجر منهجَ السلف، فِي سبع صفحات، ثم قرر - حفظه الله - بناءً على ما سبق أن الحافظ ابن حجر رحمه الله لم يكن أشعريَّ المذهب فِي جزئيات العقيدة ولا فِي كلِّيَّاتها، وإنَّما وافق الأشاعرة فِي مسائل، وخالفهم فِي مسائل أخرى تُعَدّ من أصول مذهبهم"[٢]

قال الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي[٣]: يجب التنبه إلى التفريق بين متكلمي الأشاعرة، كالرازي والآمدي والشهرستاني والبغدادي والإيجي ونحوهم، وبين من تأثر بمذهبهم عن حسن نية واجتهاد، أو متابعة خاطئة، أو جهل بعلم الكلام، أو لاعتقاده أنه لا تعارض بين ما أخذ منهم وبين النصوص.

ومن هذا القسم أكثر الأفاضل الذين يحتج بذكرهم الصابوني وغيره وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر رحمه الله.

---

(١) رسالة " منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري. ط مكتبة الرشد ، الرياض (٣/ ١٤٥١)

(٢) المرجع نفسه، (٣/ ١٤٥٨ - ١٤٥٩)

(٣) منهج الأشاعرة في العقيدة ط مكتبة العلم بمصر ص١٤-١٧

ولست أشك أن الموضوع يحتاج لبسط وإيضاح، ومع هذا فإنني أقدم للقراء لمحة موجزة عن موقف ابن حجر من الأشاعرة

من المعلوم أن إمام الأشعرية المتأخر الذي ضبط المذهب وقعد أصوله هو الفخر الرازي ثم خلفه الآمدي والأرموي فنشرا فكره في الشام ومصر واستوفيا بعض القضايا في المذهب.

ونَقْدُ فكر هؤلاء الثلاثة هو الموضوع الرئيسي في كتاب درء التعارض لشيخ الإسلام.

وأعقبهم الإيجي صاحب المواقف - الذي كان معاصراً لشيخ الإسلام ابن تيمية - فألف المواقف الذي هو تقنين وتنظيم لفكر الرازي ومدرسته، وهذا الكتاب هو عمدة المذهب قديماً وحديثاً.

وقد ترجم الحافظ الذهبي ﵀ في الميزان وغيره للرازي والآمدي بما هم أهله، ثم جاء ابن السبكي - ذلك الأشعري المتعصب - فتعقبه وعنف عليه ظلماً.

ثم جاء ابن حجر ﵀ فألف لسان الميزان فترجم لهما بطبيعة الحال - ناقلاً كلام ابن السبكي ونقده للذهبي. ولم يكن يخفى عليه مكانتهما وإمامتهما في المذهب كما ذكر طرفاً من شنائع الأرموي ضمن ترجمة الرازي .

فماذا كان موقف ابن حجر؛ لأن موقفه هو الذي يحدد انتماءه لفكر هؤلاء القوم أو عدمه؟

إن الذي يقرأ ترجمتيهما في اللسان لا يمكن أن يقول إن ابن حجر على مذهبهما أبداً، كيف وقد أورد نقولاً كثيرة موثقة عن ضلالهما وشنائعهما التي لا يقرها أي مسلم فضلاً عمن هو في علم الحافظ وفضله.

على أنه قال في آخر ترجمة الرازي: أوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده.

وهذه العبارة التي قد يفهم منها أنها متعاطفة مع الرازي ضد مهاجميه، هي شاهد لما نقول نحن هنا، فإن وصية الرازي التي نقلها ابن السبكي نفسه صريحة في رجوعه إلى مذهب السلف.

فبعد هذا نسأل: أكان ابن حجر يعتقد أو يؤيد عقيدة الرازي التي في كتبه، أم عقيدته التي في وصيته؟

الإجابة واضحة من عبارته نفسها. هذه واحدة.

الوجه الآخر أن الحافظ في الفتح قد نقد الأشاعرة باسمهم الصريح وخالفهم فيما هو من خصائص مذهبهم فمثلاً: خالفهم في الإيمان، وإن كان تقريره لمذهب السلف فيه يحتاج لتحرير(١).

ونقدهم في مسألة المعرفة، وأول واجب على المكلف في أول كتابه وآخره.

كما أنه نقد شيخهم في التأويل ابن فورك في تأويلاته التي نقلها عنه في شرح كتاب التوحيد من الفتح، وذم التأويل والمنطق مرجحاً منهج الثلاثة القرون الأولى.

---

(١) وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

كما أنه يخالفهم في الاحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة وغيرها من الأمور التي لا مجال لتفصيلها هنا[(١)]

قال د عمار خنفر : **ولم يعرف عن ابن حجر موافقة أصول الأشاعرة ، ولا بنى عليها شيئا في العقائد.**[(٢)]

قال د. سفر : والذي أراه أن الحافظ رحمه الله أقرب شيء إلى عقيدة مفوضة الحنابلة كأبي يعلى ونحوه ممن ذكرهم شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل، ووصفهم بمحبة الآثار والتمسك بها لكنهم وافقوا بعض أصول المتكلمين وتابعوهم ظانين صحتها عن حسن نية.

وقد كان من الحنابلة من ذهب إلى أبعد من هذا كابن الجوزي[(٣)] وابن عقيل

---

(١) ونقل الحافظ ابن حجر عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيِّ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْأَشَاعِرَةِ أن هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ مَسَائِلِ الْمُعْتَزِلَةِ بَقِيَتْ فِي مَذْهَبِ الأشاعرة. وانظر: الفتح (١/ ٤٦، ٧٠ – ٧١)، (٣/ ٣٥٧ –٣٦١)، (١٣/ ٣٤٧–٣٥٠) ، السلفيون وحوار هادئ مع الدكتور علي جمعة (ص٧٧)، ورسالة البدور السافرة في نفي انتساب ابن حجر إلى الأشاعرة ط دار العقيدة ، وخاصة (ص ٦٦–٨١)

(٢) انظر تفصيل ذلك في قصة الأشاعرة ص ٧١٩ ، ٧٢٠

(٣) وقد بيّن شيخ الإسلام في درء التعارض (١/ ٢٧٠):" أن العرقيين المنتسبين إلى أهل الإثبات من أتباع ابن كلاب كأبي العباس القلانسي، **وأبي الحسن الأشعري**، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري، **والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني، وأمثالهم**، أقرب إلى السنة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كلاب، ولهذا

وابن الزاغوني[١] ، ومع ذلك فهؤلاء كانوا أعداء ألدّاء للأشاعرة ، ولا يجوز بحال أن يعتبروا أشاعرة فما بالك بأولئك!!

كان القاضي أبو بكر بن الطيب يكتب في أجوبته أحياناً: محمد بن الطيب الحنبلي، كما كان يقول الأشعري، **إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلي أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة السنة، وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة**، كابن عقيل، وصدقة بن الحسين، **وابن الجوزي، وأمثالهم**"

وقال الذهبي في " الميزان ": ٣ / ١٤٦ عن ابن عقيل: "أحد الاعلام، وفرد زمانه علما ونقلا وذكاء وتفننا ... **إلا أنه خالف السلف ووافق المعتزلة في عدة بدع نسأل الله السلامة، فإن كثرة التبحر في علم الكلام ربما أضر بصاحبه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"**. ومع هذا فالطعان يضلل النووي وابن حجر !!

وهذا إلزام له لا مفر منه ؛ أن لا يكيل بمكيالين إن صادقاً

وأما نحن فنقول : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾

(١) هو علي بن عبدالله انظر بعض مخالفاته في حاشية محقق اثبات الحد للدشتي !، وقال الحافظ في "لسان الميزان" ٤/ ٢٤٢، في ترجمته : "له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة، بدَّعوه بها؛ لكونه نَصَرها، وما هذا من خصائصه؛ بل قلَّ مَن أمعن النَّظَر في علم الكلام إلاَّ وأَدَّاه اجتهادُه إلى القول بما يخالف مَحْضَ السُّنَّة، ولهذا ذمَّ علماءُ السَّلَف النَّظر في علم الأوائل؛ فإنَّ علم الكلام مُولَّد من علم الحُكَماء الدَّهرية، فمن رام الجَمْع بين علم الأنبياء عليهم السلام وبين علم الفلاسفة بذكائه، لا بُدَّ وأن يُخالف هؤلاء وهؤلاء، ومَن كفَّ ومشى خلف ما جاءت به الرُّسل مِن إطلاق ما أطلقوا، ولم يتحَذْلَق ولا عمق،

والظاهر أن سبب هذا الاشتباه في نسبة بعض العلماء للأشاعرة أو أهل السنة والجماعة ، هو : أن الأشاعرة فرقة كلامية انشقت عن أصلها المعتزلة ووافقت السلف في بعض القضايا وتأثرت بمنهج الوحي، في حين أن بعض من هم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصل تأثروا بسبب من الأسباب بأهل الكلام في بعض القضايا وخالفوا فيها مذهب السلف، فإذا نظر الناظر إلى المواضع التي يتفق فيها هؤلاء وهؤلاء ظن أن الطائفتين على مذهب واحد، فهذا التداخل بينهما هو مصدر اللبس.

وكثيراً ما تجد في كتب الجرح والتعديل - ومنها لسان الميزان للحافظ ابن حجر - قولهم عن الرجل إنه وافق المعتزلة في أشياء من مصنفاته ، أو وافق الخوارج في بعض أقوالهم وهكذا، ومع هذا لا يعتبرونه معتزلياً أو خارجياً [(١)].

وهذا المنهج إذا طبقناه على الحافظ وعلى النووي وأمثالهما لم يصح اعتبارهم أشاعرة؛ وإنما يقال وافقوا الأشاعرة في أشياء، مع ضرورة بيان هذه الأشياء

فإنَّهم - صلوات الله عليهم - أطلقوا وما عمقوا، فقد سلَك طريق السَّلف الصالح، وسَلِم له دينُه ويقينه، نسأل الله السَّلامة في الدِّين". ثم هذا الطعان يضلل ابن حجر !!

(١) قال د سفر: وَقد رَأينَا فِي واقعنا المعاصر عُلَمَاء فضلاء وافقوا الاشتراكيين أَو الديمقراطيين أَو القوميين فِي أَشْيَاء للأسباب نَفسهَا. وَلم يعدهم أحد اشتراكيين أَو قوميين

واستدراكها عليهم حتى يمكن الاستفادة من كتبهم بلا توجس في موضوعات العقيدة[١].

"ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق[٢] في الإسلام والذب عنه والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ رواية ودراية والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه ولا قبول قولهم في كل ما قالوه ولا يمنع من بيان خطئهم ورده لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق.

ولا ننكر أيضاً أن لبعضهم قصداً حسناً فيما ذهب إليه وخفي عليه الحق فيه ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله بل لابد أن يكون موافقاً لشريعة الله ﷻ فإن كان مخالفاً لها وجب رده على قائله كائناً من كان لقول النبي ﷺ: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "

ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحق اعتذر عنه في هذه المخالفة وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته"[٣] وهذا ما صنعناه هنا بحمد الله ﷻ، **وهناك أمور يجب معرفتها**

---

(١) وانظر موارده في العقيدة من كتاب منهج ابن حجر في العقيدة ص١٦٨ وما بعدها

(٢) في الحاشية: كالنووي ، وانظر كتاب الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات تأليف مشهور آل سلمان

(٣) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» (ص٣٠٩)

هي[١]: ١ - كل الكتب التي ترجمت للحافظ، وخاصة القديمة منها، لا تكاد تصرح بشيء فيما يتعلق بمذهبه العقدي وأنه يوافق الأشاعرة، بل على العكس، هناك عبارة واحدة نقلها السخاوي في الجواهر والدرر عن الجمال ابن عبد الهادي يقول فيها عن ابن حجر: "كان محباً للشيخ تقي الدين ابن تيميه، معظماً له، جارياً في أصول الدين على قاعدة المحدثين "

لذا فقد تعرض المتأخرون في بحوثهم لمذهب الحافظ العقدي، ولم يتفقوا على رأي واحد !

فمنهم : عدّه أقرب شيء إلى عقيدة مفوضة الحنابلة كأبي يعلى ونحوه، وغيره عدَّه أنه من أهل السنة موافق للأشاعرة في بعض الأمور ، غير أنه يمكن أن يستنبط من ذلك: أن الحافظ كان متأرجحاً بين المنهج السلفي والأشعري، وإن كان قد يوافق الأشاعرة في مسائل، فقد خالفهم في مسائل أخرى، فبهذا يظهر أن مخالفته لمذهب السلف من غير قصد لهذه المخالفة إنما ظهر ذلك نتيجة اجتهاده، حيث نجد أنه ذَابٌّ عن السنة، محبٌ للسلف، مفضِّلٌ مذهبهم وطريقتهم في العقيدة، كما كان ذاماً للبدعة

٢ - كان أهل ذلك العصر - أعني عصر ابن حجر، أو ما يسمى عصر سلاطين المماليك- عصر انتشار التصوف، وتقديس الأشياخ، والاعتقاد فيهم، وقد

---

(١) من رسالة الحافظ ابن حجر العسقلاني وكتابه فتح الباري لعبدالله ياسر خيري

كانوا في غاية التعصب لما هم عليه من العقائد المنحرفة، حتى أن ابن حجر يذكر في كتابه "إنباء الغمر" أن قراءة كتاب في العقيدة السلفية ككتاب الإمام الدارمي "الرد على الجهمية" يعد خروجاً على عقيدة الجماعة ويسجن صاحبه!!

٣ - ومع كل ما سبق فابن حجر خالف الأشاعرة في كتابه فتح الباري في مواضع كثيرة جداً، ورد أيضاً عليهم مصرحاً باسمهم.

وحكمنا على هؤلاء أنهم من أهل السنة والجماعة، بخلاف الزلات والهنات التي ينبه عليها في موضعها، لأن أي شخص من أهل السنة صاحب منهج صحيح إذا زل في أمر جزئي، لا يكون حكمه حكم مبتدع فاسد المنهج، لأن خطأ الأول خطأ جزئي، وخطأ الثاني خطأ منهجي مذهبي.

ولذلك لم ينه شيخ الإسلام عن قراءة شرح صحيح مسلم للنووي ونحوه، كما فعل مع كتب الفلاسفة والمعتزلة والأشعرية؛ لأن شرح صحيح مسلم للنووي على طريقة المحدثين، على ما وقع فيه من هنات وزلات.

وقد خلص الشيخ محمد إسحاق كندو: إلى أن الحافظ ابن حجر لم يكن أشعري المذهب لا في جزئيات العقيدة ولا في كلياتها وإنما وافق الأشاعرة في مسائل وخالفهم في مسائل تعد من أصول مذهبهم وأنه كان مجتهداً في تلك التي وافق فيه الأشاعرة غير قاصد مخالفة السلف حيث ظهرله أن ما أختاره في تلك المسائل هو الصواب وقوّى ذلك عنده اختيار غيره لها من أجلة العلماء قبله كالبيهقي والخطابي والنووي وابن الجوزي وغيرهم.

وهاك خلاصة رسالته هي :

قال الدكتور محمد بن إسحاق كندو[١] : لقد انتهيت - بعون الله تعالى وتوفيقه - من دراسة منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه (فتح الباري)، عرضاً ونقداً في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

وأودُّ في هذه الخاتمة أن أجمل أهم النتائج التي توصّلت إليها فيما يلي:

١ - أن الحافظ ابن حجر نشأ وعاش في بيئة كانت الحالة الدينية فيها مشوبةً بكثيرٍ من البدع والخرافات، وكان للعقيدة الأشعرية فيها سلطان وانتشار واسع، بحيث يكون من يخالفها في خطر.

٢ - أن الحافظ بدأ حياته العلمية في وقتٍ مبكرٍ جدًّاً، وأخذ العلم على أيدي مشايخ يزيد عددهم على (٥٠٠) شيخ.

٣ - أن الله تعالى منح الحافظ مواهب نفسية، وهيَّأ له أسباباً كثيرة جعلته يبلغ إلى مرتبة عليا في العلم، ويصبح أحد أعلام الأمة الإسلامية ومشاهير علمائها المعدودين.

٤ - أن علم العقيدة هو أحد العلوم التي أولاها الحافظ عنايته دراسةً وروايةً، ولم تتمحّض دراسته إياه على المنهج السلفي الصافي؛ لأن أكثر مشايخه الذين درس عليهم كانوا على غير منهج السلف في العقيدة، بل كانوا أشاعرة تبعاً

---

(١) في "منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه : فتح الباري "

لحالة العصر، وإنما يتمثل الجانب السلفي في دراسة الحافظ للعقيدة في تلك الكتب التي يرويها عن بعض مشايخه رواية مما صنّفه علماء السلف في بيان العقيدة الصحيحة، والردّ على المخالفين فيها، كما يجدها من يطّلع على فهرس مرويات الحافظ من الكتب والأجزاء.

٥ - أن الحافظ ابن حجر قد خلّف للعلماء وطلاب العلم بعده تراثاً علميّاً ضخماً - خصوصاً في فنون علم الحديث - يحيي ذكره في الدنيا، ويناله أجره في الآخرة إن شاء الله تعالى.

٦ - أن كتابه فتح الباري يُعدُّ أهم كتبه على الإطلاق، من حيث موضوعه، ومادته العلمية، ومن حيث عناية الحافظ به، وطول المدّة التي قضاها في تأليفه وتحريره.

٧ - أن فتح الباري قد احتوى على جل مسائل العقيدة التي يبحثها العلماء في كتب العقيدة؛ وذلك لأنه شرح كتاب جامع لأدلة السنّة في جميع أبواب الدين، وأهمها باب العقيدة.

٨ - أن الحافظ قد استقى معلوماته في العقيدة من مصادر كثيرة متنوعة، زادت في إحصاء الباحث على (١٢٥) مصدراً، وهذه فيما يخص مصادره في المسائل العلمية، دون مصادره في الأدلة الحديثية التي يستدل بها على المسائل، فإنها إن لم تَزِد على هَذا العدد فلا تَقِلّ عنه.

٩ - اعتمد الحافظ كثيراً في تقرير مسائل العقيدة على كلام بعض أهل العلم من شُرَّاح صحيح البخاري قبله، ومن شُراح صحيح مسلم، ومن غيرهم، وفي مقدّمة الذين اعتمد عليهم الحافظ: البيهقي - في كتابيه "الأسماء والصفات" و"الاعتقاد"، والخطابي - في كتابيه "أعلام السنن في شرح صحيح البخاري" و"معالم السنن في شرح سنن أبي داود"، وابن بطال في شرح البخاري، والقاضي عياض، والقرطبي، والنووي، كلهم في شرح صحيح مسلم، وابن العربي في شرح البخاري وشرح الترمذي و"أحكام القرآن"، والطيبي في شرح مشكاة المصابيح.

فهؤلاء ممن تبيّن للباحث أن الحافظ اعتمد عليهم أكثر من غيرهم في شرح الأحاديث بما تتضمنه من مسائل في العقيدة، إضافة إلى الإمام البخاري نفسه صاحب الصحيح، مع خطأٍ أحياناً في فهم مقصوده من كلامه.

وهؤلاء المذكورون غير الإمام البخاري ممن يعلم أهل العلم أنهم متأثرون بالعقيدة الأشعرية، وأنهم في كتبهم المذكورة يقررون معظم مسائل العقيدة وخصوصاً الأسماء والصفات على منهج الأشاعرة. واعتماد الحافظ على هؤلاء وغيرهم من العلماء ليس اعتماد تقليد، وإنما أخذ ببعض أقوالهم عن اجتهاد واقتناع بأنه هو الحق والصواب الموافق للأدلة حسب ما ظهر له، بدليل أنه في بعض المواضع يقف منهم موقف الناقد الرّاد بما ظهر له من الأدلة.

١٠ - أن الحافظ لم يسر في تقريره لمسائل العقيدة في كتابه فتح الباري على منهجٍ واحدٍ، وإنما كان منهجه متأرجحاً بين السلفية والأشعرية، بحيث تجده في بعض المسائل مع المنهج السلفي مقرراً ومؤيداً، وفي بعضها مع المنهج الأشعري مقرراً ومؤيداً، وهذا من حيث العموم، وأما من حيث التفصيل فكما يلي:

أولاً: في منهج الاستدلال:

أ/ وافق السلف على الاحتجاج بأخبار الآحاد في العقيدة، ويرى أن خبر الواحد يفيد العلم إن احتفت به القرائن.

ب/ وافق السلف على تقديم النقل على العقل، لا بمعنى أنهما يتعارضان، وإنما بمعنى أن العقل تابعٌ للنقل في باب العقيدة، والعقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، بل يوافقه.

ثانياً: في تعريف التوحيد وبيان أقسامه:

أ/ وافق السلف في الجملة على تعريف التوحيد، وتحديد معناه شرعاً.

ب/ ووافقهم ضمنياً على انقسامه إلى ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات.

ثالثاً: في توحيد الربوبية:

أ/ قرر انفراد الله تعالى بالربوبية، وعدم جواز إطلاق لفظ (رب) بإطلاق من دون قيد إلاّ على الله تعالى.

ب/ وافق السّلف على أن معرفة الله في الأصل فطرية في البشر.

جـ/ وافق السلف في صحة إيمان المقلد إذا سلم من الشبهات والتزلزل.

د/ رد على المتكلمين في قولهم بأن معرفة الله تعالى نظرية، وفي إيجابهم النظر على العبيد، وزعمهم أن إيمان المقلد لا يصح.

هـ/ قرر الحافظ أن معرفة الله تعالى لا تنحصر في طريقة بعينها بحيث لا يعرف الله تعالى إلا منها، وإنما الأدلة الدالة على وجود الله تعالى كثيرة ومتنوعة.

و/ وافق أكثر أهل الكلام على جواز تسلسل الحوادث في المستقبل، وامتناع تسلسلها في الماضي.

والحق الذي دلت عليه الأدلة جواز تسلسلها في الماضي وفي المستقبل.

رابعاً: في القضاء والقدر:

أ/ وافق أهل السنة في تعريف القدر، وفي مراتبه الأربع.

ب/ وافق أهل السنة في خلق أفعال العباد.

جـ/ وافق الأشاعرة في القول بالكسب الأشعري.

خامساً: في بعض الأحكام المتعلقة بأفعال الله تعالى:

أ/ وافق أهل السنة والجماعة في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

ب/ وافق الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين.

جـ/ وافق أهل السنة في عدم وجوب شيءٍ على الله تعالى، إلاّ ما أوجبه الله على نفسه.

د/ يظهر من كلامه على مسأله تكليف ما لا يطاق أنه لا يقول به.

سادساً: في أسماء الله تعالى:

أ/ وافق أهل السنة والجماعة في أن أسماء الله تعالى لا تنحصر في عددٍ معين.

ب/ وافق أهل السنة والجماعة في مبدأ التوقيف في أسماء الله تعالى؛ لكنه خالفهم حيث أجاز أن يشتق لله اسم من الفعل الثابت له في القرآن، إذا كان لا يوهم نقصاً.

سابعاً: في صفات الله تعالى:

أ/ وافق السلف في إثبات أن لله صفات كما دل عليه الكتاب والسنة، ورد على ابن حزم إنكاره إطلاق لفظ (صفة) على الله تعالى.

ب/ وافق السلف في أن صفات الله تعالى توقيفية، فلا يُوصف الله تعالى إلا بما ثبت نصاً وصفه به في الكتاب أو في السنة.

جـ/ وافق السلف على أن صفات الله تعالى تحذو حذو الذات، فكما أن ذات الله تعالى لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات. فهذه قاعدة عظيمة قررها الحافظ، لكنه – مع الأسف – لم يلتزم بها عند الكلام على آحاد الصفات الإلهية، والله المستعان.

د/ وافق السلف في تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، ولكن هذه الموافقة في التقسيم اللفظي، وأما في المراد بكل نوع منهما فإنه لم يوافق السلف في ذلك، لما يلي:

هـ/ وافق الأشاعرة في جعل الصفات الذاتية قائمة بالله تعالى أزلاً وأبداً، وجعل الصفات الفعلية غير قائمة به ﷻ، وإنما يستحقها فيما لا يزال، وهي ثابتة له بالقدر والإرادة.

وخالف منهج السلف في تفسير نصوص الصفات، فجوّز فيها التفويض أو التأويل.

ثامناً: في الألفاظ التي لم يرد في الشرع إثباتها ولا نفيها:

أ/ خالف فيها منهج أهل السنة والجماعة، حيث جرى على نفيها نفياً مطلقاً من غير استفصال، ومنهج أهل السنة هو الاستفصال فيها.

تاسعاً: في رؤية الله تعالى:

أ/ وافق أهل السنة على أن الله تعالى لا يُرى بالعين في الدنيا.

ب/ وافق بعض أهل السنة على وقوع الرؤية لنبينا محمد ﷺ في ليلة الإسراء.

جـ/ وافق أهل السنة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، ولكنه مع ذلك ينفي الجهة.

د/ يرى الحافظ أن الكفار لا يرون الله البتة في الآخرة.

عاشراً: في توحيد الألوهية ونواقضه:

أ/ قرر الحافظ أن العبادة حق الله تعالى وحده لا شريك له، فلا يجوز صرف شيءٍ منها لغير الله تعالى أيَّاً كان.

ب/ قرر الحافظ وجوب اجتناب الشرك بأنواعه، وأنّه أظلم الظلم وأعظم الذنوب على الإطلاق.

جـ/ زلت قدم الحافظ في بعض مسائل توحيد الألوهية، حيث جوّز الاستشفاع بالصالحين بعد موتهم، والتبرك بهم وبآثارهم وفضلاتهم الطاهرة، وجوّز شدّ الرحال إلى قبورهم لقصد التبرك بها.

حادي عشر: في مباحث الإيمان:

أ/ وافق السلف في تعريف الإيمان وأنّه: قولٌ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد وينقص بالأمور المعتبرة فيه.

ب/ قرّر أن الإيمان والإسلام إذا ذُكرا معاً في سياق واحد حمل الإسلام على الأعمال الظاهرة، والإيمان على الاعتقاد الباطن، وإذا ذكر كلاً منهما على حده تضمن معنى الآخر، فإذا اقترنا افترقا، وإذا افترقا اقترنا.

جـ/ وافق أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، وإذا مات مصرّاً على كبيرته فهو تحت المشيئة.

ثاني عشر: في الإيمان بالنبوات:

أ/ هو موافق لأهل السنة في النبوات في الجملة.

ب/ قرر عصمة الأنبياء في الصغائر كما هم معصومون من الكبائر، وهو خلاف القول المعروف عن السلف وأكثر أهل السنة.

جـ/ لم يكن له موقفٌ واضحٌ من نبوّة النساء.

د/ قرر ختم النبوّة بمحمد ﷺ، وعموم رسالته للثقلين، وأنه أفضل الأنبياء على الإطلاق.

ثالث عشر: في الإيمان بالمعاد:

أ/ وافق أهل السنة في التصديق بفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وأنّ ذلك على الروح والبدن معاً.

ب/ قرر أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياةً برزخيّة، ولكنه ذكر في بعض الأحيان عبارات قد يفهم منها أن حياتهم حقيقيّة كالحياة الدنيوية، وهذا ليس بصحيح، بل الصحيح أن حياتهم برزخيّة.

جـ/ قرر الإيمان بأشراط الساعة التي أخبرت عنها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

د/ رجّح أن النفخ في الصور مرّتان فقط.

هـ/ رجّح أن الميزان يوم القيامة ميزانٌ واحد، وأن الذي يُوزن في الميزان هو الأعمال.

و/ وافق أهل السنة في إثبات الشفاعة يوم القيامة، ورجّح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة العظمى.

ز/ وافق أهل السنة في وجود الجنة والنار الآن، وأنهما مخلوقتان وباقيتان بإبقاء الله لهما، وأهلهما خالدون فيهما أبداً.

رابع عشر: في الصحابة والإمامة:

أ/ وافق أهل السنة والجماعة في اعتقاد فضل الصحابة وعدالتهم، وفي محبتهم والترضّي عنهم جميعاً، والكفّ عمّا شجر بينهم.

ب/ وافق أهل السنة والجماعة على صحة خلافة الخلفاء الراشدين، وعلى أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

جـ/ وافق أهل السنة والجماعة على أن الطعن في الصحابة علامة على خذلان صاحبه، وهو بدعة وضلالة.

د/ وافق أهل السنة والجماعة على وجوب الطاعة لولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا، وعلى صحّة الصلاة وراءهم والجهاد معهم أبراراً كانوا أو فسّاقاً، لما في الخروج عليهم من المفاسد الدينية والدنيوية، غير أنّهم لا يطاعون في المعصية.

خامس عشر: في البدع والفرق المبتدعة:

أ/ وافق أهل السنة على إنكار البدع بأنواعها.

ب/ جانب الصواب في تقسيمه البدع إلى حسنة وسيئة، وإلى الأحكام الخمسة.

جـ/ وافق أهل السنة والجماعة على ذم الفرق المبتدعة، والرد على بدعهم المختلفة.

كان هذا عرضاً موجزاً لمنهج الحافظ في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، كما توصل إليه الباحث من دراسته لهذا الموضوع.

وبناءً على ما سبق يقرر الباحث ما يلي:

١ - لم يكن الحافظ ابن حجر أشعريّ المذهب في جزئيات العقيدة ولا في كلياتها، وإنما وافق الأشاعرة في مسائل، وخالفهم في مسائل أخرى تُعدّ من أصول مذهبهم.

٢ - لقد كان الحافظ ابن حجر ذابَّاً عن السنة، محبَّاً للسلف، مفضلاً لمذهبهم وطريقتهم في العقيدة، كما كان ذامَّاً للبدعة، مبغضاً للمبتدعة، محذّراً من مذهب أهل الكلام، وله في كلّ ذلك كلامٌ صريحٌ واضح.

٣ - كان الحافظ مجتهداً في المسائل التي وافق فيها الأشاعرة مخالفاً بها السلف، غير قاصد مخالفتهم، حيث ظهر له أن ما اختاره في تلك المسائل هو الصَّواب، وقوّى ذلك عنده اختيار غيره لها من أَجِلّة العلماء قبله، كالبيهقي، والخطابي، والنووي، وابن الجوزي، وغير هؤلاء.

٤ - لم يكن الحافظ في جميع المسائل التي تعرّض لها قاصداً تقرير ما هو الصواب فيها فحسب، بل كان في بعض الأحيان قاصداً ذكر ما اطّلع عليه من أقوال في المسألة بصرف النظر عن كون القول صواباً أو خطأ، وهو مقصد واضح وإن كان غيره أولى منه.

٥ - لا يشك أحد يعرف شيئاً من العلم، ويطلع على أقوال العلماء أن الحافظ ابن حجر معدود في أفاضل علماء الإسلام الذين خدموا السنة النبويّة، وذادوا عنها بأقلامهم، وأن الله تعالى كتب لمصنفاته القبول لدى عامة المسلمين من جميع الطوائف، وأن أقوال أهل العلم من لدن عصر الحافظ إلى عصرنا هذا مجمعة على امتداحه والثناء عليه، والشهادة له بالفضل والديانة، ولمصنفاته بالتفوق والفائدة.

٦ - يعد كتاب فتح الباري من كبار كتب العلم التي لا يَستغني عنها عالم فضلاً عن طالب علم، وهو من الكتب التي أسهمت في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح في جوانب عديدة، والأخذ بمذهبهم في أمور الديانة، مع نقل جملة طيبةٍ من أقوال علماء السلف في ذلك، وإن كان قد أخطأ في جوانب أخرى عديدة، سبق بيانها في هذا البحث.

وهو كذلك من الكتب التي أسهمت في الرد على الفرق المبتدعة بأصنافها، وفي فضح باطلهم، والتحذير من بدعهم.

وإذا ثبت هذا فالموقف الصحيح من الحافظ ابن حجر ومن كتابه فتح الباري هو أن يُترحّم عليه، ويُستغفر له، وأن يُسأل الله تعالى أن يجزل له الأجر والثواب فيما أصاب فيه، وأن يعفو عنه ما حصل من خطأ غير مقصود، مع ضرورة بيان هذه الأخطاء لتتجنّب، ولئلا يأخذ بها من يجعل حالها.

وهذا هو المنهج الصحيح المعروف عن أئمة أهل السنة والجماعة في مثل هذه المواقف.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "لا يزال الناس بخير ما كان فيهم الحق وتبيين أوامر الرسول ﷺ التي يخطئ من خالفها، وإن كان معذوراً مجتهداً مغفوراً له، وهذا مما خصّ الله به هذه الأمة لحفظ دينها الذي بعث الله به رسوله ﷺ أن لا تجتمع على ضلالة، بخلاف الأمم السالفة.

فههنا أمران: أحداهما: أن من خالف أمر الرسول في شيءٍ خطأ مع اجتهاده في طاعته ومتابعته أوامره فإنه مغفور له، لا ينقص درجته بذلك.

والثاني: أنه لا يمنعنا تعظيمه ومحبته من تبيين مخالفة قوله لأمر الرسول ﷺ، ونصيحة الأمة بتبيين أمر الرسول ﷺ، ونفس ذلك الرجل المحبوب المعظم لو علم أنّ قوله مخالفٌ لأمر الرسول، فإنه يحبّ من يبين للأمة ذلك، ويُرشدهم إلى أمر الرسول، ويردّهم عن قوله في نفسه، وهذا النكتة تخفى على كثير من الجهال لأسباب، وظنّهم أن الرد على معظم من عالم وصالح تنقّص به، وليس كذلك، وبسبب الغفلة عن ذلك تبدّل دين أهل الكتاب، فإنّهم اتبعوا زلات علمائهم، وأعرضوا عما جاءت به أنبياؤهم، حتى تبدل دينهم، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"[١].

---

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة، لابن رجب الحنبلي، (ص ٤٣ – ٤٤) (منه).

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر ﷺ: " واعلم - رحمك الله - أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صدق، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد يكون منه الهفوة والزلّة، وهو فيها معذورٌ، بل مأجورٌ لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن يغمط مكانه وإمامته ومنْزلته في قلوب المسلمين" [١].

وفي كلام هذين العالمين الفاضلين من علماء أهل السنة والجماعة بلا امتراء، في كلامهما بيان للمنهج الصحيح الذي ينبغي السير عليه، ولئن كان كلاهما ينطبق على أحد فإن ممن ينطبق عليه الحافظ ابن حجر كما لا يخفى لكل ذي بصيرة، وياليت بعض طلبة العلم في هذا العصر يعون مثل هذه الكلمات النيّرة، فيلزمون جادة الصواب مع العلماء الأجلاء، فإن الله تعالى لم يكتب العصمة لأحدٍ غير أنبيائه، وليس على وجه الأرض كتابٌ خالٍ من خطأٍ غير كتاب الله الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت٤٣]، وإذا كان كُل عالمٍ وقعت منه زلة استحق الطعن لم يبق لنا عالم، وإذا كان كل كتاب عثر فيه على خطأ تُرك الاستفادة منه لم يسلم لنا كتاب بشرٍ أبداً.

---

(١) النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، للشيخ حمد بن ناصر آل معمر، تحقيق تحقيق الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، (ص ١٧٤) (منه).

وإنما كان منهج السلف النهي عن كتب البدع التي وضعت لتقرير الباطل، والدفاع عنه، من كتب أهل الكلام وأهل التصوف وما شاكلها، وأما الكتب التي تقرّر الحق وتردّ الباطل، ومع هذا وُجِدَت فيها أشياء تخالف الحق اجتهاداً لا قصداً، فالصواب أنّه مقبولٌ مع التنبيه على ما فيه من خلاف الحق، وقد تمثل هذا المنهج واضحاً فيما فعله العلامة السلفي في هذا العصر سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله حيث قام بإعادة طبع كتاب فتح الباري مع التعليق على بعض المواضع التي تحتاج إلى تعليق مما جانب فيه الحافظ الصواب، غير أنّ كثرة المشاغل منعته من إكمال هذا المشروع المهم، وحبذا لو يقوم بعض العلماء الأفاضل بإتمام ذلك حتى تعم الفائدة إن شاء الله تعالى.

أقول: وهذا ما كان بحمد الله فقد تممه الشيخان علي الشبل ، ثم عبد الرحمن البراك ، وجمعت ذلك كله مع زيادت منذ أكثر من عشر سنوات في رسالة "الدر الغالي ، تعليقات سلفية على فتح الباري" أسأل اللهَ الإخلاص

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى:" ومما ينبغي أيضا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام، على درجات: منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة

ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة

ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه فيكون محمودا فيما رده من الباطل وقاله من الحق، لكن يكون قد جاوز العدل في رده

بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل[١]، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها، ورد بالباطل باطلا بباطل أخف منه[٢]، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة

ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولا يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون، كان من نوع الخطأ، والله ﷻ يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك، ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها: لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقة، وعادى مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات، ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون"[٣].

---

(١) أما إذا كان الردُّ صوابًا، ولم يجحد حقًّا: فقد أحسن، وهو محمودٌ كما قال الشيخ رحمه الله. تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٢٩٥)

(٢) كذا العبارة، وجعلها العلامة عبد المحسن: ورد باطلاً بباطل أخفَّ منه.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٨، ٣٤٩) ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٣٠٨) وانظر: رفقا أهل السنة بأهل السنة (ص ٣٩، ٤٠)، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه (٢/ ٢٦٧)

وقال العلامة ابن باز: " **الحافظ ابن حجر** رحمه الله **وغيره من أهل العلم ليس معصوما عن الخطأ، ولم يعصم أي واحد منهم.. ولقد كتبت على الفتح بعض الشيء، من أوله إلى كتاب الحج، ولاحظت عليه بعض الملاحظات** رحمه الله.

فالمقصود أنه ليس معصوما، ولم يعصم من هو أكبر منه، فإذا ظهر الحق، فالحق هو ضالة المؤمن، فإذا قام الدليل على مسألة من المسائل، وجب الأخذ بما قام عليه الدليل من كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، وإن خالف إماما كبيرا، أكبر من الحافظ ابن حجر، بل وإن خالف بعض الصحابة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ، ولم يقل سبحانه وتعالى: ردوه إلى فلان أو فلان، بل قال سبحانه وتعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ [الشورى:١٠].

لكن لا بد من التثبت واحترام أهل العلم، والتأدب معهم.. فإذا وجد المرء قولا ضعيفا عن أحد الأئمة أو العلماء أو المحدثين المعتبرين، فإن ذلك لا ينقص من قدرهم، **وعليه أن يحترم أهل العلم، ويتأدب معهم، ويتكلم بالكلام الطيب، ولا يسبهم ولا يحتقرهم، ولكن يبين الحق بالدليل مع دعائه للعالم، والترحم عليه، وسؤال الله أن يعفو عنه.**

هكذا يجب أن تكون أخلاق أهل العلم مع أهل العلم: يقدرون أهل العلم لمكانتهم، ويعرفون لهم قدرهم ومحلهم وفضلهم.

ولكن لا يمنعهم هذا من أن ينبهوا على الخطأ إذا وجدوا خطأ ظاهرا، سواء كان من العلماء المتقدمين أو المتأخرين، ولم يزل أهل العلم يرد بعضهم على بعض إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، يقول الإمام مالك رحمه الله: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر .. يعني رسول الله ﷺ [١]".

فائدة: طريق السلامة من هذه الفتن تكون بما يأتي[٢]:

أولاً: فيما يتعلَّق بالتجريح والتحذير ينبغي مراعاة ما يلي:

١ ـ أن يتقي اللهَ مَن أشغل نفسَه بتجريح العلماء وطلبة العلم والتحذير منهم، فينشغل بالبحث عن عيوبه للتخلُّص منها بدلاً من الاشتغال بعيوب الآخرين، ويحافظ على الإبقاء على حسناته فلا يضيق بها ذرعاً، فيوزِّعها على مَن ابتلي بتجريحهم والنَّيل منهم، وهو أحوجُ من غيره إلى تلك الحسنات في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلَّا مَن أتى اللهَ بقلب سليم.

٢ ـ أن يشغل نفسه بدلاً من التجريح والتحذير بتحصيل العلم النافع، والجدِّ والاجتهاد فيه ليستفيد ويُفيد، وينتفع وينفع، فمن الخير للإنسان أن يشتغلَ بالعلم تعلُّماً وتعليماً ودعوة وتأليفاً، إذا تَمكَّن من ذلك ليكون من أهل البناء، وألَّا يشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم من أهل السنَّة، وقطع الطريق الموصلة إلى الاستفادة منهم، فيكون من أهل الهدم، ومثل هذا المشتغل

---

(١) "مجموع فتاوى ابن باز" (٢٦/٣٠٥)

(٢) رفقا أهل السنة بأهل السنة (ص٤٨)

بالتجريح لا يخلِّف بعده إذا مات علماً يُنتفع به، ولا يفقدُ الناس بموته عالماً ينفعهم، بل بموته يسلمون من شره.

٣ ـ أن ينصرف الطلبة من أهل السنَّة في كلِّ مكان إلى الاشتغال بالعلم، بقراءة الكتب المفيدة وسماع الأشرطة لعلماء أهل السنَّة مثل الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين، بدلاً من انشغالهم بالاتصال بفلان أو فلان، سائلين: "ما رأيك في فلان أو فلان؟ "، "وماذا تقول في قول فلان في فلان، وقول فلان في فلان؟ "

٤ ـ عند سؤال طلبة العلم عن حال أشخاص من المشتغلين بالعلم، ينبغي رجوعهم إلى رئاسة الإفتاء بالرياض للسؤال عنهم، وهل يُرجع إليهم في الفتوى وأخذ العلم عنهم أو لا؟

ومَن كان عنده علم بأحوال أشخاص معيَّنين يُمكنه أن يكتب إلى رئاسة الإفتاء ببيان ما يعلمه عنهم للنظر في ذلك، وليكون صدور التجريح والتحذير إذا صدر يكون من جهة يُعتمد عليها في الفتوى وفي بيان مَن يؤخذ عنه العلم ويُرجع إليه في الفتوى، ولا شكَّ أنَّ الجهة التي يُرجع إليها للإفتاء في المسائل هي التي ينبغي الرجوع إليها في معرفة مَن يُستفتى ويُؤخذ عنه العلم، وألَّا يجعل أحدٌ نفسه مرجعاً في مثل هذه المهمَّات؛ فإنَّ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: " إذا كانت المسألة متعلقة بالعقائد، أو كانت المسألة متعلقة بعالم من أهل العلم في الفتوى في شأنه بأمر من الأمور،

فإنه هنا **يجب النظر فيما يؤول إليه الأمر من المصالح ودفع المفاسد**، لهذا ترى أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى من وقت الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أحد الأئمة المشهورين إلى وقت الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى إذا كان الأمر متعلقا بإمام أو بعالم أو بمن له أثر في السنة فإنهم يتورعون ويبتعدون عن الدخول في ذلك.

مثاله الشيخ الصديق حسن خان القنوجي الهندي المعروف عند علمائنا له شأن ويقدرون كتابه الدين الخالص مع أنه نقد الدعوة في أكثر من كتاب له؛ لكن يغضون النظر عن ذلك ولا يصعدون هذا لأجل الانتفاع بأصل الشيء وهو تحقيق التوحيد ودرء الشرك.

المثال الثاني الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المعروف - صاحب كتاب سبل السلام وغيره - له كتاب تطهير الاعتقاد وله جهود كبيرة في رد الناس للسنة والبعد عن التقليد المذموم والتعصب وعن البدع؛ لكنه زل في بعض المسائل، ومنها ما ينسب إليه في قصيدته المشهورة لما أثنى على الدعوة قيل إنه رجع عن قصيدته تلك بقصيدة أخرى يقول فيها:

رجعت عن القول الذي   قد قلت في النجدي

ويعني به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويأخذ هذه القصيدة أرباب البدع وهي تنسب له وتنسب أيضا لابنه إبراهيم؛ وينشرونها على أن الصنعاني كان مؤيدا للدعوة لكنه رجع.

والشوكاني رحمه الله مقامه أيضا معروف، الشوكاني له اجتهاد خاطئ في التوسل، وله اجتهاد خاطئ في الصفات وتفسيره في بعض الآيات فيه تأويل، وله كلام في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس بجيد، أيضا في معاوية رضي الله عنه ليس بجيد؛ لكن العلماء لا يذكرون ذلك.

وألف الشيخ سليمان بن سحيمان كتابه تبرئة الشيخين الإمامين يعني بهما الإمام الصنعاني والإمام الشوكاني.

ثم سأل الشيخُ : لماذا فعلوا ذلك؟

ثم أجاب فقال: لأن الأصل الذي يبني عليه هؤلاء العلماء هو السنة، فهؤلاء ما خالفونا في أصل الاعتقاد، ولا خالفونا في التوحيد ولا خالفونا في نصرة السنة، ولا خالفونا في رد البدع، وإنما اجتهدوا فأخطؤوا في مسائل، والعالم لا يُتبع بزلته كما أنه لا يُتّبع في زلته هذه تترك ويسكت عنها، وينشر الحق وينشر من كلامه ما يؤيد به.

وعلماء السنة لما زلّ ابن خزيمة رحمه الله في مسألة الصورة كما هو معلوم ونفى إثبات الصورة لله جل وعلا[١] ؛ رد عليه ابن تيمية رحمه بأكثر من مائة صفحة،

---

(١) والمراد أنه أوَّلَ حديث "إن الله خلق آدم على صورته"، وهو قال في كتابه التوحيد (١/ ٤٥): بَابُ ذِكْرِ صُورَةِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا وَصِفَةِ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعَالَى رَبُّنَا أَنْ يَكُونَ وَجْهُ رَبِّنَا كَوَجْهِ بَعْضِ خَلْقِهِ، وَعَزَّ أَلَا يَكُونَ لَهُ وَجْهٌ، إِذِ اللَّهُ قَدْ أَعْلَمَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّ لَهُ وَجْهًا، ذَوَّاهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَنَفَى عَنْهُ الْهَلَاكَ.

ومع ذلك علماء السنة يقولون عن ابن خزيمة إنه "إمام الأئمة"، ولا يرضون أن أحدا يطعن في ابن خزيمة لأجل أن له كتاب التوحيد الذي ملأه بالدفاع عن توحيد الله رب العالمين وإثبات أنواع الكمالات له جل وعلا بأسمائه ونعوت جلاله ﷻ وتقدست أسماؤه. والذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء قال: وزلّ ابن خزيمة في هذه المسألة.

فإذن هنا إذا وقع الزلل في مثل هذه المسائل، فما الموقف منها؟

الموقف: أنه ينظر إلى موافقته لنا في أصل الدين، موافقته للسنة، نصرته للتوحيد، نشر العلم النافع، ودعوته للهدى، ونحو ذلك من الأصول العامة، وينصح في ذلك وربما رُدّ عليه؛ لكن لا يقدح فيه قدحاً يلغيه تماماً.

وعلى هذا كان منهج أئمة الدعوة في هذه المسائل كما هو معروف.

وقد حدثني فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان حفظه الله تعالى حينما ذكر قصيدة الصنعاني الأخيرة: "رجعتُ عن القول الذي قلت في النجدي"، التي يقال إنه رجع فيها، أو أنه كتبها، قال: سألت شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله عنها هل هي له أم ليست له؟ قال فقال لي الشيخ رحمه الله: الظاهر أنها له. والمشايخ مشايخنا يرجحون أنها له؛ ولكن لا يريدون أن يقال ذلك لأنه نصر السنة ورد البدعة.

مع أنه هجم على الدعوة تكلم على هذه القصيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشوكاني له قصيدة أرسلها للإمام سعود ينهاه فيها عن كثير من الأفعال من قتال ومن التوسع في البلاد ونحو ذلك فيه أشياء.

لكن مقامهم محفوظ لكن ما زلوا فيه لا يتابعون عليه وينهى عن متابعته فيه.

فإذن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، وهذه القاعدة المتفق عليها لها أثر كبير؛ بل يجب أن يكون لها أثر كبير في فتوى المفتي وفي استفتاء المستفتي أيضا..." (١)

---

(١) الفتوى بين مطابقة الشرع ومسيارة أهل الأهواء ، ويراجع شرح العقيدة الطحاوية ، نهاية الشريط الثاني والخمسون (ص٧٥٧ الشاملة)

إلزام الطعان:

نقول: هل تستطيع أن تفعل ما فعلته مع الإمام النووي – تبديعاً وتضليلاً ، بل وتكفيراً من بعضكم – مع الأئمة : الهروي وابن الجوزي وابن الزغوني وغيرهم ؟، بل مع من قال عن نفسه أنه أشعري؟!

أقول هذا إلزاماً ، لا اعتقادا، وسأسوق في نهاية هذا الإلزام نموذجاً للجواب !

تصريح ابن كثير بأنه أشعري

ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة في ترجمة ابراهيم ابن محمد ابن قيم الجوزية ما نصه: "ومن نوادره أنه وقع بينه وبين عماد الدين ابن كثير منازعة في تدريس الناس، فقال له ابن كثير: أنت تكرهني لأنني أشعري، فقال له: لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقك الناس في قولك أنك أشعري وشيخك ابن تيمية " [١].

تصريح المزي بأنه أشعري

ولما شَغَرت مشيخةُ دار الحديث الأشرفيَّة، بوفاة الحافظ المِزِّي عَيَّن هو الذهبي لها، فوقع السَّعْيُ فيها للشيخ شمس الدين ابْن النَّقِيب، وتُكُلِّم في حق الذهبي:

---

(١) الدرر الكامنة (١/ ٦٠)

بأنه ليس بأشعريّ، وأن المِزِّيَّ ما وَلِيَها إِذْ وَليهَا إِلَّا بعد أَن كتب خطه وَأَشْهد على نَفسه بِأَنَّهُ أشعري العقيدة. [١]

وكان شرط واقفها من أن شيخها لابد أن يكون أشعري العقيدة، والمزي وإن كان حين ولي **كتب بخطه أنه أشعري**، إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك[٢]

وهكذا كثير من العلماء نُسب أو انتسب إلى الأشاعرة ، فهل تستطيع تكفيرهم ؟ أو تضليلهم؟

وأذكر لك سرداً بأسماء بعض العلماء الذين أوَّلُوا بعض الصفات[٣] !

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/ ٢٠٠) و الإبهاج في شرح المنهاج (١/ ١٢٧ ط دبي) قصة الأشاعرة د/ عمار خنفر ط دار الحجاز ص ٥٦٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/ ٣٩٨)

(٣) وأحيلك لمعرفة نص أقولهم، ومناقشتهم فيها على كتاب: "شراح الصحيحين بين الإثبات والتأويل في أحاديث الصفات" د/ عبد الرحمن بن سعد الجُهني ، ط الروضة للنشر والتوزيع

وهذه الصفحات لفهرس مواضع تأويلاتهم ، وفيها الإحالة على مواضع أقوالهم ومناقشتها

ولو لم أفعل ذلك لطال كتابنا إلى مجلدات !

وإنما أذكر بعض ما أوّلوه من الصفات لمن أول قليلاً !!

فمن لم أذكر ما أوله، فقد أكثر من التأويل !

الأُبي ٢/ ١٠٨٤ - ١٠٨٦، ابن بطال ٢/ ١٠٨٦، ١٠٨٧، ابن الجوزي[١]

وقد أوّل: العلو، النور، الأصابع، الساق، القدم والرجل، اليد، النزول،

---

(١) وانظر الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١١٦٨) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٢٣٦) المفسرون بين التأويل والإثبات (٢/ ٣٥)

"والذي يرجع إلى التفسير يرى أن ابن الجوزي في تفسيره بين مذهب المؤولة ومذهب المفوضة، فتراه في الاستواء يحكي إجماع السلف على قراءة الآية فقط، ولم يزيدوا على ذلك وتراه في باقي الصفات يؤول، وربما استدل لتأويله بما نقل عن الإمام أحمد في تأويل صفة الإتيان والمجيء، وقد بينا كذب ذلك نقلًا عن ابن تيمية في الكلام على القرطبي (المفسرون بين الإثبات والتأويل ٣٧٥)، ومما يدل على أنه كان لا يرى مذهب السلف في الإثبات ما ذكره في (صيد الخاطر ص٩٧) **عن ابن عبد البر** قال: ولقد عجبت لرجل أندلسي يقال له ابن عبد البر صنف كتاب (التمهيد) فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا، فقال هذا يدل على أن الله تعالى على العرش؛ لأنه لولا ذلك لما كان لقوله ينزل معنى **وهذا كلام جاهل بمعرفة الله** ﷻ، لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام فقاس صفة الحق عليه"

ينظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١١٧٠)

وأول في تفسيره : صفة الاستهزاء، صفة الحياء، صفة المجيء والإتيان، صفة النفس، صفة المحبة ، صفة اليد ، صفة الفوقية، وأول الكرسي

وإنما أطلت هنا لأن هذا الذي بدّع النووي وضلله وكاد أن يحكم بكفره ، لم يرض بمثل هذا في ابن الجوزي !

غفر الله للإمامين النووي وابن الجوزي ولنا معهم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

الإتيان والمجيء، الضحك ، الفرح ٢/ ١٠٨٨ – ١٠٨٩ ، الخطابي وقد أوّل: الأصابع، الساق، القدم والرجل، النزول، الإتيان والمجيء، الضحك ، الفرح ٢/ ١٠٨٩، ١٠٩٠ ، الزركشي ١٠٩٠، ١٠٩١، زكريا الأنصاري ١٠٩١- ١٠٩٣، السنوسي١٠٩٣، ١٠٩٤، ابن سودة التاودي ١٠٩٥، ١٠٩٦ ، السيوطي ١٠٩٧، ١٠٩٨، شبير العثماني ١٠٩٩، ١١٠٠، الشنقيطي (صاحب كوثر المعاني) ١١٠٠، ١١٠١، القرطبي (المحدث[1]) ١١٠١-١١٠٤، القاضي عياض ١١٠٤-١١٠٦، بدر الدين العيني ١١٠٦-١١٠٨، القسطلاني ١١٠٨-١١١٠، صديق حسن خان القنوجي ، وقد أوّل : الوجه، اليد، الإتيان والمجيء، الضحك، الفرح، الغضب والسخط والرضا ، الرحمة ١١١٠، ١١١١، الكرماني ١١١١، ١١١٣، الكشميري ١١١٣، ١١١٤، المازري ١١١٤، ١١١٦، المباركفوري وقد أوّل: النور، الفرح ١١١٦، محمد تقي العثماني ١١١٦، ١١١٧، ابن الملقن ١١١٧، ١١١٩

ابن حزم والعقيدة

من المعلوم والمشهور عن ابن حزم موقفه من الأسماء الحسنى والصفات العليا !، فـ"قد بالغ في نفي الصفات وردها إلى العلم، مع أنه لا يثبتُ علمًا هو صفة، ويزعم أنَّ أسماء الله: كالعليم والقدير ونحوهما، لا تدلُّ على العلم والقدرة[2]"

---

(١) والمفسر كذلك بل أكثر، ولكنه ليس المراد هنا

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٠)

وقد أنكر ابن حزم اسم " المنان، الجواد"، وأول من الصفات: السمع ، والبصر، واليد ، والوجه ، الإستواء ، النزول، وغيرها[(١)] ، بل وينفي قيام الصفات بذات الله تعالى[(٢)] !

وقال شيخ الإسلام: ومعلوم أن الأشعري وأصحابه أقرب إلى السلف والأئمة ومذهب أهل الحديث في هذا الباب من هؤلاء بكثير.

وأيضا فهم يدعون أنهم يوافقون أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل القرآن والصفات وينكرون على الأشعري وأصحابه، والأشعري وأصحابه أقرب إلى أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل القرآن والصفات منهم تحقيقاً وانتساباً.

---

(١) انظر "الكاشف، دراسة في ردود مصنفي المقالات والفرق على مخالفيهم في باب الأسماء والصفات"، د/ فاطمة بنت عبد الرحمن الجحلان، تقديم جماعة من الأساتذة، ط دار العقيدة – السعودية، ص ٣٤، ١٠١، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤٨ ، وانظر مخالفات ابن حزم في العقيدة في مقدمة المحقق لرسالته (الدرة) ص١٣١ –١٤١، ٣٣٩ ، والفصل ٣/١٢٤و١٢٨ ، ومجموع الفتاوى ٥/٢٨٢، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٥٠) ، والرد الجميل على ابن عقيل [الظاهري]، للتويجري ط مؤسسة النور- الرياض ص١٦- ٢٨، ٤١- ٤٧ ، وأعجبني أن ختمه العلامة التويجري بالدعاء لابن حزم بالعفو والمغفرة، واعترف له بالفضيلة والتقدم في كل ما وافق فيه الحق

(٢) انظر مقدمة المحقق لرسالته (الدرة) ص١٣١ –١٤١ مسألة رقم ٤

أما تحقيقاً فمن عرف مذهب الأشعري وأصحابه ومذهب ابن حزم وأمثاله من الظاهرية في باب الصفات تبين له ذلك وعلم هو وكل من فهم المقالتين **أن هؤلاء الظاهرية الباطنية أقرب إلى المعتزلة بل إلى الفلاسفة من الأشعرية.**

وأن الأشعرية أقرب إلى السلف والأئمة وأهل الحديث منهم وأيضا فإن إمامهم داود وأكابر أصحابه كانوا من المثبتين للصفات على مذهب أهل السنة والحديث، ولكن من أصحابه طائفة سلكت مسلك المعتزلة وهؤلاء وافقوا المعتزلة في مسائل الصفات وإن خالفوهم في القدر والوعيد [١]

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ط العصرية (ص١٢٦)

ثم قال (ص ١٢٧): وأما الانتساب فانتساب الأشعري وأصحابه إلى الإمام أحمد خصوصا وسائر أئمة أهل الحديث عموما ظاهر مشهور في كتبهم كلها.

وما في كتب الأشعري ممّا يوجد مخالفا للإمام أحمد وغيره من الأئمة فيوجد في كلام كثير من المنتسبين إلى أحمد كأبي الوفاء بن عقيل وأبي الفرج بن الجوزي وصدقة بن الحسين وأمثالهم ما هو أبعد عن قول أحمد والأئمة من قول الأشعري وأئمة أصحابه ومن هو أقرب إلى أحمد والأئمة من مثل ابن عقيل وابن الجوزي ونحوهما كأبي الحسن التميمي وابنه أبي الفضل التميمي وابن ابنه رزق الله التميمي ونحوهم وأئمة أصحاب الأشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني وشيخه أبي عبد الله بن عبد الله بن مجاهد وأصحابه كأبي علي بن شاذان وأبي محمد بن اللبان بل وشيوخ شيوخه كأبي العباس القلانسي وأمثاله، بل والحافظ أبو بكر البيهقي وأمثاله أقرب إلى السنة من كثير من أصحاب الأشعري المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة.

فهل سيخرجون ابن حزم والظاهرية من الملة؟!

ومعظم المؤلفين في باب الفرق والمقالات أوّلو الصفات أو الكثير منها (١)

ابن حبان والاعتقاد: ابن حبان من علماء الحديث الكبار الذين اتهموا بعلم الكلام، وله في صحيحه تأويلات، بل واتهمه بعض الناس بالزندقة وكادوا يحكمون بقتله !، ونفي من سجستان لإنكاره الحد لله (٢)، ونقلوا عنه أنه قال : النبوة القول والعمل(١) **فهل ستفعلون معه كما فعلتم مع الإمام النووي !**

فإن كثير من متأخري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة.

(١) انظر "الكاشف، دراسة في ردود مصنفي المقالات والفرق على مخالفيهم في باب الأسماء والصفات" ص ٨، ٦٢٢

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٧ ط الرسالة) تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤ ت بشار)

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٧): إنكاره الحدَّ وإثباتُكم للحدِّ نَوْعٌ من فضول الكلام، والسُّكوت عن الطَّرَفَيْنِ أولى؛ إذ لم يَأْتِ نَصٌّ بنفي ذلك ولا إثباته، والله تعالى ليس كمثله شيء، فمن أثبته قال له خصمه: جعلت لله حدًّا برأيك، ولا نَصَّ مَعَكَ بالحدِّ، والمحدود مخلوق، تعالى الله عن ذلك.

وقال هو للنَّافي: سَاوَيْتَ رَبَّكَ بالشَّيء المعدوم؛ إذ المعدوم لا حَدَّ له، فمن نزَّه الله وسكت سَلِمَ، وَتَابَعَ السَّلَفَ.

قال شيخ الإسلام: وممن نفى لفظ الحد أيضًا من أكابر أهل الإثبات أبو نصر السِّجْزِي قال في رسالته المشهورة إلى أهل زَبِيد وعند أهل الحق أن الله ﷻ مباين لخلقه بذاته وأن الأمكنة غير خالية من علمه وهو بذاته تعالى فوق العرش بلا كيف بحيث لا مكان وقال

أيضًا فاعتقاد أهل الحق أن الله ﷻ فوق العرش بذاته من غير مماسة وأن الكَرَّامية ومن تابعهم على القول بالمماسة ضُلاّل وقال وليس من قولنا إن الله فوق العرش تحديد له وإنما التحديد يقع للمحدثات فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود والله ﷻ فوق ذلك بحيث لا مكان ولا حد لاتفاقنا أن الله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان.

قال: وإنما يقول بالتحديد من يزعم أنه ﷻ على مكان وقد علم أن الأمكنة محدودة فإن كان فيها بزعمهم كان محدودًا وعندنا أنه مباين للأمكنة ومن حلها وفوق كل محدَث فلا تحديد لذاته في قولنا

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٥٠، ٥١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٩٦)

وقال محقق رسالة السجزي: أنكر شيخ الإسلام ابن تيمية إطلاق هذه الجملة [وهو كما كان قبل خلق المكان]، وأنكر على من زادها على لفظ حديث عمران بن حصين رضي الله عنه الذي فيه قوله ﷺ "كان الله ولم يكن قبله شيء" وفي لفظ "معه" وفي لفظ "غيره" وكان عرشه على الماء (خ: ١٣/ ٤٠٣، حـ ٧٤١٨) فزاد بعضهم: "وهو الآن على ما عليه كان" وهذه الزيادة لا تصح.

ووصفها بأنها "زيادة إلحادية: قصد بها المتكلمة والمتجهمة نفي الصفات التي وصف - الله –بها نفسه من استوائه على العرش ونزوله من سماء الدنيا وغير ذلك، فقالوا: كان في الأزل ليس مستوياً على العرش وهو الآن على ما عليه كان فلا يكون على العرش" انظر: بيان تلبيس الجهمية ١/٥٦٤، والفتاوى ١٨/ ٢٢١.

ولا شك أنّ المصنف رحمه الله بإثباته هذه الجملة لم يقصد ما قصده المتكلمة والمتجهمة من نفي الاستواء، كيف وهو الذي لم يأل جهداً في إثبات استواء الله ﷿ على عرشه وبينونته عن خلقه، وإيراد الدلائل على ذلك والإنكار على المخالف.

وإنما قصد رَحِمَهُ اللَّهُ من إطلاق هذه الجملة: إثبات تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ واستغنائه عن المكان الوجودي الذي هو مخلوق له، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غني عن مخلوقاته غير مفتقر إلى شيء منها.

ولا ريب أنّ ترك إطلاق هذه العبارة، والوقوف عند ما ورد به النص أولى وأسلم، فإن أقل ما يقال فيها: إنها عبارة تحتمل حقاً وباطلاً ولم يرد أثر بإطلاقها، وما كان كذلك كان تركه أولى والله أعلم.

قلت: وهكذا نعتذر لأهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ وغفر لهم

والحد أثبته جماعة من الأئمة ونفاه أئمة آخرون

"نفى الإمام أحمد الحد في هذه الرواية، وأثبته في الرواية المتقدمة وأحسن ما قيل في الجمع بين الروايتين: إن إطلاق الحد يحمل على معنى أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: خارج العالم متميز عن خلقه، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على صفة يبين بها من غيره ويتميز.

وتحمل رواية المنع: على الحد الذي بمعنى الصفة وأن خلقه لا يحدونه ولا يصفونه إلا بما وصف به نفسه ولا يدركون كنه وكيفية صفاته، كما في رواية عن أحمد "له حد لا نعلمه".

أما الحد الذي نفاه الحافظ السجزي فهو الذي بمعنى الحصر فهو رَحِمَهُ اللَّهُ ينفي عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكون محدوداً بشيء من الأمكنة لا تحده ولا تحصره لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مباين لها، ولأنها محدثة والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق المحدثات.

أما الحد الذي أثبته ابن المبارك والإمام أحمد وغيرهما فهو الحد الذي بمعنى التمييز والمباينة للخلق. والإمام السجزي لا ينازع فيه بهذا المعنى. فهورحمه الله موافق للإمام أحمد وسائر السلف في إثبات علو الله على خلقه ومباينته وتميزه عن سائر مخلوقاته. والخلاف إنما هو في إطلاق لفظ الحد ولكل وجهة والاتفاق بينهم حاصل على التنزيه وإثبات العلو ومباينته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للمخلوقات. والله تعالى أعلم". رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٩٨)

الشوكاني والعقيدة:

قال د. عبد الله نومسوك في منهج الإمام الشوكاني في العقيدة :

تبين لي أنه وافق السلف أهل السنة في جميع أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، **ولم يخالفهم إلا في مسائل قليلة، وكان رأيه في بعضها مضطربًا بين كتاب وآخر، كما في بعض الصفات، وفيما يلي أذكر تلك المسائل مختصرًا.**

(١) في توحيد الألوهية:

أجاز التوسل بالذات والجاه وجعله كالتوسل بالعمل الصالح، وهذا مخالف لما قرره ودعا إليه في عدد من كتبه من محاربة الشرك وسد الذرائع المؤدية إليه.

(ب) في أسماء الله تعالى:

ذهب إلى جواز تسمية الله بما ثبت من صفاته، سواء ورد التوقيف بها أو لم يرد. غير أني لم أقف على تطبيق الشوكاني هذه القاعدة، لا في تفسيره، ولا في غيره.

(ج) في صفات الله تعالى:

وانظر رسالة "اثبات الحد لله تعالى" للدشتي ، ومختصر العلو للألباني والذهبي !

(١) انظر التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٣٨، ٣٩، تدريب الراوي ط طيبة ١/١١٥، ميزان الإعتدال ط دار المعرفة ٣/٥٠٧

١ - **أوّلَ بعض الصفات الإلهية** في تفسيره: فتح القدير، تأويلًا أشعريًا. والصفات التي أولها هي: الوجه، والعين، واليد، والعلو، والمجيء، والإتيان، والمحبة، والغضب، وهذا التأويل مناقض لمنهجه في رسالته التحف في إثبات الصفات على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مذهب السلف رضوان الله عليهم.

٢ - **نهج منهج أهل التفويض في صفة المعية** في رسالته التحف، فلم يفسرها بمعية العلم، بل زعم أن هذا التفسير شعبة من شعب التأويل المخالف لمذهب السلف. وهذا مخالف لما ذهب إليه في تفسيره وفي كتابه تحفة الذاكرين من أن هذه المعية معية العلم، وفسرها هنا تفسير السلف.

٣ - ذهب مذهب الواقفية في مسألة خلق القرآن، فلم يجزم برأي هل هو مخلوق أو غير مخلوق.

(د) في نواقض التوحيد:

١ - أجاز تحري الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين باعتبارها أماكن مباركة يستجاب الدعاء فيها، وهذا مخالف لما قرره ودعا إليه في عدد من كتبه من سد الذرائع إلى الشرك في الأموات.

٢ - جعل الحلف بالقرآن كالحلف بمخلوق من مخلوقات الله.

(هـ) في النبوات:

يرى التوقف في مسألة التفضيل بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

هذا وقد سلك الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى طريقة السلف في الاستدلال لكل مسألة من مسائل العقيدة التي أثبتها، فيقدم الأدلة النقلية على العقلية، ويقدم المعنى الظاهر من النصوص على معنى المجاز منها، كما في كتابه التحف، إلا في مسألة المعية ، وكذلك في تفسيره لمسألة الاستواء وغيرها من الصفات التي أثبتها في تفسيره ولم يؤولها. أما ما يظهر في كتبه من اضطراب وتناقض في هذا الباب وغيره وخالف فيه السلف أهل السنة فيمكن الاعتذار عنه بأنه نشأ وترعرع في بيئة زيدية، وكانت دراسته داخلها ولم يخرج منها، فلعل الظروف المحيطة بهذه البيئة لم تتهيأ له كثيرًا للاطلاع على كتب أئمة السلف أهل السنة والجماعة.

هذا وقد أخطأ الشوكاني فيما أخطأ، ولا ندعي له العصمة، ولا نقول عنه إلا أنه من البشر، والبشر يخطئون ويصيبون، وكما قال هو نفسه: "إن الخطأ شأن البشر، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ، والأهوية تختلف، والمقاصد تتباين، وربك يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون"

والشوكاني : خالف الأشعرية كما خالف الفرق الأخرى غير أنه تأثر قليلًا بالأشعرية خاصة في كتابه "فتح القدير" في تأويل بعض الصفات، مع أنه اشتد إنكاره عليهم في ذلك في كتابه "التحف في مذاهب السلف"[١]

وأما عن علماء التفسير واللغة فانظر كتاب الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم[٢] ، والمفسرون بين التأويل والإثبات لمحمّد بن عبد الرحمن المغراوي، ط مؤسسة الرسالة، دار القرآن ، ورسالة "منهج اللغويين في العقيدة" ط دار المنهاج، **ولا أريد أن أطيل في هذه الإلزامات ستراً على المسلمين ، فاللهم استرنا في الدنيا والآخرة**

---

(١) منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ، د. عبد الله نومسوك، مؤسسة الرسالة ص ٥٧، ٨٥٥) ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٢٩٠) ، المفسرون بين التأويل والإثبات (٢/ ٢٣١)

وإنما أطلت هنا لهذا الذي بدّع النووي وضلله وكاد أن يحكم بكفره ، هل يرضى بمثل هذا في الشوكاني؟!، وإن رضيه فماذا يقول في عشرات بل مئات غيره؟

غفر الله للنووي والشوكاني وللعلماء والمسلمين ولنا معهم أجمعين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(٢) جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي. الناشر: مجلة الحكمة

وأختم بدور دولة صلاح الدين الأيوبي ثم المماليك في نشر المذهب الأشعري!

قال د / عبد الرحمن المحمود :

انتشر المذهب الأشعري - في تطوره العقدي - في القرن الرابع والخامس، ولما جاء عهد الأيوبيين- وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي- تبنوا المذهب الأشعري، وقربوا علماء الأشاعرة، وصلاح الدين نشأ على هذا المذهب؛ فقد حفظ " في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه فتمادي الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بنى أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك "(١)، ولما تولى صلاح الدين حكم مصر ولى على القضاء صاحبه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، الذي ألف "رسالة في الذب عن أبى الحسن الأشعري .

ولما جاء عهد المماليك استمر تبنيهم لهذا المذهب من خلال توليه القضاء لأئمة الشافعية والمالكية الذين كانوا يلتزمون المذهب الأشعري، ومما يلاحظ- في هذا العصر- أن المذهب الأشعري صار تبنيه بيد من بيده السلطة من العلماء إلى الحد الذى يستنكر معه أشد الاستنكار أن يقوم أحد بمخالفته ويجاهر في

---

(١) الخطط للمقريزى (٣٥٨/٢) .

رده ونقض أصوله. ولعل ما حدث لابن تيمية من محن كانت مع الأشاعرة دليل كل ذلك[١]

نعم " **السلطان صلاح الدين حمل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعريّ**، تلميذ أبي علي الجبائيّ، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر، كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعيّ من القرافة، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفية بجوار جامع عمرو بن العاص بمصر، والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر، وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة.

فاستمرّ الحال على عقيدة الأشعريّ بديار مصر وبلاد الشام وأرض الحجاز واليمن وبلاد المغرب أيضا، لإدخال محمد بن تومرت رأي الأشعريّ إليها، حتى أنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد، بحيث أن من خالفه ضرب عنقه، والأمر على ذلك إلى اليوم، ولم يكن في الدولة الأيوبية بمصر كثير ذكر لمذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل، ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في آخرها.

فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداريّ، ولي بمصر[٢] والقاهرة أربعة قضاة، وهم شافعيّ ومالكيّ وحنفيّ وحنبليّ. فاستمرّ ذلك من سنة

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ١٤٩)

(٢) المراد بمصر: الفسطاط = مسجد عمرو ، وهي تعرف اليوم: بقسم مصر القديمة.

نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة (ص٨٥)

خمس وستين وستمائة، حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة، وعقيدة الأشعريّ، وعملت لأهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الإسلام، وعودي من تمذهب بغيرها، وأنكر عليه، ولم يولّ قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدّم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول هذه المدّة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها، والعمل على هذا إلى اليوم" [١]

وهل تعلم أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال : أَمَّا **الطَّائِفَةُ بِالشَّامِ وَمِصْرَ وَنَحْوِهِمَا فَهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْمُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَهُمْ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ دُخُولًا فِي الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ** الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَفِيضَةِ عَنْهُ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ [٢]" . وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ[٣]: "لَا يَزَالُ

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٦٦ ، ١٦٧)، إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (ص١٩) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة (ص٨٥) قصة الأشاعرة د/ عمار خنفر ط دار الحجاز ص ٥٥٩ ، منهج الإمام النووي في تقرير مسائل الإعتقاد من خلال شرحه لصحيح مسلم ص ٣٣

(٢) رواه مسلم (١٩٢٠)

(٣) رواه مسلم (١٩٢٥)

أَهْلُ الْغَرْبِ"... وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي صِفَةِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ أَنَّهُمْ بِأَكْنَافِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ هِيَ الَّتِي بِأَكْنَافِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ الْيَوْمَ ، وَمَنْ يَدَّبَّرُ أَحْوَالَ الْعَالَمِ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَعَلِمَ أَنَّ **هَذِهِ الطَّائِفَةَ هِيَ أَقْوَمُ الطَّوَائِفِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَجِهَادًا عَنْ شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا**، فَإِنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ أَهْلَ الشَّوْكَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَغَازِيهِمْ مَعَ النَّصَارَى، وَمَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ التُّرْكِ، وَمَعَ الزَّنَادِقَةِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ الدَّاخِلِينَ فِي الرَّافِضَةِ وَغَيْرِهِمْ: كَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَنَحْوِهِمْ مِنْ الْقَرَامِطَةِ، مَعْرُوفَةٌ مَعْلُومَةٌ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَالْعِزُّ الَّذِي لِلْمُسْلِمِينَ بِمَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا هُوَ بِعِزِّهِمْ وَلِهَذَا لَمَّا هُزِمُوا سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ دَخَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ الذُّلِّ وَالْمُصِيبَةِ بِمَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَا لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ(١)

وقال د/ **عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي**: لا شك أن الحافظ ابن حجر رحمه الله كان من أهل السنة، ومن علماء السنة، لكنه أخطأ وزل في بعض المسائل العقدية في الصفات وفي غيرها

وكذلك صلاح الدين كان مجاهداً وصادقاً ونفع الله عز وجل به المسلمين لكنه كان على طريقة الأشاعرة في الجملة، ...،

---

(١) الفتاوى الكبرى (٣/ ٥٤٨، ٥٤٩) وانظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣١ - ٥٣٤)

ثم قال بعد تأصيل: **ابن قدامة** رَحِمَهُ اللَّهُ **الذي ندرس عقيدته كان في جيش صلاح الدين الأيوبي عندما دخلوا بيت المقدس، وكان في جيشه آلاف من علماء أهل السنة، وطلاب العلم، وعوام أهل السنة**، ففي مقام الجهاد في سبيل الله يجب أن تشرك الأمة جميعاً في حماية بيضة الإسلام؛ لأن هؤلاء الأشاعرة حتى لو كانوا أشاعرة أليسوا مسلمين؟! بلى هم مسلمون [١].

وهذا الجواب دفاعاً عن الإمام الحافظ المفسر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير كنموذج مجمل لغيره ممن أراد الحق، ولكل عالم عند التفصيل ما يخصه فتنبه[٢] !

ادعى بعض الأشاعرة أن الحافظ ابن كثير كان أشعرياً، واستدلا على ذلك بما ورد في الدرر الكامنة في ترجمة ابراهيم ابن محمد ابن قيم الجوزية ما نصه: "ومن نوادره أنه وقع بينه وبين عماد الدين ابن كثير منازعة في تدريس الناس، فقال له ابن كثير: أنت تكرهني لأنني أشعري، فقال له: لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقك الناس في قولك أنك أشعري وشيخك ابن تيمية"[٣].

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية (٣/ ٢٢ الشاملة)

(٢) وانظر تأصيل مسألة حكم العالم المجتهد إذا وقع في بدعة ، رسالة حقيقة البدعة وأحكامها (ص ٣٠٦) وما بعدها، وقد سبق كثير منه بحمد ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(٣) الدرر الكامنة (١/ ٦٠)

والجواب[١]: هذه الحكاية لم يذكر ابن حجر من حدثه بها، هذا أولاً.

وثانياً: إنه على فرض صحتها فإن ظاهرها يبطل هذه الدعوى، لأن إبراهيم بن قيم الجوزية لم يصدقه فيما ذكر من الدعوى، مستدلاً بأن شيخه هو ابن تيمية، وهو المعروف عنه الرد على الأشاعرة وإبطال معتقداتهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وهذا أمر ظاهر، فكيف يكون تلميذ من طال كلامه في الانتصار لمذهب السلف، وأوذي في ذلك حتى اجتمع عليه الأشاعرة وسجنوه مرات عدة، كيف يكون تلميذ هذا أشعرياً، هذا تأباه العادة.

وكان ابن كثير لا يذكر شيئاً من كلام ووقائع ابن تيمية في البداية والنهاية إلا ويقول: قال شيخنا العلامة، وكان شيخنا العلامة، وربما قال: جهبذ الوقت شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية، وقال مرة: "سمعت شيخنا تقي الدين ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول كل منهما للآخر: هذا الرجل قرأ مسند الامام أحمد وهما يسمعان فلم يضبط عليه لحنة متفقا عليها، وناهيك بهذين ثناء على هذا وهما هما"، ونحو ذلك مما يدل على تعظيمه له، ومن المستبعد جداً، أن يصفه بهذا الوصف، وهو مخالف له في أعظم الأمور، كأمور المعتقد.

---

(١) باختصار من الأشاعرة في ميزان أهل السنة (ص٦٣٣ -٦٣٨)، وانظر قصة الأشاعرة د/ عمار خنفر ط دار الحجاز ص ٧٢٥ - ٧٣٣

وقد ساق ابن كثير في تاريخه كثيراً من وقائع شيخ الإسلام ابن تيمية مع مخالفيه من الأشاعرة، ومن أشهر ذلك المناظرات التي جرت بينه وبينهم في عقيدته المسماة بالواسطية، وانتصر ابن كثير له في ذلك في تاريخه.

أما التحقيق العلمي في معتقدات الأئمة، فليس بالقصص والحكايات، كما سبق أن ذكرنا، وإنما بالنصوص البينة التي سطروها في كتبهم. ومن المعلوم أن من أشهر مؤلفات ابن كثير هو تفسيره، وقد سطر فيه معتقده واضحاً جلياً، ولذلك أعرض الأشعريان عن ذكره إلا في موضع واحد، ولعل ذلك لما علما من إبطاله لدعواهما في أشعريته.

وله رحمه الله رسالة باسم "الاعتقاد" أبان فيها عن معتقده فقال ما لفظه:

"فإذا نطق الكتاب العزيز ووردت الأخبار الصحيحة بإثبات السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقدرة والعظمة والمشيئة والإرادة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك، وجب اعتقاد حقيقة ذلك من غير تشبيه بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من غير إضافة، ولا زيادة عليه، ولا تكييف ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه، والإمساك عما سوى ذلك".

وهذا كلام صريح في إثباته لصفات الله تعالى على الحقيقة، ومنعه من تأويلها، أو تغييرها، أو تشبيهها بصفات خلقه. ولم يفرق بين صفة وأخرى.

ثم ساق بعض نصوصه في تقرير المعتقد، ليُعلم أنه مباين للأشاعرة

قال أبو الفضل: فإن قيل: كيف يقبل ابن كثير على نفسه أن يقول : إنني أشعري، وكيف يقبل المزي أن يكتب ذلك بنفسه على نفسه؟

قلت: قال ابن كثير : أما طريقة الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في الصفات بعد أن رجع عن الاعتزال، بل وبعد أن قدم بغداد، وأخذ عن أصحاب الحديث كزكريا الساجي وغيره، فإنها من أصح الطرق وللمذهب، فإنه يثبت الصفات العقلية والخبرية، ولا ينكر منها شيئًا، ولا يكيف منها شيئًا، وهذه طريقة السلف والأئمة من أهل السنة والجماعة، حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على اتباعهم ومحبتهم، إنه سميع الدعاء جواد كريم[١]

فلو أنَّ أحداً نسب نفسه للأشعري بهذا المعنى فهل يضلل؟

قال شيخ الإسلام : أَنَا كُنْت مِن أَعْظَمِ النَّاسِ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَلَبًا لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ، وَاتباعا لِمَا أُمِرْنَا بِهِ مِن الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ الله، وَأَزَلْت عَامَّةَ مَا كَانَ فِي النُّفُوسِ مِن الْوَحْشَةِ، وَبَيَّنْت لَهُم أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ كَانَ مِن أَجَلِّ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الْإِمَام أَحْمَدَ رحمه الله وَنَحْوِهِ، الْمُنْتَصِرِينَ لِطَرِيقِهِ، كَمَا يَذْكُرُ الْأَشْعَرِيُّ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِ[٢].

---

(١) طبقات الشافعيين (ص٤٢٧)، (ص٤٦٢) قصة الأشاعرة ط دار الحجاز ص ٧٣١

(٢) قال في كتابه الإبانة عن أصول الديانة ت، د. فوقية (ص ٢٠): قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب الله ربنا عزَّوجلَّ، وبسُنَّة نبينا محمد ﷺ، وما

فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى أُصُولِ أَحْمَدَ مِن ابْنِ عَقِيلٍ، وَأَتْبَعُ لَهَا؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ بِالسَّلَفِ أَقْرَبَ كَانَ أَعْلَمَ بِالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ.

وَلَمَّا أَظْهَرْتُ كَلَامَ الْأَشْعَرِيِّ -وَرَآه الْحَنْبَلِيَّةُ- قَالُوا: هَذَا خَيْرٌ مِن كَلَامِ الشَّيْخِ الْمُوَفَّقِ وَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ.

وَأَظْهَرْت مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ لَمْ تَزَل الْحَنَابِلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ مُتَّفِقِينَ إلَى زَمَنِ القشيري فَإِنَّهُ لَمَّا جَرَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ بِبَغْدَادَ تَفَرَّقَت الْكَلِمَةُ. [(١)]

وقال: "وأما من قال منهم بكتاب " الإبانة " الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك **فهذا يعد من أهل السنة**؛ لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لا سيما وأنه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة وينفتح بذلك أبواب شر"[(٢)]

فلا نحب له ذلك، وإنما نحب له قول ابن عباس: حين قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَنْتَ عَلَى مِلَّةِ عَلِيٍّ؟ قُلْتُ: وَلَا عَلَى مِلَّةِ عُثْمَانَ، أَنَا عَلَى مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ[(٣)]

روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون. تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٢٦١)

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٧ – ٢٢٩) وتقريبها (١/ ٢٦٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩)

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٥٥): ٢٣٧، والصغرى ص ١٤٥، واللالكائي (١/ ١٠٥): ١٣٢ و ١٣٣ ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٩)

وفي لفظ : لَا عَلَى مِلَّةِ عَلِيٍّ وَلَا عَلَى مِلَّةِ عُثْمَانَ أَنَا عَلَى مِلَّةِ رَسُولِ الله ﷺ[١]

وفي لفظ: ما أنا بعلوي ولا عثماني ولكني على ملة رسول الله ﷺ[٢]

" فَأَمَّا الِانْتِسَابُ الَّذِي يُفَرِّق بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ خُرُوجٌ عَن الْجَمَاعَةِ والائتلاف إلَى الْفُرْقَةِ، وَسُلُوكِ طَرِيقِ الِابْتِدَاعِ، وَمُفَارَقَةِ السُّنَّةِ وَالِاتباع، فَهَذَا مِمَّا يُنْهَى عَنْهُ وَيأَثَمُ فَاعِلُهُ، وَيخْرُجُ بِذَلِكَ عَن طَاعَةِ الله وَرَسُولِهِ ﷺ [٣]"

وقال شيخ الإسلام[٤] : "لَيْسَ فِي كِتَابِ الله وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَلَا فِي الْآثَارِ الْمَعْرُوفَةِ عَن سَلَفِ الْأَئِمَّةِ لَا شُكيلي وَلَا قرفندي[٥] .

وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ إذَا سُئِلَ عَن ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: لَا أَنَا شكيلي وَلَا قرفندي؛ بَل أَنَا مُسْلِمٌ مُتَّبعٌ لِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ [٦] وَكَذَلِكَ كَانَ كُلُّ مِن السَّلَفِ

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٩٦)، مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٥)، النبوات (١/ ٥٧٥)

(٢) الإحكام في أصول الأحكام – ابن حزم (٦/ ١٧٤)

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٤، تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٧٩٣)

(٤) تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٠٨)

(٥) هذه أسماء ينتسب إليها بعض الناس؛ كالأشعرية والصوفية ونحوها، والله أعلم.
تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٠٩)

(٦) كذلك يُقال في هذا الزمان: لا ينبغي الانتساب إلى أيّ جماعة والتقيّد بها، وإذا كان مع الانتساب تعصُّبٌ فهذا حرام قطعًا، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: لا يجوز أبدًا أن يتفرق المسلمون، فيكون هذا تبليغي، وهذا سلفي، وهذا إخواني، وهذا جهادي، وهذه جماعة إسلامية، هذا يدخل في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِيشَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]،

ويكون ارتكابًا لما نهى الله عنه؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] هؤلاء لم يعتصموا بحبل الله جميعًا وتفرقوا.

دروس وفتاوى الحرم المدني (١/ ٣٦). وانظر شرح وصية ابن تيمية الكبرى ، للراجحي.

تنبيه: الإنتساب للسلف شرف، لكن لو فُرِّقتْ به الأمةُ كان من الجاهلية، كما في حديث جابر ﷺ قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصارى: يا للأنصار، وقال المهاجرى: يا للمهاجرين، فقال رسول اللَّه ﷺ: "ما بال دعوى الجاهلية" قالوا: يا رسول اللَّه كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: "دعوها فإنها متنة". (مختصر مسلم للمنذرى ١٨١١)

وقال العلامة ابن القيم ﷺ: والبصير الصادق: يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها، ولا يَتحيَّز إلى طائفة ويَنْأى عن الأخرى بالكلية: أن لا يكون معها شيء من الحق. فهذه طريقة الصادقين، ودعوى الجاهلية كامنة في النفوس.

(فذكر حديث جابر) هذا وهما اسمان شريفان سماهم الله بهما في كتابه، فنهاهم عن ذلك، وأرشدهم إلى أن يتداعوا بالمسلمين، والمؤمنين، وعباد الله، وهي الدعوى الجامعة. بخلاف المفرقة كالفلانية والفلانية؛ فالله المستعان. ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان، وطعم الصدق واليقين، حتى تخرج الجاهلية كلها من قلبه.

وقد سئل بعض الأئمة عن السُّنَّة فقال: ما لا اسم له سوى "السُّنَّة".

يعني: أن أهل السُّنَّة ليس لهم اسم يُنسبون إليه سواها...

وأيضًا: فإنهم لم يتقيَّدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيُعرفون به دون غيره من الأعمال؛ فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يُعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم، ولا إشارة، ولا اسم، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سُئل عن شيخه قال: الرسول، وعن طريقه

يَقُولُونَ: كُلُّ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ فِي النَّارِ،ويقُولُ أَحَدُهُم: مَا أُبَالِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَعْظَمُ؟ عَلَى أَنْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ، أَو أَنْ جَنَّبَنِي هَذ الْأَهْوَاءَ.

وَاللهُ تَعَالَى قَد سَمَّانَا فِي الْقُرْآنِ الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ الله، فَلَا نَعْدِلُ عَن الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّانَا اللهُ بِهَا إِلَى أَسْمَاء أَحْدَثَهَا قَوْمٌ -وَسَمَّوْهَا هُم وَآبَاؤُهُم- مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ.

بَل الْأَسْمَاءُ الَّتِي قَد يَسُوغُ التَّسَمِّي بِهَا: مِثْل انْتِسَابِ النَّاسِ إِلَى إِمَامٍ كَالْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ، أَو إِلَى شَيْخٍ كَالْقَادِرِيِّ والعدوي وَنَحْوِهِمْ، أَو مِثْل الِانْتِسَاب إِلَى الْقَبَائِلِ؛ كَالْقَيْسِيِّ وَالْيَمَانِيِّ، وَإِلَى الْأَمْصارِ كَالشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ وَالْمِصْرِيِّ.

فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّاسَ بِهَا، وَلَا يُوَالِيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَلَا يُعَادِيَ عَلَيْهَا؛ بَل أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله أَتْقَاهُم مِن أَيِّ طَائِفَةٍ كَانَ.

وَاللهُ ﷻ قَد أَوْجَبَ مُوَالَاةَ الْمُومِنِينَ بَعْضهُم لِبَعْض، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِم مُعَادَاةَ الْكَافِرِينَ.

فَقَالَ تعالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]"

قال: الإتباع، وعن مذهبه قال: تحكيم السُّنَّة، وعن مقصوده ومطلبه قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. المدارج (٢/ ٣٧٠، ٣/ ١٧٤) تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٠٩، ٣١٠)

إلزام آخر: نقول له : ارتضيت منهجاً وطبقته على النووي، ومن الإنصاف أن تطبقه على نفسك ، فنقول:

أقوال العلماء السلفيين في الطاعنين في الإمام محي الدين!

فاسمع إذن: يقول الشيخ العلامة صالح الفوزان: **الجهال** يقولون : ابن حجر مبتدع، النووي مبتدع (١)

وسبق وصف العثيمين لمن يفعل ذلك بـ " **السفهاء**"

ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله :"وبهذا تعلم أن **تلك البادرة الملعونة** من تكفير الأئمة -النووي، وابن دقيق العيد، وابن حجر العسقلاني- أو الحط من أقدارهم، أو أنهم مبتدعة ضلال، **كل هذا من عمل الشيطان، وباب ضلالةٍ وإضلال، وفسادٌ وإفساد**، وإذا جرح شهود الشرع جرح المشهود به، ولكن **الأغرار** لا يفقهون ولا يتثبتون"(٢) ، فـ "**الذي يبدع الإمامين ابن حجر والنووي هو المبتدع**" كما قال العلامة صالح الفوزان (٣).

و: " الجرح بأئمة الإسلام زندقة مكشوفة" (٤)

---

(١) ظاهرة التبديع للفوزان ص ٢٠، البدع والمحدثات وما لا أصله له ص ٥٩

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين ص٩٤

(٣) في مقطع منشور على يوتيوب، والشيخ محمد حسن عبد الغفار قال نحوه

(٤) من فهرس التأصيل لبكر أبي زيد

وقال عليه الصلاة والسلام **" من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال"**

وجاء في المجروحين لابن حبان(١/ ٢٣٧) أن أبا بكر بن أبي الأسود، قال: كنت أسمع الأصناف من خالي عبدالرحمن بن مهدي، وكان في أصول كتابه قوم قد ترك حديثهم، منهم الحسن بن أبي جعفر وعباد بن صهيب وجماعة نحو هؤلاء، ثم أتيته بعد ذلك بأشهر فأخرج إليّ كتاب الديات فحدثني عن الحسن بن أبي جعفر فقلت له: أليس كنت قد ضربت على حديثه؟ قال: **يا بني تفكرت فيه فإذا كان يوم القيامة قام الحسن بن أبي جعفر فتعلق بي**، وقال: يارب سل عبدالرحمن بن مهدي فيم أسقط عدالتي، وما كان لي حجة عند ربي فرأيت أن أحدث عنه.

فكيف بك لو تعلق بك النووي وابن حجر وكثير من علماء الأمة، بل وكثير من السلفيين الذين زعمتَ فقلتَ: "أكثر السلفيين مفوضة"، وكيف بمن كفرتهم؟!

فإن قلتَ: إنما لي حجة فتكلمتُ !

قلنا لك: ليس هذا عشكِ فادرجي!! [1]**؛ فلست بعالمٍ حتى تتكلم في أهل العلم، ولم يشهد لك أحد من أهل العلم بأنك عالم، ولا يتكلم في هذا الباب إلا**

---

(١) انظر شرح مقدمة التفسير لابن تيمية – العثيمين (ص٨٥)

العالم[١] ، و"**الْعَالِمُ**[٢] **إِذَا لَمْ يَشْهَدْ لَهُ الْعُلَمَاءُ فَهُوَ فِي الْحُكْمِ بَاقٍ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ** حَتَّى يَشْهَدَ فِيهِ غَيْرُهُ وَيَعْلَمَ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ مَا شَهِدَ لَهُ بِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ عَدَمِ الْعِلْمِ أَوْ عَلَى شَكٍّ[٣] ، **فَاخْتِيَارُ الْإِقْدَامِ فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ عَلَى الْإِحْجَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتباع الْهَوَى.** إِذْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَفْتِيَ فِي نَفْسِهِ غَيْرَهُ وَلَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يُقَدَّمَ إِلَّا أَنْ يُقَدِّمَهُ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا، قَالَ الْعُقَلَاءُ: رَأْيُ الْمُسْتَشَارِ أَنْفَعُ لِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْهَوَى، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُسْتَشَرْ فَإِنَّهُ غَيْرُ بَرِيءٍ، وَلَاسِيَّمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ وَالرُّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ كَرُتَبِ الْعِلْمِ.

---

(١) انظر الإبانة عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة لمحمد بن عبد الله الإمام، تقديم ، د/ ربيع بن هادي وجماعة من الشيوخ، ط دار الآثار ص ٣٤ و٣٨ و ٥٩ و ١٤٦ و ١٦٦ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٩٧

(٢) تأملوا : لم يقل: طالب العلم. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٧١٣)
وانظر الإبانة لمحمد بن عبد الله الإمام ص ٢٣٤

(٣) في عرفهم لا يسمى طالب العلم حافظاً، إلا بعد ضبط (مليون) حديث، ولُقْي مئات الشيوخ، ومُثَافَنَتِهم في الركب، مع كتابة الأجزاء ومدارسة الزملاء.
وفي زماننا مَن قرأ صفحات، ورتل آيات، وأنشد أبياتاً، وأبدى آهاتٍ؛ فالمنبر مكانه، والعلم اختصاصه وشَأْنُهُ، وهو حقيقةً قد شَنَأَه وشَانَه، هو عند العامة كلُّ شيء، وهو حقيقة: لا شيء.
مصطلحات أئمة الحديث الخاصة ويليه القرائن الموصلة إلى فهم مقاصدهم في الجرح والتعديل (ص١٤)

فَهَذَا أُنْمُوذَجٌ يُنَبِّهُ صَاحِبَ الْهَوَى فِي هَوَاهُ وَيَضْبِطُهُ إِلَى أَصْلٍ يَعْرِفُ بِهِ؛ هَلْ هُوَ فِي تَصَدُّرِهِ إِلَى فَتْوَى النَّاسِ مُتَّبِعٌ لِلْهَوَى، أَمْ هُوَ مُتَّبِعٌ لِلشَّرْعِ[١].

هذه نصيحة الإِمام الشاطبي إلى (العالم) الذي بإمكانه أن يتقدم إلى الناس بشيء من العلم، ينصحه بأن لا يتقدم حتى يشهد له العلماء خشية أن يكون من أهل الأهواء[٢]، فماذا كان ينصح يا ترى لو رأى بعض هؤلاء المتعلقين بهذا العلم في زمننا هذا؟! لا شك أنه كان يقول له: "ليس هذا عشك فادرجي"، فهل من معتبر؟! وإني والله **لأخشى على هذا البعض أن يشملهم قوله ﷺ : " يُنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويُخلف لها هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء "** [٣] والله المستعان[٤].

---

(١)الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (٢/ ٧٣٨)

وكان الإمام مالك يقول: "ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه لذلك أهلاً جلس. وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني لموضع لذلك".

ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٤٢)، شرح البخاري للسفيري (١/ ١٤٩)، التعليق الممجد على موطأ محمد (١/ ٧٢)، مقدمة موطأ مالك (١/ ٣٩ ت الأعظمي)

(٢) وَللهِ دَرُّ مَالِكٍ رحمه الله حَيْثُ قَالَ: لَا خَيْرَ فِيمَنْ يَرَى نَفْسَهُ بِحَالَةٍ لَا يَرَاهُ النَّاسُ لَهَا أَهْلًا، وَمَا جَلَسْتُ بِالْمَسْجِدِ حَتَّى شَهِدَ لِي سَبْعُونَ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأَهُّلِ.

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ ت الظفيري (ص١٤٥)

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٨٢)

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٧١٣)

"وَقَدْ رَأَيْتُ خَلْقًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْحَدِيثِ، وَيَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَصِّصِينَ بِسَمَاعِهِ وَنَقْلِهِ، **وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ مِمَّا يَدَّعُونَ، وَأَقَلُّهُمْ مَعْرِفَةً بِمَا إِلَيْهِ يَنْتَسِبُونَ**، يَرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا كَتَبَ عَدَدًا قَلِيلًا مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَاشْتَغَلَ بِالسَّمَاعِ بُرْهَةً يَسِيرَةً مِنَ الدَّهْرِ، أَنَّهُ صَاحِبُ حَدِيثٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَمَّا يُجْهِدْ نَفْسَهُ وَيُتْعِبْهَا فِي طِلَابِهِ، وَلَا لَحِقَتْهُ مَشَقَّةُ الْحِفْظِ لِصُنُوفِهِ وَأَبْوَابِهِ" [(١)]، "وَهُمْ مَعَ قِلَّةِ كَتْبِهِمْ لَهُ، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ **أَعْظَمُ النَّاسِ كِبْرًا، وَأَشَدُّ الْخَلْقِ تِيهًا وَعُجْبًا، لَا يُرَاعُونَ لِشَيْخٍ حُرْمَةً، وَلَا يُوجِبُونَ لِطَالِبٍ ذِمَّةً**"[(٢)]، " أقول هذا ؛ لأنه نبتت نابتة قبل سنتين أو ثلاث تهاجم هذين الرجلين هجوماً عنيفاً، وتقول: يجب إحراق فتح الباري وإحراق شرح صحيح مسلم، - أعوذ بالله - كيف يجرؤ إنسان على هذا الكلام، لكنه **الغرور والإعجاب بالنفس واحتقار الآخرين**"[(٣)]، فـ" يبدعون النووي... ؛ فهؤلاء ليسوا سائرين على طريقة أهل السنة ولا على طريقة مشايخنا الأكابر"[(٤)]؛ "ولا يوحشنّك مَن قد أقرّ على نفسه هو وجميع أهل العلم أنه ليس من أولي العلم، فإذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل، مُحكم له، متّبع للحق حيث كان، وأين كان، ومع من

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٧٥)

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٧٧)

(٣) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٣٥٣ ط مكتبة سلسبيل)

(٤) مقطع صوتي للشيخ سليمان الرحيلي

كان: زالت الوحشة، وحصلت الألفة، ولو خالفك فإنه يخالفك ويعذرك، والجاهل الظالم يخالفك بلا حجّة، ويُكفّرك أو يبدّعك بلا حجّة، وذنبك رغبتك عن طريقته الوخيمة، وسيرته الذميمة، فلا تغترّ بكثرة هذا الضرب، **فإنّ الآلاف المؤلفة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم**"(١).

" وفي عصرنا الحاضر **يأخذ الدور في هذه الفتنة دورته في مسلاخ من المنتسبين إلى السنة، متلفعين بمرط ينسبونه إلى السلفية ظلماً لها**، فَنَصَّبوا أنفسهم لرمي الدعاة بالتُّهم الفاجرة المبنية على الحجج الواهية ، واشتغلوا بضلالة التصنيف "(٢).

وقال أيضاً : " حين سَرَتْ إلى عصرنا **ظاهرة الشغب** هذه إلى من شاء الله من المنتسبين إلى السنة ودعوى نصرتها ، فاتخذوا التصنيف بالتجريح ديناً وديدناً ، **فصاروا إلباً على أقرانهم من أهل السنة، وحربا على رؤوسهم، وعظمائهم،** يلحقونهم الأوصاف المرذولة، وينبزونهم بالألقاب المستشنعة المهزولة، حتى بلغت بهم الحال أن فاهوا بقولتهم عن إخوانهم في الاعتقاد، والسنة، والأثر: (هم أضر من اليهود والنصارى) و (فلان زنديق) ؟؟ "(٣).

---

(١) إعلام الموقعين (٥/٣٨٧- ٣٨٨)

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين، بكر أبو زيد، ص (٢٨-٢٩).

(٣) المصدر السابق (ص: ٣٩).

وقال أيضاً: " وهذا (الانشقاق) في صف أهل السنة لأول مرة، - حسبما نعلم - يوجد في المنتسبين إليهم من يشاقهم، ويجند نفسه لمثافنتهم[١] والوقوف في طريق دعوتهم، وإطلاق العنان للسان يفري في أعراض الدعاة، ويلقي في طريقهم العوائق في: (**عصبية طائشة**)"[٢].

وقال أيضاً: " ولا يلتبس هذا الأصل الإسلامي بما تراه مع بلج الصبح ، وفي غسق الليل من ظهور ضمير أسود وافد من كل فج استعبد نفوساً بضراوة أراه: (تصنيف الناس) وظاهرة عجيب نفوذها هي (رمز الجَرَّاحين) أو (مرض التشكيك وعدم الثقة) حمله **فئام غلاظ من الناس يعبدون الله على حرف** ، فألقوا جلباب الحياء ، وشغلوا به أغراراً التبس عليهم الأمر فضلوا وأضلوا.

فلبس الجميع أثواب الجرح والتعديل، وتدثروا بشهوة التجريح ونسج الأحاديث، والتعلق بخيوط الأوهام، فبهذه الوسائل ركبوا ثبج التصنيف للآخرين للتشهير والتنفير، والصد عن سواء السبيل.

ومن هذا المنطلق الواهي غمسوا ألسنتهم في ركام من الأوهام والآثام، ثم بسطوها بإصدار التهم والأحكام عليهم، والتشكيك فيهم وخدشهم، وإلصاق التهم بهم، وطمس محاسنهم، والتشهير بهم، وتوزيعهم أشتاتاً وعزين في عقائدهم وسلوكهم، ودواخل أعمالهم وخلجات قلوبهم، وتفسير

---

(١) المثافنة: المجالسة، والمنافثة: الكلام ؛ فكأنه ﷺ يعني سوء المجالسة والمنافثة .

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين، بكر أبو زيد (ص: ٤٠).

مقاصدهم، ونياتهم، كل ذلك وأضعاف ذلك ما هنالك من الويلات، يجري على طرفي التصنيف الديني واللاديني "(١).

وقال أيضاً : " إحذر (**الفتانين**) **دعاة الفتنة** الذين يَتَصَيَّدون العثرات وسيماهم: جعل الدعاة تحت مطارق النقد، وقوارع التصنيف، موظفين لذلك: الحرص على تَصَيُّد الأخطاء، وحمل المحتملات على المؤاخذات، والفرح بالزلات والعثرات ، ليمسكوا بها بالحسد والثلب واتخاذها ديناً.

وهذا من أعظم التجني على أعراض المسلمين عامة وعلى الدعاة منهم خاصة.

وسيماهم أيضاً: توظيف النصوص في غير مجالها، وإخراجها في غير براقعها، لتكثير الجمع، والبحث عن الأنصار ، وتغرير الناس بذلك.

فإذا رأيت هذا القطيع فكبر عليهم، وولهم ظهرك ، وإن استطعت صد هجومهم وصيالهم فهو من دفع الصائل.

وقال: اعلم أن (تصنيف العالم الداعية) وهو من أهل السنة، ورميه بالنقائص، **ناقض من نواقض الدعوة، وإسهام في تقويض الدعوة، ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير، وبقدر هذا الصد ينفتح السبيل للزائغين**"(٢).

قال شيخ الإسلام: " ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة أهل البيت وغيرهم

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، بكر أبو زيد، (ص: ٩).

(٢) السابق (ص: ٧٨ – ٧٩).

قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونا بالظن ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك مالا ينبغي اتباعه فيه وإن كان من أولياء الله المتقين .

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل وابتاعه عليه وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه بل في بره وكونه من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان،

وكلا هذين الطرفين فاسد والخوارج والروافض وغيرهم من ذوي الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه فيعظم الحق ويرحم الخلق ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ويبغض من وجه هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم [١] " .

وقال ابن تيمية في معرض كلامه عن علماء الأشاعرة أمثال الباجي الذي أخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي الأشعري، والقاضي أبي بكر ابن العربي الذي أخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد:

" ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٥٤٣، ٥٤٤) .

والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف لكن لما التبس عليهم هذا لأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم، لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات، ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠]، ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه، فقل من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب، وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك

والارتياب[١]"، "وبكل حال فالجهال والضلال، قد تكلموا في خيار الصحابة، وفي الحديث الثابت، لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدا، وإنه ليرزقهم ويعافيهم [٢] .

وقد كنت وقفت على بعض كلام المغاربة في الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ فكانت فائدتي من ذلك **تضعيف حال من تعرض إلى الإمام**، ولله الحمد [٣] " .

فـ"من الناس من **طبعه طبع خنزير** يمر بالطيبات فلا يلوى عليها فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمه وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه فإذا رأى سقطة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجعلها فاكهته ونقله [٤]"، "وطفق يُشنّع على مَن خالفه وينسبه للجهل والزّيغ والابتداع؛ فهو الأجدر بذلك؛ لأنّه ملوم بتقصيره في الفهم، مذموم على وقوعه في أعراض العلماء بغير حقّ ولا مسوّغ شرعيّ؛ بل حمله على ذلك التّعصّب والحسد وقلة الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فنعوذ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠٢، ١٠٣) وسبق مختصراً

(٢) أخرجه البخاري في الأدب: باب الصبر في الأذى ١٠ / ٤٢٦ ، ومسلم (٢٨٠٤)

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٤ ط الرسالة) وهو يتكلم عن الإمام الشافعي

(٤) المدارج ١/ ٦٩٥.

بالله ممن هذا حاله"[١]، ويحك " أتدري فيمن تتكلم ؟!!...، كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات "[٢]

وقال الشيخ حماد الأنصاري: "سألني بعض الشباب ما تقول في قراءة كتب المبتدعة مثل ابن حجر والنووي - وغيرها؟ فقلت لهم: **لو كنت مسؤولاً لكبلتكم ورميتكم في السجون. وسؤالهم هذا سؤال إضلال وضلال**"[٣]

وقال : "**لو كان لي سلطان على الذي يقول بعدم القرءاة في فتح الباري وشرح النووي على صحيح مسلم لأخذته وسجنته حتى يتوب وهذا القول لا يقوله إلا سفيه** "[٤]

قال الأستاذ الدكتور الشيخ الأصولي أحمد سبالك[٥]: هدم الرموز:

نفس الذي كان من أكثر من ٢٥ عاماً موجود الآن !

بعض صغار - لا أستطيع أن أقول طلبة العلم ، هم أقل من ذلك بكثير! - يتكلمون في الأئمة الكبار: النووي فيه كذا، ابن حجر فيه كذا، فلان فيه كذا !!

---

(١) الكشف المبدي (ص٢٠٤).

(٢) ميزان الاعتدال (٣ / ٤٧٩) (٣ / ١٣٨ – ١٤٠) وانظر كتاب " فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف"، د. عبد الرحمن بن أحمد علوش.

(٣) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (٢/ ٥٨٤)، وهذا رغم تصريحه رحمه الله بأشعرية النووي !

(٤) المجموع (٢/ ٥٨٢)

(٥) وهو من العلماء الذين نصح الطعان بمتابعتهم !

ثم تكلم الأستاذ الدكتور عن فتح الباري للحافظ ابن حجر وأهميته ثم قال:

ويأتي فِلس لا وزن له؛ لا يزن عند الله جناح بعوضة ويقول: ابن حجر فيه وفيه !

ثم قال: سؤال دائماً أسأله لأبنائنا الصغارهو: لمصلحة من هدم الرموز؟

ثم قال عن أولئك الصغار: " يتشدقون بين الناس أنهم أصحاب اعتقاد ، مع أنهم لا اعتقاد لهم"، ثم تكلم عن آخر كتاب مخطوط طُبع للإمام النووي ، فقال: طبعه ابنٌ لنا هو الأستاذ الدكتور أحمد بن علي الدمياطي(١).

وقال: يا ناطح الجبل يوما ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

هؤلاء جبال

ثم قال لمن يطعن: **ماذا خلَّفت أنت لنا إلا كل سوءٍ**

لا مانع أن يخطيء النووي لكن هل أنت الذي سيخطئ الإمام النووي !

وقال: يقولون : هم رجال ونحن رجال!!

نعم : هم رجال: هذا معلوم، أما أنت من الرجال؟ ؛ غير معلوم !!

لمصلحة من هدم الرموز، هذه الكوكبة من الأئمة الذين حرسوا لنا الدين !

ثم قال: أصحاب الغزو الفكري يبثون مثل هذه الشكوك، في الظاهر يضرب فلاناً، لكن في الباطن يضرب فيما يحمله فلان !

---

(١) وسماه الأستاذ الدكتور أحمد سبالك "القلم"، وإنما هو في الحروف والأصوات

لا تكن كمن قال الله فيهم ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] ، هؤلاء القراء يحملون كتاب الله وسنة رسوله ‘، والاستهانة بالشخص استهانة بما يحمله في رأسه، فلما تتكلم عن إمام شهدت له الدنيا بما ترك من نور، تأتي أنت الفِلس وتقول: فيه كذا وكذا!، تأدب

وقال: أنت الذي ما علمنا منه إلا سوءً، ونصح: **لا تنجرف كالببغاء.**

ونصح: **احفظ لحوم العلماء فإنها مسمومة**، هؤلاء حملوا لك الدين، هؤلاء شرحوا لك كتبا ، إذا أنت الآن – بل بملايين العقول مثل عقلك – لن تصل إلى شرح كلمة من هذه الكتب !

ثم تكلم عن فتنة الحدادية قديماً وأنهم أحرقوا الفتح وشرح مسلم ، بنفس الدعوى الآن !، فالشيخ ابن باز أخرجهم من المملكة[١].

ثم قال حفظه الله: هؤلاء أئمة كبار، فلا تهون منهم؛ لأن الاستهانة بهم استهانة بمن خلفهم، وتذكر أن الله تعالى أنزل في كتابه أن الاستهانة بالأئمة ليست بالأئمة كأشخاص !؛ الاستهانة بما يحمل هذا الإمام من آيات ومن سنة ؛ عدّها كفراً بواحاً. ثم قال: **أنت مَنْ حتى تقول : فلان فيه ؟!**

سيظل النووي هو النووي، وابن حجر هو ابن حجر، سيظلون أسيادنا

---

(١) واشتهرت تحذيرات العلماء من الحدادية

ثم نصح السامعين وغيرهم: فكن مع من اختارهم أئمة ، ولا تكن مع ضدهم ! [١].

وقال ابن عساكر ﵀ تعالى : "اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلني وإياك ممن يتقيه حق تقاته: أنّ **لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك من ناوأهم معلومة، وقلّ من اشتغل في العلماء بالثلب إلا عوقب قبل موته بموت القلب.**

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]".

وعلامة موت القلب طلب الدُّنْيَا بعمل الآخرة، وبُدُوّه: مرض القلوب، وبُدُوّ مرض القلوب الطّمع في المخلوقين، وعلامة الطمع في المخلوقين الاشتغال بهم، والتزين باللباس، والادعاء لإقامة الجاه والعَيْش، ومن لا يستغني بالله افتقر إلى النَّاس [٢]

وأبلغ منه ما روي عن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ [٣]

وهذا أيضاً له علامة !

---

(١) بتصرف من مرئية "الأستاذ الدكتور أحمد سبالك يبين فساد منهج الحدادية، لمصلحة من هدم الرموز؟"

(٢) قاله محمد بن يوسف البنّاء. تاريخ الإسلام ت تدمري (٢١/ ٣٠٢) بتصرف يسير

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص٤٠)

قَالَ أمير المؤمنين عُمرُ ﷺ: مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ"[١]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَكَرِيَّا مثله، وزاد: "وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"[٢]، **وصاحب البدعة ميت القلب، مظلمه**، وقد جعل الله الموت والظلمة صفة من خرج عن الإيمان، والقلب الميت المظلم الذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ، ولهذا وصف الله ﷻ هذا الضرب من الناس بأنهم أموات غير أحياء، وبأنهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مستولية عليهم في جميع حياتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، وأعمالهم مظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة، وإذا قسمت الأنوار يوم القيامة دون الجسر للعبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النار مظلم، وهذه الظلمة، التي خلق فيها الخلق أولاً، فمن أراد الله ﷻ به السعادة أخرجه منها إلى النور، ومن أراد به الشقاوة تركه فيها[٣].

---

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي(٣/٣١٦)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (ص٤٤)، المعجم الأوسط للطبراني (٢/ ٣٧٠) ٢٢٥٩

(٢) الزهد لابن أبي عاصم (ص٣٨)، أمثال الحديث لأبي الشيخ (ص٢٩٣) ٢٥١

(٣) اجتماع الجويش الإسلامية، لابن القيم، ٢/٣٩ -٤٠ بتصرف.

وسئل الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لكشف الشبهات: بعض طلاب العلم جعل لنفسه حكما على العلماء الراسخين في العلم، يخطئ بعضهم ويصوب بعضهم ... فما نصيحة فضيلتكم لمن هذا حاله وفقكم الله؟

ج: أسأل الله جل وعلا التوفيق للجميع، هذه المسألة لا شك أنها **من آثار ضعف العلم**؛ لأن طالب العلم إذا تعلم بان الفضل لأهله واحتقر نفسه عند الراسخين في العلم؛ لأنه يجل العلم، أما إذا كان العلم عنده لا شيء، ليس له تلك القيمة في نفسه، فإنه سيتجرأ كثيرا، وكلما كان المرء أكثر علما كان أكثر عملا، وكان أكثر توقيرا لأهل العلم.

مثلا : انظر بعضهم تكلم في بعض الأئمة كأبي حنيفة رحمه الله وكغيره من بعض السلف أو من تبعهم - السلف نعني به المتقدمين -، بينما إذا نظرت إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية العالم الإمام شيخ الإسلام فلا تجد في كتبه قدحا في أبي حنيفة، كان يخفى عليه ما قيل فيه؟ لا؛ بل هو معروف، بل صنف كتابه المعروف رفع الملام عن الأئمة الأعلام، من هم؟ أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة، فأهل العلم يرفعون راية العلماء، ولا يزهدون الناس فيهم، ينشرون محاسنهم، ويطوون ما يظن أنه نقص بحقهم؛ لأنه من المعلوم أنه ليس من شرط العالم أن يكون مصيبا في كل مسألة، أو أن يكون تقيا في كل مسألة، ليس هذا من شرط العالم، إنما هذه كمالات النبوة أما العلماء فإذا أن صوابهم أكثر وكان نفعهم أكثر هم العلماء، وهكذا أهل العلم في كل زمان؛ يعني أهل العلم

المتابعين لطريقة السلف دائما يكون خطؤهم قليلا، بجانب صوابهم.

وإذا كان كذلك فإن طالب العلم ينشر محاسن العلماء، وإذا وقع في نفسه شيء مما لم يصيبوا فيه، أو يظن أنهم لم يصيبوا فيه، إما أن يراجعهم في ذلك ليستفسر أو أن يترك قوله لقولهم، إذا أجمعوا على شيء أو اتفقوا عليه، أو يذهبوا إلى قول بعضهم بدليله، هذا الذي ينبغي.

أما نشر أخطائهم هذا جناية على الشريعة بعامة لأنك إذا زهّدت الناس في العلماء فمن يتبعون؟ يوشك أن يأتي الزمان الذي وصفه عليه الصلاة والسلام بقوله «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء لكن يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالما -وفي رواية حتى إذا لم يبق عالم- اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» هم اتخذوا رؤوساً، لم؟

لأن هذه الرؤوس ظنوا فيها العلم؛ لكن في الحقيقة هم جهال، وسئلوا لأنه ظن أنهم من أهل العلم فأفتوا فضلوا وأضلوا.

وبعد: فهذ هو الرد التفصيلي على كتاب الطعان في النووي الإمام رحمه الله

وهذا الفصل كتبته استجابة لإشارة من أحب، وإلا ففيما تقدم من تراجع الإمام النووي ما يرد كل طعونات هذا الطعان، وفيما تقدم من تأصيلات أهل السنة في التعامل مع المجتهد المخطئ ما يدفع كلمات الطعان في نحره، ولكن لعل في هذا الفصل ما يكشف عن جهله وخطئه وظلمه وبغيه !، ولن أستقص في الرد على كل كتابه ، وإنما أكشف عن بعض ما فيه !

واللبيب تكفيه الإشارة [(١)] فأقول بحول الله وقوته:

عنون الطعان كتابه بـ (عقيدة النووي وبيان قول السلف فيها) !

وهذا العنوان غير مطابق لمضمون الكتاب !

وإن شئت قُل: هذا أول الكذب على الإمام النووي، بل وعلى السلف !!

---

(١) وإنما أطلت في التأصيل استئصالاً لتلك البادرة الملعونة، وحتى يُنتفع بها في كلِّ رد عليهم ، وفي كلِّ دفاع عن إمام من أئمة السنة !

انظر تصنيف الناس للشيخ بكر أبي زيد ص ٩٤

ولمن يقول: لماذا نعتَّه بالطعانِ؟، أقول: لأنه كثير الطعن في العلماء !

فإن قيل : هلا تلطفت في الخطاب؟

قلت: **إلى كم نحتمل منه سوء الأدب؟ ، إنّما نحترمه ما احترم الأئمة !**

وهذ النص مقتبس من قصة ذكرها الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٥٨١) ، وانظر الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام (ص٣١٧)

حيث لم يذكر في الكتاب عقيدة الإمام النووي !، ولا أصول اعتقاده ، ولا منهجه في مسائل العقيدة !!، بل حتى لم يجمع أقواله على أبواب العقيدة

وإنما تصيد بعض أخطاء الإمام النووي[١] ، وحمّلها فوق ما تحتمل، ثم طعن بها في الإمام النووي وبدّعه وضلله !، ولو كان ناصحاً لأتى بأقواله كلها في أبواب العقيدة ، ثم بيّنَ مواطن الخطأ فيما يؤجر فيه النووي أجراً واحداً، بلا تهوين ولا تهويل !

ثم إننا لا نحتاج منه إلى فعل هذا ؛ لأن من أهل الفضل من فعل ذلك وفي عدة رسائل علمية أكاديمية ، بجامعاتنا الإسلامية، وقد سبق ذكرها والحمد لله رب العالمين!

والكلام الذي نقله عن السلف لم يوجه للإمام النووي أصلاً، وكثير منه لا ينطبق على قوله.

ثم السلف عنده هم "القرون الثلاثة فقط"، كما صرح به في رده على أبي الحسن الأزهري[٢]

---

(١) و"**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**"، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

انظر سنن ابن ماجه (٤٢٥١) وحسنه الألباني.

(٢) ولا أدري هل تأثر في هذا ببلديه الذي زعم وكتب أن "السلفية مرحلة زمنية مباركة"! أو تأثر حسن بن فرحان المالكي؛ انظر قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص١٣١)

فما باله هنا ينقل عن علماء آخرين بعد القرون المفضلة؟

وهم عنده ليسوا من السلف؟!

وأما نحن فنقول: " السلف الصالح " عند أهل السنة جميعاً: هم الصحابة جميعا، وتابعوهم على الإيمان والإحسان، وتابع تابعيهم، خير القرون بتزكية رسول الله ﷺ لهم حين قال: "خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" ثم ذكر الخلوف بعدهم.

ومن سار على نهج هؤلاء السابقين المهديين وتقدم: كان سلفاً لمن تأخر[١]؛ فالسلف يشمل من اقتدى بهم على مر الزمان، أما من لم يتبعهم بإحسان فليس من السلف ولو أدرك زمن الصحابة والتابعين[٢]!

---

(١) قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة (ص١٣٣)

والحديث رواه البخاري (٢٦٥١) و (٣٦٥٠) و (٦٤٢٨) و (٦٦٩٥) ، ومسلم (٢٥٣٥) ، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال: (لا أدري، أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة) .

ورواه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: البخاري (٢٦٥٢) و(٣٦٥١) و(٦٤٢٩) و(٦٦٥٨) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

ورواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم (٢٥٣٤) .

ورواه من حديث عائشة رضي الله عنها: مسلم (٢٥٣٦) ، وذكرت فيه ثلاثة قرون.

(٢) التحديد الدقيق للتعريف بالسلف يشمل:

أولا: التحديد الزمني: ليشمل الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، وهذا لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف، وفائدة هذا التحديد الرجوع إلى أقوال رجال هذا الزمن وإلى فهمهم عند الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم.

وهذه مسألة مهمة جدا؛ إذ الخلاف الحاصل بعد القرون المفضلة بين من يتمسك بمذهب السلف ومن عداهم من أهل الأهواء والبدع لا يمكن حسمه إلا بالاتفاق على مثل هذا التحديد التاريخي ليحتكم إلى إجماعهم- إذا أجمعوا- أو أقوالهم، أو فهمهم للنصوص.

ولا يعني هذا حصر مذهب السلف في هؤلاء، لأن كل من قال بقولهم فهو على السلف وإن تأخر.

ثانيا: ثم يأتي بعد ذلك بيان أن الفهم والمنطلق يجب أن يكون بما يوافق الكتاب والسنة، فمن ابتدع في أمر من الأمور واتخذ لبدعته منهاجا خاصا، لا يكون قوله قولا للسلف، ولو كان هذا في القرون الأولى، لأن وجوده في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه سائر على مذهب السلف.

ثالثا: بعد ظهور الافتراق يصبح مدلول " السلف " منطبقا على من حافظ على العقيدة والمنهج الإسلامي، طبقا لفهم الأوائل الذين تلقفوه جيلا بعد جيل، فمن سار على طريقة الصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين اتبعوا ولم يبتدعوا فهو سائر على مذهب السلف، وهو أيضا بالنسبة لمن بعده من السلف.

والخلاصة أن مصطلح السلف صار له مدلولان: **مدلول خاص**: وهذا ينطق على مذهب الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان، ممن لم يبتدعوا، وهذا فيه حصر تاريخي.

ومدلول أعم: يشمل ما بعد هذه القرون المفضلة، وهذا شامل لكل من سار على طريقة ومنهج خير القرون، والتزم النصوص والفهم الذي فهموه.

موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٠ ، ٤١)

ثم قال الطعان: **(تصنيف محمد بن شمس الدين)**

وهذا خطأ ! ؛ ففي الفروق اللغوية[١] : أَن التَّأْلِيف أَعم من التصنيف وَذَلِكَ أَن التصنيف تأليف صنف من الْعلم، **وَلَا يُقَال للْكتاب إِذا تضمن نقض شَيْء من الْكَلَام مُصَنف** لِأَنَّهُ جمع الشَّيْء وضده وَالْقَوْل ونقيضه والتأليف يجمع ذَلِك كُله.

ثم في قوله عن نفسه (**بن شمس الدين**) !

وأقول : حقيقةً لا أدري : هل هذا لقبُ أبيه الذي يُعرف به بين الناس – أو كان أبوه يُعرف به – ، أم أن الطعان هو الذي شمَّسَهُ؟، لا سيما وقد كان قديماً يقول عن نفسه : "محمد السلمان"!

ولو كان قال : "محمد شمس الدين"، لقلنا: هذا لَقَبٌ لقّبَ به نفسه! ؛ فيكون مكروهاً عند جمع من أهل العلم !، منهم الإمام النووي والعلامة الألباني.

وقد استفتح الطعان كتابه بكلمة (مقدمة)، ثم: (بسم الله والحمد لله...)

والاستفتاح إنما يكون بالبسملة أولاً ؛ "بسم الله الرحمن الرحيم"

وانظر ما شئت من كتب الحديث

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص١٤٥ ت محمد سليم) بتصرف

ولو كان يعتذر للأئمة لاعتذرنا له بأن المسألة اصطلاحية !، كما قال الشيخ عبد الكريم الخضير في شرح الموطأ – (٥٧/ ٥ الشاملة)

فمن منهم بدأ كتابه: **مقدمة، بسم الله والحمد لله !**

ثم ذكر الطعان خطبة الكتاب ، وليس فيها الشهادة لله بالتوحيد ولا لنبيه ﷺ بالرسالة، و"كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء[١]"

وتصانيف الأئمة من شيوخ البخاري وشيوخ شيوخه وأهل عصره كمالك في الموطأ، وعبد الرزاق في المصنف، وأحمد في المسند، وأبي داود في السنن إلى ما لا يحصى ممن لم يقدم في ابتداء تصنيفه خطبة، لم يزد على التسمية، وهم الأكثر، والقليل منهم من افتتح كتابه بخطبة، **ومن افتتح كتابه منهم بخطبة حمد وتشهد** كما صنع مسلم، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[٢].

وقارن بين هذه وبين مقدمات الإمام النووي لأي كتاب من كتبه !

قال الطعان :" لما رأيت أن هناك من يقول: إن النووي إمام لأهل السنة والجماعة"

قلت: هذا تدليس قبيح؛ حيث زعم أن هناك من يقول ...، ولم يذكر من هؤلاء القائلين، وقد سبق سرد بعضهم ، بل **وانعقد الاتفاق على إمامته**، ولا نعلم

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٤١) والترمذي (١١٣٢) و أحمد(٨٠١٨)، وصححه ابن حبان (٢٧٩٦) و (٢٧٩٧) والألباني في "الصحيحة" (١٦٩)

واليدُ الجذماء: المقطوعة . جلاء الأفهام (ص٤٣٧)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩ ط السلفية) بتصرف واختصار

عالماً من علماء أهل السنة من زمان النووي إلى زماننا هذا ينكر أو يجحد إمامة النووي وفضله !

أما هذا الطعان فقد كذب وافترى حين قال عن النووي وغيره من "الأجلة": "بالنسبة لأهل السنة: لا علماء ولا شيء"(١)!

فنقول: سمَّ لنا أهل السنة هؤلاء الذين يقولون عن النووي: " لا علماء ولا شيء "

فإن لم تفعل فاحذر هذا الحديث الصحيح؛ قال رسول الله ﷺ: "وَمَنْ قَفَا مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً، حَبَسَهُ اللهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ" وقد سبق.

وفي بعض مرئياته سوَّغ تكفير الإمام النووي ؛ لأنه أشعري!

فنقول: من سبقك من العلماء إلى هذه الفرية الجسيمة ، " وَمَنْ بَهت مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمنَةٍ حَبَسَهُ اللهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ، وَلَيْسَ بِخَارِجٍ"

وبعض من يُنسب له ، أو ينتسب هو له، كفّر الإمام النووي فعلا !

فنقول لمن فعل هذا : أبشر بما رواه البخاري في الأدب المفرد أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: " إِذا قَال للآخَر كَافر فَقد كَفر أَحدُهُما، إنْ كَان الَّذِي قَال لَه كَافِرًا فَقد صَدق وإنْ لَمَ يَكن كَما قَال لَه فَقد بَاء الذِّي قَال لَهُ بالكُفْرِ " (٢)

---

(١) يوتيوب: مرئية له بعنوان: "هل إياد قُنيبي كافر"؟!

(٢) الأدب المفرد ت الزهيري(ص٢٢٥): ٤٤، وصححه الألباني وأصله في الصحيحين. وانظر الصحيحة (٢٨٩١)

وأما الطعان فحَكمَ أخيراً على الإمام النووي بأنه **جهمي مبتدع**، ولم يُكَفِّره، وإنما كفَّرَ غيرَه من العلماء [١]!، فله من الحديث السابق نصيب، إن شاء الله !

قال الطعان :(حرصت على أقوال من يبين أن ما قاله النووي ليس قول أهل السنة)

قلت: هذا تدليس قبيح؛ حيث أوهم أن هذه الأقول من أصحابها رداً على الإمام النووي !

ولم يذكر من أقوال السلف قولاً وجهه صاحبُه إلى النووي !

فلو قال "ما يبين" لكان له حظ من النظر، إنما قال "من يبين" !

قال الطعان: (قد أنقل عن المتأخرين والمعاصرين أحياناً لما لكلامهم من وقع عند عدد من المسلمين)

قلت: وهل أنت من هذا العدد؟!، أم شمخت بأنفك تعالياً عليهم ؟!!

ومن هم المتأخرون والمعاصرون؟

نقول: إن نقل كلام علماء أهل السنة المتأخرين ـ كشيخ الإسلام وغيره ـ ، والمعاصرين كابن باز ـ وغيره ـ، ليس فقط لوقع كلامهم عند عدد من المسلمين!، بل لمنزلتهم عند أهل السنة والجماعة، ولأهمية كلامهم في فهم كلام السلف ؛ فهم أفهم منا لكلام السلف وأدرى بمواقع تطبيقه وتنزيله

---

(١) مرئية حوار مع محمد بن شمس الدين ينتهي بتكفير السيوطي وتضليل النووي !

ولما خالفتَهم في إنزال الأحكام - تكفيراً وتضليلاً - **انحرفتَ عن أقوالهم واتفاقهم** على تعديل الإمام النووي، ثم زعمتَ أن: "أصل الحجة عندنا في فهم الوحي كلام الأولين" !

ومن أنتم حتى يكون لكم عند؟!

وقل لي بربك مَنْ مِنْ أهل السنة والجماعة يستغني عن قواعد وتقريرات ابن تيمية لفهم كلمات السلف !

وقد مثّلتُ لك فيما سبق بكلمة موجزة عن "اثبات الحد لله تعالى" وسيأتي مزيدٌ إن شاء الله تعالى

قال الطعان تحت عنوان : "انكار علو الله"

(علق [أي الإمام النووي] على حديث الجارية: "هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا مَرَّاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ أَحَدُهُمَا الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَوْضٍ فِي مَعْنَاهُ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَالثَّانِي تَأْوِيلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ " ثم ذكر تأويلات الجهمية .

أولها: "الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اسْتَقْبَلَ السَّمَاءَ كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي السَّمَاءِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ"

والثاني: " هِيَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَلَمَّا قَالَتْ فِي السَّمَاءِ عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَةٌ وَلَيْسَتْ عَابِدَةً لِلْأَوْثَانِ"

وقال [أي الإمام النووي] مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا بَلْ يَقُولُونَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَنَعْتَقِدَ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ ﷻ وَعَظَمَتِهِ مَعَ اعْتِقَادِنَا الْجَازِمِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّجَسُّمِ وَالِانْتِقَالِ وَالتَّحَيُّزِ فِي جِهَةٍ)

وأحال الطعان على شرح النووي على مسلم (٥/ ٢٤) (٣/ ١٩)

ثم قال الطعان: (ومعلوم أن أهل الكلام يسمون العلو : تحيز وجهة)

قال أبو الفضل: **أولاً**: يسمونه "**تحيزاً وجهةً**" بالنصب لا بالرفع، رفع الله عنك الغشاوة !، **فإن قيل هذا أمر يسير !**

قلنا: كيف لجاهل باللغة يلحن فيها ، بل وفي بعض آيات القرآن الكريم –كما في بعض مرئياته – أن يعدل ويجرح؟ فضلاً عن أن يقوّم الأئمة؟!

ثانياً: لم يبين لنا موقفه من "التحيز والجهة" ، و"التجسم والانتقال": هل ينفيهما كأهل الكلام؟ أم يُثبتهما؟ أم يفصل كما فصل أهل السنة؟!

وإن فصّل: فليذكر لنا سلفه في هذا التفصيل من المتقدمين إذ إن أصل الحجة عنده في فهم الوحي كلام الأولين، كما قاله !

أما أنا فأقول بقول علمائنا: " وَأَنَا لَا أَقُولُ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأَمَةِ

فَإِنْ أَرَادَ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ، أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ رَبٌّ وَلَا فَوْقَ الْعَرْشِ إلَهٌ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يُعْرَج بِهِ إلَى رَبِّهِ، وَمَا فَوْقَ الْعَالَمِ إلَّا الْعَدَمُ الْمَحْضُ : **فَهَذَا بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا.**

وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ لَا تُحِيطُ بِهِ مَخْلُوقَاتُهُ، وَلَا يَكُونُ فِي جَوْفِ الْمَوْجُودَاتِ: فَهَذَا مَذْكُورٌ مُصَرَّحٌ بِهِ فِي كَلَامِي " [١]، يعني أنه حقٌّ مُصَرَّحٌ بِهِ فِي كَلَامِه:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به - سواء عرفنا معناه أو لم نعرف - لأنه الصادق المصدوق؛ فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه **وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها** مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة

وما تنازع فيه المتأخرون نفيا وإثباتا فليس على أحد - بل ولا له -: أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده ؛ فإن أراد حقا قُبل ، وإن أراد باطلا رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ، **كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك،** فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٢٥)

وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك ، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق ، والخالق مباين للمخلوق ﷻ ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟

فالله ليس داخلا في المخلوقات

أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟

فلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات

وكذلك يقال لمن قال الله في جهة: أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟

أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟

فإن أردت الأول فهو حق

وإن أردت الثاني فهو باطل"(١).

فـ"لا ينبغي إطلاق لفظ الجهة والمكان ولا إثباتها، لعدم ورودهما في الكتاب والسنة، فمن نسبهما إلى الله فهو مخطئ لفظاً، إن أراد بهما الإشارة إلى إثبات صفة العلو له تعالى، وإلا فهو مخطئ معنى أيضاً إن أراد حصره تعالى في مكان

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤١، ٤٢) وانظر "التدمرية "(ص: ٦٥، ٦٦) ، والتعليق على القاعدة المراكشية ص ٦٧

وجودي، أو تشبيهه تعالى بخلقه" [١]؛ **فالله منزه عن المكان**[٢] **باتفاق جميع العلماء الإسلام**، لماذا؟ لأن الله كان ولا شيء معه، وهذا معروف في الحديث الذي رواه البخاري: " كان الله ولا شيء معه "، معناه: كان ولا مكان له؛ لأنه هو الغني عن العالمين، هذه حقيقة متفق عليها [٣].

و: "لفظ التحيز... ونحو ذلك ألفاظ مجملة ليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى، لا نفيًا ولا إثباتًا، وحينئذ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب "أهل السنة

---

(١) مختصر العلو ص٧٢

(٢) يعني المكان المخلوق

(٣) دروس للشيخ الألباني (٣/ ٣ الشاملة)، وانظر جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة (٧/ ٩٧٨)، منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، ص١٣٢ - ١٣٣) لابن عثيمين نقلاً عن مقالات موقع الدرر السنية (٣/ ٣٤٢ الشاملة ، مقال في نقد كتاب المتشددون منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم)، وانظر: التدمرية (ص ٦٦ - ٦٧)، مجموع الفتاوى (٣/ ٤١ - ٤٢)، (٤/ ٥٨ - ٥٩)، (٥/ ٢٦٢ — ٢٦٣، ٢٩٨ - ٢٩٩)، (٦/ ٣٨ - ٤٠)، درء التعارض (١/ ٢٥٣ - ٢٥٤)، التسعينية (١/ ١٩٢)، جلاء العينين (ص ٣٥٩)، غاية الأماني للألوسي (١/ ٧٧، ٤٩٣)، آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف) (ص٣٠٩)

والجماعة" بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه "أهل الكلام" الخائضون في ذلك"(١).

و" لفظ التحيز: إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر؛ بل قد وسع كرسيه السموات والأرض وقد قال الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ . وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: "يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟" ... وفي حديث ابن عباس: "ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم"

وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات؛ أي مباين لها منفصل عنها ليس حَالًّا فيها: فهو سبحانه وتعالى كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه" (٢)

ثالثاً: لماذا كتمتَ عن الناس إثبات الإمام النووي للعلو **ورجوعه إلى مذهب السلف**؛ فللشيخ مشهور حسن رسالة الردود والتعقيبات، قال حفظه الله: وهي مطبوعة قديماً، ولي عليه زيادات فرغت منها، **أثبتُ فيها رجوع الإمام**

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠٥ - ٣٠٦) وانظر التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (١/ ١٤٠)، والتعليق على القاعدة المراكشية ص ٦٦

(٢) مجموع الفتاوى(٣/ ٤١، ٤٢) وانظر "التدمرية "(ص: ٦٥، ٦٦)، وشرحها للخميس (ص٢٢٦)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - الغنيمان (٢/ ١٨٠)

النووي إلى عقيدة السلف الصالح في باب الصفات[١]، وله رسالة مطبوعة بعنوان "عقيدة الإمام النووي[٢]"

فصحح حفظه الله كون الإمام النووي سلفي العقيدة ، وخاصةً في آخر حياته وأورد الأدلة على ذلك من مؤلفات النووي نفسه رحمه الله.[٣]

وكذا قال العلامة صالح العصيمي وغيره كما سبق، وللنووي رسالة طُبعت حديثاً جرى فيها على مذهب السلف ورد فيها على الأشاعرة [٤]، وذكر الذهبي أن النووي نسخ بخطه كتاب الإبانة عن أصول الديانة [٥]

وفي مجلس عقدوه لابن تيمية - كما حكى بنفسه رحمه الله فقال -: " أُحْضر كتابُ " الإبانة " وما ذكر ابن عساكر في كتاب " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري " **وقد نقله بخطه أبو زكريا النووي**. وقال فيه:

---

(١) حاشية تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين (ص٧١)

(٢) أصلها درس من شرحه المبارك لصحيح مسلم، فرغها بعض تلاميذه ، شَرِيطَ: ٣٤٧

(٣) سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية لأبي عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، ط: الدار العالمية للنشر – القاهرة ص ٦، التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٨٩-٢٩٢

(٤) الكتاب: جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، ت: أحمد بن على الدمياطي، الناشر: مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع.

(٥) انظر تحقيق العصيمي كتاب الإبانة عن أصول الديانة (ص٣٣)، كتاب العلو ٢/ ١٢٤٨، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ١٢٤)

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة: فعرفونا قولكم الذي به تقولون.

قيل له: **قولنا: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث. ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أحمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون ولما خالف قوله مجانبون،** لأنه الإمام الفاضل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين [(١)]".

وهذّب الإمام النووي طبقات فقهاء الشافعية لابن الصلاح ، وفيه الرد على من زعم أن الإستواء هو الاستيلاء، بل وصرح بأنه ﷻ فوق السماء [(٢)]

وقد سبق بيان هذا وتفصيله، فإن قال الطعان: لم يثبت ذلك عندي

قلنا له: ومن أنت حتى يكون لك عند؟! ، **وقد جزم برجوعه المحققون، واتفق على عدالته وإمامته الراسخون !**

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٤)

(٢) في ترجمة الخطابي وبيّن أن هذا قول الخطابي ، وذكره في معرض الثناء والتقرير، انظر التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر ص ٢٩٠، ٢٩١، وعقيدة الإمام النووي للشيخ مشهور حسن ص ٤٦

فإن قيل: إنما هو ناقل لقول غيره

قلنا: وهو كذلك ناقل لقول غيره في شرح مسلم !

رابعاً: لماذا حذفتَ من كلام الإمام النووي ما لابد منه؟

قال الإمام النووي: "قَوْلُهُ ﷺ : "أَيْنَ اللهُ "؟ ، قَالَتْ فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : "مَنْ أَنَا"، قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : "أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ "

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا مَرَّاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ أَحَدُهُمَا الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَوْضٍ فِي مَعْنَاهُ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ

وَالثَّانِي تَأْوِيلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ ، فَمَنْ قَالَ بِهَذَا قَالَ كَانَ الْمُرَادُ امْتِحَانَهَا هَلْ هِيَ مُوَحِّدَةٌ تُقِرُّ بِأَنَّ الْخَالِقَ الْمُدَبِّرَ الْفَعَّالَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اسْتَقْبَلَ السَّمَاءَ كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي السَّمَاءِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدَّاعِينَ كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ الْمُصَلِّينَ

أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَلَمَّا قَالَتْ فِي السَّمَاءِ عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَةٌ وَلَيْسَتْ عَابِدَةً لِلْأَوْثَانِ

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً فَقِيهُهُمْ وَمُحَدِّثُهُمْ وَمُتَكَلِّمُهُمْ وَنُظَّارُهُمْ وَمُقَلِّدُهُمْ أَنَّ الظَّوَاهِرَ الْوَارِدَةَ بِذِكْرِ اللهِ ﷻ فِي السَّمَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ وَنَحْوِهِ لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا بَلْ مُتَأَوَّلَةٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ

فَمَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ جِهَةِ فَوْقُ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَكْيِيفٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ تَأَوَّلَ فِي السَّمَاءِ أَيْ عَلَى السَّمَاءِ

وَمَنْ قَالَ مِنْ دَهْمَاءِ النُّظَّارِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْحَابِ التَّنْزِيهِ بِنَفْيِ الْحَدِّ وَاسْتِحَالَةِ الْجِهَةِ فِي حَقِّهِ ﷻ تَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَاتٍ بِحَسَبِ مُقْتَضَاهَا وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ

قَالَ: وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ كُلَّهُمْ عَلَى وُجُوبِ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الذَّاتِ كَمَا أُمِرُوا وَسَكَتُوا لِحِيرَةِ الْعَقْلِ وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْكِيلِ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفِهِمْ وَإِمْسَاكِهِمْ غَيْرُ شَاكٍّ فِي الوجود والموجود وَغَيْرُ قَادِحٍ فِي التَّوْحِيدِ بَلْ هُوَ حَقِيقَتُهُ ، ثُمَّ تَسَامَحَ بَعْضُهُمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَةِ خَاشِيًا مِنْ مِثْلِ هَذَا التَّسَامُحِ ، وَهَلْ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَإِثْبَاتِ الْجِهَاتِ فَرْقٌ؟ لَكِنْ إِطْلَاقُ مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ مِنْ أَنَّهُ ﴿الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَأَنَّهُ ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ مَعَ التَّمَسُّكِ بِالْآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلتَّنْزِيهِ الْكُلِّيِّ الَّذِي لَا يَصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُهُ وهو قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ عِصْمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى وَهَذَا كَلَامُ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى[1]

وهذا الكلام نقله الأمير الصنعاني في التحبير لإيضاح معاني التيسير (٥/ ٤٩٦، ٤٩٧) فهل من مبدع أو مضلل أو مكفر؟!

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥/ ٢٤، ٢٥) وانظر إكمال المعلم (٢/ ٤٦٥)

وانظر كيف فهم العلامة محمد علي آدم صاحب ذخيرة العقبى[١]، قال رحمه الله:

قال النووي رحمه الله[٢]: هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيها مذهبان: أحدهما: الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات المخلوقات...

قال محمد علي آدم: إن أراد عدم الخوض في الكيفية فذاك، وإن أراد الخوض في معرفة معناه اللغوي، فغير صحيح؛ لأن مذهب السلف أنهم يعرفون معناه اللغوي، ثم يثبتون ذلك لله سبحانه وتعالى على معنى يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. فتفطن، والله تعالى أعلم

وقال أيضاً: في كون السماء قبلة الدعاء نظر، إذ لا دليل عليه، بل الأدلة الكثيرة على أن الكعبة هي القبلة للصلاة والدعاء، فقد وردت أحاديث كثيرة، ستأتي في محلها أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا استقبل القبلة فتبصر. والله سبحانه وتعالى أعلم

ورد ذلك التأويل المذكور فقال: "ما أبعد هذا التأويل عن معنى هذا النص، وما أسمجه، وأسخفه!! فهل من عاقل يفهم لغة العرب إذا سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أين الله؟ "، وجواب الأمة بقولها: "في السماء" يفهم هذا التأويل منه، إن هذا لهو العجب العُجاب.

---

(١) في شرح المجتبى (١٤/ ٢٦١ - ٢٦٢) والبحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٢/ ٢٢١) وما بعدها.

(٢) وانظر كيف ترحم عليه !، خلاف أهل الفظاظة والهوى!

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتُ مُغَرِّبَا ... شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

وبالجملة فهذا تأويل ما أنزل الله به من سلطان، ولا ذهب إليه أولوا الهداية والعرفان، فالصواب الذي عليه المُعوّل هو المذهب الأوّل، وهو الذي كان عليه سلف الأمة، الذين كان الأسوةُ بهم عينَ الرحمة، ومخالفتهم سبب الضلال والنقمة، رضي الله عنهم أجمعين، وسلك بنا مسلكهم الأمين. آمين آمين آمين"

فلم يقصر رحمه الله في الترجيح والبيان، ولم يكن بالطعان ولا اللعان؛ لأنه من أهل الإيمان، نحسبه والله حسيبه.

والطعان حذف كلام القاضي ، وقد قال العلامة آدم الإتيوبي: كلام القاضي رحمه الله سبحانه وتعالى الأخير هو الذي نعوّل عليه، فنثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبته، فلا نعطل، وننفي عنه التشبيه، فلا نمثل، وأما قوله: ويا ليت شعري إلى قوله: وهل بين التكييف وإثبات الجهة فرق؟ فكلام غير صحيح، إذ الفرق بينهما واضح حيث إن التكييف غير جائز، لقوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأما إثبات الجهة بمعنى أنه سبحانه وتعالى فوق العرش، وفوق مخلوقاته فوقية تليق بجلاله سبحانه وتعالى، فصحيح جائز الإطلاق، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ الآية [النحل: ٥٠]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] الآية، ولحديث الباب: "أين

الله؟ قالت: في السماء"... إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة الصريحة التي تثبت الفوقية لله ﷻ. والله ﷻ أعلم[١]

أما الجَهْمِية فتحكم بِكفْر من يَقُول " إِن الله فِي السَّمَاء "[٢]

قال أبو الفضل: فهل اتهام النووي بإنكار العلو وإنزال كلمات السلف عليه من العدل والإنصاف أم من الظلم والاجحاف؟، وقد سبق اثبات النووي العلو لله ﷻ بنص حديث الجارية !

ثم لم تذكر لنا من قال أن هذه التأويلات بعينها "تأويلات الجهمية" !

كيف وفي تفسير الإمام الشافعي [٣] عن الحديث: كأن النبي ﷺ خاطبها على قَدرِ معرفتها، فإنها وأمثالها - قبل الإسلام - كانوا يعتقدون في الأوثان أنها آلهة في الأرض، فأراد أن يعرف إيمانها، فقال لها: أين الله؟، حتى إذا أشارت إلى الأصنام عرف أنها غير مؤمنة، فلما قالت: في السماء، عرف أنها برئت من

---

(١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٤/ ٢٦٢)

تنبيه : قول القاضي عياض " الجهات"، لا الجهة !

(٢) انظر الحجة في بيان المحجة (٢/ ١١٨)

(٣) تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية (٣/ ١٣٩٧)

وانظر الخلافيات ت النحال (٦/ ٣٤٠) ، مناقب الشافعي (١/ ٣٩٧)

الأوثان، وأنها مؤمنة بالله الذي في السماء إله وفي الأرض إله، أو أشار وأشارت إلى ظاهر ما ورد به الكتاب.

ثم معنى قوله في الكتاب: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ الآية، أي: من فوق السماء على العرش.

زاد البيهقي[(١)]: كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات، فهو على العرش كما أخبر ، بلا كيف ، بائِنٌ من خلقه، غير مُمَاسّ من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب " الرسالة في السنة " له: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه ، وعلماء الأمة وأعيان سلف الأمة لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه ، وعرشه فوق سمواته.

قال: **وإمامنا أبو عبد الله الشافعي** احتج في كتابه " المبسوط " في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة؛ وسأل النبي ﷺ عن إعتاقه إياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها: "أين ربك"؟ فأشارت

(١) مناقب الشافعي(١/ ٣٩٧)، وقال محققه: وراجع الخبر في الاعتقاد للبيهقي ص ٤٢

إلى السماء فقال: "اعتقها فإنها مؤمنة"، فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية[(١)]

وقال شيخ الإسلام[(٢)] : من توهم أن كون الله في السَّماء بمعنى أن السَّماء تحيط به وتحويه فهو كاذبٌ - إن نقله عن غيره -، ضالٌ - إن اعتقده في ربه -، وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللّفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله: (إن الله في السَّماء) أن السَّماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعلّه لم يخطر ببالنا.

قال الطعان رداً على من يقول بإقرار الإمام النووي بالعلو بسبب قول النووي في روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠/ ٨٥): وَأَنَّ الْكَافِرَ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٢) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص١٨٥)، العلو للعلي الغفار٥٦٧ ، مختصر العلو (ص٢٦٥): ٣٢٢

وانظر كتاب الصابوني "اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث" (ص/١٤ ـ ٢٣) واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٧٧ ط عطاءات العلم)

و"المبسوط" كما قال محقق الاعتقاد الخالص: هو كتاب الأم، وذكر هذه المسألةُ في كتاب الظهار، باب: عقد المؤمنة في الظهار (١١/ ٤٨٦ - ٤٨٧) برقمي (٢٠٤١٧)، (٢٠٤١٩)، حيث قال: (فإذا وجبت كفارة الظهار على الرَّجل وهو واجد لرقبة أو ثمنها، لم يجزه فيها إلَّا تحرير رقبة، ولا تجزئه رقبة على غير دين الإسلام، لأن الله ﷻ يقول في القتل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢])

(٢) الفتاوى (٥/ ١٠٦)

الْمَالِكُ، أَوِ الرَّازِقُ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُرِيدُ السُّلْطَانَ الَّذِي يَمْلِكُ أَمْرَ الْجُنْدِ وَيُرَتِّبُ أَرْزَاقَهُمْ، وَلَوْ قَالَ: لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَا رَازِقَ إِلَّا اللهُ، كَانَ مُؤْمِنًا، وَبِمَثَلِهِ أَجَابَ فِيمَا لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَزِيزُ، أَوِ الْعَظِيمُ، أَوِ الْحَكِيمُ، أَوِ الْكَرِيمُ، وَبِالْعُكُوسِ، وَأَنَّهُ لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، أَوْ إِلَّا مَلِكُ السَّمَاءِ، كَانَ مُؤْمِنًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾

قال الطعان: (أولاً : هو يقر بلفظة "الله في السماء"، ولكن يفرغها من معناها كما قرأنا في حديث الجارية)

قال أبو الفضل: والذي قرأناه في حديث الجارية يرد عليك كما سبق نقله بتمامه فأنت حذفت ثم تحاملت، ثم الآن تبني على فريتك!

واحتج الطعان على فريته بقول النووي نقلاً عن القاضي عياض: "وهل بين التكييف واثبات الجهات فرق"

قال أبو الفضل: وهذا سؤال لم تجب عليه، وقبله نقول لك: **ما تقول في الجهة؟ هل تثبتها لله ﷻ ، أم تنفيها عنه ﷻ ؟، أم تُفَصِّل؟!**

وإن فَصَّلت: فمَن مِن المتقدمين فصّل؟ لأنك لا تحتج بفهم المتأخرين !.

وهل تثبت الجهة أم الجهات؟

فإن كنت لا تثبت الجهات لله تعالى، فهل هناك فرق بين من أثبت الجهات وبين من كيّف الصفات؟!

ثم قال الطعان: (إن الذي قاله في شرح مسلم ، قاله بعد هذا [يعني الذي في الروضة]، فإن كان بينهما تعارض في ظنك ، كان قوله الذي في شرح مسلم هو المعتمد عنده، وكان راجعاً عن قوله الذي تنقله من روضة الطالبين، أنه [كذا، وصوابه: لأنه] قال في شرح مسلم "وفروع المسألة كثيرة وقد نقحت مقاصدها في روضة الطالبين")

قال أبو الفضل: الحمد لله الذي أنطقك بأنه راجع عن قوله المتقدم لما وجدت في كتاب متأخر، **وقد وجدنا للإمام النووي رسالة كتبها قبل وفاته بسنة أو ببضعة أشهر يقرر فيها مذهب السلف، وقد سبقت !**

تنبيه: كلامه في عدم صحة نسبتها إليه مردود بكلام المحققين كمحدث المدينة عبد المحسن العباد والعلامة العصيمي والمحقق مشهور حسن والأصولي أحمد سبالك، وغيرهم، كما سبق

وهي في الثبوت كرسالة "إثبات الحد لله تعالى" للدشتي التي اعتمدها وشرحها الطعان!

ثم قال الطعان تحت عنوان: "انكار مكان الله وعلوه"

(في حديث المعراج قال رسول الله ﷺ : " ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى... فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ

التَّخْفِيفَ، ... قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي... فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تبارك وتعالى وَبَيْنَ مُوسَى [عليه السلام] "

قال النووي: "قَوْلُهُ ﷺ (فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي) مَعْنَاهُ رَجَعْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي نَاجَيْتُهُ مِنْهُ أَوَّلًا فَنَاجَيْتُهُ فِيهِ ثَانِيًا")

ثم قال الطعان: (قول العلماء في هذا)

قال أبو الفضل: قول الطعان "**في هذا**" ، أيريد في هذا القول أم هذا القائل؟ !

ثم سرد أقوالاً في اثبات المكان !

ونقول: أولاً: هذا العنوان فيه انكار العلو – زعم – ، وقد سبق فلم التكرار؟!

ثانياً : ما حكم من فصّل في اثبات المكان كما سبق في الألفاظ المجملة؟

ونحن نقول: إما أن يراد بالمكان أمر وجودي، وهو الذي يتبادر لأذهان جماهير الناس اليوم، ويتوهمون أنه المراد بإثباتنا لله تعالى صفة العلو.

فالجواب: أن الله تعالى منزه عن أن يكون في مكان بهذا الاعتبار، فهو تعالى لا تحوزه المخلوقات إذ هو أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ، وثبت في "الصحيحين" وغيرهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: "يقبض الله بالأرض، ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ ".

وأما أن يراد بالمكان أمر عدمي وهو ما وراء العالم من العلو، فالله تعالى فوق العالم وليس في مكان بالمعنى الوجودي، كما كان قبل أن يخلق المخلوقات.

فإذا سمعت أو قرأت عن أحد الأئمة والعلماء نسبة المكان إليه تعالى، فاعلم أن المراد به معناه العدمي، يريدون به إثبات صفة العلو له تعالى، والرد على الجهمية والمعطلة ...

(و)علوه ﷻ على خلقه واستواؤه على عرشه على ما يليق بعظمته، وأنه مع ذلك ليس في جهة ولا مكان، إذ هو خالق كل شيء، ومنه الجهة والمكان، وهو الغني عن العالمين وأن من فسرها بالمعنى السلبي، فلا محذور منه، إلا أنه مع ذلك لا ينبغي إطلاق لفظ الجهة والمكان ولا إثباتهما، لعدم ورودهما في الكتاب والسنة، فمن نسبهما إلى الله فهو مخطئ لفظاً، إن أراد بهما الإشارة إلى إثبات صفة العلو له تعالى، وإلا فهو مخطئ معنى أيضا إن أراد به حصره تعالى في مكان وجودي، أو تشبيهه تعالى بخلقه، وكذلك لا يجوز نفي معناهما إطلاقا إلا مع بيان المراد منهما لأنه قد يكون الموافق للكتاب والسنة[(١)]

وقال العلامة ابن عثيمين: وقوله: ﴿الأعلى﴾ اسم تفضيل محلى بـ"أل" أي: الذي له العلو المطلق علو الذات وعلو الصفات، وهذا التقسيم - تقسيم العلو - إلى علو ذات وعلو صفات أخصر وأجمع وأعم من تقسيمه إلى ثلاثة

(١) مختصر العلو للعلي العظيم (ص٧٠ - ٧٢)

أقسام: علو ذات، وعلو قدر، وعلو قهر؛ لأن القدر والقهر من الصفات فيكون هذا أجمع علو القدر، وعلو القهر، وعلو الرحمة، وعلو العفو، فيكون قولنا: علو الذات وعلو الصفات أشمل وأجمع - الله تعالى عالي الصفات وعالي الذات أيضًا - بمعنى: أن ذاته ﷻ فوق كل شيء، إذن أنت أثبت له مكانًا وهو العلو المطلق العلو الذي ليس فيه شيء معناه: أن هذا المكان الذي لله ﷻ مكان عدمي ليس فيه شيء يحيط بالله ﷻ، ولو كان هناك شيء يحيط به لزم من ذلك انتفاء العلو المطلق؛ لأن هذا المحيط به يكون مساويًا له فليس هناك علو، ويلزم أيضًا منه محظور وهو إحاطة الأشياء به، ولا يحيط بالله شيء، وهذا السبب الذي أوجب لمنكري العلو أن ينكروا علو الذات حتى إنهم - والعياذ بالله - يقولون: من أثبت أن الله عال بذاته فقد وصف الله بأعظم النقص فجعلوا الكمال نقصًا، قالوا: لأنك الآن إما حيزت أو جسمت أو حصرت، ولكن هل يلزم من هذا التجسيم أو الحصر أو التحييز؟ لا يلزم بالمعنى الذي قالوه ؛ فالله ﷻ إن أرادو بالحيز الذي نفوه أنه منحاز عن الخلائق بائن منها منفصل عنها ، فهذا النفي باطل؛ لأن الله تعالى نثبت أنه منحاز عن الخلائق بائن منها، لم يحل في شيء منها ولا شيء منها حلَّ فيه

وإن أرادوا أيضًا بالحصر أن الأماكن تحصره ، فهذا باطل ولا نقرهم

وعلى هذا فالحصر ممنوع مطلقًا

وإن أرادوا بالجسم الذي جعلوا يغنون عليه ويدندنون:

إن أرادوا بالجسم : مناف للأجسام المخلوقة فهذا ممتنع وباطل

وإن أرادوا بالجسم: الذات المتصفة بما يليق بها ، فهذا حق

والمهم: أن إثباتنا للعلو الذاتي ليس معناه أننا نقر بأن شيئًا يحيط به، أو أنه ﷻ لو أزيل هذا الذي علا عليه الله ﷻ لخَرَّ، هذا شيء لا أحد يقوله، فلذلك العلو الذاتي قد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، والعقل، والفطرة[1]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: **المكان ما يُطْلَقْ ولا يُنْفَى لأنه ما جاء في الكتاب والسنة**، وإنما نقول الله ﷻ مستوٍ على عرشه بما وصف به نفسه[2].

ثالثاً : **هذا المنقول عن الإمام النووي ، نقله بحروفه العلامة السلفي محمد علي آدم الإتيوبي** في البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٤/ ٤٥٧)، **فهل من مُبدع أو مضلل أو مكفر؟ !**

ولست أدري كيف سيشرحها هذا الطعان إن شرحها !

تنبيه: في بعض الأخبار: فرجعت فأتيت إلى سدرة المنتهى فَخَررتُ ساجداً ، قلت: يا رب فرضتَ عليَّ وعلى أمتي خمسين صَلاة [1]، وقول موسى ﷺ:

---

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٢/ ٣٥٢)، شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث للشيخ عبد الله الغنيمان ، ط مكتبة الحجاز ص ٧٩ ، وانظر التعليق على القاعدة المراكشية ص ٦٦ ، والبيان والتسديد بشرح الأربعين في دلائل التوحيد للعلامة عبد العزيز الراجحي ص ٧٦ – ٧٨

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ، آخر الشريط الثاني عشر

"فارجع إلى ربك" ، وقوله: "فلم أزل أتردد بين موسى وبين ربي" حجة قاطعة على إثبات علوّ الربّ ﷻ على خلقه وأنه يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده[٢].

والعجب من هذا الطعان أنه لم يذكر رواية للحديث فيها ذكر المكان، فلا أدري أجهلها، أم أراد أن يخفي عن القراء أقوال العلماء فيها ![٣].

قال أبو الفضل: فهل اتهام النووي بإنكار العلو والمكان وإنزال كلمات السلف عليه من العدل والإنصاف أم من الظلم والاجحاف؟

ثم قال الطعان تحت عنوان "إنكار أن الله تعالى ساكن السماء"

(قال النووي: " وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا، وَكَذَا لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ ؛ لِأَنَّ السُّكُونَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى")، وأحال على روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠/ ٨٥)، ثم نقل قول أبي الحسن الأشعري:

---

(١)خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب مطبوع مع منهج الإمام جمال الدين السُّرَّمَرِّي في تقرير العقيدة ، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (ص٥٥٦، ٥٥٧)، وفي السيرة الحلبية (١/ ٥٦٨) : أي انتهى إلى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا

(٢) خصائص سيد العالمين وما له من المناقب العجائب (ص٥٦٥)

(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٧٨)، زاد المعاد (٣ / ٤٢) ، وتفسير ابن كثير (٥ / ٥ – ٦)، وحاشية قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (ص١١٩)، ومختصر العلو ، وسبق.

"ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعاً: يا ساكن السماء (وفي نسخة: يا ساكن العرش)، ومن حلفهم جميعا: لا والذي احتجب بسبع سماوات"، وأحال على "الإبانة" ط دار الأنصار ص١١٥ وأحال على رسالة له (!) بعنوان: "حكم نعت الله تعالى بساكن السماء"

قلت: أولاً: هل تدري لماذا لم يشر إلى الإبانة بتحقيق العلامة العصيمي؟[١]

والجواب والله أعلم : لأجل تعليق المحقق على هذه الكلمة !

قال: ولعل مستنده في ذلك قول الرسول ﷺ في الحديث الذي مطلعه: "ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ثم قال: إن الله خلق سبع سماوات فاختار العليا، فسكنها وأسكن سماواته من شاء من خلقه" [٢] **وضعَّفَ الحديثَ** ثم قال: وهذا الحديث مع نكارته لا يصح الاستدلال به على هذه العبارة حتى ولو صح.

---

(١) وأصل تحقيقه: أطروحة دكتوراة، قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، بإشراف د عبد الله بن محمد الغنيمان ١٤٢٨ هـ، الناشر: دار الفضيلة.

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٤/ ٣٨٨ والطبراني في الكبير ١٢/ ٤٥٥، وابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٠٧، والحاكم في المستدرك بروايات مختلفة ٤/ ٧٣، ٨٦، ٨٧، وأبو نعيم في الدلائل ١/ ٦٧، والبيهقي في مناقب الشافعي ١/ ٣٩ – ٤٠، وأورده ابن قدامة في العلو برقم ٤٣، والذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين برقم ٣٤، وقال: "تفرد به محمد بن زكوان عن عمر بن دينار، عن ابن عمر، رواه عنه غير واحد من أهل العلم، وهو مقال الأنبياء والأمم الماضية"، كما أخرجه في كتاب العرش رقم ٣١ وقال: "تفرد به محمد زكوان وهو ضعيف، ورواه عنه حماد بن واقد"، وأخرجه في العلو وقال عنه : **حديث**

ثم قال: **لفظة "يا ساكن العرش"** بحثت عن دليل لها فلم أجد لها دليل إلا الحديث المنكر الذي خرجته ، ولم أجد أحداً من أهل العلم علق على هذه العبارة، وغاية ما وجدت ما نقله شيخ الإسلام رحمه الله في بيان التلبيس، حيث نقل قول الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطرقي عندما قال: وهذا مأخوذ من قوله: إن الله خلق سبع سموات ثم اختار العليا فسكنها"[١] وما ذكره الإمام الألباني رحمه الله في مختصر العلو[٢]، حيث قال: قلت: وفي قوله: " يا ساكن العرش" شيء، لأنه لم يرد في خبر صحيح فيما علمت. حيث بيَّنَ رحمه الله توجسه من هذه العبارة، وقد وجدت شيخ الإسلام ذكرها في كذا موضع في كتبه ولم يعقب عليها إلا بما سبق نقله عن الإمام الطرقي[٣]

ثم قال حفظه الله: ولعل نقله عن الإمام الطرقي وسكوته دليل على صحة إطلاق مثل هذا اللفظ عنده والله أعلم، **والذي يترجح عندي ما ذهب إليه**

منكر رواه جماعة في كتب السنة، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، [انظر: كتاب العلو ٢٥، ولم أجده عند ابن خزيمة في كتاب التوحيد]، وقال عنه ابن كثير: **حديث غريب**. انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٥٧، وقال أبو حاتم الرازي في علل الحديث: حديث منكر ٢/ ٣٦٧، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به ، وبقية رجاله وثقوا. انظر: المجمع ٨/ ٢١٦

(١) انظر: بيان التلبيس ٤/ ٤٥٨،

(٢) ص ٢٤٠

(٣) انظر على سبيل المثال بيان التلبيس ٤/ ٤٥٧

الإمام الألباني من التوجس من هذه العبارة لما يلي: الأول: أنه - كما قال - لم يرد هذا التعبير في خبر صحيح.

ثم قال: فإطلاقه على ربنا ﷻ قد يكون ابتداعاً وإحداثاً مرفوضاً.

الثاني: أن الوارد في الشرع: أن الله ﷻ مستوى على عرشه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ولم يرد أبداً عبارة أنه ﷻ ساكن عرشه.

والفرق بين الوصفين واضح.

الثالث: أن العبارة ترد ورود الصفات لله ﷻ فكأنها صفة ، ولا يوصف ربنا ﷻ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه نبيه ورسوله ﷺ

ثانيا: لم يبين لنا الطعان ما قوله في الجملة الأولى: " وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا"

ولا الجملة الأخيرة " لِأَنَّ السُّكُونَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ ﷻ "، فهل ارتضاها؟

ثم كعادته – قطع الله تلك العادة – طعن في الإمام النووي !

فأين هو من كلام العلامة العصيمي محقق الإبانة وقد سبق !

ويوضح مراد الإمام النووي أن أصل هذا الكلام إنما هو للحليمي؛ فقد قال: "

وإذا قال الكافر: لا إله إلا ساكن السماء، لم يكن مؤمناً ؛ لأن سكان السماء:

الملائكة ، وإن قال: لا إله إلا الله ساكن السماء كان هذا زيادة كفر منه، لأن السكن غير جائز على الله تعالى **واحتظار الأمكنة ليس من صفاته**"(١).

فهذا هو المعنى الذي أراد نفيه، وإن كنا نقول: لا ننفي ولا نثبت حتى يتبين المراد من اللفظ المجمل

فنسأل: إذا كان من يقول ذلك اللفظ يقصد ذلك المعنى ، هل توافقه عليه؟!

وسئل الشيخ صالح آل الشيخ عن قوله ﷻ: " وعامرهن غيري (٢)":

قد يستدل به أهل البدع على أن الله في كل مكان، فكيف الرد عليهم؟

الجواب: المقصود بالسماوات في قوله - جل وعلا - في الحديث القدسي: " يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري " السماوات السبع معروفة، وهي طباق بعضها فوق بعض، والمراد بقوله: "وعامرهن " العمارة المعنوية، يعني: من عمرها بالتسبيح، والتهليل، وذكر الله وعبادته، وقد جاء في الحديث

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٣٩) وانظر العزيز شرح الوجيز للرافعي(١١/ ١١٩)

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: "قال موسى: يا رب، علمني شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل - يا موسى -: لا إله إلا الله، قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا؟ قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله"

أخرجه النسائي في السنن الكبرى ط الرسالة (٩/ ٣٠٧) ١٠٦٠٢ وعمل اليوم والليلة (ص٤٨٢) ٨٣٤ وابن حبان (٦٢١٨)(٢٣٢٤ - موارد) والحاكم ١ / ٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٤٦٠) ٩٢٣

الصحيح أن النبي ﷺ قال: "أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع"، ففيها عمار كثيرون عمروها بعبادة الله جل وعلا، وقد قال - جل وعلا - في أول سورة الأنعام ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] ، فالله - جل وعلا - هو المعبود ﷻ في السماوات، وهو المعبود ﷻ في الأرض.

فقوله هنا: "لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري" يعني: من يعمر السماوات، والمقصود بهذا الاستثناء في قوله: " غيري " الله ﷿ ، ويحتمل الاستثناء هذا أن يكون راجعا إلى الذات، أو إلى الصفات، ومعلوم أن الأدلة دلت على أن الله - جل وعلا - على عرشه، مستو عليه بائن من خلقه، جل وعلا، والسماوات من خلقه ﷻ؛ فعلم من ذلك أن قوله: " وعامرهن غيري " راجع إلى عمارة السماء بصفات الله - جل وعلا - ، وبما يستحقه ﷻ من التأله، والعبودية، وما فيها من علم الله، ورحمته، وقدرته، وتصريفه للأمر، وتدبيره، ونحو ذلك من المعاني(١).

وبيت الله لا يدل على أن الله ساكن فيه، لكن إضافة كل شيء بحسبه، بل بيته هو الذي جعله لذكره وعبادته ودعائه (٢).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٦٠١، ٦٠٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٣٢)

فائدة: قال الذهبي: صح عن ثَابت الْبنانِيّ قَالَ: كَانَ دَاوُد عليه السلام يُطِيل الصَّلَاة ثمَّ يرْكَع ثمَّ يرفع رَأسه إِلَى السَّمَاء ثمَّ يَقُول: إِلَيْكم رفعت رَأْسِي يَا عَامر السَّمَاء، نظر العبيد إِلَى أَرْبَابهَا يَا سَاكن السَّمَاء[١].

"وهنا يجب أن تعرف أن كون الله سبحانه وتعالى في السماء، ليس ككون الملائكة في السماء، فكون الملائكة في السماء كون حاجي، فهم ساكنون في السماء لأنهم محتاجون إلى السماء، لكن الرب تبارك وتعالى ليس محتاجا إليها، بل إن السماء وغير السماء محتاج إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يظن ظانّ أن السماء تُقِلُّ الله أو تُظِلُّهُ أو تحيط به، وعليه: فالسماوات باعتبار الملائكة أمكنةٌ مُقِلَّةٌ للملائكة، وما فوقهم منها مُظِلٌّ لهم، أما بالنسبة لله سبحانه وتعالى فهي جهة لأن الله تعالى مستو على عرشه، لا يُقِلُّه شيء من خلقه"[٢].

قال الشيخ الفاضل محمد صالح المنجد ـ وهو عند هذا الطعان: المجدد لهذا القرن ! [٣] ـ : ثم إننا عندما نقول: إن الله تعالى في السماء ليس معنى ذلك أن السماء تحيط به، أو كما يعبر هؤلاء بأن الله ساكن السماء! تعالى الله عن ذلك.

---

(١) كتاب العرش ط ابن حزم ص ٤٥ رقم ١٣٣ وقال: رواه اللالكائي بإسناد صحيح وانظر العلو ١٣٤و٣٣٩ ، وكتابه الأربعين في صفات رب العالمين (ص٥٨): ٣٧

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٨٠) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ٦٨)

(٣) وهذا كان قديماً قبل أن يُزعَم أن الطعان هو المجدد !
وسمع هذا بأذنه من مُقدِم مناظرته الثانية مع الرافضي ، ولم يعلق!

بل نقول: إن الله تعالى في السماء يعني على السماء، وفوق السماء، مستوٍ على عرشه ﷻ، كقول الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١]. أي: على الأرض(١).

فبالله أسألك: أبمثل هذا تطعن في الإمام النووي؟ ولماذا تركت الطعن في الألباني والعصيمي؟!

تنبيه: الذين نقلوا كلام الأشعري نقلوه بلفظ "يا ساكن العرش" والذي في طبعة دار الأنصار ت د، فوقية "يا ساكن السماء" ، فليحرر، والإجمال الذي في "يا ساكن السماء" أشد !، فلماذا اختارها ؟ هل للطعن في الإمام النووي؟!

والإمام النووي ـ كما سبق ـ ذَكَرَه في سياق قول الكافر إذا أراد أن يدخل الإسلام، فلا يُكتفى فيه بما يحتمل أن يراد به غير الله!

ثم قال الطعان تحت عنوان "إنكار الحد والمباينة"

(قال النووي" وَأَمَّا الْحِجَابُ فَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ وَالسَّتْرُ وَحَقِيقَةُ الْحِجَابِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَجْسَامِ المحدودة والله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ وَالْحَدِّ وَالْمُرَادُ هُنَا الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَتِهِ"

ونقل النووي محتجاً مُقراً قول المتولي: " مَنِ اعْتَقَدَ قِدَمَ الْعَالَمِ، أَوْ حُدُوثَ الصَّانِعِ، أَوْ نَفَى مَا هُوَ ثَابِتٌ لِلْقَدِيمِ بِالْإِجْمَاعِ، كَكَوْنِهِ عَالِمًا قَادِرًا، أَوْ أَثْبَتَ مَا

---

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب (١/ ٧١٣ الشاملة)

هُوَ مَنْفِيٌّ عَنْهُ بِالْإِجْمَاعِ، كَالْأَلْوَانِ، أَوْ أَثْبَتَ لَهُ الِاتِّصَالَ وَالِانْفِصَالَ، كَانَ كَافِرًا") ، ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤)، روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠/ ٦٤)

قال أبو الفضل : اعتمد الطعان على فهمه لكلمتي "الاتصال والإنفصال"، وسيأتي ردٌ على فهمه، لكن نقول قبل ذلك **تعليقاً على قوله "إنكار الحد والمباينة"** سبق أن بعض الأئمة من علماء السنة نفوا الحد عن الله تعالى، وبعضهم أثبته، ولكل وجه: فقد "نفى الإِمام أحمد الحد في رواية، وأثبته في رواية ، وأحسن ما قيل في الجمع بين الروايتين: **إن إطلاق الحد يحمل على معنى أنه ﷻ: خارج العالم متميز عن خلقه، وأنه ﷻ على صفة يبين بها من غيره ويتميز.**

وتحمل رواية المنع: على الحد الذي بمعنى الصفة وأن خلقه لا يحدونه ولا يصفونه إلا بما وصف به نفسه ولا يدركون كنه وكيفية صفاته، كما في رواية عن أحمد : "له حد لا نعلمه".

أما الحد الذي نفاه الحافظ السجزي فهو الذي بمعنى الحصر فهو رحمه الله ينفي عن الله ﷻ أن يكون محدوداً بشيء من الأمكنة لا تحده ولا تحصره لأنه ﷻ مباين لها، ولأنها محدثة والله ﷻ فوق المحدثات.

أما الحد الذي أثبته ابن المبارك والإمام أحمد وغيرهما فهو الحد الذي بمعنى التمييز والمباينة للخلق.

والإمام السجزي لا ينازع فيه بهذا المعنى، فهو رحمه الله موافق للإمام أحمد وسائر السلف في إثبات علو الله على خلقه ومباينته وتميزه عن سائر مخلوقاته، والخلاف إنما هو في إطلاق لفظ الحد ولكل وجهة والاتفاق بينهم حاصل على التنزيه وإثبات العلو ومباينته ﷻ للمخلوقات. والله تعالى أعلم"(١)

ولما ذكر شيخ الإسلام ما جاء عن علي بن الحسن بن شقيق قال لابن المبارك نعرف ربنا بحد أو نثبته بحد ؟ فقال: نعم بحد

قال شيخ الإسلام ناقلاً عمن أنكر الحد رداً على من أثبته:

زادوا الحد في صفاته تعالى الله عن ذلك ، **وسبيل هؤلاء القوم عافانا الله وإياهم أن يعلموا أن صفات الله تعالى لا تؤخذ إلا من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ ، دون قول أحد من الناس – كائنًا من كان ، علت درجته أو نزلت، تقدم زمانه أو تأخر – ؛ لأنها لا تدرك من طريق القياس والاجتهاد...**

ثم قال شيخ الإسلام راداً عليهم: **أهل الإثبات المنازعون للخطابي وذويه يجيبون عن هذا بوجوه أحدها :**

أن هذا الكلام الذي ذكره إنما يتوجه لو قالوا إن له صفة هي الحد كما توهمه هذا الراد عليهم ، وهذا لم يقله أحد ولا يقوله عاقل ؛ فإن هذا الكلام لا حقيقة له ؛ إذ ليس في الصفات التي يوصف بها شيء من الموصوفات كما يوصف باليد

---

(١) انظر حاشية رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٩٨)، ورسالة "اثبات الحد لله تعالى" للدشتي ، ومختصر العلو للألباني والذهبي !

والعلم صفة معينة يقال لها الحد، وإنما الحد ما يتميز به الشيء عن غيره من صفته وقدره ، كما هو المعروف من لفظ الحد في الموجودات ، فيقال حد الإنسان ، وحد كذا ، وهي الصفات المميزة له ، ويقال حد الدار والبستان، وهي جهاته وجوانبه المميزة له ، ولفظ الحد في هذا أشهر في اللغة والعرف العام ونحو ذلك ، ولما كان الجهمية يقولون ما مضمونه: إن الخالق لا يتميز عن الخلق، فيجحدون صفاته التي تميز بها ويجحدون قدره، حتى يقول المعتزلة: إذا عرفوا أنه حي عالم قدير قد عرفنا حقيقته وما هيته، ويقولون: إنه لا يباين غيره، بل إما يصفوه بصفة المعدوم فيقولون: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا كذا ولا كذا، أو يجعلوه حَالّاً في المخلوقات، أو وجود المخلوقات، فبين ابن المبارك أن الرب ﷻ على عرشه مباين لخلقه منفصل عنه، وذكر الحد؛ لأن الجهمية كانوا يقولون: ليس له حد، وما لا حد له لا يباين المخلوقات، ولا يكون فوق العالم؛ لأن ذلك مستلزم للحد ، فلما سألوا أميرَ المؤمنين في كل شيء عبدَ الله بن المبارك: بماذا نعرفه؟، قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

فذكروا له لازم ذلك الذي تنفيه الجهمية ، وبنفيهم له ينفون ملزومه الذي هو موجود فوق العرش ومباينته للمخلوقات، فقالوا له: بحد؟ قال: بحد.

وهذا يفهمه كل من عرف ما بين قول المؤمنين أهل السنة والجماعة وبين الجهمية الملاحدة

ثم ذكر وجوها أُخر[١]، ثم قال: وممن نفى لفظ الحد أيضًا من أكابر أهل الإثبات أبو نصر السِّجْزِي، قال في رسالته المشهورة إلى أهل زَبِيد : وعند أهل الحق أن الله ﷻ مباين لخلقه بذاته ، وأن الأمكنة غير خالية من علمه ، وهو بذاته تعالى فوق العرش بلا كيف بحيث لا مكان

وقال أيضًا : فاعتقاد أهل الحق أن الله ﷻ فوق العرش بذاته من غير مماسة ، وأن الكَرَّامية ومن تابعهم على القول بالمماسة ضُلاّل

وقال: وليس من قولنا إن الله فوق العرش تحديد له وإنما التحديد يقع للمحدثات ، فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود والله ﷻ فوق ذلك **بحيث لا مكان ولا حد** ؛ لاتفاقنا أن الله تعالى كان ولا مكان ، ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان[٢].

قال: وإنما يقول بالتحديد من يزعم أنه ﷻ على مكان ، وقد علم أن الأمكنة محدودة ؛ فإن كان فيها بزعمهم كان محدودًا ، وعندنا أنه مباين للأمكنة ومن حلها وفوق كل محدَث فلا تحديد لذاته في قولنا [٣]

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/٤٠- ٤٤)

(٢) سبق تعليق ابن تيمية على هذه الكلمة (وهو كما كان قبل خلق المكان) فانظره

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٥٠، ٥١) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٩٦) ، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٦٢٩)، وانظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٧ ط الرسالة) تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤ ت بشار) والميزان ٣/ ٥٠٧

ولما أورد الذهبي مسألة إثبات الحد لله تعالى، قال: "الصواب الكفّ عن إطلاق ذلك، إذ لم يأت فيه نصّ، ولو فرضنا أن المعنى صحيح، فليس لنا أن نتفوه بشيء لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلب شيءٌ من البدعة، اللهم احفظ علينا إيماننا"(١)

وقال: إنكاره الحدَّ وإثباتُكم للحدِّ نَوْعٌ من فضول الكلام، والسُّكوت عن الطَّرَفَيْنِ أولى؛ إذ لم يَأْتِ نَصٌّ بنفي ذلك ولا إثباته، والله تعالى ليس كمثله شيء، فمن أثبته قال له خصمه: جعلت لله حدًّا برأيك، ولا نَصَّ مَعَكَ بالحدِّ، والمحدود مخلوق، تعالى الله عن ذلك.

وقال هو للنَّافي: سَاوَيْتَ رَبَّكَ بالشَّيء المعدوم؛ إذ المعدوم لا حَدَّ له، فمن نزَّه الله وسكت سَلِمَ، وَتَابَعَ السَّلَفَ(٢).

فعلام التشغيب على الإمام النووي؟ ، ولماذا لم تضللوا وتكفروا السجزي والألباني ، ومن بينهما من الأئمة الذين نفوا الحد؟!

وسبق التعليق على هذه الجملة (وهو كما كان قبل خلق المكان)

وانظر: بيان تلبيس الجهمية ١/٥٦٤، والفتاوى ١٨/ ٢٢١، رسالة "اثبات الحد لله تعالى" للدشتي ، ومختصر العلو للألباني والذهبي !

(١) سير النبلاء٢٠/٨٦، وانظر الميزان٣/٥٠٧ وحاشية الاعتقاد القادري (ص٢٥٧)

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٧)

تنبيه: قال شيخ الإسلام بعد أن نقل بعض الآثار عن السلف في إثبات الحد: "فهذا وأمثاله مما نقل عن الأئمة، كما قد بسط في غير هذا الموضع، وبينوا أن **ما أثبتوه له من الحد لا يعلمه غيره**"(١).

وقال عن الإمام أحمد: "حيث نفاه نفى تحديد الحادِّ له، وعلمه بحده وحيث أثبته أثبته في نفسه، ولفظ الحد يقال على حقيقة المحدود، صنفة أو قدرًا، أو مجموعهما، ويقال على العلم والقول الدال على المحدود(٢)".

فيكون الحد في كلام السلف على ثلاثة معان:

١ - ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، وعلى هذا نقول إن الله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلًا، فإنه ليس وراء نفيه إلَّا نفي وجود الرب، ونفي حقيقته.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٥) والقاعدة المراكشية بتعليق د/ عبد العزيز آل عبد اللطيف ص ٨٢-٨٤

و"السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حداً، وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته"، شرح الطحاوية ١/ ٢٦٠، ٢٦١ والبيان والتسديد بشرح الأربعين في دلائل التوحيد للعلامة عبد العزيز الراجحي ص ٧٨

(٢) انظر: أساس التقديس لابن تيمية (١/ ٤٣٠، ٤٣٣) نقله صاحب آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٤٦٧)

٢ - ويطلق على معنى الكيفية، ويدل عليه قول الإمام أحمد: "ولا يصفه الواصفون ولا يحده أحد، تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة".

فالله تعالى بهذا المعنى له حد، لكن لا يجوز لأحد أن يحده؛ لأنه غير معلوم، فلصفات الله كيفية، لكنها غير معلومة لنا، كما قال الإمام الدارمي: "والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره .. ولكن نؤمن بالحد، ونكل علم ذلك إلى الله".

٣ - ويطلق على معنى حكاية غاية ونهاية تنتهي إليها صفات الله تعالى، فهذا ممنوع لأن صفات الله تعالى كقدرته وإرادته لا تحد بغاية، ويدل على ذلك قول الإمام أحمد: "سميع بصير بلا حد ولا تقدير"(١).

وأما الكلام عن الجسم(٢)، فقد سبق الكلام قريباً عن الألفاظ المجملة، "والمقصود أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة، لما فيها من لبس الحق بالباطل، بخلاف الألفاظ المأثورة، والألفاظ التي بُيِّنت معانيها، فإن ما كان مأثوراً حصلت به الألفة، وما كان معروفاً

---

(١) قاله صاحب آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٤٦٨)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٦٣)، نقض أساس التقديس (٢/ ١٦٥)، رد الدارمي على المريسي (١/ ٢٢٣، ٢٢٤)

(٢) انظر فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٢/ ٣٥٢)، شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث ، للشيخ عبد الله الغنيمان ، ط مكتبة الحجاز ص ٧٩ ، التعليق على رسائل ابن تيمية في الصفات والقدر ، د/ عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، ط آفاق المعرفة ص١١٩ وما بعدها فهو مهم

حصلت به المعرفة.. فإذا لم يكن اللفظ منقولاً، ولا معناه معقولاً ظهر الجفاء والأهواء [(١)]"

فلفظ الْحَد والجِهَة والجسم والحيز وَنَحْوهَا: لم ترد فِي الْكتاب وَالسّنة نفيا وَلَا إِثْبَاتًا بل هِيَ من الْأَلْفَاظ الاصطلاحية الْحَادِثَة، فَمن أطلق لفظ الْحَد نفيا أَو إِثْبَاتًا سُئِلَ عَمَّا أَرَادَ بِهِ فَإِن أُرِيد بالْقَوْل بِأَن لله حد أَنه مُنْفَصِل عَن الْخلق بَائِن مِنْهُم فَهَذَا حق كَمَا قَالَ ابْن الْمُبَارك لما قيل لَهُ: بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قيل: بِحَدّ أَي أَنه مُنْفَصِل عَن الْخلق بَائِن مِنْهُم.

وَإِذا أُرِيد بِالنفي أَن الْعباد لَا يعلمُونَ لله حدًّا وَلَا يحدون صِفَاته وَلَا يكيفونها فَهَذَا أَيْضا حق، **وَالْخُلَاصَة** أَن لفظ الْحَد لم يرد فِي الْكتاب وَالسّنة بِنَفْي، وَلَا إِثْبَات، فَمن أطلقهُ سُئِلَ عَمَّا أَرَادَ بِهِ، فَإِن قصد معنى حقًّا قُبل، وَإِن قصد معنى بَاطِلا رُدَّ [(٢)].

---

(١) انظر درء التعارض ١/ ٢٧١ ، انظر: مقدمة الألباني لمختصر العلو للذهبي صـ ١٨، ١٩، والنفي في باب صفات الله لأرزقي سعيداني صـ ١٣٠، ١٣١، ومنهج الإمام الذهبي في العقيدة لسعيد الزهراني صـ ١٦٢-١٦٥، الاعتقاد القادري (ص٢٥٧)، وتحقيق العرش للذهبي (١/ ٢٥٢- ٢٦٠)

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٤١-٤٣، ٥/ ٢٩٨-٣٠٩، ٦/ ٣٨-٤٠، وَشرح الطحاوية تَخْرِيج الألباني ص"٢٣٨-٢٤٠"، حاشية نقض الدارمي على المريسي - ت الألمعي (١/ ٢٢٣)

وأما قول الطعان: "والمباينة":

قال ابن القيم رحمه الله: "إنه (عز وجل) لو لم يكن مباينًا للعالم، لزم أحد أمور ثلاثة، قد قال بكل منها قائل:

أحدها: أن يكون هو هذا العالم كما قال أهل وحدة الوجود، والذي قادهم إلى هذا القول هو نفي المباينة كأن قلوبهم وفطرهم طلبت معبودًا، فلما اعتقدوا أنه غير مباين للعالم، وتيقنوا أنه موجود قائم بنفسه، قالوا: فهو هذا العالم بعينه

الثاني: قول من يقول، بل هو حالّ في العالم وهو قول الحلولية.

الثالث: قول من يقول: لا هو العالم ولا هو حالّ فيه ولا بائن عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه وهو قول الجهمية"(١).

وقد سبق أن الإمام النووي يثبت العلو ، ولم يقل بشيء من هذه الأقوال الثلاثة؛ فكيف تقول أنه ينفي المباينة؟!

أما قوله في من "أثبت له الاتصال والانفصال كان كافراً"

ففهم الطعان منها انكار الحد فنقول: ما معنى الإتصال والإنفصال عند الإمام النووي نفسه؟

وما دليلك على دعواك أنه يقصد إنكار الحد والمباينة؟

(١) الصواعق المرسلة: ٤/ ١٣٣٩ وانظر مجموع الفتاوى ٥/. ١٥٢

أهذا قوله، أم لازم قوله؟، إن كان الأول: فأين قاله؟!، وإن كان الثاني: فلازم المذهب ليس بمذهب كما سبق!

ثم ما المانع أن يكون مراده بالاتصال والانفصال معنى آخر، مثل:

ما قال تلميذه ابن العطار: **وأنَّه سبحانه بائنٌ من خلقه، لا يَحُلُّ في شيءٍ ولا يتّحدُ به**[1] وأنَّ صفاتِهِ سبحانه قديمةٌ بقدم ذاتِهِ **لا ينفصل عنها**، وأن

---

(١) قال محققه الدكتور سعد بن هليل الزويهري (ص١٠٤):

حلول الشيء في الشيء عبارة عن نزوله فيه، وعرّف الحلول: بأنه اختصاص شيء بشيء؛ بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر. وقيل كذلك هو: الاختصاص الناعت، أي: التعلّق الخاص الذي يصير به أحد المتعلّقين نعتاً للآخر، والآخر منعوتاً به.

والحلول عندهم نوعان: الحلول السرياني، وهو: عبارة عن اتحاد جسمين؛ بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، ويُسمَّى الساري حالًا، والمسري فيه محلًا.

والثاني الحلول الطرياني أو الحلول الجواري، وهو: كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر؛ كحلول الماء في الكوز.

انظر: جامع العلوم الملقب بدستور العلماء (٢/ ٦٢ - ٦٣)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٠٥ - ١٠٨)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٢٥)، والمعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية (٧٦).

والحلولية هم الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حلَّ في مخلوقاته كما يحل الماء في الإناء، وأنه تعالى بذاته في كل مكان، وقد عُرف الحسين بن منصور الحلاج باعتناقه لهذا المذهب.

انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٤ - ٣٦١).

الموجوداتِ كلَّها حادثةٌ، وأنَّه سبحانه الأوَل ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن ليس دونه شيء(١).

فلعل مراده من " أَثْبَتَ لَهُ الاِتِّصَالَ " بخلقه، "وَالاِنْفِصَالَ" عن صفاته !

أي: **أن يكون مراده بنفي الاتصال**: الرد على الحلولية والاتحادية

والاتحاد كما قال الجرجاني في التعريفات (ص ٢٢): هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً. وقيل: هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً؛ لاتصال نهايات الاتحاد.

وهو عند أرباب التصوف: شهود الوجود الحق الواحد المطلق؛ الذي الكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به؛ فإنه محال.

انظر كذلك: جامع العلوم الملقب بدستور العلماء (١/ ٣٨ - ٣٩)، والمعجم الفلسفي لمجمع اللغة (ص ٢)، والمعجم الفلسفي لجميل صليباً (١/ ٣٤ - ٣٥)، والموسوعة الفلسفية العربية (١/ ١٨)، والمبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين للآمدي (ص ١١٥).

والاتحادية: هم قوم يزعمون أن الخالق اتحد بالمخلوق، وعندهم من الضلال والكفر العظيم ما لا يخفى على من عرف مذهبهم، وحقيقة قولهم تعطيل الصانع بالكلية، والقول بما تقوله الدهرية الطبيعية، ويقولون: إن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره ولا شيء سواه ألبتة، ومن كبارهم ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، والعفيف التلمساني.

انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٢)، والاستقامة (١/ ١١٣)

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد (ص١٠٤ - ١٠٦)

ومراده بنفي الانفصال مثلاً: الرد على المعتزلة القائلين بانفصال كلامه عنه (سبحانه وتعالى)

لا سيما وقد ورد مثل هذا المعنى في "العين والأثر في عقائد أهل الأثر لعبد الباقي المواهبي الحنبلي (ص١٠٤) نقلاً عن طبقات السبكي في ترجمة الأشعري: **وما قيل: إن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين، ليس القرآن في المصحف، ونَقْلُ ذلك عنه، فهو شنيع فظيع**، وتلبيس على العوام، فإن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع يقول: إن القرآن كلام الله، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف، لا على المجاز، ومن قال: إن القرآن ليس في المصاحف، على هذا الإطلاق، فهو مخطئ، بل القرآن مكتوب في المصحف، **وهو قديم غير مخلوق،** لم يزل سبحانه متكلمًا، ولا يزال به قائمًا، **ولا يجوز انفصال القرآن عن ذات الله تعالى، ولا الحلول في المحال، وكون الكلام مكتوب على الحقيقة في الكتاب، لا يقتضي حلوله فيه، لا انفصاله عن ذوات المتكلم**، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ ، فالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل مكتوب على الحقيقة، وكذلك القرآن على الحقيقة مكتوب في المصاحف، محفوظ في قلوب المؤمنين، مقروء متلوٌّ على الحقيقة بألسنة القارئين من المسلمين، كما أن الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز؛ معبود في مساجدنا، ومعلوم في قلوبنا، مذكور في ألسنتنا، وهذا واضح بحمد الله، ومن زاغ عن هذه الطريقة، فهو قدري معتزلي، يقول بخلق القرآن، وأنه حالٌّ في المصاحف

نظير ما قالوا: إنه لما سمع موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كلامه، خلق كلامه في الشجرة، وهذه من فظائع المعتزلة، التي لا يخفي فسادها على محصل"[(١)].

وأيضاً : قد يكون مراده بنفي الاتصال والانفصال كأجزاء وأبعاض أو انفصل منه الولد (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما يقولون علواً كبيراً)

قال شيخ الإسلام[(٢)]: أما كون الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُرَكَّباً رَكَّبَهُ غيرُه: فهذا من أظهر الأمور فساداً، وهذا معلوم فساده بضرورة العقل، ومن قال هذا فهو من أكفر الناس وأجهلهم وأشدهم محاربة لله ، وليس في الطوائف المشهورين من يقول بهذا.

وكذلك إذا قيل: هو مؤلَّف أو مُركَّب - بمعنى أنه كانت أجزاؤه متفرقة فجمع بينها كما يجمع بين أجزاء المركبات من الأطعمة والأدوية والثياب والأبنية - : فهذا التركيب من اعتقده في الله ، فهو من أكفر الناس وأضلهم؛ ولم يعتقده أحد من الطوائف المشهورة في الأمة، بل أكثر العقلاء عندهم أن مخلوقات الرب ليست مركبة هذا التركيب ، وإنما يقول بهذا من يثبت الجواهر المنفردة.

وكذلك من زعم أن الرب مركب مؤلف ، بمعنى: أنه يقبل التفريق والانقسام والتجزئة ، فهذا من أكفر الناس وأجهلهم ، وقوله شر من قول الذين يقولون:

---

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤١٧) شكاية أهل السنَّة للقشيري ص: ٤٠

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٧)

إن لله ولداً، بمعنى أنه انفصل منه جزء فصار ولداً له ، وقد بسطنا الكلام على هذا في تفسير ﴿قل هو الله أحد﴾ وفي غير ذلك[١].

وقال سراج الدين ابن عادل الحنبلي: أما بيان أن إثباتَ الولد لله محال؛ فلأن الوَلَدَ لابدّ وأن يكون جُزْءاً من الوَالِدِ، ولَمَّا كان له جزءً كان مركباً، وكل مركب ممكن ، **وأيضاً ما كان كذلك، فإنه يقبل الاتِّصالَ والانْفِصَالَ والاجْتمَاعَ والافْتِرَاقَ ، وما كان كذلك فهو مُحْدَثٌ عَبدٌ، فلا يكون إلهاً قديماً أزليًّا**[٢].

وقال أهل السنة: فالاستواء مَعْقُول، والكيف فِيهِ مَجْهُول، والإِيمان بِهِ وَاجِب، والإِنكار لَهُ كفر، وَأَنه ﷻ مستو عَلَى عَرْشه بِلَا كَيفَ، **وَأَنه ﷻ بَائِن من خلقه والخلق بائنون مِنْهُ، فَلَا حُلُول وَلَا ممازجة وَلَا اخْتِلَاط وَلَا ملاصقة ؛ لِأَنَّهُ الْفَرد الْبَائِن من خلقه، الْوَاحِد الْغَنِيّ عَنِ الْخلق، علمه بِكُل مَكَان، وَلَا يَخْلُو من علمه مَكَان، لَا يعزب عَنهُ مِثْقَال ذرة فِي الأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء**[٣].

---

(١) انظر شرح حديث النزول (ص٧٥)، توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم الكافية الشافية (٢/ ٣١٧)، آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٤٥٩)

(٢) اللباب في علوم الكتاب (١٧/ ٢٤٢)

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٤٨) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٢١٣) ، (٣/ ٤٠٣) الاستقامة (١/ ١٦٨) مجموع الفتاوى (٥/ ٦١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥٧)

وقال الشيخ الإمام العارف معمر بن أحمد بن زياد الأصبهاني شيخ الصوفية في عصر أبي نعيم ويحيى بن عمار : "أحببتُ أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين" ، فذكر أشياء في الوصية إلى أن قال فيها : " وأن الله استوى على عرشه ، بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه مستوٍ على عرشه ، بائن من خلقه والخلق بائنون منه ، بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة..."(١).

ومع هذا نقول : هذا خطأ منه في التعبير رحمه الله **وغفر لنا وله** ، وهو خطأ من جهة أن "هذا اللفظ لم يرد نفيه ولا إثباته في القرآن ولا السنة ولا أقوال الصحابة !

"والذي يذهب إليه سلف الأمة وأئمتها - في الجسمية، والعرضية والزمانية، والمكانية - عدم إطلاق هذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا لأنه بدعة، لما في إثباتها، ونفيها

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ٦٥) ، مجموع الفتاوى (٥/ ١٩١) ، كتاب العرش للذهب ط دار ابن حزم ص١١٦، ١١٧، العلو للعلي الغفار ٥٦٢ ، مختصر العلو (ص٢٦٢): ٣١٧

تنبيه: قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عن قول "بلا مماسة": "الأولى تركه؛ فإنه ما نطق به الكتاب والسنة، والقرل بأنه : على ما يليق به، أولى". الفتاوى له ١/٢١٠، وانظر التعليق على القاعدة المراكشية للشيخ د، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف ، ط أفاق المعرفة ص ٩٩، ١٠٠، وبيان تلبيس الجهمية ٨/٣٥-٤٥

من التلبيس والإيهام، بل لابد من الاستفسار، والاستفصال عند الإطلاق[١]، فإن كان المعنى المراد صحيحًا موافقًا لما ورد في الكتاب وفي السنة قبل وإلا رُدَّ "[٢].

ومن جهة أنه يحتمل معنى باطلاً كما قال نعمان الآلوسي: لازم المذهب ليس بمذهب، ومن ثمة قال الأسنوى: المجسمة ملتزمون بالألوان وبالاتصال والانفصال مع انا لا نكفرهم على المشهور، كما دل عليه كلام الشرح والروضة في الشهادات[٣].

---

(١) وانظر مناقشة هذا القول في توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية (ص٣٨)

(٢) ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد (ص ١٧٥، ١٧٦) ، وانظر درء تعارض العقل١/٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٣. وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٣٩٧، ونقض المنطق ص ١٢٣، ١٢٥، والمنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٥٤، ١٠٩

(٣) في كفاية الأخيار (ص٤٩٥): أَن المجسمة ملتزمون بالألوان والاتصال والانفصال وَكَلَام الرَّافِعِيّ فِي كتاب الشَّهَادَات يَقْتَضِي أَن الْمَشْهُور أَنا لَا نكفرهم وَتَبعهُ النَّوَوِيّ على ذَلِك، إِلَّا أَن النَّوَوِيّ جزم فِي صفة الصَّلَاة من شرح الْمُهَذّب بتكفير المجسمة.
وانظر المهمات في شرح الروضة والرافعي للإسنوي (٨/ ٢٩٣) بداية المحتاج في شرح المنهاج (٤/ ١٧٨)، الشرح الكبير للرافعي (١١/ ٩٨)

قال: فالحاصل أن من نفى أو اثبت ما هو صريح في النقص كفر، وما هو ملزوم للنقص فلا(١).

وبعد هذا كله وقفت - بحمد الله تعالى- على كلام الشيخ عبد الرحمن الوكيل - رئيس أنصار السنة المحمدية الأسبق بمصر - في تحقيقه لمصرع التصوف:

لما قال البقاعي رداً على الحلولية والاتحادية: " **وقال شيخ الإسلام الشيخ محيي الدين النووي** الشافعي في كتاب الردة (من) الروضة مختصر الرافعي:

قال المتولى: "من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع -إلى أن قال- **أو أثبت له الانفصال، أو الاتصال، كان كافرًا**"

علق الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس أنصار السنة بمصر فقال: في التصريح بنفي الاتصال والانفصال معا في آن واحد، وعن ذات واحدة خلل منطقي؛ فهما يتقابلان تقابل السلب والإيجاب، فيلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر.

وفيها أيضا إجمال واشتباه، فقد يعني بالانفصال أنه سبحانه بائن من خلقه مستو على عرشه، ليس كمثله شيء.

وهذا حق يؤمن به من أسلم قلبه لله، ووحّده توحيداً صادقاً في ربوبيته وآمن بأسمائه وصفاته كما هي في القرآن والسنة.

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين(ص٤٧٤) ط المدني، وانظر المهمات (٨/ ٢٩٣)، بداية المحتاج (٤/ ١٧٨) ، أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٤/ ١١٧)

وقد يعني بالانفصال أنه سبحانه لا يتصل بالعالم صلة خلق أو تدبير، أو علم منه سبحانه، أعني نفي كونه خالقا عليما يدبر الأمر، أو أنه سبحانه ليس لإرادته، أو قدرته أثر في مقادير الوجود، وغير ذلك مما يدين به الفلاسفة، ومرادهم منه نفى الخالق القادر المريد المختار، وهذا كفر يجحد بالربوبية والإلهية.

وكذلك الاتصال: فقد يراد به أن سبحانه يدبر الكون، ويصرف الليل والنهار، ويسخر الشمس والقمر، ويحيط علمه بكل شيء كليا كان أو جزئيا، وتشمل قدرته كل شيء، وغير هذا مما يشهد بكمال الربوبية، وهذا حق لا يتم الإيمان إلا به.

وقد يعني به مفهومه الصوفي، أي: إنه سبحانه حال في كل شيء، أو متحد بكل شيء، أو إنه عين كل شيء، أو إنه هو الوجود الساري في كل موجود، ومن يدين بهذا فهو زنديق، أو مجوسي، أو بتعبير أدق: صوفي؛ فالصوفية مرادفة لكل ما يناقض الإيمان الحق، والتوحيد الحق(١).

قلت: وهذا الحلول والاتحاد يرده الإمام النووي، فلماذا حملت كلامه على أسوأ المحامل؟

---

(١) مصرع التصوف، وهو: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد (١/ ٣٠)، وهذا قول غلاة الصوفية، وقد سبق تقسيم ابن تيمية لهم، فتنبه.

وما تقول أيها الطعان في قول الإمام ابن عبد البر في الاستذكار (٢/ ٥٣٠):

وَقَدْ قَالَتْ فِرْقَةٌ مُنْتَسِبَةٌ إِلَى السُّنَّةِ إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ! وَهَذَا قَوْلٌ مَهْجُورٌ ؛ **لِأَنَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَرَكَاتِ وَلَا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ**(١)

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله الذين " قالوا: لا نقول يتحرك وينتقل ولا ننفي ذلك عنه": " أسعد بالصواب والاتباع، فإنهم نطقوا بما نطق به النص وسكتوا عما سكت عنه .... ". مختصر الصواعق (٢/ ٢٥٧)

وعزى هذا القول شيخُ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٠٢) إلى عبد الله بن بطة العكبري وغيره ، قال ابن بطة في الإبانة (٧/ ٢٤٠): "فَنَقُولُ كَمَا قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا عز وجل"، وَلَا نَقُولُ: إِنَّهُ يَزُولُ بَلْ يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ، لَا نَصِفُ نُزُولَهُ، وَلَا نُحِدُّهُ وَلَا نَقُولُ: إِنَّ نُزُولَهُ زَوَالُهُ".

وقال شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/٦٣٨: "جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش"

وقال ٢/٦٣٩: "وهم متفقون على أن الله ليس كمثله شيء ، وأنه لا يُعلم كيف ينزل ، ولا تمثل صفاته بصفات خلقه"

قال الطريفي: وربَّما جرَى بعضُ أهلِ السُّنَةِ على الأصولِ الكلاميَّةِ؛ فجعَلُوا لوازمَ لا دليلَ عليها إثباتًا ونفيًا، عند إثباتِ المجيءِ والإتيانِ والنزولِ؛ كالحَرَكَةِ والانتقالِ وخُلُوِّ العرشِ؛ فأرادُوا تنزيهَ اللهِ عن تلك اللوازمِ؛ فرجَعُوا إلى ما أثبَتَهُ الشرعُ، فتأوَّلوه.

والحقُّ: الإمساكُ عن تلك اللوازمِ؛ فكونُها لازِمةً للمخلوق، لا يجوِّز الخوضَ فيها في حقِّ الخالق؛ فمَن لا يُشبِهُهُ شيءٌ في صفاتِهِ لا يُشبِهُهُ شيءٌ في لوازمِها.

وقد سبق أن الإمام النووي يثبت العلو ولا ينفيه، وعليه لا يُلزم رحمه الله بلوزام القول التي تلزم الجهمية وغيرهم والله أعلم.

وقد بين الألباني " أن هاتين اللفظتين: "بذاته" و"بائن" لم تكونا معروفين في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

واستنكارُ ابنِ عبد البَرِّ للفظةِ: "إنَّه يَنزِلُ بذاتِهِ" في "الاستذكار"(٨/ ١٥٣)، مِن هذا البابِ؛ قال: "وقد قالت فِرْقةٌ منتسِبةٌ إلى السُّنَّة: إنه يَنزِلُ بذاتِهِ؛ وهذا قولٌ مهجورٌ؛ لأنه تعالى ذكرُهُ ليس بمَحَلٍّ للحَرَكاتْ، ولا فيه شيءٌ مِن علاماتِ المخلوقاتْ".

ومثلُهُ: قولُهُ في "المجيءِ" في كتابِهِ "التمهيد"(٧/ ١٣٧): "وليس مجيئُهُ حَرَكةً، ولا زوالًا، ولا انتقالًا؛ لأنَّ ذلك إنما يكونُ إذا كان الجائي جسمًا" ؛ وهذا مِن ابنِ عبد البَرِّ هو قولُ أبي الحسَنِ في "الرسالةِ إلى أهلِ الثَّغْر" (ص ٢٢٧).

وقد كان الإمامُ أحمدُ يُنكِرُ مَن يُورِدُ هذه اللوازمَ: "الزوالَ، والانتقالَ، وتغيُّرَ الحالِ"؛ بحُجَّةِ نفيِها عند إثباتِ النزول، وقد سَمِعَ أحمدُ قاصًّا يَروِي حديثَ النزولِ، ويقولُ: "بلا زوالْ، ولا انتقالْ، ولا تغيُّرِ حالْ، فارتعَدَ أحمَدُ، واصفَرَّ لَوْنُه، وقال لابنِهِ عبد اللهِ: قِفْ بنا على هذا المتخرِّص، فلمَّا حاذاهُ، قال: يا هذا؛ رسولُ اللهِ أَغْيَرُ على رَبِّهِ مِنْكَ، قُلْ كما قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم"، وانصرَفَ .

وابنُ عبد البَرِّ مُثبِتٌ للاستواءِ على ظاهِرِه؛ وهو على طريقةِ السلَفِ في الصفات، وإنْ جرَى في مواضعَ قليلةٍ مِن كلامِهِ التقريرُ على ما يُشَابِهُ في الظاهر طريقةَ أهلِ الكلام؛ وهذا لا يُخرِجُهُ عن أصلِهِ الذي هو عليه؛ في عامَّةِ تقريرِهِ المجمَلِ والمفصَّل.

المغربية في شرح العقيدة القيروانية (ص٢٠٨)

ولكن لما ابتدع الجهم واتباعه القول بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام، بلفظ "بائن" دون أن ينكره أحد منهم، ومثل هذا تماما قولهم في القرآن الكريم أنه غير مخلوق، فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضا، وإنما كانوا يقولون فيه: "كلام الله تبارك وتعالى"، لا يزيدون على ذلك، وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد، لو لا قول جهم وأشياعه من المعتزلة: إنه مخلوق، ولكن إذا نطق هؤلاء بالباطل، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة من قبل ، وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن الواقفة الذين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق هل لهم رخصة أن يقول الرجل: "كلام الله" ثم يسكت؟ ، قال: ولم يسكت؟ ، لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟! "[(١)].

ويقول ابن تيمية: "قد يراد بالمكان ما يحوى الشيء ويحيط به ، وقد يراد به ما يستقر الشيء عليه بحيث يكون محتاجاً إليه ، وقد يراد به ما كان الشيء فوقه وإن لم يكن محتاجاً إليه، وقد يراد به ما فوق العالم وإن لم يكن شيئاً موجوداً.

فإن قيل: هو في مكان بمعنى إحاطة غيره به، وافتقاره إلى غيره ، فالله منزه عن الحاجة إلى الغير وإحاطة الغير به ونحو ذلك.

---

(١)سمعه أبو داود منه كما في مسائله ص٢٦٣-٢٦٤، مختصر العلو (ص١٧)

وإن أريد بالمكان ما فوق العالم وما هو الرب فوقه

قيل : إذا لم يكن إلا خالق أو مخلوق، والخالق بائن من المخلوق كان هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وإذا قال القائل هو ﷻ فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، فهذا المعنى حق سواء سميت ذلك مكاناً أو لم تسمه(١).

ثم قال الطعان: (ونفي الاتصال فيه نفي لما ثبت عن التابعين بغير نكير من أن الله مس آدم، وتكفير لهم)

أقول: نحن نقول بما صح عن سلفنا الصالح(٢)، ولكن من سمى هذا اتصالاً؟!

مَن إمامك في هذا ، لتجعل الإمام النووي مُكفِّراً للتابعين ؟!

وهَبْ أنّ مراد النووي كذلك، أيكون هذا حكماً على القول أم القائل؟!

وكلام الإمام النووي سبق الاحتمالات التي فيه فتنبه هداك الله !

ثم قال الطعان تحت عنوان: تحريف صفة النزول

---

(١) منهاج السُّنة النبوية لابن تيمية (١: ١٨٣)، وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال (ص ٨١)، مختصر الصواعق المرسلة (١: ١٥٥، ١١٦)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص ٧٥)، ابن حزم وموقفه من الإلهيات عرض ونقد (ص٣٤٩)

(٢) وانظر الروايات الصحيحة في صحيح الكتب التسعة وزوائده (ص٩٨٢) و مُخْتَصر الْعُلُوّ ص١٠٥، ١٣٠

(قال النووي: " قَوْلُهُ ﷺ يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا " ... وَفِيهِ مَذْهَبَانِ ... أَحَدُهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِالله ﷻ وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ وَلَا يَتكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ الله ﷻ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات وسائر سمات الخلق

والثاني مذهب أكثر المتكلمين وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ مَحْكِيٌّ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بها بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا فَعَلَى هَذَا تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلَيْنِ أَحَدُهُمَا تَأْوِيلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَغَيْرُهُ مَعْنَاهُ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ ... وَالثَّانِي أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الداعين بالإجابة واللطف") ، ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٦/ ٣٦)

ثم قال الطعان: (ولا يثبت عن مالك ولا الأوزاعي ما نَسب لهما كما بينت هذا في مقال خاص يطول نقله هنا)

قال أبو الفضل : فكان ماذا؟

أيتهم لأنه نسب قولا إلى إمام أو إمامين فلم يصح عنهما؟

ومن قال لك أنه اشترط الصحة على نفسه فيما يعزوه إلى العلماء؟، ومَن مِن العلماء التزم ذلك؟!

ثم هو رحمه الله يقول : " وَهُوَ مَحْكِيٌّ "، ولم يقل "وهو صحيح عنهما"!

ثم هي على ضعفها[١] مروية في مسند الموطأ ص ٤٢ ، التمهيد ٧ / ١٤٣، سير أعلام النبلاء ٨ / ١٠٥، الرسالة الوافية لأبي عمرو الداني ص١٣٦

ثم شنعت عليه بنقل (قول العلماء في هذا)!، ثم نقلت أقوالهم في الجهمية !!

والإمام النووي إنما نقل الخلاف وقدّم قول السلف أو جمهورهم !، فاتق الله !

ثم مع ردنا لهذا التأويل إلا أننا إنصافاً للعلم نقول:

قال أبو عمرو الداني في عقيدته "الرسالة الوافية" (ص١٣٥ -١٣٧): وقال بعض أصحابنا: ينزل أمره تبارك وتعالى، واحتج بقوله ﷻ: ﴿الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾، وكذا روى حبيب عن مالك بن أنس رحمه الله، وسئل الأوزاعي عن التنزل فقال: يفعل الله ما يشاء. أي: يظهر من أفعاله ما يشاء

وقال ابن عبد البر في التمهيد [١]: وقد قال **قومٌ من أهلِ الأثرِ** أيضًا: إنَّه ينزِلُ أمرُه، وتنزِلُ رحمتُه.

---

(١) فهي من رواية حبيب كاتبه وهو كذاب باتفاقهم. وقد رويت من وجه آخر لكن الإسناد مجهول. مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٥)

وانظر: الأشاعرة في ميزان أهل السنة (ص٥٨٠)

وانظر للرد على هذا القول ومناقشته : رد الدارمي على بشر المريسي ص ٢٠، مجموع الفتاوى ٥/ ٣٢١ و٣٦٩ و ٤١٥، شرح الأصفهانية (ص٧٨)، شرح حديث النزول (ص٣٥،٤، ٦٦) جامع المسائل ط عطاءات العلم (٣/ ١٧٤)، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص ٤٧٤) والردود والتعقبات للشيخ مشهور ص٩٣-٩٧

ورُوِي ذلك عن حبيبٍ كاتبِ مالكٍ وغيرِه.

وأنكَره **منهم** آخَرون، وقالوا: هذا ليس بشيءٍ؛ لأنَّ أمْرَه ورحمتَه لا يزالانِ ينزلان أبدًا في الليل والنَّهار، وتعالى المَلِكُ الجبّارُ الذي إذا أراد أمرًا قال له: كنْ، فيكونُ، في أيِّ وقتٍ شاءَ، ويختصُّ برحمتِه مَن يشاءُ متى شاء، لا إلهَ إلّا هو الكبيرُ المُتَعال.

وقد رَوَى محمدُ بنُ عليٍّ البَجَليُّ - وكان من ثقاتِ المسلمينَ بالقَيْروان - قال: حدَّثنا جامعُ بنُ سَوادَةَ بمصرَ، قال: حدَّثنا مُطَرِّفٌ، عن مالكِ بنِ أنسٍ، أنَّه سُئِل عن الحديث: "إنَّ اللهَ يَنزِلُ في الليلِ إلى سماءِ الدُّنيا"، فقال مالكٌ: يَتنزَّلُ أمرُه.

وقد يحتمِلُ أن يكونَ كما قال مالكٌ رحمه الله على معنَى أنَّه تتنَزَّلُ رحمتُه وقضاؤُه بالعَفو والاستجابة، وذلك من أمرِه؛ أي: أكثرُ ما يكونُ ذلك في ذلك الوقت، واللهُ أعلمُ

فهل بدعت أو ضللت الإمام ابن عبد البر؟[2].

---

(١)(٥/ ١٥٥ ت بشار) و(٧/ ١٤٣ ط المغربية) ، وانظر الاستذكار (٢/ ٥٢٩)

(٢) وإنما أكثرت النقل عنه رحمه الله لأن للطعان مرئيةً في تبرئة الإمام ابن عبد البر من الأشعرية!، وحُق له ذلك؛ فقد قال أبو عُمر: أهلُ السُّنة مجمِعُون على الإقرار بالصِّفاتِ الواردةِ كلِّها في القرآنِ والسُّنة، والإيمان بها، وحَمِلها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلّا أنَّهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفَةً محصورةً، وأمّا أهلُ البِدعِ والجهميّةُ والمعتزِلَةُ

كلُّها والخوارجُ، فكُلُّهم يُنكِرُها، ولا يحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعُمون أنَّ مَن أقَرَّ بها مُشَبِّهٌ، وهم عندَ من أثبَتها نافُون للمعبود، والحقُّ فيما قاله القائلون بما نطَق به كتابُ الله، وسُنَّةُ رسولِه، وهم أئمَّةُ الجماعة، والحمدُ لله. التمهيد (٥/ ١٥٦ ت بشار)

ولكن كما بدعت وضللت الإمام النووي بكلمات فما تقول في قول ابن عبد البر:

وَقَدْ قَالَتْ فِرْقَةٌ مُنْتَسِبَةٌ إِلَى السُّنَّةِ إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ!

ثم قال: وَهَذَا قَوْلٌ مَهْجُورٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَرَكَاتِ وَلَا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ. الاستذكار (٢/ ٥٣٠) ؟

وقال أبو عُمر: وقال نُعيم: ينزلُ بذاتِه، وهو على كرسيِّه.

ثم قال: ليس هذا بشيءٍ عندَ أهلِ الفَهمِ من أهلِ السُّنة؛ لأنَّ هذا كيفيّةٌ، وهم يَفزَعون منها؛ لأنَّها لا تصلُحُ إلّا فيما يُحاطُ به عِيانًا، وقد جَلَّ اللّٰهُ وتعالى عن ذلك، وما غاب عن العُيونِ فلا يصِفُه ذَوو العُقولِ إلّا بخَبَرٍ، ولا خَبرَ في صفاتِ الله إلّا ما وصَف نفسَه به في كتابه، أو على لسانِ رسولِه ﷺ، فلا نتعدَّى ذلك إلى تشْبيهٍ أو قياسٍ أو تمثيلٍ أو تنظيرٍ، فإنَّه ليس كمثلِه شيءٌ، وهو السَّميعُ البصير.

التمهيد (٥/ ١٥٦ ت بشار)، (٧/ ١٤٤ ط المغربية)

قال العلامة محمد علي آدم: المنكر على [نعيم بن] حمّاد قوله: "بذاته"، فإنه لم يرد في الكتاب، ولا في السنة زيادة هذه اللفظة، فهي منكرة، والله ﷻ أعلم.

البحر المحيط الثجاج (١٢/ ٢٤٣)

وانظر مناقشة الألباني لذلك في مقدمة مختصر العلو !

قلت: والأقرب أن مراد ابن عبد البر إنكار زيادة "وهو فوق عرشه"؛ لأنه وصف ذلك بالكيفية !، وقد كان بعض السلف يقولون : يخلو منه العرش، وجمهورهم يقولون: لا يخلو منه العرش، وبعضهم توقف !

انظر منهاج السنة ٢/٦٣٨ وما بعدها

وقال القاضي عياض: وَقَوله : "ينزل رَبُّنا تبارك وتعالى كل لَيْلَة" ، روى ابْن حبيب عَن مَالك: ينزل أمره وَنَهْيه ، وَأما هُوَ تَعَالَى فدائم لَا يَزُول وَقَالَهُ غَيره[١] وقال[٢]: ينزل أمره كل سحر ، وأما هو دائم فلا يزول، وقال الوليد بن مسلم سألت مالكاً عن هذه الأحاديث فقال أقرأها كما جاءت.

فقيل له : إن ابن عجلان يحدث بها ، فقال: لم يكن من الفقهاء.

وقال ابن عبد البر عن أثر مجاهد في الإقعاد ما حاصله: قول مجاهد هذا مردود بالسنَّة الثابتة عن النبي ﷺ، وأقاويل الصحابة، وجمهور السلف، وهو عند أهل السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس من العلماء أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

ومجاهد، وإن كان أحد المقدمين في العلم بتأويل القرآن، فإن له قولين في تأويل آيتين، هما مهجوران عند العلماء، مرغوب عنهما:

أحدهما هذا، والآخر قوله في قول الله ﷻ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قال: يوسع له على العرش، فيُجلسه معه، وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة، ومن بعدهم، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود الشفاعةُ.

انظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٤/ ٢٧٨) وليس مرادي هنا بحث المسألة، وإنما إلزامه أن ينقل كلمات السلف فيمن أنكر قول مجاهد وتطبيقها على ابن عبد البر ، فهل يفعل؟!

فإن فعل نأتيه بأشد منها، نسأل الله العافية

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٩)

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ٤٤)

وقال في رواية ابن القاسم وابن وهب: إنه كان لا يعرف هذه الأشياء.

وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه ، ولا تبلغه عقولهم ؛ فينكروه أو يضعوه في غير موضعه !

وقال [١]: المروى عن مالك فى تفسير هذا الحديث: ينزل أمره ورحمته، وعلى التأويل الآخر قول الأوزاعى فيه: يفعل الله ما يشاء

وقال ابن بطال: وقد روى حبيب، عن مالك، أنه قال فى هذا الحديث: ينزل أمره ورحمته، وقد رواه غير حبيب عنه، روى محمد بن على البجلى بالقيروان، قال: حدثنا جامع بن سوادة، قال: حدثنا مطرف، عن مالك بن أنس، أنه سئل عن هذا الحديث، فقال: ذلك تنزل أمره[٢].

وكذا تأوله أبو سليمان الخطابي [٣]، وفي هامش (ح) من الصحيح من الأخبار المجتمع على صحته[٤]: " قال الإمام ﵁: قوله: (ينزل ربّنا كلّ ليلة) : قيل: معناه : ينزل ملك ربّنا ، على تقدير حذف المضاف، كما يقال فعل السلطان كذا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١١٠)

(٢) شرح صحيح البخاري (٣/ ١٣٩)

(٣) كما في "الأسماء" للبيهقي (ص ٤٥٣) قال محقق إبطال التأويلات (ص٣١١ ط غراس): ولم أجده في المطبوع من معالم السنن (٤/٣٣١) في الكلام على حديث النزول.

(٤) وهو مخطوط (ص٦٠ الشاملة) لمحمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشَّيْبَاني، أبي بكر الجوزقي (٣٠٦ - ٣٨٨ هـ)، اعتنى به: دار الكمال المتحدة

الناشر: عطاءات العلم - موسوعة صحيح البخاري، النشرة: الثالثة، ١٤٣٨

وإن كان الفعل وقع من أتباعه، ويضاف إليه لما كان عن أمره، ويحتمل أن يكون عبر بالنّزول عن تقريب الباري تعالى للدّاعين حينئذ واستجابته لهم، وخاطبهم ﷺ بما جرت به عادتهم ليفهموا عنه، وكأن المتقرب منّا إذا كان في بساط واحد مع من يريد الدنو منه، يخبر عنه بأن يقال: جاء وأتى ، فإذا كان في علو قيل : نزل وتجلى، فيكون معناه على التأويل الأول أي ينزل أمره ورحمته".

فنقول : مع قولنا بقول السلف في هذه المسألة وغيرها: **أبمثل هذا يتهم الإمام النووي بالتحريف**؟ وماذا تقول عن هؤلاء الأئمة الذين سبقوه؟!

قال الطعان تحت عنوان: إنكار الإتيان والمجيء

(قال النووي: " قوله ﷺ : "فيأتيهم الله" أَنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجئ هُنَا عَنِ الرُّؤْيَةِ مجَازًا وَقِيلَ الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ سبحانه وتعالى سَمَّاهُ إِتْيَانًا وَقِيلَ المراد بيأتيهم اللهُ أَيْ يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللهِ")

وأحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ١٩)

ثم قال: (قول العلماء في هذا)، ونقل أقوالاً في الرد على من أنكرهما

والجواب: أولاً : بتر الطعان كعادته قول النووي قبل ذلك مباشرة: " **فَعَلَى هَذَا الْمُذْهَبِ يُقَالُ** فِي قوله ﷺ فيأتيهم الله أَنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ"

فهذا ليس قوله، وإنما قول على ذاك المذهب !

وهذا كلامه تاماً لتفهم مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "اعْلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا بَلْ يَقُولُونَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا وَنَعْتَقِدَ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِجَلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَعَظَمَتِهِ مَعَ اعْتِقَادِنَا الْجَازِمِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ التَّجَسُّمِ وَالِانْتِقَالِ وَالتَّحَيُّزِ فِي جِهَةٍ وَعَنْ سَائِرِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ مَذْهَبُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَاخْتَارَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مُحَقِّقِيهِمْ وَهُوَ أَسْلَمُ

وَالْقَوْلُ الثَّانِي وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ الْمُتَكَلِّمِينَ أنها تتأول على مايليق بِهَا عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا وَإِنَّمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهَا لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَقَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ذَا رِيَاضَةٍ فِي الْعِلْمِ فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ يُقَالُ فِي قوله ﷺ : "فيأتيهم الله"، أَنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجئ هُنَا عَنِ الرُّؤْيَةِ مَجَازًا

وَقِيلَ الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَمَّاهُ إِتْيَانًا

وَقِيلَ المراد بيأتيهم اللهُ أَيْ يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللهِ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هَذَا الْوَجْهُ أَشْبَهُ عِنْدِي بِالْحَدِيثِ، قَالَ: وَيَكُونُ هَذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَهُمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي أَنْكَرُوهَا مِنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ الظَّاهِرَةِ عَلَى الْمَلَكِ وَالْمَخْلُوقِ ، قَالَ: أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ يَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَةٍ أَيْ يَأْتِيهِمْ بِصُورَةٍ وَيُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ صُوَرِ مَلَائِكَتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْإِلَهِ لِيَخْتَبِرَهُمْ وَهَذَا آخِرُ امْتِحَانِ

الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَكُ أَوْ هَذِهِ الصُّورَةُ أَنَا رَبُّكُمْ رَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقِ مَا يُنْكِرُونَهُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ رَبَّهُمْ وَيَسْتَعِيذُونَ بِاللهِ مِنْهُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : "فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ"، فَالْمُرَادُ بِالصُّورَةِ هُنَا الصِّفَةُ وَمَعْنَاهُ **فَيَتَجَلَّى اللهُ ﷻ لَهُمْ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَهَا وَيَعْرِفُونَهُ بِهَا وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ بِصِفَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَةٌ لَهُ ﷻ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا"**

قال أبو الفضل: فهذا عرضه للأقوال ، فأين إنكاره؟!

وكذلك فعل الطيبي[1] في شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٥٢٨)، والعيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/ ١٧٣)، وقد قال بهذا التأويل جماعة من المفسرين، وجماعة من شراح

---

(١) ذكره الشمس الأفغاني في كتابه "الماتريدية" ضمن: "أسماء بعض كبار أئمة الإسلام الذين صرحوا بإجماع السلف على إثبات الصفات، وتقرير نصوصها بلا تأويل ولا تعطيل، وبلا تكييف، ولا تمثيل، ولا يختلف فيه منهم اثنان، ولم يتناطح في ذلك ..."

ونوقش في بعض ذلك !الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (١/ ٨٠٥، ٨٠٦)

الحديث[1]، حتى نُسب إلى الإمام أحمد أنه قال في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ : إنما تأتي قدرته ![2].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢/ ٣٩٨ قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (ص٢١٣)، آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٥٦٨)

(٢) المسائل العقدية من كتاب الروايتين والوجهين، مسائل من أصول الديانات (ص٥٩) للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، ت: سعود بن عبد العزيز الخلف ، ط: أضواء السلف - الرياض، السعودية

وقال المحقق: هكذا في المخطوط ولدى ابن القيم في مختصر الصواعق (٢/ ٥٣) أيضًا، ولم أقف على الرواية في المطبوع من محنة أحمد بن حنبل برواية حنبل والتي طبعت بتحقيق د. محمد نغش وقد نقل شيخ الإسلام من الرواية في الفتاوى (٥/ ٣٩٨) من هذا الموضع وفيها اختلاف، وجاء فيها أنه استدل بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ قال قيل: إنما يأتي أمره، وقال القاضي في إبطال التأويلات (١/ ١٣٢) "قد قال أحمد في رواية حنبل في قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: قدرته !

قال أبو إسحاق بن شاقلا: هذا غلط من حنبل لا شك فيه، وأراد أبو إسحاق بذلك أن مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذات، هذا ظاهر كلامه، والله أعلم.

وقد قال أحمد في رواية أبي طالب: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة :٢١٠] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر :٢٢] فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر.

وظاهر هذا أن أحمد أثبت مجيء ذاته لأنه احتج بذلك على جواز رؤيته، وإنما يحتج بذلك على جواز رؤيته إذا كان الإتيان والمجيء مضافًا إلى الذات".

و"الحقّ أن صفة الإتيان والمجيء دلّ عليها الكتاب والسنة[١]" ، "وقد ردّ ابن القيّم رحمه الله على من ادّعى أن الإتيان والمجيء مجاز من اثني عشر وجهًا، أبطل فيها تأويل هذه الصفة"[٢]، "ونحن نؤمن بهاتين الصفتين "الإتيان والمجيء" ولا نرضى بتأويل أي من الصفتين، " وهما صفتان فعليتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، وقال تعالي: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

ومن السنة قوله ﷺ في حديث الرؤية: "فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما كون إتيانه ومجيئه ونزوله ليس مثل إتيان المخلوق ومجيئه ونزوله فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة ومن له عقل ؛ فإن الصفات والأفعال تتبعان الذات المتصفة الفاعلة، فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات ليست مثلها ، لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات ليست مثلها ، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته، ولا ريب أنه العلي الأعلى العظيم فهو أعلى من كل

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٥/ ١٢٦)

(٢) البحر المحيط الثجاج (٥/ ١٢٧)

شيء وأعظم من كل شيء ؛ فلا يكون نزوله وإتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به أو تكون أعظم منه وأكبر هذا ممتنع"(١).

"ومن المعلوم أن السلف يؤمنون بأن الله تعالى يأتي إتياناً حقيقياً للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به، كما دل على ذلك كتاب الله تعالى ، وليس في هذا الحديث القدسي(٢) إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي فمن أثبت إتيان الله تعالى، حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به.

وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه وهو ﷻ يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

---

(١)انظر ذلك التأويل والرد عليه في آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٥٦٨)، ومجموع الفتاوى (١٦/ ٤٢٢).

(٢) وهو قَوْلُهُ تَعَالَى :"وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"

وفي شرح النووي على مسلم (١٧/ ٣) : "هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَيَسْتَحِيلُ إِرَادَةُ ظَاهِرِهِ وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ مَرَّاتٍ وَمَعْنَاهُ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ وَإِنْ زَادَ زِدْتُ فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً أَيْ صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ وَالْمُرَادُ أَنَّ جَزَاءَهُ يكون تضعيفه عَلَى حَسَبِ تَقَرُّبِهِ" .

وَلَمْ يتعرضْ الطعان لكلام النووي، فهل يقره؟ أَم غفل عنه؟!

وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال: إنه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء، ولهذا لم يأت في كلام الله تعالى عنه، ولا في كلام رسول الله ﷺ ما يصرفه عن ذلك "[١].

فنقول: الإمام النووي أخطأ في نقل هذا التأويل وعدم الرد عليه، وسبق أنه تراجع وسار على مذهب السلف الصالح، والله غفور رحيم

فما لك حملته على أحد الأقوال في المسألة ونسبته إليها؟

تنبيه: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حديث الصورة وإتيان الرب سبحانه وتعالى إلى أهل الموقف بصورته ، فقال: وأقرب ما يكون عليه إتيان الله سبحانه وتعالى في صورته بعد صورة - وإن كان **تأويلا باطلاً** - أيضاً ما **ذكره بعض أهل الحديث، مثل أبي عاصم النبيل**، أنه كان يقول: ذلك تغيير يقع في عيون الرائين، كنحو ما يخيل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو به فيتوهم الشيء على الحقيقة.

وقال عثمان بن سعيد في نقضه على بشر المريسي: " وأما إنكارك على رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله يتراءى لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته، فيقولون: نعوذ بالله منك، ثم يتراءى في صورته التي يعرفونها، فيتبعونه، فزعمت أن من أقر بهذا فهو مشرك.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٨٤)

فيقال لهم: أليس قد عرفتم ربكم في الدنيا، فكيف جهلتموه عند العيان، وشككتم فيه؟! ، وقد صح بهذا الخبر عن رسول الله ﷺ كأنك تسمعه يقوله من جودة إسناده، ولو أن الله تجلّى لهم أول مرة في صورته التي عرّفهم صفاتها في الدنيا، لاعترفوا بما عرفوا، ولكنه يُرى نفسه في أعينهم؛ لقدرته، ولطف ربوبيته، في صورة غير ما عرفهم الله صفاتها في الدنيا؛ ليمتحن الله بذلك إيمانهم، ثانية في الآخرة، أنهم لا يعترفون بالعبودية في الدنيا والآخرة إلا للمعبود الذي عرفوه في الدنيا بصفاته التي أخبرهم بها في كتابه، واستشعرتها قلوبهم حتى ماتوا على ذلك.

فإذا مثل في أعينهم غير ما عرفوا من الصفة نفروا، وأنكروا، إيماناً منهم بصفة ربوبيته التي امتحن قلوبهم في الدنيا بها، من غير أن يتحول الله من صورة إلى صورة.

ولكن يمثل ذلك في أعينهم، كما مثل جبريل مع عظم صورته، في صورة دحية الكلبي، وكما مثل لمريم بشراً، وكما شبه عيسى في أعين اليهود" [١]

وهذا باطل من وجوه بينها شيخ الإسلام ونقلها عنه الشيخ عبد الله الغنيمان[٢]

---

(١) نقض عثمان بن سعيد على المريسي (ص٤٢١ – ٤٢٣)، وانظر نقض التأسيس وشرح كتاب التوحيد من البخاري، الغنيمان (٢/ ١١٧ ، ١١٨)

(٢) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - الغنيمان (٢/ ١١٩- ١٢١) ونقض التأسيس (٣/٣٩٧ – ٤٠٤) المخطوط. منه

فهل ستتهم هؤلاء الأئمة بالتحريف والتعطيل، أم ستقول كما نقول : أخطأوا في هذا التأويل ، والله غفور رحيم؟!

ثم وجدت الطعان قال بذلك القول الباطل في مناظرته الثانية مع الرافضي !!

فما تقول في قولك؟!

وما تقول في قول ابن الجوزي(١): ومن الواقفين مَعَ الحس أقوام قالوا هو عَلَى العرش بذاته عَلَى وجه المماسة ، فَإِذَا نزل انتقل وتحرك ، وجعلوا لذاته نهاية ، وهؤلاء قد أوجبوا عَلَيْهِ المساحة والمقدار ، واستدلوا عَلَى أنه عَلَى العرش بذاته بقول النبي ﷺ: "ينزل اللهّ إِلَى سماء الدنيا" ، قالوا : ولا ينزل إلا من هو فوق، وهؤلاء حملوا نزوله عَلَى الأمر الحسي الذي يوصف به الأجسام ، وهؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات عَلَى مقتضى الحس ... ، ومن الناس من يَقُول : لله وجه هو صفة زائدة عَلَى صفة ذاته لقوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ، وله يد وله أصبع لقول رَسُول اللَّهِ ﷺ: "يضع السموات عَلَى أصبع" ، وله قدم إِلَى غير ذلك مما تضمنته الأخبار ، وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس ! **وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها** ، وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة ، وعلى هَذَا فسر الآية المحققون فقالوا : "ويبقى ربك"، وقالوا فِي قوله ﴿ يُرِيدُونَ وجهه﴾:

---

(١) وإنما أذكره رحمه الله إلزاماً للطعان؛ لأنه دافع عنه واعتذر له، وأثنى عليه، فلماذا لم يفعل ذلك مع الإمام النووي؟!، مع شدة كلام ابن الجوزي؟

"يريدونه" ، وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله :"قلوب العباد بين إصبعين" أن الأصبع لما كانت هي المقلبة للشيء وأن مَا بين الإصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة.

ثم قال ابن الجوزي: **والذي أراه السكوت عَلَى هَذَا التفسير أيضا** ، إلا أنه يجوز أن يكون مراداً، ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام [١].

وله رسالة في تأويل بعض الأحاديث النبوية، والتشنيع على من تعدى الطريقة الحنبلية.

ومنها قوله: وانتدب للتصنيف ثلاثة: عبد الله بن حامد، وصاحب القاضي، وابن الزاغونى، فصنفوا كتباً شانوا بها المذاهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته، فاثبتوا صورة ووجها زائداً على الذات وعينين وفماً ولهوات وأضراساً وجبهة وهي السبحات، ويدين واصابع، وكفاً وخنصراً وإبهاماً، وصدراً وفخذاً ، وساقين ورجلين. وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يَمس ويُمس، ويدنى العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفس

---

(١) تلبيس إبليس (ص٧٩) ط دار الفكر. والذي قاله قبل ذلك أشد !

فانظر فصل: ذكر تلبيس إبليس عَلَى أمتنا فِي العقائد والديانات ، وانظر الرد عاليه في طبعة د، المزيد ، ط مدار الوطن (ص ٢٥٩- ٢٧١)

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة، لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، لم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، ولم يقنعوا أن يقولوا صفة حتى قالوا صفات ذات، ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل: يديه على نعمته وقدرته، ولا المجئ ولا الإتيان على معنى بر ولطف، ولا ساق على شدة.

بل قالوا: نحملها على ظواهرها، والظاهر المعهود من نعوت الآدميين والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن، وهم يتحرجون عن التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السنة.

وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام، فقد نصحت التابع والمتبوع، وقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يقل!

فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه.

ثم قلتم في الأحاديث: تحمل علي ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة.

فإنه لما قيل في عيسى : "روح الله" ، اعتقدت النصارى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم !

ومن قال: استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات.

ثم قال: ينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل، فإنا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم.

فلو أنكم قلتم: "نقر الأحاديث ونسكت"، ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه.

ولقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً ؛ حتى لا يقال: حنبلى[١] إلا مجسم[٢].

قال الطعان تحت عنوان: تحريف يمين الله

(قال النووي: " قَوْلُهُ ﷺ "عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ" ... مِنْهُمْ مَنْ قَالَ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَتكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهِ وَلَا نَعْرِفُ مَعْنَاهُ لَكِنْ نَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ وَأَنَّ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِالله ﷻ ... والثاني أنها تؤول عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَعَلَى هَذَا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ ؓ : الْمُرَادُ بِكَوْنِهِمْ عَنِ الْيَمِينِ الْحَالَةُ الحسنة والمنزلة الرفيعة). ثم أحال على شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١٢)

والعجب أنه لم يقل هنا: قول العلماء في هذا !، فلماذا يا هذا؟!

---

(١) كذا في الأصل: ولعل (ما) ساقطة. قاله المحقق.

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص٤٧٥، ٤٧٦) بتصرف يسير

وكم في كلامه من المخالفات؟!، غفر الله لنا وله، فماذا يقول الطعان فيه؟!!

والجواب: أولاً : كعادته – قطع الله هذه العادة – بتر من كلام النووي رحمه الله، **وهاك كلامه تاماً :** "قَوْلُهُ ﷺ "عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ" فَهُوَ **مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَقَدْ سَبَقَ فِي أَوَّلِ هَذَا الشَّرْحِ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا** وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهِ وَلَا نَعْرِفُ مَعْنَاهُ لَكِنْ نَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ وَأَنَّ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِاللهِ سبحانه وتعالى **وَهَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ السلف وطوائف من المتكلمين**

والثاني أنها تؤول عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ

وَعَلَى هَذَا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رضي الله عنه[1]: الْمُرَادُ بِكَوْنِهِمْ عَنِ الْيَمِينِ الْحَالَةُ الحسنة والمنزلة الرفيعة[2]، **قال: قال ابن عَرَفَةَ: يُقَالُ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ إِذَا جَاءَهُ مِنَ الْجِهَةِ الْمَحْمُودَةِ وَالْعَرَبُ تَنْسِبُ الْفِعْلَ الْمَحْمُودَ وَالْإِحْسَانَ إِلَى الْيَمِينِ وَضِدَّهُ إِلَى الْيَسَارِ قَالُوا واليمين مأخوذة مِنَ الْيُمْنِ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : "وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ" فَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْيَمِينِ جَارِحَةً تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِ سبحانه وتعالى** "[3].

(١) وانظر إكمال المعلم (٦/ ٢٢٧ - ٢٢٨)

(٢) لا داعي للاحتمال الذي ذكره، بل الظاهر من معنى الحديث معنى صحيح، لا يحتاج إلى العدول عنه، فإن الله سبحانه وتعالى يُكرمهم يوم القيامة بالجلوس على المنابر من نور؛ ليراهم الخلق، ويُعتَرَفَ بفضلهم، وعلوّ شأنهم عند ربّهم، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. البحر المحيط الثجاج (٣١/ ٧١٥)

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١١، ٢١٢)

وآخر كلامه يدل على أنه إنما ينفي الجارحة ! ، و"اليمين بمعنى الجارحة لا يتوهّم عاقل أنَّها المقصودة في إطلاق اليمين لله ﷻ، فإن من اعتقد أن لله ﷻ ذاتًا، لا تُشبه الذوات، فكذلك يعتقد أن له صفات لا تشبه الصفات، فكما لا يعتقد أن ذاته مركبة من لحم، وعظم، ونحو ذلك، كذلك لا يعتقد أن يمينه ﷻ جارحة مركبة من لحم، وعظم، وعصب، ونحوه، بلا فرق، وقد تقدّم لنا غير مرّة أن مذهب سلف الأمة، من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وأهل الحديث قاطبة إثبات جميع الصفات التي وردت في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، على ظاهرها، منزّهين الله تعالى عن مشابهة خلقه له، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فاسلك سبيلهم، فإنه الصراط المستقيم، والله ﷻ الهادي إلى سواء السبيل"(١).

"وهل قال ابن تيمية وغيره من اتباع السلف إن معنى اليد الجارحة؟!

بل معنى ذلك أنهم يثبتون حقائق جميع الصفات، وينفون مماثلة المخلوقات، ومذهبكم أن الآيات والأحاديث ظاهرها التشبيه والتجسيم، فشبهتم أولاً وعطلتم ثانيًا، وأما السلف واتباعهم فنزّهوا كتاب ربهم وسنة نبيهم، وأثبتوا الصفة ونفوا علم الكيفية"(٢).

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٣١/ ٧١٦)

(٢) تنبيه النبيه والغبي للعلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ص: ٣٢٧)

قال شيخ الإسلام بعد سرد الأدلة على "إثبات صفة اليد للهَّ ﷻ على الوجه الذي يليق بجلاله، فهو كالقول في سائر الصفات، وهو ﷻ منزّه عن مشابهة الخلق في كل شيء، موصوف بصفات الكمال اللائقة به ﷻ"[١].

" فالقائل إن زعم أنه **ليس له يد من جنس أيدي المخلوقين، وأن يده ليست جارحة، فهذا حق.**

وإن زعم أنه ليس له يد زائدة على الصفات السبع، فهو مبطل"[٢].

قال الإمام الخطابي: ليس فيما يضاف إلى اللّه تعالى من صفة اليدين شمال ؛ لاشتماله على النقص والضعف بكلتا يديه ، "عن يمين" هي صفة جاء بها التوقيف فنطلقها على ما جاءت ولا نكيفها ، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة [٣].

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٤١/ ٢٢٥)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٣٦٣)

والمراد بالصفات السبع: صفات الله ﷻ السبع التي يُثبتها الأشاعرة، ويُؤوِّلون ما عداها !، وهي: قدرة الله ﷻ وﷻ ، وعلمه، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلا مه، وزعموا أنها صفات له أزليةٍ. تقريب فتاوى ابن تيمية (١/ ٤٨٦)

(٣) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٨/ ٦٩٥) وعزاه لأعلام الحديث (٤/ ٢٣٤٧) ونقل هذا القول عن الخطابي البغوي في"شرح السنة": (١٠/ ٦٤) ، والبيهقي في كتاب"الأسماء والصفات": (ص ٤١٩) وينظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١٧/ ٣٧٩) الكواكب الدراري(٢٥/ ١٣٦)، ، عمدة القاري (٢٥/ ١١٩)

وقال البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات": باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين **لا من حيث الجارحة؛ لورود الخبر الصادق به. يعني إثبات اليدين لله حقيقة، لا على الوجه الثابت للمخلوق، هذه اليد الجارحة للمخلوق لكن نثبتها حقيقة لله على الوجه اللائق به** ﷻ؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب[1].

قال ابن القيم: "ورد لفظ اليد فى القرآن والسنة، وكلام الصحابة، والتابعين، فى أكثر من مائة موضع، ورودا متنوعاً، متصرفا، فيه مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقية من الإمساك والطى والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، وتخميره طينة آدم بيده، ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما فى يديه، فقال: اخترت يمين ربى، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها، وكتابته بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر ادم بيده، ثم قال: له ويداه مفتوحتان، اختر فقال: اخترت يمين ربى، وكلتا يديه يمين مباركة، وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقةَ سحاء الليل والنهار، وبيده الأخرى القسط يرفع

---

(١) انظر السنن الكبير للبيهقي (المقدمة٤٧، ٤٨ ت التركي)

ويخفض، أنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوى السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يطوى الأرض باليد الأخرى، وأنه خط الألواح التى كتبها لموسى بيده"(١).

وقد رد ابن خزيمة في كتاب التوحيد على من أنكر صفة اليد أو أوّلها(٢).

تنبيه: أجمع أهل السنة على القول بما تظاهرت على إثباته النصوص من الكتاب والسنة من أن لله يدين حقيقية على الكيفية اللائقة بجلاله والتثنية هنا إثبات لأنهما يدان وليس يداً واحدة وفي الحديث: "وكلتا يدي ربنا يمين"(٣).

تنبيه آخر: قال الخطيب البغدادي: وَيَتَجَنَّبُ الْمُحَدِّثُ فِي أَمَالِيهِ رِوَايَةِ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ عُقُولُ الْعَوَامِّ ، لِمَا لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنْ دُخُولِ الْخَطَأِ وَالْأَوْهَامِ ، وَأَنْ يُشَبِّهُوا اللهَ تَعَالَى بِخَلْقِه، وَيُلْحِقُوا بِهِ مَا يَسْتَحِيلُ فِي وَصْفِهِ ؛ وَذَلِكَ نَحْوُ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا يَقْتَضِي التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ وَإِثْبَاتَ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ لِلْأَزَلِيِّ الْقَدِيمِ ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَحَادِيثُ صِحَاحًا وَلَهَا فِي التَّأْوِيلِ طُرُقٌ

(١) مختصر الصواعق المرسلة (١٧٢/ ٢) وانظر شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥، "الرسالة الوافية" للداني (ص ٤٨)، "شرح أصول الاعتقاد" للالكائي ٣/ ٤١٢، "شرح لمعة الاعتقاد" لابن قدامة (ص ٤٩)، "الفتوى الحموية"، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٣٠ - ١٣٤)

(٢) انظر التوحيد (١/ ١١٨ - ١٨٧)

(٣) أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين (ص١٥)

وَوُجُوهٌ ، إِلَّا أَنَّ مِنَ حَقِّهَا أَنْ لَا تُرْوَى إِلَّا لِأَهْلِهَا ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُضَلَّ بِهَا مَنْ جَهِلَ مَعَانِيَهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَوْ يَسْتَنْكِرُهَا فَيَرُدَّهَا وَيُكَذِّبُ رِوَاتِهَا وَنَقَلَتَهَا[1]. ثم استدل بآثار عن السلف الصالح فانظرها

قال الطعان تحت عنوان: إنكار الرؤية الحقيقية

(قال النووي: " اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ ﷻ مُمْكِنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَى وُقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى دُونَ الْكَافِرِينَ ... ثُمَّ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ قُوَّةٌ يَجْعَلُهَا اللهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا اتِّصَالُ الْأَشِعَّةِ وَلَا مُقَابَلَةُ الْمَرْئِيِّ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ لَكِنْ جَرَتِ الْعَادَةُ فِي رُؤْيَةِ بَعْضِنَا بَعْضًا بِوُجُودِ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الِاتِّفَاقِ لَا عَلَى سَبِيلِ الِاشْتِرَاطِ وَقَدْ قَرَّرَ أَئِمَّتُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ الْجَلِيَّةِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ إِثْبَاتُ جِهَةٍ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - بَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ لَا فِي جِهَةٍ كَمَا يَعْلَمُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ")

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥)، ثم قال: (قول العلماء في هذا)

والجواب: أولاً: هذا كلام الإمام النووي تاماً

---

(١)الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٠٧)، وانظر: صحيح البخاري باب من خص بالعلم قوماً دون قوم آخرين حديث (١٢٧)، مقدمة ابن الصلاح ص ٢٢١ ، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٣/ ٢٦٧)، إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ (١/ ٥١٠)

قال رَحِمَهُ اللهُ: "اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُمْكِنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا

وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَى وُقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى دُونَ الْكَافِرِينَ

وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ وَأَنَّ رُؤْيَتَهُ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا

وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خَطَأٌ صَرِيحٌ وَجَهْلٌ قَبِيحٌ **وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَرَوَاهَا نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَآيَاتُ الْقُرْآنِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ**

وَاعْتِرَاضَاتُ الْمُبْتَدِعَةِ عَلَيْهَا لَهَا أَجْوِبَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَكَذَلِكَ بَاقِي شُبَهِهِمْ وَهِيَ مُسْتَقْصَاةٌ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ بِنَا ضَرُورَةٌ إِلَى ذِكْرِهَا هُنَا

وَأَمَّا رُؤْيَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا فَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهَا مُمْكِنَةٌ ، وَلَكِنَّ الْجُمْهُورَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهَا لَا تَقَعُ فِي الدُّنْيَا

وَحَكَمَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ فُورَكَ أَنَّهُ حَكَى فِيهَا قَوْلَيْنِ لِلْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ أَحَدُهُمَا وُقُوعُهَا وَالثَّانِي لَا تَقَعُ

ثُمَّ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ قُوَّةٌ يَجْعَلُهَا اللهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا اتِّصَالُ الْأَشِعَّةِ ، وَلَا مُقَابَلَةُ الْمَرْئِيِّ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ

لَكِنْ جَرَتِ الْعَادَةُ فِي رُؤْيَةِ بَعْضِنَا بَعْضًا بِوُجُودِ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الِاتِّفَاقِ لَا عَلَى سَبِيلِ الِاشْتِرَاطِ ، وَقَدْ قَرَّرَ أَئِمَّتُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ الْجَلِيَّةِ

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ إِثْبَاتُ جِهَةٍ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - بَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ لَا فِي جِهَةٍ كَمَا يَعْلَمُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

ونقول: سبق الكلام عن مسألة الجهة

وأما الرؤية فقد أثبتها الإمام النووي، لكن وجه الإشكال في: "لا في جهة"!

فنقول: "تواترت الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد والأجزاء عن نحو من عشرين صحابيًّا كرامة فضلاء عن النبي ﷺ، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا يكاد ينازع من له إنصاف في تواتر أحاديث رؤية الله يوم القيامة"[٢]، " وإنما تعذرت رؤيته (ﷻ) في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة الباصرة في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى، وإذا جاز أن يرى ﷻ **فالرؤية المعقولة** عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥) وانظره في شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٥٧٤) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٠١)

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ١٥٠)

المرئي مقابلًا للرائي مواجهة له مباينًا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينته للمرئي لزم ضرورة أن يكون مرئيًا له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، **وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه ﷻ من فوقهم لا من تحتهم** "[١]، و"**كون الله يُرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة**"[٢].

ومع ذلك كله قال شيخ الإسلام" أَمَّا إِثْبَاتُ رُؤْيَةِ الله ﷻ بِالْأَبْصَارِ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ قَوْلُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، وَجَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهَا. وَقَدْ تَوَاتَرَتْ فِيهِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، **وَجُمْهُورُ الْقَائِلِينَ بِالرُّؤْيَةِ** يَقُولُونَ: يُرَى عِيَانًا مُوَاجَهَةً، **كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْعَقْلِ** "

ثم ذكر بعض الأحاديث ثم قال: " وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَتَقْدِيرُ أَنْ يَكُونَ **بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُثْبِتِينَ لِلرُّؤْيَةِ أَخْطَأُوا فِي بَعْضِ أَحْكَامِهَا**، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ قَدْحًا فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّا لَا نَدَّعِي الْعِصْمَةَ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا نَدَّعِي أَنَّهُمْ لَا يَتَّفِقُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالرَّافِضَةُ فَالصَّوَابُ فِيهَا مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ "[٣].

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٣٢) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٣٠ – ٤٣٢)، مجموع الفتاوى (٦/ ١٣٦) ، شرح التدمرية ، محمد بن خليفة التميمي (٢/ ٩٩٨)

(٢) انظر تفصيل وجوه ذلك في بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٣٢ – ٤٤٩)

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/ ٣٤١، ٣٤٢)

فنقول: غفر الله تعالى للإمام النووي ، وقد قال رحمه الله في الفتاوى (ص٣٩):

"يراه المؤمنون في الدار الآخرة بغير إحاطة"

وقال الشيخ عبد الله بن الإمام محمد بن عبد الوهاب:"وإنه يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيف ولا إحاطة"[١].

وقبلهما قال الإمام الطحاوي[٢]: وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) [الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣] ، وَتَفْسِيرُهُ على ما أراده اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ ، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فَهُوَ كَمَا قَالَ وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ للهِ عز وجل ولرسوله ﷺ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ

وقبله قال الإمام الحافظ الإسماعيلي[٣] في اعتقاد أئمة الحديث (ص٦٢):

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٣٨)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٢٧)

(٢) العقيدة الطحاوية – تعليق الألباني (ص٤٣)، وانظر بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ١٩٩)، العرش للذهبي (٢/ ٣٦٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٣٧٧ ط عطاءات العلم)، شرح الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٢٠٧ ط الرسالة

(٣) قال محقق الكتاب (ص٤٨): قال الحاكم عن الإمام الإسماعيلي: "كان الإسماعيلي واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم في الرئاسة والمروءة والسخاء" (سير أعلام النبلاء ١٦/٢٩٤)، وقال السمعاني: " إمام أهل جرجان والمرجوع إليه في الحديث والفقه " (الأنساب ١/ ١٣٩)، وقال الذهبي: "الإمام الحافظ الفقيه شيخ الإسلام" (سير أعلام النبلاء

ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله ﷻ في القيامة، دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابًا له في الآخرة، كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ - إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه، كانوا جميعا عنه محجوبين، وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله ﷻ(١) ولا التحديد له، **ولكن يرونه جل وعز بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف.**

---

١٦ / ٢٩٢) ، وقال في موضع آخر: "الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام" (تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٤٧)، وقال عنه ابن كثير: "الحافظ الكبير الرحال الجوال سمع الكثير وحدث وخرج وصنف فأفاد وأجاد وأحسن الانتقاد والاعتقاد" (البداية والنهاية ١١ / ٣١٧) .

وقال عنه ابن عبد الهادي: "الإمام الحافظ الكبير أحد الأئمة الأعلام ... كبير الشافعية بناحيته" (طبقات علماء الحديث ٣ / ١٤٠) .

(١) قال محقق الكتاب د/ **محمد بن عبد الرحمن الخميس**: التجسيم: من الألفاظ المجملة المحدثة التي أحدثها أهل الكلام فلم ترد في الكتاب والسنة ولم تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الدين وما كان أغنى الإمام المصنف رحمه الله تعالى عن مثل هذه الكلمات المبتدعة فلذلك لا يجوز إطلاقها نفياً ولا إثباتاً فإن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله نفياً وإثباتاً.

انظر مجموع الفتاوى (٣/٣٠٦) ، ومنهاج السنة (٢/١٣٥) اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث (ص٤٠٣)

وقبله قال ابن قتيبة[1]: وَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ، وَيَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْقِصَاصِ، فَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، كَمَا لَا يَخْتَلِفُونَ فِي الْقَمَرِ.

وَلَمْ يَقَعِ التَّشْبِيهُ بِهَا عَلَى كُلِّ حَالَاتِ الْقَمَرِ، فِي التَّدْوِيرِ، وَالْمَسِيرِ وَالْحُدُودِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّشْبِيهُ بِهَا، عَلَى أَنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ عَجَلًا كَمَا نَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُخْتَلَفُ فِي ذَلِكَ، كَمَا لَا يُخْتَلَفُ فِي الْقَمَرِ

ثم قال الطعان تحت عنوان: إنكار الصورة

(قال النووي: " فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ: فَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَقَدْ سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَيَانُ حُكْمِهَا وَاضِحًا وَمَبْسُوطًا وَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُمْسِكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا وَيَقُولُ نُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ وَأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ وَلَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِهَا وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَهُوَ أَحْوَطُ وَأَسْلَمُ وَالثَّانِي أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِتَنْزِيهِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ ليس كمثله شئ قَالَ الْمَازِرِيُّ هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا اللفْظِ ثَابِتٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ وَلَيْسَ بِثَابِتٍ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَكَأَنَّ مَنْ نَقَلَهُ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي وَقَعَ لَهُ وَغَلِطَ فِي ذَلِكَ قَالَ الْمَازِرِيُّ وَقَدْ غلط بن قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَأَجْرَاهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وقال

(١) تأويل مختلف الحديث (ص٢٩٨)

للهَّ تَعَالَى صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ظَاهِرُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الصُّورَةَ تُفِيدُ التَّرْكِيبَ وكل مركب محدث والله تعالى ليس بمحدث فليس هُوَ مُرَكَّبًا فَلَيْسَ مُصَوَّرًا قَالَ وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُجَسِّمَةِ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ... وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِهِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ الضَّمِيرُ فِي صُورَتِهِ عَائِدٌ عَلَى الْأَخِ الْمَضْرُوبِ وَهَذَا ظَاهِرُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَعُودُ إِلَى آدَمَ وَفِيهِ ضَعْفٌ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ يَعُودُ إِلَى اللهِ ﷻ وَيَكُونُ الْمُرَادُ إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ وَاخْتِصَاصٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى نَاقَةَ اللهِ وَكَمَا يُقَالُ فِي الْكَعْبَةِ بَيْتُ اللهِ وَنَظَائِرُهُ"

قال النووي:" قَوْلُهُ ﷺ : "فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ"، فَالْمُرَادُ بِالصُّورَةِ هُنَا الصِّفَةُ وَمَعْنَاهُ فَيَتَجَلَّى اللهُ ﷻ لَهُمْ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَهَا وَيَعْرِفُونَهُ بِهَا وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ بِصِفَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَةٌ لَهُ ﷻ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالصُّورَةِ عَنِ الصِّفَةِ لِمُشَابَهَتِهَا إِيَّاهَا وَلِمُجَانَسَةِ الْكَلَامِ")

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٦٦) و(٣/ ٢٠)

ثم قال: (قول العلماء في هذا)

وأقول : أولاً : هذا كلام الإمام النووي تاماً:

قَوْلُهُ ﷺ : "فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"، فَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بَيَانُ حُكْمِهَا وَاضِحًا وَمَبْسُوطًا **وَأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ**

يُمْسِكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا وَيَقُولُ نُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ وَأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ وَلَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِهَا وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَهُوَ أَحْوَطُ وَأَسْلَمُ

وَالثَّانِي أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِتَنْزِيهِ الله ﷻ وَأَنَّهُ ليس كمثله شيء ، قَالَ الْمَازِرِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا اللفْظِ ثَابِتٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : "إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ"، وَلَيْسَ بِثَابِتٍ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَكَأَنَّ مَنْ نَقَلَهُ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي وَقَعَ لَهُ وَغَلِطَ فِي ذَلِكَ[1].

---

(١) والصواب أنه ثابت وصححه جماعة من الأئمة، ولكن للألباني بحث في تضعيفه ! وتضعيفه محل اجتهاد فلا يُطعن فيمن ضعفه !

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٥٨٠)، الحارث ابن أبي أسامة في مسنده (زوائد الهيثمي٨٧٢)، ابن أبي عاصم في السنة (٥١٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٩٨)، ابن خزيمة في التوحيد (٤١)، الآجري في الشريعة (٧٢٥)، الدارقطني في الصفات (٤٨،٤٩)، البيهقي في الصفات (٦٢٧،٦٤٠). كلهم من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر، ورواه عن الأعمش جرير بن عبد الحميد ،ومحاضر وخالفهم ابن خزيمة في التوحيد (٤٢)، فأخرجه مرسلاً من طريق محمد بن المثنى عن ابن مهدي عن الثوري عن حبيب عن عطاء.

وقد ضعف ابن خزيمة الإسناد المتصل: فقال: فإن في الخبر عللاً ثلاثًا :

إحداها : أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده فأرسله ولم يقل : عن ابن عمر.

والثانية : أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت

والثالثة : أن حبيب بن أبي ثابت مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء . التوحيد ٨٦/١

قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَقَدْ غلط ابن قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَأَجْرَاهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وقال: لِلَّهِ تَعَالَى صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ظَاهِرُ الْفَسَادِ لِأَنَّ الصُّورَةَ تُفِيدُ التَّرْكِيبَ ، وكل مركب محدث، والله تعالى ليس بمُحْدَث فليس هُوَ مُرَكَّبًا فَلَيْسَ مُصَوَّرًا

قَالَ : وَهَذَا كَقَوْلِ الْمُجَسِّمَةِ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ لَمَّا رَأَوْا أَهْلَ السنة يقولون الباري ﷻ شئ لَا كَالْأَشْيَاءِ طَرَدُوا الِاسْتِعْمَالَ ؛ فَقَالُوا جِسْمٌ لَا كالاجسام

والفرق: أن لفظ "شئ" لَا يُفِيدُ الْحُدُوثَ وَلَا يَتَضَمَّنُ مَا يَقْتَضِيهِ ، وَأَمَّا جِسْمٌ وَصُورَةٌ فَيَتَضَمَّنَانِ التَّأْلِيفَ وَالتَّرْكِيبَ وَذَلِكَ دليل الحدوث

قال الألباني: والعلة الرابعة : هي جرير بن عبد الحميد ؛ فإنه و إن كان ثقة ، فقد ذكر الذهبي في ترجمته من "الميزان" أن البيهقي ذكر في "سننه" في ثلاثين حديثًا لجرير بن عبد الحميد قال :" قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ " . السلسلة الضعيفة٣/٣١٧

فمن ذلك تكون لفظة (على صورة الرحمن) شاذة، والثابت (على صورته)، وعلى كلٍ فالصورة ثابتة لله تبارك وتعالى كما سنبين إن شاء الله تعالى.

وسُئل الدارقطني عن حديث عطاء بن رباح عن ابن عمر ، قال رسول الله ﷺ : (لا تقبحوا الوجه ، فإن ابن آدم خُلق على صورة الرحمن)، فقال:

يرويه حبيب بن أبي ثابت ،واختُلف عنه: فرواه جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن حبيب عن عطاء عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وغيره يرويه عن الأعمش عن حبيب عن عطاء مرسلاً عن النبي ﷺ، وكذلك رواه الثوري عن حبيب عن عطاء مرسلاً، والمرسل أصح. علل الدارقطني١٣/١٨٨ .

قال: العجب من ابن قُتَيْبَةَ فِي قَوْلِهِ : "صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ "، مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ الْحَدِيثِ عَلَى رَأْيِهِ يَقْتَضِي خَلْقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ فَالصُّورَتَانِ عَلَى رَأْيِهِ سَوَاءٌ فَإِذَا قَالَ لَا كَالصُّوَرِ تَنَاقَضَ قَوْلُهُ

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا : إِنْ أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ صُورَةٌ لَا كَالصُّوَرِ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُؤَلَّفٍ وَلَا مُرَكَّبٍ فَلَيْسَ بصورة حقيقة وَلَيْسَتِ اللفْظَةُ عَلَى ظَاهِرِهَا ؛ وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُوَافِقًا عَلَى افْتِقَارِهِ إِلَى التَّأْوِيلِ!

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِهِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : الضَّمِيرُ فِي صُورَتِهِ عَائِدٌ عَلَى الْأَخِ الْمَضْرُوبِ وَهَذَا ظَاهِرُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يَعُودُ إِلَى آدَمَ وَفِيهِ ضَعْفٌ

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : يَعُودُ إِلَى اللهِ ﷻ وَيَكُونُ الْمُرَادُ إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ وَاخْتِصَاصٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَاقَةَ اللهِ﴾، وَكَمَا يُقَالُ فِي الْكَعْبَةِ: بَيْتُ اللهِ وَنَظَائِرُهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

ثانياً: هذا الكلام نقله الإمام النووي عمن تقدم كعادته، فهو ناقل للقولين[٢]!.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٦٦)، ونقله الطيبي في شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن (٨/ ٢٤٩٢)، وعلي القاري في مرقاة المفاتيح (٦/ ٢٣٠٣) وكلامه الثاني نقله ابن الوزير في العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ (٨/ ٣٣٧)، وفي الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ (٢/ ٤٥١)

(٢) انظر : المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٩٩) ، وشرح النووي على مسلم (١٦/ ١٦٦)

وليس هذا الكلام بصحيح، بل هو خطأ وباطل، ولكن انظر للعلماء كيف يردون الخطأ [١].

قال العلامة الراجحي: **فهؤلاء العلماء الكبار كالمازري، والنووي رحمهم الله وغيرهم أوَّلوا هذه الصفات، وظنوا أن هذا هو الحق، ولم يوفَّقوا لمذهب أهل السنة والجماعة،** وهذا يفيد أنه ينبغي لطالب العلم أن يعض على مذهب أهل السنة والجماعة بالنواجذ، وأن يحمد الله تعالى أن وفقه لِما اختلف فيه من الحق[٢].

ونقول إلزاماً لهذا الطعان:

هل تستطيع أن تفعل ما فعلته مع الإمام النوي مع غيره من الأئمة ممن تأولوا هذا الحديث !

قال ابن تيمية: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في الحديث عائد إلى الله تعالى، فإنه مستفيض من طرق متعددة، عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ...[٣] ولكن لما

(١) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم (٧/٣٧٣- ٣٧٥)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٥٥٨، ٥٦١)، آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٤٥٨، ٥١١ - ٥١٩)، والردود والتعقبات لمشهور حسن: (ص١٧١ - ١٩٠)

(٢) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم (٧/ ٣٧٥)

(٣) انظر تأويل مختلف الحديث (١/ ٢٢١)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ٨١ ، ١٥١)، أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (١٢١-١٤٣)

انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، **كأبي ثور[١]، وابن خزيمة[٢]، وأبي الشيخ الأصفهاني، وغيرهم** ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة[٣].

---

(١) قال أبو ثور: إنما هو على صورة آدم ليس هو على صورة الرحمن. طبقات الحنابلة (٢/٨٩، ٩٠).

(٢) قال ابن خزيمة: **توهم بعض من لم يتحر العلم** أن قولـه: " صورته". يريد صورة الرحمن ﷻ عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل الخبر، بل معنى قوله: " خلق آدم على صورته ": الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، والمشتوم، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب، الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: (ووجه من أشبه وجهك)، لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم : قبَّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبِّحًا وجه آدم ﷺ الذي وجوه بنيه شبيه بوجه أبيهم، فتفهموا – رحمكم الله – معنى الخبر، لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، **وتحملوا على القــول بالتشبيه الذي هو ضلال.** كتاب التوحيد (١/٨٤).

وقال: فصورة آدم ستون ذراعاً، التي أخبر النبي ﷺ أن آدم خُلق عليها، لا على ما توهم بعض من لم يتحر العلم، فظن أن قوله (على صورته): صورة الرحمن، صفة من صفات ذاته، جل وعلا عن أن يوصف بالموتان والأبشار، قد نزه الله نفسه وقدس عن صفات المخلوقين، فقال:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. كتاب التوحيد (١/٩٤).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٩٦، ٣٩٩)

ونحن ننكر كما أنكر علماء السنة، ولكن لا نضللهم ولا نكفرهم كما فعل هذا الطعان!

ومنهم: ابن منده[١]، والخطابي[٢]، والبيهقي[٣].

ومن المعاصرين : العلامة محمد ناصر الألباني، والعلامة محمد أمان الجامي[٤]، **د ، عبد العظيم بدوي نائب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية**[٥].

ونقول كما قال قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي: **أخطأ محمد بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه ذلك، بل لا يُؤخذ عنه هذا فحسب.**

---

(١) قال ابن منده: اختلف أهل التأويل في معنى هذا الحديث، وتكلموا على ضروب شتى، والأحسن أن الله ﷻ خلق آدم على صورته، معناه: لم يخلقه طفلاً ثم صبياً ثم كهلاً ثم شيخاً، هو الأصح منها ، وإنما أراد النبي ﷺ بهذا الكلام أن الله ﷻ خلق بني آدم على صورة آدم ﷺ ، فإذا شتم أحد من ولده ومن يشبه وجهه فقد شتم آدم ﷺ ، فنهى عن ذلك . التوحيد لابن منده (١/١٠٥:١٠٦).

(٢) قال الخطابي في أعلام الحديث (٣/٢٢٢٧): الهاء كناية عن اسمين ظاهرين فلا يصح أن يضاف إلى الله ﷻ لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة ﷻ :﴿ليس كمثله شيء﴾، فكان مرجعها إلى آدم ﷺ فالمعنى أن ذرية آدم إنما خُلقوا أطوارا كانوا في مبدأ الخلقة نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صاروا صور أجنة إلى أن تتم مدة الحمل فيولدون أطفالا وينشؤون صغارًا إلى أن يكبروا فتطول أجسامهم ،يقول: إن آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة، لكنه أول ما تناولته الخلقة وجد خلقًا تامًا طوله ستون ذراعًا

(٣) فقد نقل قول الخطابي وأقره عليه في الأسماء والصفات(٢/٦١)

(٤) المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية ص١٢

(٥) التعليق السني على شرح صحيح مسلم ص ٣٠٧-٣٠٨

قال أبو موسى المديني : أشار بذلك إلى أنه قلَّ من إمام إلا وله زلة، فإن تُرك ذلك الإمام لأجل زلته، تُرك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يُفعل [١].

وكما قال الذهبي: وقد تأول ابن خزيمة في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكَفُّوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الائمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه [٢].

وقال الذهبي: أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء [٣]

وسبق قول النووي: هذا من أحاديث الصفات ومذهب السلف أَنَّهُ لَا يُتكَلَّم فِي مَعْنَاهَا ، بَلْ يَقُولُونَ يَجِب عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِن بِهَا وَنَعْتَقِد لَهَا مَعْنًى يَلِيق بِجَلَالِ الله تَعَالَى مَعَ اِعْتِقَادنَا الْجَازِم أَنَّه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء ، وَهَذَا الْقَوْل اختاره جَمَاعَة مِنْ محققي الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَهُوَ أَسْلَم [٤].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/٤١٩،٤٢٤،٤٣٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧٤:٣٧٦).

(٣) ميزان الاعتدال (٤/٩٦).

(٤) شرح النووي(٢/٢٩).

قال الطعان تحت عنوان: عدم إثبات الوجه

(في حديث "حِجَابُهُ النُّورُ" وَفِي رِوَايَةٍ: "النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ" قال النووي : وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ)

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤) ثم قال (قول العلماء في هذا)

قال أبو الفضل: لما قال الحافظ ابن حجر (٨/ ٥٠٥) : والمراد بالوجه الذات !

قال الشيخ البراك في تعليقاته [(١)]: **إن أراد بذلك التفسير** نفي حقيقة الوجه الموصوف بالجلال والإكرام وبالأنوار فهو باطل، وهو مذهب المعطلة من الجهمية والمعتزلة، ووافقهم على ذلك متأخرو الأشاعرة، لذلك يتأولون كل ما ورد في الوجه لله ﷻ، ومن ذلك قولهم: المراد بالوجه الذات، وهذا هو الجاري على طريقة الحافظ في أكثر المواضع.

وإن أراد بهذا التفسير بيان أن المراد بالكلام إثبات وصف البقاء، وعدم الهلاك للرب ﷻ بذاته وصفاته، لا لخصوص الوجه، فتكون دالة على بقائه ﷻ، وعلى إثبات وجهه، فهذا هو الحق، وهو يستلزم بقاء ما أريد به وجهه، وسياق الآية يرشد إلى هذا المعنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾

(١) وانظر تعليقاته على المخالفات العقدية في فتح الباري (١٣/ ٤٠٢) و(١٣/ ٤٣٢)

قال العلامة ابن عثيمين: فإن قيل: ما المراد بالوجه في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]؟

إن قلت: المراد بالوجه الذات، فيخشى أن تكون حرفت !

وإن أردت بالوجه نفس الصفة أيضاً، وقعت في محظور ـ وهو ما ذهب إليه بعض من لا يقدرون الله حق قدره، حيث قالوا: إن الله يفنى إلا وجهه ـ !!

فماذا تصنع؟!، فالجواب: إن أردت بقولك: إلا ذاته، يعني: أن الله تعالى يبقى هو نفسه مع إثبات الوجه لله، فهذا صحيح، ويكون هنا عبر بالوجه عن الذات لمن له وجه.

وإن أردت بقولك: الذات: أن الوجه عبارة عن الذات بدون إثبات الوجه، فهذا تحريف وغير مقبول.

وعليه فنقول: ﴿إِلاّ وَجْهَهُ﴾، أي: إلا ذاته المتصفة بالوجه، وهذا ليس فيه شيء، لأن الفرق بين هذا وبين قول أهل التحريف أن هؤلاء يقولون: إن المراد بالوجه الذات، لأن له وجهاً، فعبر به عن الذات[١].

فـ" الوجه صفة ثابتة لله تعالى، كما أثبتها لنفسه في كتابه، حيث قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وحيث أثبته هذا الحديث الصّحيح، وغيره من الأحاديث الصحيحة، ولا يلزم من إثباتنا له تشبيهه بخلقه، فأيّ فرق بين

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٩٠) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٢٤٣)

إثباتنا له الذات، وبين إثباتنا له الوجه، فإن كان يلزم من الوجه التشبيه لزم من الذات أيضًا، لكن نقول: له ذات لا تشبه الذوات، ووجه لا يشبه الوجوه، وبصرٌ لا يشبه الأبصار، ويدٌ لا تشبه الأيدي، وغير ذلك من صفات الكمال، وهذا هو مذهب السلف، وهو الصراط المستقيم، فعليك بلزومه إن أردت الهدى والعزّ المستديم، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل "[١].

فـ"الصواب إجراء النصّ على ظاهره على الوجه اللائق بالله ﷻ، فمن فعل ذلك فقد سلك جادّةَ أهل السنة والجماعة، ولا يستلزم ذلك النقص ولا التشبيه، وأيضًا فلو جاء التشبيه من إثبات الوجه، للزم في إثبات الذات الّتي أوّل إليها؛ إذ لا فرق بينهما، فالواجب إثبات الوجه على ما يليق بجلاله ﷻ، كثبوت الذات له من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف، ولا تعطيل، فهذا هو الباب المطّرد الواسع في باب الأسماء والصفات"[٢]

فنقول: **إن أراد الإمام النووي تأويل صفة الوجه، فقد أخطأ في نقل هذا التأويل وعدم الرد عليه، وسبق أنه تراجع وسار على مذهب السلف الصالح، والله غفور رحيم، ثم كثيرا ما ترى الإمام النووي يذكر في كتبه "يبتغي بها وجه الله، قصد بها وجه الله، يقصد به وجه الله"!**

(١) مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه (٤/ ١٤٩)، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٥/ ٩٢)

(٢) مشارق الأنوار الوهاجة (٤/ ٦٩)، البحر المحيط الثجاج (٥/ ١٠٤)

"وممن ذهب إلى تأويل الوجه بالذات الشيخ أبو الفرج بن الجوزي من الحنابلة[١]، وذلك في كتابه: "دفع شبه التشبيه"، حيث أكد في هذا الكتاب بأن المراد بالوجه الذات، لأنه لو كان المراد به صفة زائدة على الذات لكان المعنى المراد في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أن ذاته تهلك إلا وجهه [٢].

وقد فسّر قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ في كتابه زاد المسير بأن المراد: ويبقى ربك [٣]، وسبق النقل عنه من تلبيس إبليس بنحوه !

وقد زعم أن هذا هو مذهب الإمام أحمد، وأن لا أحد يعرف مذهبه سواه[٤].

فانظر لقول ابن الجوزي وكيف نسب لهذا للإمام أحمد بل وزعم أنه مذهبه!، ولعل حجته في ذلك ما جاء في مسائل الإمام أحمد برواية حرب الكرماني (ص ٤٠٧): حدثنا أبو معن قال: ثنا مؤمل قال: حدثنا سفيان في قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] قال: ما أُريد به وجهه[٥].

---

(١) وإنما أذكره رحمه الله إلزاماً للطعان؛ لأنه دافع عنه واعتذر له، وأثنى عليه، فلماذا لم يفعل مع الإمام النووي؟!

(٢) دفع التشبيه ص: ٣١، تحقيق محمّد زاهد الكوثري

(٣) زاد المسير٨/١١٤، طبع المكتب الإسلامي

(٤) البيهقي وموقفه من الإلهيات (ص٢٨٧)، وفيه بيان تناقضه في هذا الباب!

(٥) الآثار الواردة عن السلف في العقيدة من خلال كتب المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٨٩): صفة الوجه لله تعالى رقم ٣٧

وقد أورد البخاري قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ثم قال: "إِلَّا مُلْكَهُ"، ومما لا شك فيه: أن البخاري ممن يُثبت صفة الوجه لله تبارك وتعالى على الحقيقة، ويدل على ذلك: أنه قد أورد هذه الآية مبوِّبًا لها في صحيحه في كتاب التوحيد- الذي هو مَظِنّة التنصيص على الأمور الاعتقادية- ثم أتبعَها بالحديث «أعوذُ بوجْهكَ».

وأمّا قوله "إلّا مُلكَه" فقد أورده في كتاب التفسير، وذلك عند تفسير سورة القَصص، ومعلومٌ أنه يريد بذلك أنّ هذا مِن تفسيرها الذي تُفسَّرُ به، والذي هو قول أئمّة اللغة والسلف في التفسير.

وهذا منهج يقوم على: تفسير معاني الآيات بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، والمَعرفةِ بأساليب اللغة العربية، وليس ما ذهب إليه المتكلمون، وهو صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى معنًى آخر مع عدم إثبات الصفة.

كما أن تأويل الوجه بالمُلك قد ذكره غيرُ واحد من السلف، كما نقله شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في الفتاوى عن طاووس بن كيسانَ، فالبخاري ناقلٌ عن إمام من أئمة السلف، وهذه طريقته[١]

وسبق ذكر كثير من العلماء فعلوا ما فعله النووي غفر الله للجميع

وليس المراد هنا الإعذار لإشتراكهم في الخطأ !

---

(١) الأربعون العقدية (٢/ ١١٨٧) وانظر مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ص١٧٣ الشاملة)

بل المراد بيان انتشار هذا القول عندهم حتى كأنه لا مذهب سواه، وأثر البيئة معلوم وسبق الكلام عنه !، مع أن الإجماع سبقهم، وهو حجة قطعية

يقول الإمام ابن خزيمة: " فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه نُقرُّ بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نُشبِّه وخالقنا، بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يُشبه المخلوقين، وجَلَّ ربُنا عن مقالة المعطلين"(١)

قال الطعان تحت عنوان: تحريف صفة الجمال لله

(قال النووي: "وَقَوْلُهُ ﷺ إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ فَقِيلَ إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ أَمْرِهِ ﷻ حَسَنٌ جَمِيلٌ وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَصِفَاتُ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ وَقِيلَ جَمِيلٌ بِمَعْنَى مُجَمِّلٌ كَكَرِيمٍ وَسَمِيعٍ بِمَعْنَى مُكَرِّمٌ وَمُسَمِّعٍ وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رحمه الله مَعْنَاهُ جَلِيلٌ وَحَكَى الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ بمعنى ذى النور والبهجة أى مالكهما وقيل معناه جَمِيلُ الْأَفْعَالِ بِكُمْ")

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٢/ ٩٠)

---

(١) كتاب التوحيد: مكتبة الرشد (١/ ٢٦) وانظر بيان تلبيس الجهمية: ٩٢/٤ ، آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٥٢٠) ، والتوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٥ - ٤٤ والرد على الجهمية لابن مندة ٩٤ — ١٠٣، والاسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٢٥ - ٣٩ والصفات للدار قطني ٥٥ — ٦٥، وأصول الاعتقاد للالكائي ٢/ ٤٧٥ والرد على بشر للدارمي ص ٥١٨

ثم قال: (قول أهل العلم في هذا:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حَدَّثَنِي مُهَنَّا أَبُو عَبْدِ الله السُّلَمِيُّ، قَالَ: " قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ فِي حَدِيثِ أَبِي رَيْحَانَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» فَأَبَى أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَقَالَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْجَمَالَ"،

قال الإمام مسلم واصفاً عليَّ بن الجعد : "ثقة ولكنه جهمي")

ثم أحال على السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٧٩) وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٦

قال أبو الفضل: أولاً: هذا كلام الإمام النووي تاماً:

وَقَوْلُهُ ﷺ : "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" **اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ**

فَقِيلَ: **إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ أَمْرِهِ سبحانه وتعالى حَسَنٌ جَمِيلٌ، وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَصِفَاتُ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ**

وَقِيلَ: جَمِيلٌ بِمَعْنَى مُجَمِّلٌ كَكَرِيمٍ وَسَمِيعٍ بِمَعْنَى مُكَرِّمٌ وَمُسَمِّعٍ

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رحمه الله: مَعْنَاهُ جَلِيلٌ

وَحَكَى الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ أَنَّهُ بمعنى ذى النور والبهجة أى مالكهما

وقيل: معناه جَمِيلُ الْأَفْعَالِ بِكُمْ بِاللُّطْفِ وَالنَّظَرِ إِلَيْكُمْ يُكَلِّفُكُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ وَيُثِيبُ عَلَيْهِ الْجَزِيلَ وَيَشْكُرُ عَلَيْهِ

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الِاسْمَ [١] وَرَدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ وَلَكِنَّهُ مِنْ أَخْبَارِ الْآحَادِ وَوَرَدَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ، وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ ، وَالْمُخْتَارُ جَوَازُ إِطْلَاقِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى [٢]

فبالله سلوا الطعان لماذا حذف هذا الكلام؟!

وأين تحريف الإمام النووي لصفة الجمال؟

وهذا الكلام نقله عن الإمامِ النووي الإمامُ الشوكانيُّ في نيل الأوطار (٣/ ٤٢٥)، والعلامة محمد آدم في البحر المحيط الثجاج (٣/ ٩٩)، وفي مشارق الأنوار الوهاجة (٢/ ٢٣٤)، **فهل ستقول عنهما ما قلت في النووي؟**

وماذا ستقول في الإمام الخطابي الذي قال[٣]: وَالجَمِيْلُ: هُوَ الْمُجْمِلُ الْمُحْسِنُ؛ فَعِيْل بِمَعْنَى مُفْعِلٍ. وَقَدْ يَكُوْن الجَمِيْلُ مَعْنَاهُ: ذو النُّورِ وَالبَهْجَةِ

---

(١) أي "الجميل" من أسماء الله تعالى

قال قوام السنة : الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٩٠): وَلَا وَجه لإنكار هَذَا الِاسْم أَيْضا لِأَنَّهُ إِذا صَحَّ عَن النَّبِي ﷺ فَلَا معنى للمعارضة، وَقد صَحَّ أَنه قَالَ ﷺ :" إِن الله جميل يحب الْجمال ". فَالْوَجْه إِنَّمَا هُوَ التَّسْلِيم وَالْإِيمَان.

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٩٠)

وقال في (١٦/ ١٤٦): وَالصَّحِيحُ جَوَازُ تَسْمِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى رَفِيقًا وَغَيْرَهُ مِمَّا ثَبَتَ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا وَاضِحًا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ فِي حَدِيثِ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ فِي بَابِ تَحْرِيمِ الكبر

(٣) في شأن الدعاء (١/ ١٠٢)، وعنه نقله البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١١٥)

وإن طعنت فيمن سبق فماذا ستقول في قوام السنة الذي قال[١]: وَمن أَسْمَائِهِ: الْجَمِيل: وَهُوَ الْمُجْمل المحسن، فعيل بِمَعْنى مفعل، وَقيل: معنى الْجَمِيل: ذُو النُّور والبهجة !

وثانيا: هذا ما في السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٧٩): ٥٢٦ تاماً

قال: حَدَّثَنِي مُهَنَّا أَبُو عَبْدِ اللهِ السُّلَمِيُّ، قَالَ: " قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ فِي حَدِيثِ أَبِي رَيْحَانَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» فَأَبَى أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، وَقَالَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْجَمَالَ، **قُلْتُ: إِنِّي أَفْزَعُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ، قَالَ: اسْكُتْ فَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَقُولَهُ وَكَانَ يُحَدِّثُهُ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ بَهْرَامَ** "

فظهر أن ابن الجعد يتكلم عن الرواية[٢] ، ولا علاقة لهذا بكونه جهمياً !!

---

(١) في الحجة في بيان المحجة (١/ ١٧٥):

(٢) وقد خولف فيها : ففي السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٧٨): ٥٢٥ - حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، نا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ الْفَزَارِيُّ، نا شَهْرٌ، سَمِعْتُ رَجُلًا، يُحَدِّثُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ تَحِلُّ لَهُ الْجَنَّةُ أَوْ رِيحُهَا وَلَا يَرَاهَا" فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو رَيْحَانَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ الْجَمَالَ وَأَشْتَهِيهِ حَتَّى لَأُحِبُّهُ فِي عِلَاقَةِ سَوْطِي وَفِي شِرَاكِ نَعْلِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ ذَلِكَ الْكِبْرُ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ بِعَيْنِهِ"

وفي السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٣٥): ١٢٤١ حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، نا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، به

وأما كونه جهمياً، فهو من رجال البخاري ، وقال الذهبي في المغني[١]: "حافظ ثبت، ودَعَهُ مسلم فلم يخرج له في الصحيح، لأنه فيه بدعة، قال مرة: "من قال القرآن مخلوق لم أعنفه" قال مسلم: "ثقة ولكنه جهمي" : خ د

وجاء على وجه آخر في معجم الصحابة للبغوي (٣/ ٣٢١): ١٢٦١، ومسند الشاميين للطبراني ١٠٧١ وغريب الحديث للخطابي (١/ ٤٦٧)، وصفات رب العالمين لابن الصامت (١/ ٣٣) ومن طريق الطبراني رواه الخطيب في الأسماء المبهمة (٥/ ٣٧١)

من طرق أن حَرِيزَ بْنَ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ مَرْثَدٍ الرَّحَبِيَّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ حُجْرِ بْنِ حَوْشَبَ، يُحَدِّثُ عَنْ ثَوْبَانَ بْنِ شَهْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كُرَيْبَ بْنَ أَبْرَهَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا رَيْحَانَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ الْجَنَّةَ"، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَجَمَّلَ بِسَيْرِ سَوْطِي وَشِسْعِ نَعْلِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْكِبْرِ ، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، إِنَّمَا الْكِبْرُ مَنْ سَفَّهَ الْحَقَّ ، وَغَمَصَ النَّاسَ بِعَيْنَيْهِ"

وأخرجه الإمام أحمد (رقم ١٧٢٠٦، ١٧٢٠٧) وابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٢٥) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣١٨) والبيهقي في الشعب (رقم ٧٨٠٤) وابن عساكر في تاريخه (٥٠/ ١١٣) وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة (١٦٢٦)

ورواه ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة (١/ ٢٧٧): من طريق سَعِيد بْنِ زِرْبِيٍّ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكْنَى أَبَا رَيْحَانَةَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِي أُحِبُّ الْجَمَالَ فِي عَلاقَةِ سَوْطِي وَشِرَاكِ نَعْلِي أَفَتَخْشَى عَلَيَّ مِنَ الْكِبْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مِنْ غَمْصِ النَّاسِ وَسَفَهِ الْحَقِّ فَذَلِكَ الْكِبْرُ

(١) المغني في الضعفاء (٢/ ٧٨)

وقال في تذكرة الحفاظ[١]: "الحافظ الثبت المسند ..."

وقال في من تكلم فيه وهو موثق[٢]: حافظ ثبت، لكنه فيه بدعة، وتجهم وهكذا أهل السنة يمدحونه من وجه، ويخالفونه من وجه !،

وقد أطال أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي في تحقيقه لـ"مسند ابن الجعد" حيث ذكر أقوال أهل العلم فيه المُعدِّلين، والمُجرِّحين، وبين أسباب الجرح، مُبيناً أنَّها تقوم في الأساس على قوله في القرآن، ووقوعه في الصحابة الكرام، وقام بتفنيدهما وبيَّن بالأدلة النظرية والعملية عدم ثبوت كلا الأمرين عنه، بل نقل ما يدل على ثبوت ما يُخالف ذلك عنه[٣].

فائدة: قال أبو يعلى: اعلم أنه غير ممتنع وصْفُه تعالى بالجَمَال، وأنَّ ذلك صفةً راجعةٌ إلى الذات، لأنَّ الجمال في معنى الحُسْن، وقد تقدم في أول الكتاب قوله: "رأيتُ ربِّي في أحسن صُورة" وبينا أن ذلك صفة راجعة إلى الذات كذلك ها هنا، ولأنه ليس في حمله على ظاهره ما يُحيل صفاته، ولا يُخرجها عما تستحقه،

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣٩٩/١

(٢) ت الرحيلي (ص٣٩٠)

(٣) يُنظر: مقدمة "مسند ابن الجعد" بتحقيق أ. د/عبد المهدي عبد القادر (١/ ٧٩ - ١٨٨)، القسم الثاني من تحقيق ودراسة المعجم الأوسط للطبراني (٢/ ٧٠٨ الشاملة): لمحمود محمد محمد عمارة السعدني، وهي رسالة ماجستير، قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، إشراف: د أحمد محمد محمد علي، د أحمد محمد صبري

لأنَّ طَرِيقَه الكمال والمدح، ولأنه لو لم يُوصف بالجمال جاز أنْ يُوصف بضدِّه وهو القُبْح، ولمَّا لم يَجزْ يُوصف بضده، جاز أنْ يُوصف به، ألا تَرَى أنا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام، لأن في نفيها إثباتُ أضدادها وذلك مستحيلٌ عليه، كذلك ها هنا

فإن قيل: قوله: "جميل" بمعنى: مُجَمِّل مَنْ شاء مِنْ خَلْقه، لأنَّ فعيل قد يجيء على معنى: مُفعل، ومنه قولنا: حكيم والمراد محكم لما فعله.

قيل: هذا غلطٌ[1]، لأن الخبر وَرَد على سبب، وهو الحثُّ لهم على التَّجمُّل في صفاتهم، لا على معنى التجميل في غيرهم، فكان مقتضى الخبر: إن الله جميل في ذاته يجب أن تتجملوا في صفاتكم، فإذا حُمِل الخبر على فعل التجميل في الغير، عدل بالخبر عمَّا قُصِدَ به[2]

قال الطعان تحت عنوان: إنكار العين

(قال النووي: " قَوْلُهُ ﷺ : "إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى"، مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ وَعَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ") ، ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٣٦)، ثم قال : (قول أهل العلم في هذا)

---

(١) ولاحظ أنه قال "غلط"، ولم يقل : "تحريف"، ولا "تجهم"!

(٢) إبطال التأويلات (ص٥٠٥ ط غراس)

قال أبو الفضل: أولاً: كلام الإمام إنما هو بصدد بيان فتنة الدجال والتحذير منها، ولم يتعرض هنا لصفة العين بنفي ولا إثبات !

قال رحمه الله (٢/ ٢٣٦): قَوْلُهُ ﷺ :" إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى"، مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ وَعَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ **وَأَنَّ الدَّجَّالَ مَخْلُوقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى نَاقِصُ الصُّورَةِ فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا هَذَا وَتُعَلِّمُوهُ النَّاسَ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِالدَّجَّالِ مَنْ يَرَى تَخْيِيلَاتِهِ وَمَا مَعَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ.**

فلماذا حذفت تتمة الكلام؟

والأعجب أنه نقل رد العلامة البراك على كلام لم يقله النووي أصلاً !

وقال النووي (١٨/ ٦٠): وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : "إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَالدَّجَّالُ أَعْوَرُ"، فَبَيَانٌ لعلامة بينة تدل على كذب الدجال دلائل قَطْعِيَّةً بَدِيهِيَّةً يُدْرِكُهَا كُلُّ أَحَدٍ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى كَوْنِهِ جِسْمًا أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدلائل القطعية لكون بعض العوام لا يهتدى إِلَيْهَا وَاللهُ أَعْلَمُ

وقال في شرح مسلم (١٧/ ١٣٣): وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِاللهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَلَا نُشَبِّهُ شَيْئًا بِهِ وَلَا نُشَبِّهُهُ بِشَيْءٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وَمَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبَتَ عَنْهُ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ فَمَا أَدْرَكْنَا عِلْمَهُ فَبِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى وَمَا خَفِيَ عَلَيْنَا آمَنَّا بِهِ وَوَكَّلْنَا عِلْمَهُ إِلَيْهِ سبحانه وتعالى وَحَمَلْنَا لَفْظَهُ عَلَى مَا احْتُمِلَ فِي

لِسَانِ الْعَرَبِ الَّذِي خُوطِبْنَا بِهِ وَلَمْ نَقْطَعْ عَلَى أَحَدِ مَعْنَيَيْهِ بَعْدَ تَنْزِيهِهِ ﷻ عَنْ ظَاهِرِهِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ ﷻ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ[(١)]

وقد سبق قوله رحمه الله في جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٦٧): ونحن من ديننا: التمسك بكتاب الله ﷻ وسنة نبينا ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئاً، ولاننقص منه شيئاً، كحديث قصة الدجال وقوله فيه: " وإن ربكم ليس بأعور "

وقال: وأن يتأدَّبَ مع القرآن ويستحضرَ في ذهنه أنه يناجي اللهَ ﷻ، ويتلو كتابه، فيقرأ على حالِ مَن يرى الله، فإنه إن لم يره فإن الله تعالى يراه[(٢)]

ثانياً: كلام الإمام النووي الذي نقلته أنت وطعنت به في الإمام النووي، نقله العلامةُ محمد على آدم[(٣)] ، **فهل ستلحقه بالنووي؟**

ثالثاً: قال الإمام البغوي[(٤)]: وَالْأَوْلَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ [﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَن يَأْتِيهم الله﴾] وَمَا شَاكَلَهَا أَنْ يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِظَاهِرِهَا وَيَكِلَ عِلْمَهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى،

---

(١) وانظر جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٦٣)

(٢) الأذكار ت الأرنؤوط (ص١٠٦)

(٣) في البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٤/ ٦٠٤):

(٤) في تفسيره ط طيبة (١/ ٢٤١)، وعنه نقله ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠١)، والذهبي في العلو للعلي الغفار (ص٢٦٢) وفي العرش (٢/ ٤٦٨)

وَيَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ عَزَّ اسْمُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ، عَلَى ذَلِكَ مَضَتْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ

وقال الجد الأعلى لابن تيمية ـ أبو عبد الله محمد بن الخضر ـ كما في فتاوى حفيده ابن تيمية : " طريقة السلامة ومنهج أهل السنة والجماعة يؤمنون بظاهرها ويكلون علمها إلى الله **ويعتقدون أن الله منزه عن سمات الحدث،** على ذلك مضت الأئمة خلفاً بعد سلفٍ كما قال تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾ (١)

ونحن نقول: "قد جَرى مَذهبُ أهل السُّنة والجماعة على حملِ ما جاء في الحديث الوارد في عور الدَّجال على إثباتِ صِفة العَينِ لله تبارك وتعالى على ما يَليق بجلالِ ذاتِه وعظمتِه، حيث ذَكَر النَّبي ﷺ الدَّجال بـ "أَنَّه أَعْور، وأنَّ ربَّكم ليس بأَعْور"، و "الأعور عندهم ضدُّ البَصير بالعَينين".

يقول البيهقيُّ تعليقًا على هذا الحديث: في هذا نفيُ نقصِ العَور عن الله ﷻ وإثبات العَين له صِفةً، وعرفنا بقوله ﷯: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وبدلائل العقلِ أنَّها ليست بحَدقة، وأنَّ اليَدين ليستا بجارِحَتين، وأنَّ الوجهَ ليس بصورةٍ؛ وأنَّها صفات ذاتٍ أثبتناها بالكتاب والسُّنة بلا تَشبيه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٩)

وقال أبو الحسن الأشعريِّ: **قال أهل السُّنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم،** ولا يُشبه الأشياء، وأنَّه على العرش .. **وأنَّ له عَيْنين**"[١].

سئل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي: **ما الدليل على إثبات العينين لله تعالى؟**

فقال الشيخ رحمه الله: "صفة العينين ثابتة لله تعالى كما يليق بكماله، ولا يوجد واحد من الأولين من الصحابة نفى عن الله تعالى صفة العينين، ويدل على إثباتها حديث الدجال، فقال ﷺ: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور"، وهذا منطوق صريح وليس مفهوماً "[٢]

والمنقول في كتب التوحيد وفي كتب العقائد أن له عينين، وبعض العلماء القدامى يستدلون بحديث الدجال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وأن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت"، فليس عندنا نص صريح بأن له أكثر من عينين والمتوارث عن عقيدة السلف هو إثبات العينين على ظاهر حديث الدجال على كثرة طرقه الذي يتبادر من هذا الحديث، ولا يخطر في البال سواه أن الدجال إحدى عينيه طافية وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور، معنى ذلك أن الله عز وجل موصوف بالعينين[٣]

---

(١) المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين (٢/ ١٠٨٤) ، وانظر مقالات الإسلاميين (١: ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٤٥)، الإبانة (ص ٣٤)

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة (ص٣٥٣)

(٣) جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة = موسوعة العقيدة (٦/ ٣١٣)

وقد استدل العلماء بهذا الحديث على إثبات العينين لله ﷻ، وأن الله ﷻ له الكمال في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وأن له عينين سليمتين، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور[١]

تنبيه: نسأل الطعان: لماذا قلت: إثبات العين، ولم تقل : العينين؟!

قال الطعان تحت عنوان: تحريف صفة النظر

ثم قال : (قال النووي:" وَمَعْنَى لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَيْ يُعْرِضُ عَنْهُمْ وَنَظَرُهُ ﷻ لِعِبَادِهِ رَحْمَتُهُ وَلُطْفُهُ بِهِمْ")

وأحال على شرح النووي على مسلم (٢/ ١١٦)، ثم قال : قول أهل العلم في هذا

قال أبو الفضل: نعم: النظر صفة فعلية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة؛ قال ﷻ في سورة آل عمران (٧٧): ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وأخرج البخاري (٥٧٨٨) ومسلم (٢٠٨٧) أن رسول الله ﷺ قال: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا".

وأخرج مسلم (١٧٢) أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثةٌ لا يُكلمهم اللهُ يومَ القيامة ولا يزكيهم ..."

وأخرج مسلم (٢٥٦٤) أن رسول الله ﷺ قال: "إنَّ الله ﷻ لا ينظر إلى صوركم

---

(١) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم (٨/ ٣٢٠)، وانظر تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري (١٣/ ٣٩٠)

وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" [(١)]

وهذا قاله الإمام النووي قاله من قبله أبو يعلى : "فأما قوله ﷻ: ﴿ولا ينظر إليهم﴾ معناه لا يتعطف عليهم ولا يرحمهم، وكذلك قوله ﷺ : " ولا ينظر الله إليهم "على هذا المعنى، ولهذا يقول القائل: انظر إلي ؛ بمعنى تعطف علي وارحمني، وليس المراد به نفي النظر الذي هو الرؤية، لأنه تعالى ناظراً رائياً إلى جميع الأشياء غير مستترة عنه"[(٢)]، وكذا قاله جُل شراح الحديث !، وكما قلنا من قبل : هذا يدل على انتشاره بينهم وللبيئة أثرها ! ، **فهل تجعلهم من الجهمية وهل ستنقل فيهم ـ كما نقلت في النووي ـ كلامَ العلماء في الجهمية؟!**

وانظر لأهل العلم كيف يردون الخطأ ويرحمون الخلق:

قال العلامة محمد علي آدم: (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) قال النوويّ: معناه: أنه يُعْرِض عنهم، ونظره ﷻ لعباده رحمته، ولطفه بهم.

ثم قال العلامة محمد علي آدم: تفسيره النظر بالرحمة واللطف غير صحيح، بل

(١) استدراكات عقيدية لصبحي حلاق على سبل السلام (٩/ ٣٤٠)، وعلى نيل الأوطار (٣/ ٤٣٣)، وانظر كتاب "صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة" لعلوي بن عبد القادر السقاف ص ٦٩ ، ١٢٠ ، ١٨٧

(٢) إبطال التأويلات (ص٤١١ ط غراس)، مع أنه قال باثبات النظر لله تعالى، وساق الأخبار في إثبات النَّظر (ص٦٣٦ ط غراس)

النظر على ظاهره ثابتٌ لله ﷻ، كما ثبت اللطف والرحمة، فتنبّه، ولا تكن أسير التقليد. (ثم ذكر جماعة ممن تأولوا الحديث، ثم قال:)

هذا الذي ذكروه من نفي نظر الله ﷻ حقيقةً، وأنه ليس له نظرٌ، وإنما هو مجاز عن الرحمة غير صحيح، وإنما حَمَلهم على ذلك أنهم ظنّوا أن النظر لا معنى له إلا تقليب الحدقة، وهذا خطأٌ؛ لأن هذا معنى النظر المضاف إلى المخلوقين، وأما نظر الخالق، فهو نظر يليق بجلاله ﷻ، لا نعلم كيفيّته، كما لا نعلم حقيقة ذاته العليّة؛ لأن الصفة فرع عن الذات فالحقّ أن النظر ثابتٌ لله ﷻ حقيقةً، لا مجازًا، وأما تفسير نظره هنا بأنه نظر رحمة وإحسان، فلا يتنافى مع تفسيرنا المذكور؛ لأن هذا بيان للمقصود هنا بقرينة الأدلّة الأخرى؛ لأن نظر الله ﷻ محيط بجميع مخلوقاته، لا يخفى عليه شيء، فكان المراد هنا نظرًا خاصًّا، وهو الذي يكون لأوليائه ﷻ، وهو نظر الرحمة واللطف والإحسان، والفرق بين إثبات النظر، وكون المراد نظرًا خاصًّا، وهو نظر الرحمة وبين نفي النظر، وكونه بمعنى الرحمة واضحٌ، لا يخفى من تأمّله بالإنصاف، ولم يسلك سبيل التقليد والاعتساف.[١]

إذن: لا يكلمهم" كلام رضا، "ولا ينظر إليهم" كذلك نظر رحمة ورضا، أما النظر العام فهو ﷻ لا يخفي عليه شيء، كل شيء يراه ﷻ.[٢]

---

(١) البحر المحيط الثجاج (٣/ ٢٧١)، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٣/ ٧٤)

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٦/ ٢٠٨)

وفي هذا الحديث فوائد: أولاً: إثبات النظر لله؛ أي: منه لقوله: "لا ينظر"، ونفي النظر عن هؤلاء يدل على ثبوت النظر لغيرهم؛ لأنه لو انتفى النظر عن الجميع لم يكن لتخصيص هؤلاء فائدة. (١)

فنقول : غفر الله للأئمة الذين تأولوها، و "لا نؤوّل كما مشى عليه شراح هذا الحديث "(٢)، فـ"هذا من التأويل المذموم؛ المخالف لعقيدة السلف الصالح، والأصل إمرارُها على ظاهرها على الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله؛ كما في قوله ﷻ : ﴿ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير﴾. (٣)، وهدانا الله وإياكم إلى سواء السبيل

قال الطعان تحت عنوان: إنكار اليد

(قال النووي: قوله تعالى : ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، أَيْ نِعْمَتَاهُ عَلَى تَأْوِيلِ الْيَدِ بِالنِّعْمَةِ هُنَا)

وأحال على شرح النووي على مسلم (٨/ ٨٧)، ثم قال: (قول العلماء في هذا)

قال أبو الفضل: هذا الكلام تكرار لما سبق الجواب عنه تحت قول الطعان: تحريف يمين الله

---

(١) فتح ذي الجلال والإكرام (٤/ ٥٣٨)

(٢) البحر المحيط الثجاج (٤٠/ ٣٨٥)

(٣) جامع تراث الألباني في العقيدة (٦/ ٢٦٩)، الصحيحة (٧/ ٣/١٦٣٦ - ١٦٣٨)

ثم هذا الكلام ذكره النووي في باب التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا (٨/ ٨٧):

قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ : التَّلْبِيَةُ مُثَنَّاةٌ لِلتَّكْثِيرِ وَالْمُبَالَغَةِ ، وَمَعْنَاهُ إِجَابَةٌ بَعْدَ إِجَابَةٍ وَلُزُومًا لِطَاعَتِكَ ، فَتُثَنَّى لِلتَّوْكِيدِ لَا تَثْنِيَةً حَقِيقِيَّةً بمنزلة قوله ﷻ : ﴿ بل يداه مبسوطتان﴾، أَيْ نِعْمَتَاهُ عَلَى تَأْوِيلِ الْيَدِ بِالنِّعْمَةِ هُنَا ، وَنِعَمُ اللهِ تَعَالَى لَا تُحْصَى.

ونحوه في المجموع شرح المهذب (٧/ ٢٤٤ ط المنيرية).

فهو نقله عن غيره كما سبق التنبيه عليه، فلماذا التكرار؟!

وما دمت تحب التكرار فلمَ لمْ تذكر ما في شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٠) : " قَوْلُهُ : " اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ"، فِي الْيَدِ هُنَا **الْمَذْهَبَانِ السَّابِقَانِ** فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَمَوَاضِعَ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ **أَحَدُهُمَا** الْإِيمَانُ بِهَا وَلَا يُتَعَرَّضُ لِتَأْوِيلِهَا مَعَ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ **وَالثَّانِي** تَأْوِيلُهَا عَلَى الْقُدْرَةِ وَمَعْنَى اصْطَفَاكَ أَيْ اخْتَصَّكَ وَآثَرَكَ بِذَلِكَ"

وفي (١٧/ ٧٦)" قَوْلُهُ ﷺ : "إِنَّ اللهَّ عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنهار ليتوب مسيء الليل حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا"، وَلَا يَخْتَصُّ قبولها بوقت وقد سبقت المسألة ، فبسط اليد استعارة فِي قَبُولِ التَّوْبَةِ ، قَالَ الْمَازِرِيُّ : الْمُرَادُ بِهِ قَبُولُ التَّوْبَةِ ، وَإِنَّمَا وَرَدَ لَفْظُ بَسْطِ الْيَدِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا رَضِيَ أَحَدُهُمِ الشَّيْءَ بَسَطَ يَدَهُ لِقَبُولِهِ ، وَإِذَا كَرِهَهُ قَبَضَهَا عَنْهُ ،

فَخُوطِبُوا بأمر حسي يفهمونه وهو مجاز ؛ فان يَدَ الْجَارِحَةَ مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى"

وفي (١٧/ ١٣٥): "وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي الْيَدِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى وَتَأْوِيلِهَا قَرِيبًا مَعَ الْقَطْعِ بِاسْتِحَالَةِ الْجَارِحَةِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"

وقد سبق والحمد لله الجواب على هذا كله ، فلا نُكرر !

قال الطعان تحت عنوان: إنكار القبض

(قال النووي:" قَوْلُهُ ﷺ : "فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ" مَعْنَاهُ يَجْمَعُ جَمَاعَةً")

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ٣٢)، ثم قال:

(قول العلماء في هذا:

قال ابن بطة: وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، كَقَوْلِكَ: الدَّارُ فِي قَبْضِ فُلَانٍ، يَعْنِي: فِي مِلْكِهِ... فَالْجَهْمِيُّ الْمَلْعُونُ إِنَّمَا أُتِيَ مِنْ جَهْلِهِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَمِنْ تَعَاشِيهِ عَنِ الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ) . ثم أحال على الإبانة الكبرى (٧/ ٣١٦)

قال أبو الفضل: واللهِ إن هذا لظلم عظيم !

أين كلام الإمام ابن بطة عن الجهمية ، وأين الإمام النووي منه؟!

وهذا كلام ابن بطة كاملا كما في الإبانة (٧/ ٣١٦): وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، كَقَوْلِكَ: الدَّارُ فِي قَبْضِ فُلَانٍ، يَعْنِي: فِي مِلْكِهِ، وَقَدْ قَبَضْتَ الْمَالَ، وَلَيْسَ فِي كَفِّكَ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ

تَقُولُ: الْأَرْضُ، وَالدَّارُ، وَالْغُلَامُ، وَالدَّابَّةُ فِي قَبْضَتِي فَمَوَّهُوا بِذَلِكَ عَلَى الْجَاهِلِ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨]، فَالْقُرْآنُ مَرْدُودٌ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، فَالْجَهْمِيُّ الْمَلْعُونُ إِنَّمَا أُتِيَ مِنْ جَهْلِهِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَمِنْ تَعَاشِيهِ عَنِ الْجَادَّةِ الْوَاضِحَةِ، وَطَلَبِهِ الْمُتَشَابِهَ، وَثَنِيَّاتِ الطُّرُقِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، فَقَوْلُ الْجَهْمِيِّ: الدَّارُ فِي قَبْضَةِ فُلَانٍ، إِنَّمَا يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمُغَالَطَةَ، وَإِدْخَالَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ عَلَى قَلْبِ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَوَّى بِجَهْلِهِ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْقَبْضَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: الدَّارُ فِي قَبْضَةِ فُلَانٍ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْمِلْكَ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْقَبْضِ لَمْ تُدْخِلِ الْهَاءَ، فَإِنْ أَرَدْتَ قَبْضَةَ الْيَدِ، أَدْخَلْتَ الْهَاءَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَلَوْ كَانَ كَقَوْلِ الْجَهْمِيِّ لَقَالَ: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ بَيَّنَ فَقَالَ: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَكَذَلِكَ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ كُلَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَهُزُّهَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟ "

فهل هذا ينطبق على الإمام أو على كلامه هنا؟!

وانظر لكلام الإمام النووي على الآية (١٧/ ١٣٠): " قَوْلُهُ: " فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ

وَالْأَرْضُ جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾، **ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَدَّقَ الْحَبْرَ فِي قَوْلِهِ "إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَالْمَخْلُوقَاتِ بِالْأَصَابِعِ"، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَى نَحْوِ مَا يَقُولُ!**

وقال (١٧/ ١٣٢): **وَقَبْضَ النَّبِيُّ ﷺ أَصَابِعَهُ وَبَسْطَهَا تَمْثِيلٌ لِقَبْضِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ وَجَمْعِهَا بَعْدَ بَسْطِهَا وَحِكَايَةٌ لِلْمَبْسُوطِ وَالْمَقْبُوضِ وَهُوَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرَضُونَ لَا إِشَارَةً إِلَى الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ الْقَابِضِ وَالْبَاسِطِ سبحانه وتعالى**

أما ما نقله الطعان هنا فهو في شرح حديث أبي سعيد (١/ ١١٦): "فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لله فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا،

ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، **فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا**، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "

فأين أخطأ الإمام النووي؟ أم هي شهوة الطعن فيه؟!!

وقد نقله كما هو العلامة محمد علي آدم، فقال في البحر المحيط الثجاج (٥/ ١٨٩): معناه: يجمع جماعة! [(١)]، **فهل ستحمل عليه حملة الطعان لا يبالي بحرمة عرضه؟!**

قال الطعان تحت عنوان: إنكار الأصابع

(قال النووي: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ"

---

(١) وقاله القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٦٧)، والقرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٤٥٠)

هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَفِيهَا الْقَوْلَانِ السَّابِقَانِ قَرِيبًا أَحَدُهُمَا الْإِيمَانُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِتَأْوِيلٍ وَلَا لِمَعْرِفَةِ الْمَعْنَى بَلْ يُؤْمَنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ وَأَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ قَالَ اللهُ تَعَالَى ليس كمثله شئ وَالثَّانِي يُتَأَوَّلُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهَا فَعَلَى هَذَا الْمُرَادُ الْمَجَازُ كَمَا يُقَالُ فُلَانٌ فِي قَبْضَتِي وَفِي كَفِّي لَا يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ حَالٌّ فِي كَفِّهِ بَلِ الْمُرَادُ تَحْتَ قُدْرَتِي وَيُقَالُ فُلَانٌ بَيْنَ إِصْبَعِي أُقَلِّبُهُ كَيْفَ شِئْتُ أَيْ أَنَّهُ مِنِّي عَلَى قَهْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ كَيْفَ شِئْتُ فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷻ مُتَصَرِّفٌ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَغَيْرِهَا كَيْفَ شَاءَ لا يمتنع عليه منها شئ ولا يفوته ما أراده كما لايمتنع عَلَى الْإِنْسَانِ مَا كَانَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ فَخَاطَبَ الْعَرَبَ بِمَا يَفْهَمُونَهُ وَمَثَّلَهُ بِالْمَعَانِي الْحِسِّيَّةِ تَأْكِيدًا لَهُ فِي نُفُوسِهِمْ فَإِنْ قِيلَ فَقُدْرَةُ اللهِ تَعَالَى وَاحِدَةٌ وَالْإِصْبَعَانِ لِلتَّثْنِيَةِ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ أَنَّ هَذَا مَجَازٌ وَاسْتِعَارَةٌ فَوَقَعَ التَّمْثِيلُ بحسب ما اعتادوه غَيْرُ مَقْصُودٍ بِهِ التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ وَاللهُ أَعْلَمُ)

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٤)

وقال: (قال النووي: قَوْلُهُ :"إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ إِلَى قَوْلِهِ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ"، هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَقَدْ سَبَقَ فِيهَا الْمَذْهَبَانِ التَّأْوِيلُ وَالْإِمْسَاكُ عَنْهُ مَعَ الْإِيمَانِ بِهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الظَّاهِرَ مِنْهَا غَيْرَ مُرَادٍ)، وأحال على شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٢٩)

ثم قال: (قول أهل العلم في هذا)

قال أبو الفضل: لماذا تركت تتمة كلامه في الموضع الثاني (١٧/ ١٣٠) ، لا سيما وفيه: **ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَدَّقَ الْحَبْرَ فِي قَوْلِهِ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَالْمَخْلُوقَاتِ بِالْأَصَابِعِ ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَى نَحْوِ مَا يَقُولُ**

وسبق قوله الذي في جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٦٧): **ونحن من ديننا: التمسك بكتاب الله ﷻ وسنة نبينا ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد على ذلك شيئاً، ولا ننقص منه شيئاً**، كحديث قصة الدجال وقوله فيه:" وإن ربكم ليس بأعور "، وكحديث النزول إلى السماء الدنيا، وكحديث الاستواء على العرش، **وإن القلوب بين إصبعين من أصابعه وإنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع**، ونقول بتصديق حديث المعراج، وبصحيح ما فيه من الروايات **وندين أن الله مقلب القلوب. وما أشبه هذه الأحاديث جميعها كما جاءت بها الرواية من غير كشف عن تأويلها، وأن نمرها كما جاءت**

فكيف بعد هذا تنقل فيه ما قاله علماؤنا في الجهمية !

قال الطعان تحت عنوان: إنكار الساق

وقال: (قال النووي: قَوْلُهُ ﷺ : "فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" ضَبطُ يُكْشَفُ بفتح الياء وضمها وهما صحيحان **وفسر بن عَبَّاسٍ وَجُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ السَّاقَ هُنَا بِالشِّدَّةِ أَيْ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَأَمْرٍ مَهُولٍ** وَهَذَا مَثَلٌ تَضْرِبُهُ الْعَرَبُ لِشِدَّةِ الْأَمْرِ وَلِهَذَا يَقُولُونَ قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ شَمَّرَ سَاعِدَهُ وَكَشَفَ عَنْ سَاقِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رحمه الله وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالسَّاقِ هُنَا نُورٌ عَظِيمٌ وَوَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال ابن فُورَكَ وَمَعْنَى ذَلِكَ مَا يَتَجَدَّدُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ رُؤْيَةِ الله تَعَالَى مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْأَلْطَافِ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَقِيلَ قَدْ يَكُونُ السَّاقُ عَلَامَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ظُهُورِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى خِلْقَةٍ عَظِيمَةٍ لِأَنَّهُ يُقَالُ سَاقٌ مِنَ النَّاسِ كَمَا يُقَالُ رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ وَقِيلَ قَدْ يَكُونُ سَاقٌ مَخْلُوقًا جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَامَةً لِلْمُؤْمِنِينَ خَارِجَةً عَنِ السُّوقِ الْمُعْتَادَةِ وقيل معناه كَشْفُ الْخَوْفِ وَإِزَالَةُ الرُّعْبِ عَنْهُمْ). وأحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٧)

ثم قال: (قال النووي: قَوْلُهُ "فَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ وَمَعْنَى مَا فِي الْقُرْآنِ يَوْمَ يُكْشَفُ عن ساق يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَهَوْلٍ عَظِيمٍ أَيْ يَظْهَرُ ذَلِكَ يُقَالُ كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا إِذَا اشْتَدَّتْ)

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (١٨/ ٧٧)، ثم قال: (قول أهل العلم في هذا)

قلت: حذف من كلام النووي في الموضع الأول (٣/ ٢٨): وقيل معناه كَشْفُ الْخَوْفِ وَإِزَالَةُ الرُّعْبِ عَنْهُمْ **وَمَا كَانَ غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَهْوَالِ فَتَطْمَئِنُّ حِينَئِذٍ نُفُوسُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا** قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ الَّتِي فِي هَذَا الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ لِكَرَامَةِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى

ثانياً: قال ابن العثيمين: إنَّ لعلماء السَّلَف في قوله: ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ قولين:

القول الأول: أنَّ المراد به الشِّدَّة.

والقول الثَّاني: أنَّ المراد به ساق الله عَزَّ وَجَلَّ.[1]

فهذا ككلام الإمام النووي في حكاية الخلاف !

قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه، شمر عن ساقه، فاستعيرت الساق في موضع الشدة، هذا قول الفرَّاء وأبي عبيدة واللُّغويِّين، وقد أضيف هذا الأمر إلى الله تعالى[2].

وهذا خطيب السنة ابن قتيبة فهل تُجهمه؟!

قال الخطابي: روي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: عن شِدَّةٍ وكرب[1].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٨/ ٢٥٥)

(٢) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص ٨٩).

قال الْخَطَّابِيُّ: فيحتمل أن يكون معنى قوله: يكشف ربُّنا عن ساقه؛ أي: عن قُدْرَتِهِ الَّتي تنكشف عند الشِّدَّة والمعزَّة.(٢)

قال ابن كثير: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] يعني: يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال والزَّلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام.(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا رَيْبَ أنَّ ظَاهِرَ القرآن لا يَدُلُّ على أنَّ هذه من الصِّفات؛ فإنَّه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] نَكِرَةٌ في الإثبات لم يُضِفْهَا إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التَّعريف بالإضافة لا يَظْهَرُ أنَّه من الصِّفات إلاَّ بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل؛ إنَّما التَّأويل صَرْفُ الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف.(٤)

---

(١) انظر الروايات عن ابن عباس وتلاميذه في تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٧، ١٨٨)، والأسماء والصفات، للبيهقي (٧٤٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي (٧٢٤)، وموسوعة التفسير المأثور (٢٢/ ١٣٩)، و(٢٢/ ١٤٨- ١٥١)

(٢) أعلام الحديث، الخطابي (٣/ ١٩٣٠)، وعنه البيهقي في الأسماء والصفات (٧٤٥)

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ١٩٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٥)

وأما قول الطعان : (أما كلام ابن عباس فذلك لأن قراءته غير القراءة المشهورة ﴿يوم يُكشف عن ساق﴾، وإنما كان يقرأ ﴿يوم تكشف عن ساق﴾ فعلى قراءته يكون الكاشف عن الساق هو يوم القيامة ، **فعلى هذا يكون تأويله)**

أقول: هذا تدليس وتلبيس! ؛ فالقراءة التي ذكرها بين قوسين ﴿تكشف﴾ ، إنما هي قراءة شاذة أنه كان يقرأ: (يَوْمَ تَكْشِفُ عَن ساقٍ) بالتاء مفتوحة[(١)]، والقراءة الأخرى تروى أيضاً عن ابن عباس أيضاً[(٢)]

فليس هذا سبب تأويله لها ، ولا سبب تأويل تلاميذه، فضلاً عن أنه ليس تأويلاً أصلاً كما سيأتي

وقد رجَّح ابنُ تيمية في تفسيره (٦/ ٣٨٢) - مستندًا إلى اللغة - أنها ليست من آيات الصفات، فقال: "لا ريب أنّ ظاهر القرآن لا يدلّ على أنّ هذه من الصفات؛ فإنه قال: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ نكرة في الإثبات، لم يُضفها إلى الله، ولم يَقلْ: عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل".

---

(١) أخرجه ابن منده (٣٩). وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد. وهي قراءة شاذة. انظر: المحتسب ٢/ ٣٢٦ موسوعة التفسير المأثور

(٢) انظر: البحر المحيط ٨/ ٣٠٩ موسوعة التفسير المأثور

وذكر (٦/ ٣٨٣) "أنّ أصل الخلاف راجع لعدم الإضافة، وأنّ مَن يجعلها من الصفات يقول فيها كقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ ونحو ذلك، فإنه مع الصفات تُثبتُ، ويجب تنزيه الرّبّ تعالى عن التمثيل". [١]

فهل تطعن أيها الطعان في ابن عباس ومدرسته ؟! لا سيما و" كثير من الشرَّاح قد أوَّلوها بالشدة والأمر المهول، أو بنور عظيم أو غير ذلك، واعتمدوا في ذلك على آثارٍ رويت عن بعض الصحابة ". [٢]

نعم الصحيح اثبات الساق لله ﷻ ، **بالآية** على قول جماعة من كعبد الله بن مسعود في قوله: (يَوْمَ يَكْشِفُ عَن ساقٍ) قال: عن ساقيه تبارك وتعالى.

قال ابن مَندَه: هكذا في قراءة ابن مسعود: (يَكْشِفُ) بفتح الياء وكسر الشين[٣]

وبحديث البخاري عن حديث أبي سعيد مرفوعاً : "يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا". [١]

---

(١) موسوعة التفسير المأثور (٢٢/ ١٥١)

(٢) حاشية مستخرج أبي عوانة (٢/ ٢٠٥)

(٣) موسوعة التفسير المأثور (٢٢/ ١٣٩) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١٠، وابن منده في الرد على الجهمية (٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

وأخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣١٢ والبيهقي (٧٥٠). وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر موسوعة التفسير المأثور (٢٢/ ١٤٨)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ لم يقل يوم يكشف السَّاق، وهذا يبين خطأ من قال المراد بهذه كشف الشدة، وأن الشدة تسمى ساقاً، وأنه لو أريد ذلك، لقيل: يوم يكشف عن الشدة أو يكشف الشدة، وأيضاً فيوم القيامة لا يكشف الشدة عن الكفار، والرواية في ذلك عن ابن عباس ساقطة الإسناد[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب التفسير- باب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ (الفتح ٨/ ٥٣١ ح ٤٩٩١) ، وفي كتاب التوحيد -باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (الفتح ١٣/ ٤٣١ ح ٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية (٣٠٢) ، وأبو عوانة (٢/ ٢٠٤): ٥٠١ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ...

ورواه مجاهد ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ به كما في تفسير (ص٦٦٩):

وله شاهد عن ابن مسعود ﷺ أخرجه الحاكم ٢/ ٤٠٨ (٣٤٢٤)، ٤/ ٦٣٢ (٨٧٥١). وانظر شواهد أخر في موسوعة التفسير المأثور (٢٢/١٤٤- ١٤٧)

(٢) الرد على البكري، لابن تيمية (٢/ ٥٤٣)

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٣٨ - ٣٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٠)، وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٢٧)، (٧٢٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٨٠).

وقد ذهب جماعة إلى أن هذه الآثار ونحوها لا تثبت، وتعرضوا لنقدها سنداً ومتناً:

قال ابن القيم في الصواعق (١/ ٢٥٣): وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه، فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال كشفت الشدة عن القوم، لا كشف عنها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٠]، فالعذاب والشدة هو

المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضا فهناك تحدث الشدة وتشتد ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة.

وقد جمع سليم الهلالي طرق المروي عن ابن عباس والتابعين في هذه الآية ودرس أسانيدها في رسالة أسماها "المنهل الرقراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ"، وخلص من هذه الدراسة إلى أنه لا يصح منها شيء، وضعّف جميع أسانيدها.

انظر قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية (١/ ١٨٦)

وأفاد سليم الهلالي أنه: على فرض صحتها يكون هذا التفسير من ابن عباس وغيره على مقتضى اللغة، وأن الساق في اللغة هي الشدة، ولم يقصد ابن عباس وغيره بذلك تفسيره في صفات الله تعالى في موجب الشرع ويوضِّح هذا أن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ لا يدل بمجرده على أنها من الصفات، والذين جعلوها من الصفات إنما فعلوا ذلك في ضوء الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في تفسيرها، فقد أورد البخاري الحديث باللفظ المبيَّن "يكشف ربنا عن ساقه" في باب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾.

وقد قرَّر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا فقال: "ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يُضفها إلى الله، ولم يقل: عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف، ولكن كثيرٌ من هؤلاء يجعلون اللفظ على ما ليس مدلولًا له، ثم يريدون صرفه عنه، ويجعلون هذا تأويلًا، وهذا خطأ من وجهين كما قدمناه غير مرة ... "

قال أبو سليمان الخطابي: وهذا الحديث ممَّا قد تهيب القول فيه شيوخنا، فَأَجْرَوْهُ على ظاهر لفظه، ولم يَكْشِفُوا عن باطن معناه، على نحو مذهبهم في التَّوقُّف عن تفسير كلِّ ما لا يحيط العلم بِكُنْهِهِ من هذا الباب.(١)

وهذا ترجيح ابن جرير الطبري، وابن كثير تفسيرالآية، وانتصر له الشوكاني، وصديق خان، وعليه اقتصر السعدي - على الجميع رحمة الله تعالى-.(٢)

قال الطعان تحت عنوان: إنكار الرجل والقدم

قال : (قال النووي: " لا تزال جَهَنَّمُ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ تبارك وتعالى قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا. هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَقَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وطائفة من المتكلمين أنه لايتكلم فِي تَأْوِيلِهَا بَلْ نُؤْمِنُ أَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا أَرَادَ اللهُ وَلَهَا مَعْنَى يَلِيقُ بِهَا وَظَاهِرُهَا غَيْرُ مُرَادٍ

انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، المنهل الرقراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ حاشية مستخرج أبي عوانة (٢/ ٢٠٦)

(١) أعلام الحديث، الخطابي (٣/ ١٩٣٠)

(٢) انظر قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية (١/ ١٨٨)

وَالثَّانِي وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهَا فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ

فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ هُنَا الْمُتَقَدِّمُ وَهُوَ شَائِعٌ فِي اللُّغَةِ وَمَعْنَاهُ حَتَّى يَضَعَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا مَنْ قَدَّمَهُ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ ، قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي : هَذَا تأويل النضر بن شميل ونحوه عن ابن الْأَعْرَابِيِّ

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ قَدَمُ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ فَيَعُودُ الضَّمِيرُ فِي قَدَمِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الْمَعْلُومِ الثَّالِثُ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يُسَمَّى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ

وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا "يَضَعُ اللهُ فِيهَا رِجْلَهُ"، فَقَدْ زَعَمَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنِ فَوْرَكَ أَنَّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ وَلَكِنْ قَدْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ فَهِيَ صَحِيحَةٌ وَتَأْوِيلُهَا كَمَا سَبَقَ فِي الْقَدَمِ وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُرَادَ بِالرِّجْلِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَمَا يُقَالُ رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ أَيْ قِطْعَةٌ مِنْهُ

قَالَ الْقَاضِي أَظْهَرُ التَّأْوِيلَاتِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ اسْتَحَقُّوهَا وَخُلِقُوا لَهَا

قَالُوا: ولابد مِنْ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ الْعَقْلِيِّ عَلَى اسْتِحَالَةِ الْجَارِحَةِ عَلَى اللهُ تَعَالَى")

وأحال على شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٢)، ثم قال: (قول العلماء في هذا)

قال أبو الفضل: نعم أخطأ الإمام النووي كما أخطأ غيره في نقله تأويل هذه الصفة فغفر الله لنا ولهم – وقد سبق ذكر جماعة منهم –

والإمام هنا كعادته يحكي الأقوال ويقدم قول السلف، فمن أين لك أنه اختار التأويل؟!، وأنت الذي قلت في مسألة قديماً قبل أن تتبدل فتطعن في الإمام النووي: **النووي لم يذكره ترجيحاً له وإنما ذكره نقلا ، ثم بعد ذلك رجح الوقف في هذه المسألة ، رجح التفويض في هذه المسألة**. انتهى.

قلت: فإنزال كلام العلماء في الجهمية على الإمام النووي ظلم وعدوان

ثم ماذا تقول في النضر بن شميل وابن الأعرابي وهما قد أوّلاه؟!

وما تقول في ابن حبان، وقد قال في صحيحه (٢٦٨) في الحديث : "حتى يضع الربُّ جل وعلا قدمه فيها فتقول: قط قط":

قال ابن حبان: هذا الخبر من الأخبار التي أُطلِقت لتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأُمم والأمكنة التي عُصِيَ الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب - جل وعلا- موضعًا من الكفار والأمكنة في النار فتمتلىء فتقول: قط قط، تريد: حسبي حسبي؛ لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع، قال الله - جل وعلا-: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، يريد: موضع صدق، لا أن الله – جَلَّ وعلا- يضع قَدَمَه في النار، جل رَبُّنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه".

هل ستخرجه من أهل السنة والجماعة؟ لا سيما وقد أنكر الحد كما سبق؟

وانظر لكلام وأدب العلامة محمد آدم في البحر المحيط الثجاج؛ قال :

قد أسلفت أن المذهب الصحيح الذي قال به السلف أن القدم صفة ثابتة لله تعالى كالرِّجل في الرواية الأخرى على ما يليق بجلاله، وأما الحافظ فقد ذكر في "الفتح" أقوالًا كثيرة في المسألة، فقال: واختُلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تُمَرّ كما جاءت، ولا يُتعرَّض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك، فذَكَر أقوالهم مفصّلة، ويا ليته أعرض عن ذِكرها، أو تعقّبها بالردّ، فإنه يعلم أنها مخالفة لظواهر النصوص، ولمذهب السلف، فكيف أقرّها، إن هذا لهو العجب العُجاب [(١)].

وأين أنت من كلام الإمام ابن الجوزي ، وقد سبق تاماً، وأقتصر منه هنا على :

"قلتم في الأحاديث: تحمل علي ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة

فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن لله ﷻ صفة هي روح ولجت في مريم

ومن قال: استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات.

ينبغي ألا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل، فإنا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقدم.

---

(١) البحر المحيط الثجاج (٤٣/ ٦٨٢)

فلو أنكم قلتم: نقر الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه.

ولقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً حتى لا يقال: حنبلى[1] إلا مجسم[2]"

ولم تقل فيه ما قلت في النووي !، وقد سبق التعليق على كلمة "الجارحة"

تنبيه: قال الشيخ الغنيمان بعد ذكر روايات صفة القدم والرجل:"ففي مجموع هذه الروايات البيان الواضح بأن القدم والرجل - وكلاهما عبارة عن شيء واحد - صفة لله تعالى حقيقة على ما يليق بعظمته"[3]

قال الطعان تحت عنوان: تحريف الضحك

(قال النووي: وَمَعْنَى يَتَجَلَّى يَضْحَكُ أَيْ يَظْهَرُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ)

ثم أحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ٤٨)، ثم قال: قول العلماء في هذا

قال أبو الفضل: **قول الطعان "إنكار الضحك" باطل، فهذا تأويل ، والتأويل فرع الإثبات لا الإنكار !!**

---

(١) كذا في الأصل: ولعل (ما) ساقطة. قاله المحقق.

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص٤٧٥، ٤٧٦)

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري(١/ ١٥٦)، وانظر التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٠٢) ، رد الدارمي على المريسي (ص٦٧-٧٠)، إبطال التأويلات (ص ١٩٢) ، والجواب الصحيح (٣/ ١٥١) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة (ص١٧٤)

حتى قال ابن الملقن صراحة: "والضحك من صفات الرب ﷻ، ومعناه: الاستبشار والرضا لا الضحك بلَهَواتٍ وتعجب"(١)

والإمام النووي ذكر هذه الأحاديث في رياض الصالحين والأذكار، فكيف يقال ينكرها؟

وأما قول النووي: قَوْلُهُ ﷺ : " يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهَدُ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُسْتَشْهَدُ"، **قَالَ الْقَاضِي: الضَّحِكُ هُنَا اسْتِعَارَةٌ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ﷻ الضَّحِكُ الْمَعْرُوفُ فِي حَقِّنَا لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ مِنَ الْأَجْسَامِ وَمِمَّنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ تَغَيُّرُ الْحَالَاتِ وَاللهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ** وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الرِّضَا بِفِعْلِهِمَا وَالثَّوَابُ عَلَيْهِ وَحَمْدُ فِعْلِهِمَا وَمَحَبَّتُهُ وَتَلَقِّي رُسُلِ اللهِ لَهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الضَّحِكَ مِنْ أَحَدِنَا إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ مُوَافَقَتِهِ مَا يَرْضَاهُ وَسُرُورِهِ وَبِرِّهِ لِمَنْ يَلْقَاهُ **قَالَ**: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هُنَا ضَحِكُ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى الَّذِينَ يُوَجِّهُهُمْ لِقَبْضِ رُوحِهِ وَإِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ كَمَا يُقَالُ قَتَلَ السُّلْطَانُ فُلَانًا أَيْ أَمَرَ بِقَتْلِهِ.(٢)

وقال: قَوْلُهُ :"فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى حَتَّى يَضْحَكَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ" **قَالَ الْعُلَمَاءُ:** ضَحِكُ اللهِ تَعَالَى مِنْهُ هُوَ رِضَاهُ بِفِعْلِ عَبْدِهِ وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ وَإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَإِيجَابِهَا عَلَيْهِ وَاللهُ أَعْلَمُ.(١)

---

(١) انظر التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١/ ٢١١) و (٧/ ٢٠٧)

(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٣٦)

فالإمام النووي ناقل لهذا القول عن القاضي عياض، وظنَّه قولَ جميع العلماء فقال: "قال العلماء"، وهذا من آثار انتشار مذهب الأشاعرة كما سبق تقريره !

وكذلك فعل أكثر شراح الحديث[٢] حتى نُقل عن البخاري!

قال الخطابي: قوله: "يضحك الله ﷻ"، الضحك الذي يعتري البشر عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب، غير جائز على الله ﷻ، وهو منفي عن صفاته، وإنما هو مثل ضربه لهذا الصنيع الذي يحل محل العجب عند البشر، فإذا رأوه أضحكهم، ومعناه في صفة الله ﷻ: الإخبار عن الرضا بفعل أحدهما، والقبول للآخر، ومجازاتهما على صنيعهما الجنة مع اختلاف أحوالهما، وتباين مقاصدهما، ونظير هذا ما رواه أبو عبد الله [البخاري] في موضع آخر

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٤)

(٢) انظر كتاب "شراح اصحيحين بين الإثبات والتأويل في أحاديث الصفات" د/ عبد الرحمن بن سعد الجُهني، وقد سبق، وشرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٣٨)، والمعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٣٩)، والمسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ٤٦٥)، و (٥/ ٨٢)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٥٨)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (١/ ٢١١) و (٧/ ٢٠٧) و(٣٣/ ٣٣٩)، فتح الباري (٦/ ٤٠ ط السلفية): وغيرها كثير، ولا أعلم من المتقدمين من الشراح من قرر الصواب في هذه الصفة إلا قِوَام السنة الأصبهاني في التحرير في شرح صحيح مسلم(ص٨٧): قال: (الضَّحِكُ فِي صِفَاتِ اللهِ ﷻ مِمَّا يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسلِيمُ لَهُ)

من هذا الكتاب ، (فذكر حديث: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة فأنزل الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾)

ثم قال: قال أبو عبد الله (البخاري): معنى الضحك: الرحمة، وهذا من رواية الفربري، ليس عن ابن معقل [(١)].

قلت (الخطابي): قول أبي عبد الله قريب، وتأويله على معنى الرضا لفعلهما أقرب وأشبه، ومعلوم أن الضحك من ذوي التمييز يدل على الرضا، والبشر والاستهلال منهم دليل على قبول الوسيلة، ومقدمة إنجاح الطلبة، والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر، وحسن اللقاء، فيكون معنى في قوله: " يضحك الله إلى رجلين".

وقال ابن حبان: يريد أضحك الله ملائكته وعجبهم من وجود ما قضى.[(٢)]

---

(١) أعلام الحديث (٢/ ١٣٦٥) وانظر الأسماء والصفات، البيهقي (٢/ ٤٠٣)، صحيح البخاري بحاشية السهارنفوري (١٠/ ٥١): **قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَعْنَى الضحكِ: الرحمةُ**"، التوضيح (٢٣/ ٣٧٧)، فتح الباري (٦/ ٤٠ ط السلفية)

تنبيه: قال بدر الدين العيني في عمدة القاري (١٩/ ٢٢٨): وَلَيْسَ فِي النّسخ الَّتِي فِي أَيدي النَّاس مَا نسبه الْخطابِيّ إِلَى البُخَارِيّ بِاللَّفْظِ الْمَذْكُور، وَالله أعلم

وانظر التعليق على فتح الباري وما كتبه الشيخ البراك على هامش "الفتح" ، البحر المحيط الثجاج (٣٢/ ٤٦٥)

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١/ ٢١٢)

وقال ابن عبد البر[(١)]: وأمّا قولُهُ: "يَضْحكُ اللهُ"، فمَعناهُ يَرْحمُ اللهُ عَبدهُ عندَ ذاك، وَيتَلقّاهُ بالرَّوح والرّاحةِ والرَّحمةِ والرَّأفةِ، وهذا مجازٌ مفهُومٌ. وقد قال اللهُ ﷻ في السّابِقِين الأوَّلِين، والتّابِعِين لهم بإحسانٍ: ﴿رضي الله عنهم﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال في المُجرِمِين: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وأهلُ العِلم يكرهُونَ الخَوْضَ في مِثلِ هذا وشِبهِهِ من التَّشبِيهِ، كلِّهِ في الرِّضا والغَضَبِ، وما كان مِثلُهُ من صِفاتِ المخلُوقِينَ، وبالله العِصْمةُ والتَّوفيقُ.

وقال[(٢)]: وَأَمَّا قَوْلُهُ: "يَضْحَكُ اللهُ إِلَيْهِ"، أَيْ يَتَلَقَّاهُ اللهُ ﷻ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ والعفو والغفران، ولفظ الضحك هاهنا مجاز؛ لِأَنَّ الضَّحِكَ لَا يَكُونُ مِنَ اللهِ ﷻ عَلَى مَا هُوَ مِنَ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا تُشْبِهُهُ الْأَشْيَاء

وقال ابن الجوزي: لِأَن الضحك لَا يصدر إِلَّا عَن رَاض غير ساخط، فَيكون الْمَعْنى: يصدر عَنهُ فعل الراضي الضاحك وإثابته[(٣)]

فهل ستقول في هؤلاء جميعاً ما قلته في الإمام النووي؟

أما نحن فنقول: غفر الله لنا ولهم، "والصواب: إثبات الضحك لله ﷻ وسائر الصفات على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تفويض ولا تعطيل.

---

(١) التمهيد (١١/ ٥٨٩ ت بشار)، (١٨/ ٣٤٥ ط المغربية)

(٢) الاستذكار (٥/ ٩٧)

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٧٩)

هذا هو قول أهل الحق من أصحاب النبي ﷺ واتباعهم من أهل السنة والجماعة، وهو الحق الذي لا يجوز العدول عنه. والله ولي التوفيق". [١]

وقال العلامة محمد دم تعليقاً على كلام الإمام النووي: قد أسلفتُ آنفًا أن هذا تأويل غير صحيح، بل الصواب أن الضحك ثابت لله تعالى على الحقيقة كما يليق بجلاله ﷻ، وأما الرضا فإنه من لوازم الضحك، وليس هو معنى الضحك [٢]، و"هذا الضحك من الباري يدل على غاية كرمه وجوده، وتنوع بِرِّهِ، وهذا الضحك الوارد في هذا الحديث وفي غيره من النصوص كغيره من صفات الله. على المؤمن أن يعترف بذلك ويؤمن به، وأنه حق على حقيقته، وأن صفاته صفات كمال، ليس له فيها مثل، ولا شبه ولا ند.

فكما أن لله ذاتاً لا تشبهها الذوات فله تعالى صفات لا تشبهها الصفات، وكلها صفات حمد ومجد وتعظيم، وجلال وجمال وكمال. فنؤمن بما جاء به الكتاب والسنة من صفات ربنا، ونعلم أنه لا يتم الإيمان والتوحيد إلا بإثباتها على وجه يليق بعظمة الله وكبريائه ومجده. [٣]

"ونحن نقول: نَعَم الضحك الذي يعتري البَشَر عندما يستخفّهم الفرح، أو الطرب: غير جائز على الله تعالى، فإن ذلك ضحك البشر، وهو مختصّ بهم،

---

(١) استدراك وتعقيب على الشيخ شعيب الأرنؤوط في تأويله (ص٦٤)

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٥/ ٢٧٧)

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد (ص١٧٢)

وضحك الربّ ﷻ مختصّ به، فليس الضحك كالضحك، كما يقال مثلُ ذلك في قدرته، وإرادته، وغير ذلك من صفاته ﷻ". [١]

"**وليته** نزه كتابه عن بيان غير بيان رسول الله ﷺ واكتفى بأن قال: ضحك وعجب يليق بجلاله ﷻ.

والكلام في الصفات كالكلام في الذات: اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وهذا هو مذهب الصحابة والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين [٢]، "ولم نسمع عن أحد من أهل السنة أنه يشبه ضحك الله – تعالى – أو شيئاً من أفعاله بشيء من فعل المخلوقين". [٣]

"وأما مذهب السلف فبعيد عن التأويل، فظهر بهذا أن تأويله هذا، وقد سبقه المازريّ والقاضي عياض، والقرطبيّ غير صحيح، والحقّ الذي عليه السلف أن صفة الضحك ثابتة لله تعالى حقيقةً على ما يليق بجلاله وعظمته، بلا تكييف، ولا تشبيه مع تنزيهه ﷻ عن مشابهة المخلوقين، وقد نقل نحو هذا البيهقيّ عن متقدّمي الأشاعرة أيضًا. [٤].

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٣٢/ ٤٦٤)

(٢) حاشية فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٢٠ ط السلفية)

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري – الغنيمان (٢/ ١٠٤)

(٤) الأسماء والصفات ص ٥٩١ – ٥٩٨.

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: "ذِكرُ إثبات ضحك ربنا عز وجل بلا صفة تصف ضحكه جلّ ثناؤه، ولا يُشبّه ضحكه بضحك المخلوقين، بل نؤمن بأنه يضحك، كما أعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونسكت عن صفة ضحكه جلّ وعلا؛ إذ الله عز وجل استأثر بصفة ضحكه، لم يُطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال به النبيّ صلى الله عليه وسلم، مصدّقون بذلك بقلوبنا، منصتون عما لم يُبيَّن لنا مما استأثر الله تعالى بعلمه، وهو تحقيق نفيسٌ جدًّا، فتمسّك به تكن من المفلحين ". [(١)]

قال الطعان تحت عنوان: تحريف الغضب والسخط والرضى والفرح

ثم قال: (قال النووي: الْمُرَادُ بِغَضَبِ الله تَعَالَى مَا يَظْهَرُ مِنَ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ وَمَا يَرَوْنَهُ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ وَمَا يُشَاهِدُهُ أَهْلُ الْمَجْمَعِ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهَا وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ مِثْلُهُ فَهَذَا مَعْنَى غَضَبِ الله تَعَالَى كَمَا أَنَّ رِضَاهُ ظُهُورُ رَحْمَتِهِ وَلُطْفُهُ بِمَنْ أَرَادَ بِهِ الْخَيْرَ وَالْكَرَامَةَ) وأحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ٦٨)

ثم قال: (ووصف الغضب والرضى بالتغير فقال: " لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ التَّغَيُّرُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَاءِ"، وقال:" قَوْلُهُ تَعَالَى "إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي" قَالَ الْعُلَمَاءُ غَضَبُ الله تَعَالَى وَرِضَاهُ يَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنَى الْإِرَادَةِ فَإِرَادَتُهُ

---

(١)"كتاب التوحيد" ٢/ ٥٦٣ - ٥٨١ البحر المحيط الثجاج (٥/ ١٥٥)، وانظر حاشية التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٧/ ٢٠٧) و"الصحيحة" ٧/ ٣٥٥، "شرح العقيدة الواسطية" للعثيمين ٢/ ٤٤٣ - ٤٤٥

الْإِثَابَةَ لِلْمُطِيعِ وَمَنْفَعَةَ الْعَبْدِ تُسَمَّى رِضًا وَرَحْمَةً وَإِرَادَتُهُ عِقَابَ الْعَاصِي وَخِذْلَانَهُ تُسَمَّى غَضَبًا وَإِرَادَتُهُ ﷻ صِفَةٌ لَهُ قَدِيمَةٌ يُرِيدُ بِهَا جَمِيعَ الْمُرَادَاتِ "، وقال: " فَقَالَ الْعُلَمَاءُ الْإِعْرَاضُ وَالْغَضَبُ وَالسَّخَطُ مِنَ اللهِ تَعَالَى هُوَ إِرَادَتُهُ إِبْعَادَ ذَلِكَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَعْذِيبَهُ وانكار فعله وذمه والله أعلم ")

وأحال على شرح النووي على مسلم (٣/ ٦٩)،(١٧/ ٦٨)، (٢/ ١٦٢)

ثم قال: (تحريف صفة الفرح: قال النووي: " قَوْلُهُ ﷺ (للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ) قَالَ الْعُلَمَاءُ فَرَحُ اللهِ تَعَالَى هُوَ رِضَاهُ ")

وأحال على شرح النووي على مسلم (١٧/ ٦٠): ثم قال: (قول أهل العلم في هذا)

قال أبو الفضل: أولاً حذف من كلام الإمام النووي كعادته!

وهذا كلام الإمام النووي تاماً مع تظليل موضع الحذف (١٧/ ٦٠):

قَوْلُهُ ﷺ : " للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ"، قَالَ الْعُلَمَاءُ فَرَحُ اللهِ تَعَالَى هُوَ رِضَاهُ ، **وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: الْفَرَحُ يَنْقَسِمُ عَلَى وُجُوهٍ مِنْهَا السُّرُورُ ، وَالسُّرُورُ يُقَارِبُهُ الرِّضَا بِالْمَسْرُورِ بِهِ ، قَالَ: فَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْضَى تَوْبَةَ عَبْدِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَرْضَى وَاجِدُ ضَالَّتِهِ بِالْفَلَاةِ ، فَعَبَّرَ عَنِ الرِّضَا بِالْفَرَحِ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الرِّضَا فِي نَفْسِ السَّامِعِ وَمُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِهِ.**

قلت: و الإمام النووي **مسبوق بهذا التأويل وإنما هو ناقل له !**

قال الإمام الطبري: واختُلِف في صفةِ الغضبِ من الله جل ذكرُه؛ **فقال بعضُهم**: غضبُ الله على مَن غضِب عليه مِن خلقِه إحلالُ عقوبتِه بمَن غضِب

عليه، إما في دنياه وإما في آخرتِه، كما وصَف به نفسَه ـ جل ذكرُه ـ في كتابِه فقال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وكما قال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال بعضُهم: غضَبُ اللهِ على مَن غضِب عليه مِن عبادِه ذمٌّ منه لهم ولأفعالِهم، وشَتْمٌ منه لهم بالقولِ.

وقال بعضُهم: الغضبُ منه معنى مفهومٌ، كالذي يُعْرَفُ مِن معاني الغضبِ، غيرَ أنه - وإن كان كذلك مِن جهةِ الإثباتِ - فمخالفٌ معناه منه معنى ما يكونُ مِن غضبِ الآدميِّين الذي يُزْعِجُهم ويُحَرِّكُهم ويَشُقُّ عليهم ويُؤْذِيهم؛ لأن اللهَ جلَّ ثناؤُه لا تَحِلُّ ذاتَه الآفاتُ، ولكنه له صفةٌ، كما العلمُ له صفةٌ، والقدرةُ له صفةٌ، على ما يُعْقَلُ مِن جهةِ الإثباتِ، وإن خالفت معاني ذلك معانيَ علومِ العبادِ التي هي معارفُ القلوبِ، وقُواهم التي تُوجَدُ مع وجودِ الأفعالِ وتُعْدَمُ مع عَدَمِها. (١)

فهل ستدعي على الإمام الطبري ما ادعيته على الإمام النووي؟!

---

(١)تفسير الطبري (١/ ١٨٩) ط التركي

وقال أبو الحسن الأشعري: **وأجمعوا** على أنه ﷻ يرضى عن الطائعين له، **وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم**، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، **وأن غضبه إرادته لعذابهم**، وأنه لا يقوم على غضبه شيء [(١)]!

وفي طرح التثريب بعدما نقل كلام الإمام النووي كاملاً قال: مَثَّلَ الْخَطَّابِيُّ إطْلَاقَ الْفَرَحِ عَلَى الرِّضَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْفَرَحَ مُعْظَمُ السُّرُورِ وَغَايَتُهُ وَالسُّرُورُ عِبَارَةٌ عَنْ بَسْطِ الْوَجْهِ وَسَعَةِ الصَّدْرِ وَاسْتِنَارَةِ الْوَجْهِ

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ : هَذَا مَثَلٌ قُصِدَ بِهِ بَيَانُ سُرْعَةِ قَبُولِ الله تَعَالَى لِتَوْبَةِ عَبْدِهِ التَّائِبِ وَأَنَّهُ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَيُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ مَنْ يَفْرَحُ بِهِ ، وَوَجْهُ هَذَا التَّمْثِيلِ أَنَّ الْعَاصِيَ حَصَلَ بِسَبَبِ مَعْصِيَتِهِ فِي قَبْضَةِ الشَّيْطَانِ وَأَسْرِهِ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ فَإِذَا لَطَفَ اللهُ بِهِ وَأَرْشَدَهُ إلَى التَّوْبَةِ خَرَجَ مِنْ شُؤْمِ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَتَخَلَّصَ مِنْ أَسْرِ الشَّيْطَانِ وَمِنْ الْهَلَكَةِ الَّتِي أَشْرَفَ عَلَيْهَا فَأَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَبَادَرَ إلَى ذَلِكَ مُبَادَرَةَ هَذَا الَّذِي قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ لَمَّا عَدِمَ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى بِهِ الْفَرَحُ وَاسْتَفَزَّهُ السُّرُورُ إلَى أَنْ نَطَقَ بِالْمُحَالِ، وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ لِشِدَّةِ سُرُورِهِ وَفَرَحِهِ و**إِلَّا فَالْفَرَحُ الَّذِي هُوَ مِنْ صِفَاتِنَا مُحَالٌ عَلَى الله تَعَالَى لِأَنَّهُ اهْتِزَازٌ وَطَرَبٌ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ ظَفَرِهِ**

(١)رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٣٠)

بِغَرَضٍ يَسْتَكْمِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ نُقْصَانَهُ وَيَسُدُّ بِهِ خَلَّتَهُ أَوْ يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ضَرَرًا، أَوْ نَقْصًا وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ الْكَامِلُ بِذَاتِهِ الْغَنِيُّ بِوُجُودِهِ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ نَقْصٌ وَلَا قُصُورٌ وَلَكِنَّ هَذَا الْفَرَحَ عِنْدَنَا لَهُ ثَمَرَةٌ وَفَائِدَةٌ، وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَى الشَّيْءِ الْمَفْرُوحِ بِهِ وَإِحْلَالُهُ الْمَحَلَّ الْأَعْلَى وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَصِحُّ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فَعَبَّرَ عَنْ ثَمَرَةِ الْفَرَحِ بِالْفَرَحِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي تَسْمِيَتِهَا الشَّيْءَ بِاسْمِ مَا جَاوَرَهُ، أَوْ كَانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ وَذَلِكَ الْقَانُونَ جَارٍ فِي جَمِيعِ مَا أَطْلَقَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِهِ كَالْغَضَبِ وَالرِّضَى وَالضَّحِكِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. (١)

وقال الخطابي: الفرح الذي يتعارفه الناس بينهم غير جائز على الله (٢)

وقال الشوكاني: ومعنى الغضب في صفات الله: إرادة العقوبة. (٣)

وإنما نقلت هذا لترى - كما سبق ذكره مراراً - أن انتشار هذا القول جعل الإمام النووي يظنه هو الصواب ولذلك نسبه **للعلماء !**

والقول الحق في ذلك وما عليه سلف الأمة ما ذكره الطحاوي في قوله: "والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى" وعلق شارح الطحاوية على قوله بذكر بعض الآيات التي تثبت هاتين الصفتين، ثم قال: "ومذهب السلف وسائر

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٣٧)

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (١٠/ ٣٠٣)، وفيه النقل عن علماء آخرين بنحوه

(٣) نيل الأوطار (١٥/ ٤٤٧) ط حلاق

الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا، والعداوة والولاية، والحب والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى". [١]

وقال ابن القيم: "والقرآن مملوء بذكر سخطه وغضبه على أعدائه وذلك صفة قائمة به يترتب عليها العذاب واللعنة، لا أن السخط هو نفس العذاب واللعنة، بل هما أثر السخط والغضب وموجبها ، ولهذا يفرق بينهما كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ ففرق بين عذابه وغضبه ولعنته، وجعل كل واحد غير الآخر، وكان من دعاء النبي ﷺ : "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك"، فتأمل ذكر استعاذته ﷺ بصفة "الرضا" من صفة "الغضب" ، وبفعل "المعافاة" من فعل "العقوبة" ، فالأول للصفة، والثاني لأثرها المترتب عليها، ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه وتعالى، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره". [٢]

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص٤١١، ٤١٢ حاشية رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٣٠)، وقد سبق قول الطحاوي وشرحه.

(٢) انظر مدارج السالكين ١/٢٥٤،حاشية رسالة إلى أهل الثغر (ص١٣٠)

وقد تعقّب المباركفوريّ رَحِمَهُ اللَّهُ ما ذكره النوويّ من التأويل، وقد أجاد في ذلك، فقال: لا حاجة إلى التأويل، ومذهب السلف في أمثال هذا الحديث إمرارها على ظواهرها، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تأويل [١].

وقد أجاد الشيخ البرّاك في رده على الحافظ لّما أكثر النقول في "الفتح" من أقوال المؤوّلين، حيث قال عند قوله: وإطلاق الفرح على الله مجاز عن رضاه. . . إلخ ما نصّه: [٢]

كل ما ذكره الحافظ، ونقله في هذا الموضع جارٍ على مذهب النفاة، وأهل التأويل منهم، وفي هذا كلّه صرف لفظ "الفرح" عن ظاهره، فمن المعلوم أن الفرح غير الرضا، والرضا غير المحبَّة، وكلّها غير الإرادة، فإن الفرح ضدّه الحزن، والرضا ضدّه السخط، والمحبّة ضدّها البغض، وكلّ هذه الصفات التي وردت في النصوص إضافتها إلى الله تعالى تنفيها الأشاعرة، وأهل التأويل منهم يفسّرونها بالإرادة، وأهل السُّنَّة والجماعة لا يفرّقون بين الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة، بل يُثبتونها للهَّ عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من غير تكييف، ولا تمثيل، ويردّون على الأشاعرة بأن حكم الصفات واحد، والتفريق بينها تفريق بين المتماثلات، ولهذا يلزمهم فيما أثبتوه نظير ما فرّوا منه فيما نفوه.

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٦٦)

(٢) تعليق الشيخ البرّاك على "الفتح" ١٤/ ٢٩٢، "كتاب الدعوات" رقم (٦٣٠٩)

انتهى كلام البرّاك حفظه الله، وهو تحقيقٌ نفيسٌ جدًّا، فتمسّك به، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل[(١)]

والمذهب الأسلم في أحاديث الصفات وآياتها إمرارها على ظاهرها وعدم تأويلها، وعليه فالحق أن يقال هنا غضب الله تعالى صفة ثابتة له نثبتها ونعتقدها لا نكيفها ولا نمثلها والله تعالى أعلم وكذا يقال في رضائه تعالى[(٢)]

فائدة: صفات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين: ثبوتيّةٌ، وسلبيّةٌ، فأما الثبوتيّة، فهي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو فيما صحّ على لسان رسوله ﷺ من صفات الكمال والجلال، فيجب إثباتها له ﷻ حقيقةً على الوجه اللائق به ﷻ.

وأما الصفات السلبيّة، فهي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه في كتابه، أو فيما صحّ عن رسوله ﷺ، وكلّها صفات نقص في حقّه ﷻ، كالموت، والنوم، والنسيان، فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات ضدّها له على الوجه الأكمل.

ثم إن الصفات الثبوتيّة تنقسم إلى ذاتيّة وفعليّة، فالذاتيّة هي التي لَمْ يزل الله تعالى متّصفًا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغيرها، ويدخل في هذا القسم الصفات الخبريّة، كالوجه، واليدين، والعينين.

والصفات الفعليّة هي التي تتعلّق بمشيئته ﷻ ؛ إن شاء فعلها، وإن شاء لَمْ يفعلها، وهو ﷻ متّصفٌ بها منذ الأزل، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى قد وُصِف

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٤٢/ ٥٥٣)

(٢) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٥/ ٦٧)

بها بعد أن لَمْ يكن متّصفًا بها، مثل النزول إلى السماء الدنيا، والغضب، والرضا، والإحياء، والإماتة، ونحوها.

وكلُّ صفة تعلّقت بمشيئة الله تعالى، فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نَعجَز عن إدراكها، لكن نعلم علم اليقين أنه ﷻ لا يشاء إلَّا وهو موافقٌ للحكمة.

وقد تكون الصفة ذاتيّة باعتبار، وفعليّة باعتبار آخر، كالكلام، فإنه صفة من صفات الذات؛ لأن الله ﷻ لَمْ يزل متكلّمًا، ولا يزال متكلّمًا، وأما باعتبار آحاد الكلام، فهو صفة فعليّة.[(١)]

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من ينفي هذه الصفات وغيرها: "القول في بعض الصفات كالقول في بعض فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله حي بحياة عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه، وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين. فكذلك محبته ورضاه

---

(١) راجع ما كتبه محقق: "إكمال المعلم" ١/ ٥٣٧ – ٥٣٨، البحر المحيط الثجاج (٤/ ٣٣) آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٥٧٥)

وغضبه وهذا هو التمثيل. وإن قلت له إرادة تليق به، كما إن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به. وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة، أو دفع مضرة، فإن قلت: هذه إرادة المخلوق. قيل لك: وهذا غضب المخلوق" [(١)]،

"ولا يقال إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفي للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده ويكره ويسخط ويغضب لما أراده.

ويقال لمن تأول الغضب والرضا بإرادة الانتقام أو بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلابد أن يقول: إن الغضب غليان دم القلب والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى. فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب لا أنه الغضب". [(٢)]

---

(١) التدمرية لابن تيمية ص(٣١)، الفتاوى ٦/١١٩-١٢٠، جامع المسائل(٣/ ١٧٥).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٨٥، ٦٨٦).

الخلاصة: "مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضا والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بها" (١).

قال الطعان تحت عنوان: تحريف صفة العجب

(نقل كلام عياض محتجاً به: " قَوْلُهُ ﷺ (عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ) قَالَ الْقَاضِي الْمُرَادُ بِالْعَجَبِ مِنَ اللهِ رِضَاهُ ذَلِكَ ، قال: وقد يكون المراد عَجِبَتْ مَلَائِكَةُ اللهِ وَأَضَافَهُ إِلَيْهِ ﷻ تَشْرِيفًا")

وأحال على شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٣): ثم قال: (قول العلماء في هذا قال زنيج: سمعت مت يعني محمد بن عبد الرحمن (المقرئ): يعجبني أن أقرأ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ خلافًا للجهمية) وأحال على صفات رب العالمين (٣/ ٣٠٤)

ثم قال : (قال ابن بطة : بَابُ الْإِيمَانِ بِالتَّعَجُّبِ وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّ اللهَ لَا يَعْجَبُ) وأحال على الإبانة الكبرى (٧/ ١٣١)

قال أبو الفضل: إحالته على صفات رب العالمين ' إنما هي إحالة على رسائل جامعية لم تطبع، وإنما أخذها من المكتبة الشاملة (٣/ ٣٠٤)، والصواب

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٥، ٦٨٦)، آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص٥٧٦)

الإحالة على المطبوع ما دام متيسراً ، وهذا مطبوع بتحقيق عمار تمالت، ط دار الخزانة (٣/ ١١٧١): ٢١٤٦ ، وموجود بالشاملة !

والطعان لم يذكر ما بعده مباشرة : ٢١٤٧ : وقال أبو الْمُثَنَّى معاذ بن الْمُثَنَّى بن معاذ بن معاذ العَنْبَري: ثنا سليمان بن حرب، ثنا جرير بن حازم، عن سليمان الأَعْمَش، عن أبي وائل: سمعتُ شُرَيْحًا يقرأ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾، فقلتُ له: إني سمعتُ عبد الله يقرأ ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾، قال: فلم يرجع شُرَيْحٌ عن قراءته[1].

وفي سنن سعيد بن منصور[2] عن الأعمشِ، عن أبي وائلٍ، عن شُرَيْحٍ؛ أَنَّهُ يقرأُ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾؛ ويقولُ: إنما يعجبُ مَن لا يَعلَمُ

---

(١) وهو في الإبانة (٧/ ١٣١) وعنه نقله ابن المحب الصامت في صفات رب العالمين (٣/ ١١٨٥): ٢١٧٩

(٢) ط الألوكة (٧/ ١٤٤): [١٨٠٥] ، وقال محققه: سنده صحيح.

وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (١٢/ ٣٩٢) لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في "الأسماء والصفات".

وقد أخرجه محمد بن خلف وكيع في "أخبار القضاة" (ص ٣٧١)

وأخرجه الفراء في "معاني القرآن" (٢/ ٣٨٤) عن مندل بن علي، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٨) عن الثوري، والبستي في تفسيره (ق ١٤٦/ ب - ١٤٧/ أ) من طريق شعبة، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٣٠)

وقال المحقق: "بل عجبتُ" بضم التاء ضميرًا للمتكلِّم، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف من العشرة، وابن مسعود وعلي بن أبي طالب وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وابن أبي ليلى وعكرمة وأبي مجلز والنخعي وابن سعدان وابن مقسم وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش وأبي عبيد وأبي وائل شقيق بن سلمة وقتادة (١).

وقال قوام السنة الأصبهاني في "الحجة" (٢/ ٤٥٧): "**وقال قوم:** لا يوصف الله بأنه يعجب؛ لأن العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث، وبقراءة أهل الكوفة: (بل عجبتُ ويسخرون) على أنه إخبار من الله عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه)

فما تقول في شريح؟!

وقد قال شيخ الإسلام: **إِنَّ السَّلَفَ أَخْطَأَ كَثِيرٌ مِنْهُم فِي كَثِيرٍ مِن هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى عَدَمِ التَّكْفِيرِ بِذَلِكَ**، مِثْلُ مَا أَنْكَرَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَكُونَ الْمَيِّتُ يَسْمَعُ نِدَاءَ الْحَيِّ، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُم أَنْ يَكُونَ الْمِعْرَاجُ يَقَظَةً، وَأَنْكَرَ بَعْضُهُم رُؤْيَةَ مُحَمَّدٍ رَبَّهُ، وَلِبَعْضِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ وَالتَّفْضِيلِ كَلَامٌ مَعْرُوفٌ.

---

(١) وقال: انظر: "السبعة" (ص ٥٤٧)، و"الكشاف" (٥/ ٢٠٤)، و"زاد المسير" (٧/ ٤٩ - ٥٠)، و"تفسير القرطبي" (١٨/ ١٨ - ١٩)، و"البحر المحيط" (٧/ ٣٤٠)، و"النشر" (٢/ ٣٥٦)، و"إتحاف فضلاء البشر" (٢/ ٤٠٨ - ٤٠٩)، و"معجم القراءات" للخطيب (٨/ ١٢ - ١٤)

وَكَذَلِكَ لِبَعْضِهِمْ فِي قِتَالِ بَعْضٍ، وَلَعْنِ بَعْضٍ، وَإِطْلَاقِ تَكْفِيرِ بَعْضٍ أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ.

وَكَانَ الْقَاضِي شريح يُنْكِرُ قِرَاءَةَ مَن قَرَأَ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ ويقُولُ: إنَّ اللهَ لَا يَعْجَبُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ إبْرَاهِيمَ النَّخَعِي فقَالَ: إنَّمَا شريحٌ شَاعِر يُعْجِبُهُ عِلْمُهُ، كَانَ عَبْد الله أَفْقَه مِنْهُ فكَانَ يَقُولُ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾، فَهَذَا قَد أَنْكَرَ قِرَاءَةً ثَابِتَةً، وَأَنْكَرَ صِفَةً دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَاتَّفَقَت الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّهُ إمَامٌ مِن الْأَئِمَّةِ(١).

وأما نقله عن الإبانة فلم يذكر ما قاله ابنُ بَطَّةَ بعده مباشرة:

وَالتَّعَجُّبُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْمَحَبَّةُ بِتَعْظِيمِ قَدْرِ الطَّاعَةِ وَالسُّخْطِ بِتَعْظِيمِ قَدْرِ الذَّنْبِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَ لَهُ صَبْوَةٌ»، **أَيْ أَنَّ اللهَ مُحِبٌّ لَهُ رَاضٍ عَنْهُ عَظِيمٌ قَدْرُهُ عِنْدَهُ**

وَالثَّانِي: التَّعَجُّبُ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِنْكَارِ لِلشَّيْءِ، وَتَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ لِأَنَّ الْمُتَعَجِّبَ مِنَ الشَّيْءِ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِنْكَارِ هُوَ الْجَاهِلُ بِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ، فَلَمَّا عَرَفَهُ وَرَآهُ اسْتَنْكَرَهُ، وَعَجِبَ مِنْهُ، وَجَلَّ اللهُ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ. وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا دَلَّ عَلَى التَّعَجُّبِ الْأَوَّلِ.

وعنه نقله ابن المحب بلفظ: التعجبُ على وجهين: المحبّةُ بتعظيمِ قدر الطاعة، والسَّخَطُ بتعظيم الذنب، ومِن ذلك قولُه ﷺ: "عَجِب ربُّنا مِن شابّ ليست له

---

(١) تقريب فتاوى ابن تيمية (٢/ ٦٧٩)

صَبْوَة"، وعلى معنى الاستذكار للشيء وهو الجهلُ به قبل وقوعه ورؤيته ، تعالى الله عن ذلك[١].

فماذا ستقول فيه؟!

وقال الخطابيّ: إطلاق العجب على الله محال، ومعناه الرضا، فكأنه قال: إن ذلك الصنيع حَلّ من الرضا عند الله حلول العجب عندكم

قال: وقد يكون المراد بالعجب هنا: أن الله يُعجب ملائكته من صنيعهما؛ لِنُدُور ما وقع منهما في العادة، ثم قول من قال: معنى الضحك هنا الرحمة، قال الخطابيّ: وتأويل الضحك بالرضا أقرب من تأويله بالرحمة؛ لأن الضحك من الكرام يدل على الرضا، فإنهم يوصفون بالبِشْر عند السؤال.

قال الحافظ: الرضا من الله يستلزم الرحمة، وهو لازمه [٢].

قال العلامة محمد علي آدم : من العجيب الغريب نَقْل الحافظ قول الخطّابيّ: "إطلاق العجب على الله محال" إلى آخر كلامه، بل أقرّه في آخر كلامه، وقد أشار الحافظ نفسه هو في "كتاب التوحيد" من "الفتح" أن التأويل مذهب المتكلّمين، وليس مذهب أهل السُّنَّة من السلف، وأهل الحديث، فكيف يوافق، ويسكت على هذا التأويل السخيف؟

---

(١) الإبانة الكبرى (٧/ ١٣١)، صفات رب العالمين (٣/ ١١٨٦)

(٢) البحر المحيط الثجاج (٣٤/ ٤٠٢)، "الفتح" ١٠/ ٦٨٠ - ٦٨١، كتاب "التفسير" رقم (٤٨٨٩)

والحاصل: أن الواجب إثبات ما أثبته الله في كتابه، أو أثبته النبيّ ﷺ في حديثه الصحيح من صفات الله تعالى على الوجه اللائق به ﷻ، ومن ذلك صفة العَجَب، فقد ثبتت في كتاب الله ﷻ في قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتُ) بضمّ التاء على إحدى القراءتين، وفي السُّنَّة الصحيحة، كهذا الحديث الصحيح، ثم إن العَجَب المثبَت لله ليس كعجب المخلوقين الذي منشأه غالبًا خفاء السبب، كما يقال: إذا ظهر السبب بطل العجب، وهذا النوع هو الممتنع على الله ﷻ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، ولكن العجب الثابت له يدلّ على عِظَم الشيء وتميّزه عن أمثاله فيما يوجب مدحًا أو ذمًّا، وبالله تعالى التوفيق[(١)]

"وما أحسنَ ما قال الإمامُ أبو سليمان الخَطَّابي: الكلامُ في الصفات فرعٌ على الكلام في الذات، فإذا كان إثباتُ ذاته ﷻ إثباتَ وجودٍ لا إثباتَ كيفيّةٍ، فكذلك إثباتُ صفاته إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيّةٍ.

قال الذَّهَبي: فكذلك نُثبتُ صفةَ التعجُّبِ أنّها صفةٌ لله تعالى كغيرها من صفاته المقدَّسة، وهي مُباينةٌ لصفاتِ المخلوقين ونعوتِ المجعولين، وإن اتَّفقت أسماؤها فهي مُنَزَّهَةٌ عن الأشباه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ثابتةٌ على الحقيقة بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾"[(٢)]

---

(١) البحر المحيط الثجاج (٣٤/ ٤٠٢)، وقال: راجع ما كتبه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البرّاك تعليقًا على هامش: "الفتح" ١٠/ ٦٨١

(٢) صفات رب العالمين (٣/ ١١٨٦) ٢١٨٠

والصواب أنه ﷻ: " لا يلزمُه شيءٌ مما يلزمُ تَعَجُّبَ المخلوقين؛ لأنّ الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ﷻ عما يقولُ المُشبّهةُ والمُعطّلةُ علوًّا كبيرًا.

فلا يجمعُ بين صفاته وصفات خَلْقه إلّا مجرّدُ التسمية، فنحن لنا علمٌ وقدرةٌ وسمعٌ وبصرٌ ورضًى وغضبٌ وتعجّبٌ حقيقةً، وهي أعراضٌ كما تناسبُ ذواتَنا، والله ﷻ له علمٌ وقدرةٌ وسمعٌ وبصرٌ ورضًى وغضبٌ وتعجّبٌ حقيقةً غيرَ أعراض كما تناسبُ ذاتَه، لكنا لا نعلمُ حقيقتَها وكيفيتَها وماهيّتَها؛ لأنا إذا كنا لا نعلمُ حقيقةَ الموصوف وكيفيتَه وكُنْهَه، فكيف نعلمُ صفاتِه، فإذا كان إثباتُ ذاته إثباتَ وجودٍ حقيقةً لا إثباتَ كيفيّةٍ ومائيّـةٍ، فكذلك إثباتُ جميعِ ما وَصف به نفسَه إثباتُ وجودٍ حقيقةً لا إثباتُ كيفيّةٍ وتحديدِ.

وقد ورد في السنة غيرُ حديثٍ أنّ الله يعجب". [(١)]

قال الطعان تحت عنوان: جعله الإرادة واحدة لجميع المرادات

(قال النووي: وَإِرَادَتُهُ ﷻ صِفَةٌ لَهُ قَدِيمَةٌ يُرِيدُ بِهَا جَمِيعَ الْمُرَادَاتِ)

وأحال على شرح النووي على مسلم (١٧/ ٦٨) ثم قال: (قول العلماء في هذا)

قال أبو الفضل: قول الإمام النووي لم يقل فيه إنها واحدة !

---

(١) صفات رب العالمين (٣/ ١١٧٢) ثم ذكر بعضها.

ومع ذلك فالقول بأنها واحدة هو **قول بعض أصحاب الحديث وبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد !**

فماذا ستقول فيهم؟!

قال شيخ الإسلام: وأما **الأشعري ومن وافقه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد** فقالوا: لله إرادة واحدة تقوم به، وقالوا ـ في أظهر قوليهم ـ: إن إرادته هي حبّه ورضاه، وكل ما في الوجود فهو مرادٌ له فيكون محبوبًا له مرضيًّا. (١)

وقال: **قول ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف**، يقولون: إنه يعلم المعلومات كلها بعلم واحد بالعين، ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة بالعين. (٢)

وقال السفاريني: **الْإِرَادَةُ: وَهِيَ وَاحِدَةٌ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ بَاقِيَةٌ**، إِذْ لَوْ كَانَتْ حَادِثَةً، لَزِمَ كَوْنُهُ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ، وَأَيْضًا لَا حَاجَةَ إِلَى إِرَادَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ شَامِلَةٌ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ ؛ لِأَنَّهُ - تَعَالَى - مُوجِدٌ لِكُلِّ مَا يُوجَدُ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ، وَلِأَنَّهُ - تَعَالَى - فَاعِلٌ بِالِاخْتِيَارِ، فَيَكُونُ مُرِيدًا لَهَا ؛ لِأَنَّ الْإِيجَادَ بِالِاخْتِيَارِ يَسْتَلْزِمُ إِرَادَةَ الْفَاعِلِ. (٣)

---

(١) جامع المسائل ط عطاءات العلم (٧/ ٣٨٦)

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/١٧٢)، وانظر النبوات(١/٢٨٧ ، ٢٨٨) ومجموع الفتاوى (٨/٣٤٢) و(١٢/١٣٣) و(١٧/١٦٣) و(١٩/٢٧٧) منهاج السنة ١/٣٨٤

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٤٥)

فكما تقول فيهم نقول في الإمام النووي رحمهم الله جميعاً، وأما الصواب فهو ما قاله شيخ الإسلام والمحققون من أهل السنة :

أن الإرادة في كتاب الله نوعان:

أحدهما: إرادة كونية قدرية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ وكقول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة هي التي يجب مرادها سواء أحبه الله ورضيه، أم لا.

والأخرى: إرادة دينية شرعية، وهي المتضمنة للمحبة والرضا ومنها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وهذه الإرادة لا يجب مرادها، ولذلك تجد الناس يقولون لمن يفعل القبائح هذا ما لا يحبه الله ولا يرضاه.

وهذا التقسيم وارد عن أعلام السلف[1].

وفي مجموع الفتاوى (٨/ ١٨٧ – ١٨٩): الإرادة في كتاب الله على نوعين:

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ١/٣٥٩، ٣٦٠، ومجموع الفتاوى ٨/١٩٧، وشفاء العليل ص٥٨٥– ٥٩٢، وشرح الطحاوية ص١٩٨، ١٩٩، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري – ابن باز (ص٢٢٨)، معجم التوحيد (٣/ ٢١٣)، حاشية رسالة إلى أهل الثغر (ص١٣٩)، أثر الإيمان في تحصين الأمة ص ٦٠، ٦١، شرح العقيدة الواسطية للفوزان ص١١٥–١١٨، وشرحها للبراك ٦١

أحدهما: الإرادة الكونية وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة في مثل قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]

وقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [الكهف:٣٩] وأمثال ذلك ...

وأما النوع الثاني: فهو الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد ورضاه، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٧ - ٢٨]، فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة، **ولهذا كانت الأقسام أربعة:**

أحدها: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان.

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط. وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها، لو وقعت ولو لم تقع.

والثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها: كالمباحات والمعاصي؛ فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها، إذ هو لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

والرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي". [(١)]

قال الطعان تحت عنوان: قوله في القرآن: (لم أجد له فيه كلاماً واضحاً)

قال أبو الفضل: فلماذكر ذكرته هنا؟ ، أهو الطعن لمجرد الطعن؟

وسيأتي أن هذا جهل منه أو تجاهل !، وقد صرح الإمام النووي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) وانظر أثر الإيمان في تحصين الأمة ص ٦٠، ٦١

ثم قال الطعان: (وقد قال: "فالإيمان بأن كَلَامُ اللهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ"

وجعل القائلين بخلق القرآن مبتدعة لا كفرة ، فقال: "وأما من يقول بخلق القرآن فهو مبتدع واختلف أصحابنا في تكفيره ... وقال القفال وكثيرون من الأصحاب يجوز الاقتداء بمن يقول بخلق القرآن وغيره من أهل البدع قال صاحب العدة هذا هو المذهب (قلت) وهذا هو الصواب ... تأول الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي وغيره من أصحابنا المحققين ما نقل عن الشافعي وغيره من العلماء من تكفير القائل بخلق القرآن على أن المراد كفران النعمة لا كفران الخروج عن الملة ")

وأحال على شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨)، وعلى المجموع (٤/ ٢٥٣ ط المنيرية)

ثم قال: (قول العلماء في هذا)، ثم نقل أقوال كثير من أهل العلم في تكفير من قال بخلق القرآن، ثم قال: (أفهذا يكون في كفر النعمة؟)

قال أبو الفضل: والإمام النووي نقل خلاف العلماء في تكفيرهم، ونقل قولاً آخر لأئمة آخرين من أهل السنة ورجحه، فكان ماذا؟!

وكالعادة قطع من كلام النووي ما أنقله لك تاماً

قال الإمام النووي في المجموع (٤/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ ط المنيرية): "وأما من يقول بخلق القرآن فهو مبتدع واختلف أصحابنا في تكفيره **فأطلق أبو علي الطبري في الإفصاح والشيخ أبو حامد الاسفراينى ومتابعوه القول بأنه كافر قال أبو حامد ومتابعوه المعتزلة كفار والخوارج ليسوا بكفار ونقل المتولي بتكفير من يقول بخلق القرآن عن الشافعي**

وقال القفال وكثيرون من الأصحاب يجوز الاقتداء بمن يقول بخلق القرآن وغيره من أهل البدع قال صاحب العدة هذا هو المذهب (قلت) وهذا هو الصواب **فقد قال الشافعي** رحمه الله **أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم ولم يزل السلف والخلف يرون الصلاة وراء المعتزلة ونحوهم ومناكحتهم وموارثتهم وإجراء سائر الأحكام عليهم وقد** تأول الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي وغيره من أصحابنا المحققين ما نقل عن الشافعي وغيره من العلماء من تكفير القائل بخلق القرآن على أن المراد كفران النعمة لا كفران الخروج عن الملة ، **وحملهم على هذا التأويل ما ذكرته من إجراء أحكام الإسلام عليهم قال ابن المنذر أجاز الشافعي الصلاة خلف من أقامها يعني من أهل البدع وإن كان غير محمود في دينه أن حاله أبلغ في مخالفة حد الدين هذا لفظه قال ابن المنذر إن كفر ببدعة لم تجز الصلاة وراءه وإلا فتجوز وغيره أولى**"

فانظر ماذا حذف من كلام الإمام النووي، وانظر لمن وافقه من الأئمة !

وقد نقله تاماً العلامة محمد علي آدم.[١] **فماذا ستقول فيه؟!**

"وقال القُتيبي: الكفر صنفان:أحدهما: الكفر بالأصل، وهو الكفر بالله نعوذ بالله منه والآخر: الكفر بفرع من الفروع كالكفر بالقدر وما أشبه ذلك، وهذا لا يخرج به عن الإسلام، لا يقال لمن كفر بشيء منه كافر، كما أنه يقال للمنافق آمن، ولا يقال: هو مؤمن، **وسمعت الأزهري يقول وسئل عن من يقول بخلق القرآن أتسمه كافرا فقال: الذي يقوله كفر فأعيد عليه السؤال ثلاثا كل ذلك فيقول مثل ما قام ثم قال في الآخر قد يكون المسلم كفرا**" [٢]

وقال البيهقي: وَقَدِ اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ: مِنْهُمْ مَنْ كَفَّرَهُمْ عَلَى تَفْصِيلٍ ذَكَرَهُ فِي أَهْوَائِهِمْ ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا زَعَمَ أَنَّ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ فِي الصَّلَاةِ وَالشَّهَادَاتِ وَرَدَ فِي مُبْتَدَعٍ لَا يَخْرُجُ بِبِدْعَتِهِ وَهَوَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُكَفِّرُهُمْ وَزَعَمَ أَنَّ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ فِي تَكْفِيرِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ أَرَادَ بِهِ كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ ، كَقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

---

(١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٩/ ٦٤٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (١٤/ ١٦٥، ١٦٦)

(٢) الغريبين في القرآن والحديث (٥/ ١٦٤٣)، والقتيبي هو خطيب أهل السنة ! وانظر النهاية (٤/ ١٨٦)، لسان العرب (٥/ ١٤٤)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٥٦)، وانظر تقسيم ابن القيم رحمه الله للكفر في "مدارج السالكين" (١/ ٣٣٧)، الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة (١/ ٣٠٨)

[المائدة: ٤٤] وَمَنْ قَالَ بِهَذَا جَرَى فِي قَبُولِ شَهَادَاتِهِمْ وَجَوَازِ الصَّلَاةِ خَلْفَهُمْ مَعَ الْكَرَاهِيَةِ عَلَى مَا قَالَ الشَّافِعِيُّ ، رَحِمَهُ اللهُ، فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَوِ الْمُظْهِرُ لِلْبِدَعِ [(١)]

نعم الصواب مع قول جمهور أهل الأثر بتكفيرهم[(٢)] ، مع التفريق بين القول والقائل والفعل والفاعل كما سبق تأصيله بحمد الله تعالى.

ثم تكلم الطعان عن استدرك (الشيخ) حسن الحسيني عليه بما لا طائل تحته !

وخلاصة القول : أن الإمام النووي قال :"**والقرآن كلام الله تعالى، وكلم الله تعالى، وكلمته، وكلماته، وكلام الله تعالى لا يحد ولا يعد، وهو غير مخلوق، تبارك الله وتعالى عما يقول المفترون علوًا كبيرًا**". [(٣)]

فجعله الطعان أولاً مجرد ناقل لقول الأزهري، وقال: (الأزهري رحمه الله من أهل السنة)

فنقول: الحمد لله أنك جعلت الإمام الأزهري من أهل السنة !

---

(١) الأسماء والصفات(١/ ٦٢٢)، وانظر شرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٨)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٤/ ٣٦٠)

(٢) ففي العلو للعلي الغفار (ص١٦١): أما تَكْفِير من قَالَ بِخلق الْقُرْآن فقد ورد عَن سَائِر أَئِمَّة السّلف...، وانظر كتاب شرح السنة للآلكائي ، والانتصار لأهل السنة والحديث (ص١٨٣)، الرد السديد على مطاعن حسن المالكي (ص١٦٨)

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٤/ ١١٨)

ونقول لك راجع ما سبق من كلام الأزهري في عدم تكفير من قال بخلق القرآن !، وانظر إن شئت تأويله لصفة المحبة، وللصفات المقرونة بالمجازاة كالمكر والكيد والاستهزاء[١]، **ولا أدري هل ستضلله بعدها أم لا؟!**

ثم زعم الطعان أن النووي زيَّف كلام الأزهري وغيّره!، حيث قال الأزهري: " **والقرآنُ كلَامُ الله، وكَلِمُ الله، وكَلِمَاتُ الله، وكلمةُ اللهُ، وَهُوَ كَيْفَمَا تَصَرَّفَ، مَتْلُوًّا، ومَحْفُوظاً، ومَكْتُوباً: غيرُ مَخْلُوق**".[٢]

فنقول: الإمام النووي عبر بقلمه عن كلام الإمام الأزهري، فالسؤال: لو كان ناقلاً فقد أصاب معنى كلامه، وإن لم يكن ناقلاً فهذا كلام الإمام النووي، وفي الحالتين يصرح بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنت زعمت أنك لم تجد له

---

(١) انظر منهج اللغويين في تقرير العقيدة ، د/ محمد الشيخ عَليو محمد، ط مكتبة دار المنهاج، ص٤٠٠، ٤٠١، وقال في تهذيب اللغة (٩/ ٥٥ ، ٥٦): وَفِي الحَدِيث: أنّ جهنّم تمتلىء حتّى يضع الله فِيهَا قَدَمه ، ورُوي عَن الْحسن أَنه قَالَ: مَعْنَاهُ حتّى يَجْعَل الله فِيهَا الَّذين قدّمهم من شرار خَلْقه إِلَيْهَا، فهم قَدَمُ اللَّهِ للنار، كَمَا أنّ الْمُسلمين قَدَمُه للجنّة.

وَأَخْبرنِي مُحَمَّد بن إِسْحَاق السعديّ عَن الْعَبَّاس الدُّورِيّ أَنه سَأَلَ أَبَا عبيدٍ عَن تَفْسِيره وَتَفْسِير غَيره من حَدِيث النُّزُول والرؤية فَقَالَ: هَذِه أحاديثُ رَوَاهَا لنا الثِّقاتُ عَن الثّقات حَتَّى رفعوها إِلَى النَّبِي ﷺ؛ وَمَا رَأينا أحدا يفسِّرها، فَنحْن نؤمن بهَا على مَا جَاءَت وَلَا نفسِّرها. أَرَادَ أَنَّهَا تُترك على ظَاهرهَا كَمَا جَاءَت.

(٢) تهذيب اللغة (١٠/ ١٤٧)

كلاماً صريحاً، فهذا إما قصور في البحث يجعلك لست أهلاً للحكم على أحد أصلاً، وإما إخفاء لكلمة الحق يجعلك غير عدلٍ أصلاً، **فاختر ما شئت**

ويخفي الطعان جهله أو إخفاءه بقوله "هذا الكلام لم يقله النووي في موضع متعلق في الكلام العقدي، فلماذا ذكره في موضع لغوي؟"

وكأنها تهمة !، ورداً عليك نقول: فلماذا لم تكن رجلاً باحثاً عن الحق فتجرد كتب الإمام الذي تصديت للطعن فيه؟

ولماذا لم تقرأ ما كُتب من أبحاث حول عقيدته، وهي متوفرة !

لو فعلت وجدت الحق الصُراح، إن شاء الله تعالى.

ثم زعم أن سبب فعل النووي هو (لأن القرآن المتلو المحفوظ المكتوب يراه الأشعرية الجهمية مخلوقاً، بينما يراه أهل السنة هو كلام الله ، فلا قرآن عندنا إلا هذا القرآن ، أما الأشعرية فعندهم قرآنان)

فنقول: هل هذا نص كلام الأشاعرة؟، أم هو لازم قولهم؟!

إن كانت الأولى، فعلى المدعي البرهان

وإن كانت الثانية، فقد سبق أن لازم المذهب ليس بمذهب[1]!

---

(١) والحق أن "كلامهم، مؤد إلى أنّ هذا المكتوب في المصاحف ليس بكلام الله؛ لأنه مكتوب بحروف وليس كلامه سبحانه بحرف ولا صوت بزعمهم.

ولكن : **هل يلتزموه، أم يتناقضوا** ؟!، أما الأشعري نفسه فيقول في الإبانة "... القرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في

وكثير من الأشاعرة يصرحون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق[١] !

وما تقول فيمن يقول: أَتَرَى الْقُرْآنَ فِي الْمَصَاحِفِ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا رَدٌّ لِقَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[الأنعام: ١٠٣] وَإِنْ قَالَ : يَرَى كِتَابَةَ الْقُرْآنِ ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَى الْخَلْقِ، وَيُقَالُ لَهُ: هَلْ تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ إِلَّا اللوْنَ؟ فَإِنْ قَالَ: لَا، قِيلَ لَهُ: وَهَلْ يَكُونُ اللوْنُ إِلَّا فِي الْجِسْمِ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ جِسْمٌ يُرَى "[٢]

يعني: أن الذي في المصحف هو كتابة القرآن، والكتابة فعل العباد، أما القول فلا يرى، وإنما يسمع، وهو صفة القائل قائم به[٣]

الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وأنكر على من قال لفظي بالقرآن مخلوق – ثم قال: "ولا يجوز أن يقال إن شيئاً من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن بكامله غير مخلوق" انظر: "الإبانة ١٠٠" حاشية رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٧٥)

(١) انظر "شكاية أهل السنَّة" للقشيري ص: ٤٠، ولمناقشتهم انظر حاشية رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٧٥)، والعقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية (ص٤٠٤)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٠٦) وما بعدها

(٢) خلق أفعال العباد للبخاري (ص١١٥)

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري – الغنيمان (٢/ ٤٧٩)

ثم أين الإمام النووي من هذا كله؟!

وقد صرح أن القرآن كلام الله غير مخلوق !

وَلَسْنَا نَشُكُّ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ فِي الْمُصَاحِفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لَا عَلَى الْمَجَازِ، كَمَا يَقُولُ أَصْحَابُ الْكَلَامِ: "إِنَّ الَّذِي فِي الْمُصْحَفِ، دَلِيلٌ عَلَى الْقُرْآن وَلَيْسَ بِهِ"(١)

وختم الطعان قوله بـ: (فلهذا بدَّل النووي كلام الأزهري عن القرآن الكريم" ثم كتب الآية الكريمة ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾)

ولا أملك إلا أن أقول: عند الله تجتمع الخصوم!، وهذه كلمات الإمام النووي في القرآن الكريم : **فصل: في الحروف وهل هي قديمة أم حادثة.**(٢)

قال الشيخ أبو العباس في كتابه: فصل في الحروف: اعلم أن العلماء اختلفوا في الحروف هل هي قديمة في القرآن أو مطلقاً؟

فذهب قوم إلى القدم مطلقاً إذ قدمها في صورة دون صورة تناقض محض.

وذهب قوم إلى قدمها في القرآن فقط، وذهب قوم إلى قدم حروف قائمة بهذه الحروف المرتبة.

والذي يدل على قدم الحروف على الإطلاق من كتاب الله تعالى وجوه:

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص٢٩١)

(٢) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص١٧، ١٨)

الأول: قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:١-٤] فرّق بين ماخلق وبين ما علم فلولم يكن ما علمه غير مخلوق وإلا لما كان لتخصيص أحدهما بالخلق دون الآخر فائدة.

والمراد بالبيان الحروف والكلام العربي في قول أهل التفسير.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة ٣١] وثبت بما تقدم إنما علمه غير مخلوق...

الثالث: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥] وهذا نصّ على أن ما يكون بالقلم، تعليمه سبحانه وتعالى، وثبت بما تقدم إنما هو تعليمه غير مخلوق، والتعليم بالقلم ليس إلا الحروف.

الرابع: هذه الحروف من علم الله لما سبق وقوله تعالى: ﴿وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] أخبر تعالى أنه علم الكاتب الكتابة، والكتابة ليس إلا الحروف، وعلمه غير مخلوق بالإجماع.

الخامس: في القرآن آيتان جمعتا حروف المعجم:

إحداهما: في سورة آل عمران وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً﴾ [آل عمران: ١٥٤] . والثانية: آخر سورة الفتح.

فمن زعم أن الحروف مخلوقة فقد صرّح بحدث الكتب المنزلة على الأنبياء من إله السماء.

السادس: لما اقتضت الحكمة الإلهية إثبات ما هو كائن في اللوح المحفوظ دلّ ذلك على قدم الحروف إذ لو لم تكن قديمة لكان ثَمّ شيء خارج عن علمه تعالى وذلك محال.

ويدل على قدمها من حديث رسول الله ﷺ وجوه:

الأول: مارواه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال" سألت رسول الله ﷺ عن ألف ب ت ث إلى آخرها، فقال: "الألف من اسم الله الذي هو الله والباء من اسم الله الذي هو الباري" فاشتق لكل حرف حرفاً من صفات الله إلى آخر الحروف والسر في أن هذه الحروف مباني كتب الله المنزلة بالألسن المختلفة ومباني صفاته القديمة وأسمائه الحسنى، فالقول بحدوثها يوجب طرق الحدوث إلى ذلك، وقدمها ثابت بالإجماع.

الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأمة ينزل عليها هذا، طوبى لأجواف يوعى فيها هذا، طوبى لألسنة تتكلم بهذا"

وهذا صريح في تقدم الحروف قبل آدم والخصم لا يقول بذلك فيصير محجوجاً.

وقال: كلام الله ليس إلا الحروف والأصوات المفيدة لأمور الشرع المنزلة على النبي ﷺ بنظم القرآن، وهو الموجود بين أظهرنا، الذي نتلوه بألسنتنا وتحفظه أولادنا ونكتبه في مصاحفنا، وليس لله كلام سواه

هذا مذهبنا وبه قال الإمام الشافعي ﷺ على ما نقل عنه أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر.[(١)]

ثم ساق أسماء جماعة من الأئمة قالوا بذلك ثم قال:

وغير هؤلاء من الأئمة، والسادات من كبار العلماء والمحدثين ممن يضيق هذا المختصر عن ذكرهم وتعدادهم.[(٢)]

ثم قال: ووجه البرهان على ما ادعيناه أن نقول كلام الله تعالى منزل، والمنزل ليس إلا الحرف والصوت ينتج أن كلام الله هو الحرف والصوت، فإذا أثبتنا أن كلام الله هو الحرف والصوت، وذكرنا الدليل على المقدمات، ثبت كونه قديماً بالإجماع.

ثم ساق الأدلة على ذلك.[(٣)]

وقال: قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم فأما القرآن المتلو المكتوب في المصاحف الموعى في الصدور فهو كلام الله ليس مخلوق، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] .[(٤)]

---

(١) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٢٥)

(٢) ص ٢٦

(٣) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٢٨)

(٤) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٢١)

وقال : **أجمع المسلمون على إطلاق هذه الكلمات** من غير إنكار ولا تعرض إلى كيفية نزول ولا حقيقة ولا مجاز وهي **قولهم كلام الله المنزل غير مخلوق** وهذه الكلمات مروية عن النبي ﷺ روى ذلك أبو نصر السجزي في كتابه.

وروي عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ " القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود "

وكذلك روي من طريق أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أن قال:" القرآن متصل من الله إلينا طرف بيده وطرف في يدينا ".(١)

وقال : **وقد أجمعنا على أن كلام الله هو القرآن، وأجمعنا على أن كلام الله غير مخلوق،** فيتعين أن تكون القراءة غير مخلوقة، وقد أجمع أهل العلم على أن من حلف: لا يتكلم بكلام الآدميين: فقرأ القرآن، لأنه لا يحنث، ولو علق به طلاق زوجته لا يقع.

وقد أطلق الله تعالى لفظ القرآن وأراد به القراءة في مواضع: منها: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ الآية [الإسراء:٤٥] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ [النحل:٩٨] ... والمراد بالجميع القراءة، وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ :" خذوا القرآن عن أبي وعن ابن أم عبد "، وقوله ﷺ :" أن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي " أي القراءة به والتلاوة.(٢)

---

(١) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٤٧)

(٢) في جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات (ص٦٤)

وقال : **وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في الاقطار المكتوب في الصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعة الدفتان من أول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ** ، وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع فيه الاجماع وأجمع على أنه ليس بقرآن عامدا لكل هذا فهو كافر.[1]

وقال: **العلماء قالوا : نصيحة كتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شئ من كلام الخلق** ولا يقدر الخلق على مثل سورة منه، وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها وتدبرها والخشوع عندها ، وإقامة حروفه في التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الملحدين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ومجمله ومبينه وغير ذلك من أقسامه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى جميع ما ذكرنا من نصيحته

وأجمعت الأمة على وجوب تعظيم القرآن على الاطلاق وتنزيهه وصيانته:

وأجمعوا على أن من جحد منه حرفا مجمعا عليه أو زاد حرفا لم يقرأ به أحد وهو

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٦٤)

عالم بذلك فهو كافر، **وأجمعوا** على أن من استخف بالقرآن أو بشيء منه أو بالمصحف أو ألقاه في قاذورة أو كذب بشيء مما جاء به من حكم أو خبر أو نفى ما أثبته أو أثبت ما نفاه أو شك في شيء من ذلك وهو عالم به كفر ... (١)

وقال: **وأما النصيحة لكتابه ﷻ فالإيمان بأن كَلَامُ اللهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ** وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ وَالتَّصْدِيقُ بِمَا فِيهِ وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ وَتَفَهُّمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ وَالِاعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ وَالْبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَنَشْرُ عُلُومِهِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ والى ما ذكرناه مِنْ نَصِيحَتِهِ. (٢)

وبهذا انتهى والحمد لله الرد على الطعان في مسائل الصفات والقرآن وغيرها، وبقي اتهامه للإمام النووي في مسألة الإيمان، ثم بعض المتفرقات، وهذا يحتاج إلى مجلد جديد في الرد عليه، وبيان ظلمه وعدوانه على الإمام النووي!

ومسألة الإيمان لابد من تحريرها؛ لبيان الحق فيها، وقد كتبت فيها بحمد الله تعالى في شرحي للعقيدة الطحاوية أكثر من ثلاثمائة صفحة!

فيبقى للحديث بقية عسى أن تكون قريبة إن شاء الله تَعَالَى!

---

(١) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٧٠ ط المنيرية)

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٨)

الخاتمة نسأل الله حسنها إذا بلغت الروح المنتهى:

نلفت القراء إلى أننا في هذا الكتاب إنما نعمل على إسقاط فكرة خطيرة، وإذا هي قامت اليوم بفلان الذي نعرفه ، فقد تكون غداً في من لا نعرفه، ونحن نرد على هذا وعلى هذا برد سواء، لا جهلُنا من نجهله يلطف منه، ولا معرفتنا من نعرفه تبالغ فيه، ونحن مستيقنون أن ليس في جدال من نجادلهم عائدة على أنفسهم[(١)]؛ إذ هم لا يضلون إلا بعلم وعلى بينة ، فمن ثم نزعنا في أسلوب

(١) إلا أن يشاء الله تعالى، وقد سبق قول الثوري رحمه الله: "البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها". شرح السنة، للبغوي، ٢١٦/١، وقال شيخ الإسلام في المجموع ٩/١٠: " ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، وبأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب، أو استحباب؛ ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً، وهو سيئ في نفس الأمر؛ فإنه لا يتوب"، ثم قال ٩/١٠-١٠: "ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله، ويرشده حتى يتبيّن له الحقّ، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين، وطوائف أهل البدع والضلال"، فنسأل الله تعالى أن يهدينا ويهدي بنا.
قلت وصح عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله حَجَبَ التوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعة حتى يَدعَ بِدعَتَهُ". رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني، وأحال

الكتاب إلى مَنحى بياني نديره على سياسة من الكلام بعينها، فإن كان فيه من الشدة أو العنف أو القول المؤلم أو التهكم، فما ذلك أردنا، ولكنا كالذي يصف الرجل الضال ليمنع المهتدي أن يضل! [١]، وإن من تكلم فِي إِمَام اسْتَقَرَّتْ فِي الأذهان عَظمته، وتناقلت الروَاة مَمادحه **فقد جر الملام إِلَى نَفسه** [٢]، وإِنَّ الَّذِي يُرِيدُ الشُّذُوذَ عَنِ الْحَقِّ، يَتَّبِعُ الشَّاذَّ مِنَ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ !، وَيَتَعَلَّقُ بِزَلَّاتِهِمْ وَالَّذِي يَؤُمُّ الْحَقَّ فِي نَفْسِهِ يَتَّبِعُ الْمَشْهُورَ مِنْ قَوْلِ جَمَاعَتِهِمْ، وَيَنْقَلِبُ مَعَ جُمْهُورِهِمْ[٣]، وقد حاولنا[٤] أن نستقصي من كلام العلماء المعتبرين، والأئمة المرضيين، من السابقين واللاحقين ،ما يدفع هذا البلاء الذي جاء به هؤلاء، فلو أنهم أمسكوا عن الكلام فيه، أو حبسوه في صدروهم ولم ينشروه ؛

على "الصحيحة" (١٦٢٠). صحيح الترغيب (١/ ١٣٠)، وانظر تفاصيل أحكام توبة المبتدع ونماذج كثيرة منها في مختصر دعوة أهل البدع لخالد الزهراني ، تقديم الفوزان ط دار ابن الجوزي ص ٨٨ - ١٠٢، ١٣٠- ١٣٤، ١٥٢ — ١٥٤ ، وترجمة بشر بن السري في السير ٩/٣٣٢-٣٣٤، ورسالة التحولات المذهبية العقائدية عند السلف والمعتزلة والأشاعرة، لعبد الفتاح حمودة ط مكتبة أهل الأثر.

(١) "تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي ، الناشر: المكتبة العصرية (ص٥)

(٢) اليواقيت والدرر شرح شرح نخبة الفكر (٢/ ٣٨١)

(٣) الرد على الجهمية للدارمي - ت البدر (ص١٢٩)، ط دار الكيان ص ١٢٤

(٤) مقتبس بتصرف من كلام الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان فى رده على مراد شكرى فى مسألة النقود

لأراحوا واستراحوا !، فما الذي جرَّأهم على نشره، وما مرادهم من هذا التبديع والتكفير الذي لم يقره عالم معتبر، ولا فقيه له نظر!

وهذه المسائل ما ينبغي لفرد غُمر أن يفتي بها، ويقرّر خلاف ما عليه العلماء والباحثون والمطلعون - فضلاً - عن الأئمة الأكابر على اختلاف أعصارهم وأمصارهم!

وأُراني مضطراً إلى إلجام القلم، وعدم إرساله في التفصيل بعد ذلك التأصيل، وفيما ذكرناه كفاية لمن رام الحق، واتّبع السبيل، وأنصف ، ولم يعاند، وفي الحديث الصحيح: إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يَبق عالم اتّخذ الناس رؤوساً جهالاً، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا.

قال الطرطوشي[١]: " تدبّروا هذا الحديث، فإنّه يدلّ على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم، وإنّما يؤتون من قِبَلِ أنه إذا مات علماؤهم أفتى من ليس بعالم، فيؤتى الناس من قبله، وقد صرّف هذا المعنى تصريفاً، فقيل: ما خان أمين قط، ولكن ائتُمن غير أمين، فخان، فقال: ونحن نقول: ما ابتدع عالم قط، ولكن استُفتي من ليس بعالم فضلّ وأضلّ "[٢]

واحذر أنت أيها المقلّد المسكين أن تقلّد نكرةً !

---

(١) في الحوادث والبدع (ص٧٠) وقد سبق

(٢) قاله كلّه الشاطبي في الاعتصام (٣/١٢٨-١٢٩) بنوع تصرّف واختصار

واسأل نفسك: **أتترك قولاً تتابع عليه العلماء قديمهم وحديثهم بشبهةٍ ألقاها الشيطان على لسان واحد - هو على أحسن أحواله طُويلب علم -، وحاسب نفسك** عن سرّ ميلك لهذا القول، فإنّ هذا – والله – لا ينفعك عند الله ﷻ ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]

ويؤكد لك ذلك: أن تسأل صاحب هذا القول محدداً موضّحاً حاصراً مبتغاك بقولك: **مَنْ مِنْ العلماء المعتبرين، أو طلبة العلم المعروفين يقول بقولك؟!**

وعندها لن تسمع إلا جعاجع وقعاقع وفراقع!

فَاحْذَرْ مِنْ الْإِقْدَامِ عَلَى الطَّعْنِ عَلَى الْعُلَمَاءِ مَعَ عَدَمِ بُلُوغِك إلَى مَقَامَاتِهِمْ(١)

"فما ينبغي لك يا فقيه أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زَغَلُه وانهتك باطنه وزندقته، فلا هذا، ولا هذا، بل العدل أنَّ مَن رآه المسلمون صالحاً محسناً فهو كذلك، لأنهم شهداء الله في أرضه، إذْ الأمةُ لا تجتمع على ضلالة، وأنَّ مَن رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مبطلاً، فهو كذلك، وأنَّ من كان طائفة من الأمة تُضَلِّلُه، وطائفة من الأمة تثني عليه وتبجله، وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الحطِّ عليه؛ فهو ممن ينبغي أن يُعرض عنه، وأن يُفوَّض أمره إلى الله، وأن يستغفر له في الجملة، لأنَّ إسلامَه أَصْلِيٌّ بيقين، وضلالَه مشكوكٌ فيه، فبهذا

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٧٩)

تستريح، ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين... فما مِنْ إمامٍ كاملٍ في الخير إلا وثَمَّ أُناسٌ مِن جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمُّونَه ويحطُّونَ عليه، وما مِن رأسٍ في البدعة والتجهم والرفض إلا ولَهُ أناس ينتصرون له ويذبون عنه ويدينون بقوله بهوى وجهل؛ **وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل، المتصفين بالورع والعلم**"(١)

و"إذا كان مثل كبراء السابقين الأولين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفضيل يتكلم فيه، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس، **لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع**"(٢)

واحذر- أخي القارئ - من هذا الفكر السقيم، واتَّقِ الله أن يغررك التبهرج الذي فيه، واحرص من أن يجرِّئك على الولوغ والولوج في الكبائر ومقدماتها، وإيّاك أن تحوم حولها.

واعلم أنَّ أهلَ العلم لا تَجتَمِعُ كلمتُهم على مثلِ هذا تبيطاً للعاملِ، وتثبيتاً للخامِلِ الغافِلِ، ولكنَّهم ينتَهون إلى حيث أدَّاهم إليه اجتهادُهم، الذي لا يَجوز لِمَن دُونَهم مخالفتُهم فيه؛ لقصورِهم عنه، وخُلوِّ أيديهم من المَلَكات العِلميَّة التي تمكَّنوا منها، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٣ ط الرسالة)

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٨ ط الرسالة)

الأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩]**، فيا هذا ارعوِ! ولا تكذب على نفسك، ولا تفتري، فإنّك موقوف بين يديه، محاسب فأعدّ لهذا جواباً**

وأقول: **والله وبالله وتالله : ما كتبت هذه الرسالة إلا عملاً بقول الله** ﷻ **: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وعملاً بقول النبي** ﷺ**: "الدينُ النصيحةُ" قلنا: لمن؟ قال: " لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"**

وعملا بمبايعة جريرٍ رضي الله عنه **رسول الله** ﷺ **على إقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والنصحِ لكل مسلمٍ.**(١)**، وكما قال نبيُ الله نوحُ** ﷺ **لقومِه: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ وكما قال نبي الله هود** ﷺ **لقومه: ﴿وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾**

وكما قال نبي الله شعيب ﷺ **لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.**

فأوصي ‹نفسي و› طلبةَ العلم أن يشكروا اللهَ ﷻ على توفيقه لهم؛ إذ جعلهم من طلَّابه، وأن يُعنوا بالإخلاص في طلبه، ويبذلوا النَّفس والنّفيس لتحصيله، وأن يحفظوا الأوقات في الاشتغال به؛ فإنَّ العلم لا يُنال بالأماني والإخلاد إلى الكسل والخمول، وقد قال يحيى بن أبي كثير اليمامي: "لا يُستطاع العلم براحة الجسم" (٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)

(٢) رفقاً أهل السنة بأهل السنة (ص٥٧)

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وكتب أخوك المحب لك : أبو الفضل ابن محمد المصري عفا الله عنه

ملحق: من باب الدين النصيحة : أخطاء الإمام النووي من كتاب الشيخ مشهور حسن: التعقبات والردود

العزو الأول لشرح مسلم ، والثاني لكتاب الشيخ مشهور حسن

الخطأ	مكانه في « الشرح »	الصفحة
التبرك بالصالحين وآثارهم .	(١ / ٢٤٤)	٢٣٣
ذكر تأويل الغضب والرضى والسخط والكراهية .	(٢ / ١٦٢)	١٢٣
رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء .	(٣ / ٥)	٢٥٧
ذكر تأويله صفة النور .	(٣ / ١٢ - ١٣)	٢١٥
مذهب السلف في الصفات تأويل المعنى وذكر تأويل الصورة .	(٣ / ١٩ - ٢٠)	١٦٩
ذكر تأويله الصورة والإتيان .	(٣ / ١٩ - ٢٠)	١٧١
ذكر تأويله الضحك .	(٣ / ٢٤ ، ٤٣)	١٣١
ذكر تأويله الساق .	(٣ / ٢٧ - ٢٨)	١١١
ذكر تأويل الغضب والرضى والسخط والكراهية .	(٣ / ٦٨)	١٢٣

ص		ص	